الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة–

كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

الجماعة الإسماعيلية ودورها الثقافي والاجتماعي في مرحلة الدعوة في بلاد المغرب الأوسط (145–296هـ/741–909م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في العلوم الإنسانية – تاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الأوسط وحضارته في العصر الوسيط

تاريخ بلاد المغرب السياسي والحضاري للعصر الوسيط

إعداد الطالب:
– محمد بن عربة

إشراف الأستاذ الدكتور:
– إسماعيل سامعي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الرئيسية	الصفة
أ.د/ علاوة عمارة	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة	رئيسا
أ.د. إسماعيل سامعي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة	مشرفا ومقررا
أ.د/ بوبة مجاني	أستاذ	جامعة عبد الحميد مهري– قسنطينة 02 –	عضوا
أ.د/ يوسف عابد	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة	عضوا
د/ رضا بن النية	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد لمين دباغين– سطيف02 –	عضوا
أ.د/ مسعود خالدي	أستاذ	جامعة 08 ماي 1945 – قالمة –	عضوا

السنة الجامعية: 1442– 1443هـ / 2021– 2022

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال الله تعالى:

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى
الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

صدق الله العظيم

سورة القصص، الآية: 05

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكر

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد يارب على ما أنعمت علينا وأطلت أعمارنا لهذا اليوم الذي يفرح فيه أهلنا وأحبتنا ومن ربانا وعلمنا

أتوجه بشكري وتقديري إلى أستاذي الفاضل المشرف

أ.د إسماعيل سامعي على إشرافه ورعايته لنا

وعلى ما بذله من جهد في تكويننا وصبره علينا

وما قدمه لنا من نصح وتوجيه وتصويب

كما نتقدم بالشكر الى أساتذتنا في جامعة الأمير عبد القادر

على تكوينهم لنا، وحسن صنيعهم فينا وعلى رأسهم:

أ. د علاوة عمارة – أ.د يوسف عابد – د. نصيرة عزرودي

وإلى من كل ساعدنا ووقف معنا من قريب أو بعيد

جعل الله صنيعكم في ميزان حسناتكم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى:

روح أبي رحمة الله عليه

إلى جدتي: **الحاجة خالدية** التي كفلتني ورعتني وعلمتني،
والتي لا أزال أنعم بدعائها وبركتها

إلى **الوالدة** رمز الكفاح حفظها الله

إلى **زوجتي** الدكتورة أحلام بوسالم سندي وذخيرتي

إلى الأخوة والأصدقاء وكل من ساندنا في دربنا وكان عونا لنا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أصبحت بلاد المغرب الإسلامي مع بدايات القرن 2هـ/8م بيئة جاذبة وموطنا خصبا للعديد من الجماعات التي اختارت هذه الوجهة هربا من ضربات ولاة وخلفاء الأمويين والعباسيين، وتسربت في جيوش الفاتحين، وفي مواكب شيوخ العلم والمؤدبين، عاملة على تفعيل مشاريعها وذلك بنشر دعوات مذهبية، والتي غالبا ما تحولت إلى حركات سياسية مؤذنة بانفصالها عن المشرق أو بما يعرف في أدبيات التاريخ الإسلامي" **بعصر الدويلات المستقلة**"، ولم تكن تلك الهجرات كلها تصب في خانة المذهبية فقد لجأ إلى بلاد المغرب العديد من "البيوتات العربية" لعل أهمها "العلوية"، والتي استطاعت أن تكون ببلاد المغرب كيانات على غرار " **الدولة السليمانية والإمارات العلوية** "، وبالرغم من أن هذه الكيانات لم تصنف ضمن الدويلات المذهبية غير أن وجودها في المغرب كان محفزا لانتشار "**التشيع السياسي**"، والذي أسهم بظهور وتوسع أكبر **دعوة مذهبية ذات خلفية شيعية وبنحلة إسماعيلية**، والتي استطاعت بعد عقود من العمل والنشاط من استهداف البربر في منظومتهم: المذهبية، والاجتماعية والثقافية، والمحصلة في الأخير كان قيام أول خلافة شيعية مغربية عرفت **بالخلافة الفاطمية سنة 296هـ/909م**.

إن موضوع "**الدعوة الإسماعيلية في البيئة المغربية**" من بين الموضوعات الهامة التي ضرب عنها المؤرخون صفحا، بالرغم مما تمثله من أهمية وخطورة في تاريخ وحضارة الإسلام والمسلمين عموما وبلاد المغرب على وجه الخصوص، باعتبارها أحد أهم المعالم التي ميزت تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، وأثرت بصورة مباشرة على تاريخه السياسي وانعكست على مذاهبه وحياته الثقافية والاجتماعية، ولازلنا نعيش مخلفاتها إلى يوم الناس هذا، بل وأمتد أثرها إلى بلاد المشرق الإسلامي بسبب انتقال هذه الخلافة نحو مصر عام 362هـ/973م وتوسعها ومزاحمتها للخلافة العباسية.

ورغبة في خوض غمار هذه المرحلة، وتسليط الضوء على تفاصيلها، وعلى الدور الذي قامت به هذه الجماعة (الإسماعيلية) في مرحلتها المغربية لاسيما في الجوانب الاجتماعية والثقافية، وسمت الدراسة بـ:

"الجماعة الإسماعيلية ودورها الثقافي والاجتماعي في مرحلة الدعوة في بلاد المغرب الأوسط (145-296هـ/741-909م)"

1- دوافع الدراسة:

إن موضوع الجماعة الإسماعيلية في بلاد المغرب الأوسط وعلاقتها ومكانتها بالحياة الثقافية والاجتماعية يعد من الموضوعات البالغة الأهمية والحساسية في تاريخ الغرب الإسلامي، وما يشد الانتباه لدراسة هذا الموضوع هو الرغبة في الكتابة التاريخية حول هذه الجماعة، والوقوف على أهم شخصياتها ومعرفة طبيعة الظروف التي ظهرت

وانتقلت فيها إلى أرض المغرب، إضافة إلى محاولة فهم تكوين هذه الجماعة ودورها بين الجماعات المذهبية التي احتضنها المغرب الأوسط، والتي كانت تشكل في أغلب الأحيان نواة الأنظمة السياسية في جميع مراحله التاريخية تقريبا. والرغبة في الكشف عن الغموض والضبابية التي اكتنفت مرحلة الدعوة بسبب التقية ودور الستر من جهة، والوقوف على حقيقة الأحداث التي جاءت متناثرة في مظان الفترة الإسلامية الوسيطة وتمحيصها وتحليلها من جهة أخرى.

2- الدراسات السابقة:

إن الكتابة التاريخية حول موضوع الإسماعيلية والخلافة الفاطمية كثيرة سواء كانت دراسات أو بحوث أكاديمية عربية واستشراقية، وبالرغم من أن بعضا منها لم يطرق باب الدعوة غير أنها تساعد وترشد إلى المحاولات التي أرادت فك ألغاز هذه المرحلة ولعل أهمها:

- دراسة الباحث **"فرهاد دفتري"** والمعنونة بـ **"الإسماعيليون في العصر الوسيط"**، وهو من ضمن مجموعة من المؤلفات والتي تناولت تاريخ الإسماعيلية وتطورها ابتداء من مرحلة الستر والدعوة إلى غاية الدولة وصولا إلى المرحلة الحالية، وصاحبها اعتمد على العديد من الوثائق التاريخية باعتباره مقربا من الطائفة وباحث في معهد الدراسات الإسماعيلية بلندن.
- دراسة المستشرق **"هاينز هالم"** والموسومة بـ**"الفاطميون وتقاليدهم في التعليم"**، وهي دراسة مركزة تعرض فيها صاحبها إلى موضوع الحياة الثقافية لدى الإسماعيلية والفواطم في الطورين المغربي والمصري، مركزا على مجالس الحكمة والأدوار التي لعبتها في تأطير الحياة الثقافية والدينية.
- دراسة الباحث **"إسماعيل سامعي"** تحت عنوان **"الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ"**. وهي من بين الدراسات الأكاديمية الجادة والهامة والتي سلطت الضوء على مجهود المؤسس الفقهي الإسماعيلي في الطورين المغربي والمشرقي ومدى إسهامه في المناخ العلمي والمذهبي.
- دراسة الباحثة **"بوبة مجاني"** والمعنونة بـ**"الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي- الفكر والمؤسسات والعمران-"**. وقد مزجت الباحثة في هذه الدراسة فصولا عن الإسماعيلية ضمت مرحلتي الدعوة والدولة، وتطرقت إلى مواضيع عديدة ومهمة منها: القضاء والضرائب، والسياسة العسكرية.

3- إشكالية الدراسة:

إن الإشكالية الجوهرية لدراستنا تتعلق بالكشف عن مدى إسهام دعوة جماعة الإسماعيليين في تغيير معالم الخارطة الثقافية والاجتماعية لبلاد المغرب الأوسط خلال القرن3هـ/9م؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وجب طرح التساؤلات الأتية:

- ما مدى إسهام الروايات التاريخية سواء كانت شيعية إسماعيلية، إباضية وهبية، أو سنية مالكية في فك رموز كرونولوجيا الدعوة الإسماعيلية في مرحلتها المغربية؟
- ما هي طبيعة الأوضاع السياسية والمذهبية التي سادت بلاد المغرب الأوسط قبيل تسرب وانتشار الدعوة الإسماعيلية؟ ما هي أهم الأسباب التي حفزت على اختيار المغرب كبيئة حاضنة للدعوة الإسماعيلية ونشاط رجالاتها؟ ومن هي الشخصيات الحقيقية الفاعلة فيها؟ وما هي مراحلها؟ ما هي النظم التي أفرزتها؟ وما هي أهدافها؟

4- أهداف الدراسة:

إن الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة نجملها فيما يأتي:

- تبيان الدور الذي قام به الإسماعيليون في بلاد المغرب الأوسط قبيل قيام خلافة الفواطم سنة 296هـ/909م.

إزالة الإبهام عن الحياة المذهبية لبلاد كتامة وقبائلها وعلاقتها بالكيانات السياسية المجاورة لاسيما الإمارة الأغلبية في افريقية.

- الكشف عن الوسائل والمناهج التي اتبعها الدعاة العرب المشارقة في التواصل والمخاطبة مع قبائل المغرب.
- أثر الأفكار والعقائد الإسماعيلية على المنظومة الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب عموما والأوسط خصوصا.

5- منهج الدراسة:

إن طبيعة الموضوع التاريخية والفكرية تحتاج من الباحث توظيف العديد من المناهج والاقترابات انطلاقا من المنهج التاريخي والذي يقوم على جمع المادة من مظانها مع تنويعها ونقدها، والمنهج المقارن الذي من خلاله تم تسليط الضوء على مرحلتين متباينتين حدثت من خلالهما مختلف التحولات وأمكن تبيان التشابه

والاختلاف فيها، إضافة إلى إقترابات أخرى منها اقتراب **"جماعة النخبة"** والذي يؤكد على دور النخب بمختلف أطيافها: سياسية دينية في التأثير على القبائل والمجموعات والعامة.

6- الصعوبات:

من الطبيعي أن البحث العلمي بصفة عامة والبحث التاريخي على وجه الخصوص تعتريه صعوبات ومعوقات لا سيما إذا كان البحث حول موضوع حساس وملغم يتعلق بالمذهبية ومعالجته تحتاج إلى الدقة والتعمق، ولعل أهم هذه الصعوبات تعذر الوصول إلى العديد من المخطوطات المحفوظة لدى خزائن دول تشهد حروب من بينها سوريا، اليمن والعراق، إضافة إلى حجز جمارك مطار وهران لمجموعة من المصادر والمراجع المتحصل عليها من معرض الدار البيضاء بالمغرب، وذلك بحجة أنها كتب تدعو للتشيع وتشكل خطر على أمن الدولة.

7- المصادر والمراجع عرض وتحليل ونقد:

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مادة علمية متنوعة جمعت بين: المخطوطات، المصادر، المراجع بنوعيها العربية والأجنبية إضافة إلى بعض الرسائل الأكاديمية والمقالات.

أولا: المخطوطات

اعتمدنا في دراستنا هذه على ثلاث مخطوطات:

مخطوط**" كنوز الأسرار ومعدن الأنوار في آل النبي المختار"** لصاحبه **"أحمد بن محمد بن عبد الله التلمساني القشيري الكلبي"**. وهو مخطوط يقع في 108 ورقة، متواجد بدار الكتب القومية بجمهورية مصر العربية، كما توجد نسخة منه بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 1220 إلا أنه لم يسمح لنا بالوصول إليه؟، وهو يرجع إلى الفترة الزيانية وقد حاول فيه مؤلفه تتبع انساب الأشراف في عهده، وقد أفاد البحث منه في معرفة دخول العلويين إلى بلاد المغرب وتفرقهم، كما أن المخطوط ضم في ثناياه مادة خصبة تتعلق بالحياة السياسية والعسكرية بين الأدارسة والأمويين والفاطميين.

مخطوط**" الروض المعطار وكتاب الأنوار في نسب أل النبي المختار"** لصاحبه **" أحمد بن محمد المقري التلمساني"**(ت1041هـ/1631م). يقع في 82 ورقة، وهو من مصورات الخزانة الملكية بالرباط بالمغرب الأقصى، ورقم جرده: 11328. وبالرغم من أنه متأخر عن فترة الدراسة غير انه حوى مادة خصبة ومهمة وحتى نادرة عن بواكير التسرب العلوي إلى بلاد المغرب الإسلامي وأفاد البحث في معرفة دخول جد السليمانيين إلى بلاد المغرب والإمارات التي أقامها أبناءه وأحفاده.

مخطوط **"تأويل الشريعة وحقائقها وأسرارها"** لصاحبه الخليفة الفاطمي الرابع **"المعز لدين الله"** (ت سنة365هـ/975م). يعد من بين أهم ما ألفه الخلفاء الفاطميون في العقيدة الإسماعيلية وموضوعه حول علم التأويل، وأفاد البحث في التعريف بعقائد الإسماعيلية ودعوتها من خلال مألفه خلفائها في المرحلة المغربية.

ثانيا: المصادر

إن المادة العلمية المتعلقة بتاريخ الإسماعيلية والخلافة الفاطمية كثيرة ومتنوعة والتي ألفت سواء في الطور المغربي أو المشرقي مابين: إسماعيلية- إباضية- سنية، وتراوحت ما بين كتب التاريخ العام، مصنفات الرحلة والجغرافية، كتب التراجم، مذكرات شخصية... .

1- المصادر الإسماعيلية:

لا يمكن للباحث الولوج في تاريخ الفواطم دون التعمق في المصادر الإسماعيلية سواء المشرقية منها أو المغربية، والتي دونت في اليمن، المغرب ومصر، والعديد من المناطق التي انتشرت فيها الدعوة، وقد اعتمدنا على العديد منها ولعل أهمها:

Wilferd Madelung and Paul E. Walker, The Advent of the Fatimids Contemporary Shi'I Witness, London, New York, I.B. Tauris, 2000.

وهو مؤلف **"المناظرات"** وصاحبه أبي عبد الله جعفر بن أحمد بن محمد بن الأسود ابن الهيثم المتوفى (ما بعد سنة336هـ/948م)

إلى وقت ليس ببعيد كان مؤلف **" المناظرات "** لصاحبه الداعية المغربي **"ابن الهيثم"** في عداد المؤلفات المفقودة، وكل ما عثر عليه المؤرخون العديد من نصوصه والمحفوظة في مؤلف "عيون الأخبار" لصاحبه "الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي(ت872هـ/1488م)، غير أن اكتشاف مخطوطته وتحقيقها تم بفضل جهود المستشرق **" وليفرد مادلونغ "**، ويعتبر مؤلفه سجلا لرصد نشاط الشيعة في إفريقية، ومرآة عاكسة للنشاط الديني والعلمي للجماعة الإسماعيلية وصراعها مع خصومها فقهاء المالكية.

مؤلفات القاضي النعمان:

تعد مؤلفات **" القاضي النعمان ابن حيون المغربي**(ت363هـ/973م)" أقدم كتابة رسمية عنيت بتاريخ الإسماعيلية والخلافة الفاطمية، وكان النعمان مؤرخا رسميا ومنظرا فكريا ومشرعا للإسماعيلية، ومؤلفاته تراوحت موضوعاتها بين الفقه والتاريخ، أهمها:

"افتتاح الدعوة"

يعد مؤلف " افتتاح الدعوة " أقدم مصدر إسماعيلي تاريخي رسمي لخلافة الفواطم في الحقبة المغاربية، والذي كتب تحت رعاية رسمية وغطى فترة لا بأس بها شملت مرحلة الدعوة في اليمن ومرحلتها في بلاد المغرب، وانتهت أحداثه إلى غاية خلافة المهدي كما أنه أعطى أخبارا ومعلومات حول خلافة كل من القائم بأمر الله، والمنصور بنصر الله، والمعز لدين الله، وأفاد البحث في تتبع نشاط الجماعة الإسماعيلية من نشأتها، إلى غاية نضوجها، وتحولها من المرحلة السرية، وصولا إلى المجابهة العسكرية.

شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار:

يعد هذا المؤلف من أهم المصادر التاريخية التي أرخت لجماعة الشيعة، كما أن القاضي النعمان أظهر فيه تمييز النحلة الإسماعيلية عن بقية النحل الشيعية وهذا من خلال إيراده للمسائل التي اختلف فيها الإسماعيلية مع الإمامية ومن بينها مسألة المهدوية، وقد اعتمدنا عليه في محاولة تتبع المهدي والمهدوية من خلال النظرة الإسماعيلية، إضافة لتناوله أحداث الدعوة والأحاديث والأشعار والملاحم التي تنبأت بها وكتبت حولها.

سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي صلوات الله عليه وأله الطاهرين من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة:

يعد مصنف " **سيرة الحاجب جعفر** " أحد أهم المصادر الإسماعيلية في حقبتها المغربية، وصاحبه هو **"جعفر بن علي بن الحاجب"** والذي كان من موالي الخليفة الأول عبيد الله المهدي، وتكمن أهميته في كونه يؤرخ لرحلة الخليفة عبيد الله المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة ويسلط الضوء على جوانب الحراك العسكري للداعية أبي عبد الله الشيعي وتدابيره لإنقاذ الخليفة عبيد الله المهدي.

2- المصادر السنية:

تعتبر مصنفات السنة المالكية المغربية مادة علمية هامة بالنسبة لتاريخ الإسماعيلية في البيئة المغربية، وهذا لما تحمله في ثناياها من معلومات لاسيما تلك التي تتعلق بالمناظرات المنعقدة بين دعاة الشيعة وفقهاء السنة وعلى رأس هذه المصنفات مايلي:

كتاب " **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**" لصاحبه" **أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي**" المعروف " **بالدباغ** (ت669هـ/1270م)"، والذي أكمله " **أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي** (ت839هـ/1435م)"، ترجم فيه صاحبه للعديد من علماء وفقهاء ومالكية القيروان، وقد أعان

البحث في توضيح معالم الصراع المذهبي وجدوره، وموقف المالكية وحتى الأحناف من خلافة الفواطم في المغرب في الحقبة الأولى من قيامها.

كتاب **"طبقات علماء إفريقية"** لصاحبه **" محمد بن الحارث الخشني** (ت361هـ/971م)"، والذي يعد من أهم مؤلفات فقهاء المالكية الذين عاصروا الخلافة الفاطمية وترجموا لشخصيات كانت ضمن الصراع المذهبي كما أنه حفظ لنا أحد نماذج ذلك الصراع وهي المناظرات الأربعة والتي عقدت بين علماء المالكية والداعية أبا العباس المخطوم أخو الداعية أبا عبد الله الشيعي، وكشفت هذه المناظرات معالم الحياة الثقافية، والمستوى الفكري، وحدة الجدال الديني الذي بلغته نخب تلك الفترة.

كتاب **"الكامل في التاريخ"** لمصنفه **" عز الدين ابن الأثير**(ت630هـ/1233م)":

يعتبر من أهم المصادر التاريخية المشرقية التي عنيت بتاريخ المغرب، وأهميته تكمن في تتبعه للإسماعيلية وتاريخ الفواطم واعتماده على مصادر مفقودة ولعل أهمها: " الجمع والبيان في أخبار القيروان ومن كان فيها وفي سائر المغرب من الملوك والأعيان " لصاحبه **" ابن شداد الصنهاجي** (ت مابعد600هـ/1204م)"، والذي استفاد منه البحث في تتبع بدايات الدعوة، واحداث الصراع بين الجماعة الإسماعيلية وولاة الأغلبية في المغرب الأوسط.

كتاب **"اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا"** لصاحبه **" تقي الدين المقريزي** (845هـ/1441م)":

يعد هذا المؤلف من بين أهم مؤلفات المدرسة التاريخية المشرقية المصرية التي أرخت لتاريخ الخلافة الفاطمية، وصاحبه هو**" تقي الدين المقريزي "** الذي يعد أكبر وأهم من ألف عن الفاطميين بمصر، وكتب في دواوينها وخططها، وعن تواريخ الفواطم فإنه قد استفاد من العديد من المصادر التي هي الآن في عداد المفقودة، ومعلوماته عن الدعوة في بيئتها المشرقية وحتى المغربية وفيرة، وطرح فيها العديد من الآراء سواء حول نشأة الدعوة أو نسب الخلفاء وغيرها من القضايا التي أفادت البحث في بعض معلوماته ومفاهيمه.

3 المصادر الجغرافية:

في المقابل كان للمصادر الجغرافية المشرقية منها والمغربية دور كبير في إيضاح الكثير من معالم الحياة الثقافية والاجتماعية وحتى المذهبية لبلاد المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة، ومن بين تلك المؤلفات:

كتاب **"اليعقوبي"**(ت284هـ/897م أو بعد 292هـ/905م) في مؤلفه **"البلدان"**، وقد عاصر هذا المؤلف فترة الحراك الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب، وضم معلومات في غاية الأهمية سواء تلك المتعلقة بمراكز العلويين في المغرب الأوسط، أو تلك المتعلقة بالمجال الكتامي ومعطياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومكانتها في المنظومة الأغلبية.

كما تزودت الدراسة بالعديد من نصوص ومشاهدات الرحالة المشرقي **"ابن حوقل النصيبي"** (ت367هـ/977م) مؤلف **"صورة الأرض"** والذي يمكن إدراجه ضمن المصادر الإسماعيلية بحكم أن كتاباته كانت تصب في خانة التصنع للفاطميين وهذا ما جعل التعامل معها بحذر، والمعلومات التي قدمها غنية حول الحياة الاجتماعية للمغرب الأوسط خلال العهد الفاطمي وعلاقة القبائل مع السلطة ومظاهر التحالف والصراع.

ثالثا: المراجع:

خلال القرن العشرين ومطلع القرن21 انتعش حقل الدراسات الإسماعيلية وهذا من خلال إسهامات المدرسة العربية والتي أنتجت كما ونوعا في هذا المجال ولعل من بينها:

مؤلفات الباحث موسى لقبال:

كان أول باحث جزائري اختص بحقل الدراسات الإسماعيلية في إطار اهتمامه بالتاريخ المحلي هو الباحث موسى لقبال والذي انجز رسالة موسومة بـ:" **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)"** وتعد هذه الدراسة شاملة لتاريخ القبيلة والتي نبش في تاريخها طوال فترتها المغربية وإلى غاية انتقالها إلى المشرق واستقرارها في القاهرة. وقد أفادت البحث في تتبع تاريخ الدعوة وعلاقة القبائل بها.

مؤلفات الباحث إسماعيل سامعي:

يعد الأستاذ الدكتور **"إسماعيل سامعي"** من بين الأقلام المتخصصة في تاريخ الحركات المذهبية، ومن بين ما ألفه رسالة الماجستير الخاصة به حول موضوع" **دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي"**، وقد ساعدنا هذا المؤلف في التعرف بشكل دقيق على طبيعة الحياة الفكرية والمذهبية بإفريقية غداة سقوط الأغالبة وقيام خلافة الفاطميين، كما أنه أشار إلى الصراع المالكي الحنفي وموقف كل منهما من قيام الخلافة الفاطمية.

وأطروحته حول" **الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ/10م"**، تعد ترجمة شاملة تتعلق بمؤرخ الخلافة الفاطمية ومشرع مذهبها: القاضي النعمان، وقد حاول صاحب الأطروحة من خلال تتبع نشاطات القاضي النعمان وأثرها على المجتمع المغربي من بينها حركة التشريع وإمامة وترأس مجلس الحكمة. وقد أفادت هذه الأطروحة البحث في تتبع معالم عقيدة ومذهب الإسماعيلية واهم الجوانب العلمية والفكرية المتعلقة بها.

مؤلفات الباحثة بوبة مجاني:

تعد الأستاذة الدكتورة " **بوبة مجاني**" من بين الأقلام الجزائرية التي كان لها باع في تاريخ الإسماعيلية والحركة الفاطمية، وتعد الأطروحة التي نالت بها درجة الدكتوراه الموسومة بـ:" **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي362-296هـ/909-973م** (**الجزائر- ليبيا- تونس-المغرب**)" ومؤلفها الذي يحمل عنوان "**الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي- الفكر والمؤسسات والعمران**" والذي تضمن العديد من المحاور المهمة التي خدمت موضوع الدراسة على غرار كل من: القضاء والضرائب، والسياسة العسكرية.

وفي المقابل لا يمكن للباحث الغوص في ميراث الحركة الإسماعيلية دون الرجوع إلى ما كتبه المحدثين من أبناء المذهب الشيعي ولعل أهمهم الباحث الأكاديمي المتخصص "**فرهاد دفتري**" والذي ألف في تاريخ الإسماعيلية قديما وحديثا ومن بين عناوينه: "**الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم**"، والذي يعد من أهم مؤلفاته وعبر فصوله التسعة قدم تاريخا مفصلا حول الإسماعيلية معززا دراسته بالرجوع إلى كتب إسماعيلية أصيلة، ومن بين تلك المؤلفات التي أفادت البحث" **الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية**"، والذي ركز فيه على الجوانب الاجتماعية، إضافة لمؤلفات أخرى استفدنا منها في البحث على غرار" **تاريخ الإسلام الشيعي**".

8- خطة الدراسة:

لكي نتمكن من الإجابة على إشكالية بحثنا وتقديم الطرح المناسب والأمثل لمجمل التساؤلات المعروضة وتماشيا مع طبيعة الموضوع وأهدافه كان لابد من اتباع خطة مضمونها كالأتي:

مقدمة:

عبر خطواتها حاولنا التعريف بالموضوع، وأهميته، وتحديد إشكاليته، وضبط خطة له، مع نقد للمادة العلمية المدرجة فيه، كما اوضحنا الصعوبات التي اعترته.

الفصل الأول

بعنوان:" **الدعوة الإسماعيلية في البيئة المغربية- إشكالية التحقيب ولغز المنظر-**"، والذي سلط فيه الضوء على المجال والبيئة الكتامية بضبط حدوها، ومراكز التوطين فيها، وعلاقتها بالسلطة السياسية الأقرب والواقعة تحت نفوذها وهي الإمارة الأغلبية، وتم التطرق في المباحث الثلاث الأخرى إلى فرضية عدم صحة تاريخ 145هـ/762م كتاريخ لبدء الدعوة المذهبية الشيعية في بلاد المغرب، وقد حاول البحث الإجابة على تاريخها المحدد من خلال مناقشة ما ورد في المصادر الإسماعيلية، والإباضية، والسنية، وقد كانت هذه المصادر مابين محلية مغربية ومشرقية، وما بين تلك التي عاصرت الفترة، أو كانت قريبة منها، أو بعيدة عنها، كما تم توظيف نصوص من مؤلفات مفقودة والتي لاتزال بعض نصوصها محفوظة نسبيا في ثنايا بعض المؤلفات.

الفصل الثاني

والموسوم:" **المجال الكتامي موطن الدعوة – تأثير وتأثر–"**، فتم فيه التعرض لمسألة كيف تمكن العلويون الفارون من بلاد المشرق إلى المغرب وكيف ساهموا في تهيئة المناخ العام للتشيع السياسي، ثم الانتقال إلى مراحل النشاط الإسماعيلي قبيل سنة 296هـ/909م، وقد جاء مقسما إلى ثلاثة أقسام: مرحلة أبي سفيان والحلواني، ومرحلة الداعية أبو عبد الله الشيعي، ومرحلة كانت بين الدعوتين والتي ضمت دور أسرة بني حمدون، وقد حظيت الدعوة الأخيرة في هذا الفصل باهتمام كبير ذلك لأنها الأخيرة والحاسمة والتي انتقلت فيها الجماعة من طور الكتمان والسرية إلى العلانية، ومن الطور السلمي إلى الحراك العسكري.

الفصل الثالث

عنوانه " **الدور الثقافي للجماعة الإسماعيلية في المجالات الكتامية"**، الذي تم فيه تفكيك المنظومة الفكرية للجماعة الإسماعيلية من خلال تتبع الوضع الثقافي وتحولاته في بلاد كتامة قبيل انتشار الدعوة وبعدها، والتطرق للمؤسسات العلمية وعلى رأسها: " المساجد"، و" مجالس الحكمة " والتي كانت قد استحدثت لأول مرة في تاريخ الإسلام، إضافة لدور البيوتات الأعيان والدعاة، ثم الانتقال إلى التعريف بالعلوم المتداولة والتي كانت قليلة بسبب عدة ظروف تاريخية، وطبيعية، وبسبب طغيان الحراك العسكري إلا أن ما وجد منها كان فريدا عما كان متداولا في بقية أنحاء العالم الإسلامي، وقد كانت هذه العلوم ومنظومتها تدور كلها في فلك التشيع والمهدوية، وهي في فرعين: علوم عقلية وعلوم نقلية، حاول البحث العمل على توثيقها نسبيا من خلال كتابات أبناء الجماعة وهذا لكي نتحرى الموضوعية، وختم هذا الفصل بمحور المناظرات التي كانت تمثل أحد أبرز مظاهر الحراك العلمي المذهبي نهاية القرن3هـ/9م وبداية القرن4هـ/10م، وإن لم نعثر على إشارات مباشرة تدل على وجود هذا النوع من الفنون الأدبية في مرحلة الدعوة غير أنها مع قيام الخلافة ازدهرت وكثرت مجالسها وكان من بين روادها مجموعة من الكتاميين، وجلوسهم لهذه المناظرات ومناظرتهم لكبار علماء مالكية القيروان هو في حد ذاته دلالة على الحجم العلمي والمذهبي الذي وصلت إليه الجماعة في مرحلة الدعوة.

الفصل الرابع

المعنون " **الدور الاجتماعي للجماعة الإسماعيلية في المجالات الكتامية"** فيه تم معالجة مسألة التحولات التي طرأت على مجتمع الدعوة بداية بالتسميات التي اتصفت بها سواء من داخلها أو من طرف خصومها، ثم إلى التنظيمات المستحدثة مع التركيز فيها على بنية وهيكلية تنظيم الدعوة، والمنظومة القضائية الجديدة والمنظومة العسكرية، وتناول المحور الثالث قبائل الدعوة وتتبع فيها البحث لجل القبائل التي كانت متواجدة ضمن مجتمع الدعوة سواء

تلك القبائل التي احتضنت الدعوة في بداياتها أو تلك التي دخلت فيها خوفا من الضربات العسكرية، وقد شملت هذه القبائل من حدود ما يسمى بجاية لاحقا إلى غاية حدود إفريقية وضمت القبائل البربرية والعربية، وفي هذا الفصل تم تسليط الضوء على بعض الأدوار التي قام بها ما يسمى بالفئات الهامشية ومكانتها في خطاب الدعوة، وعلى رأس تلك الفئات المرأة والعبيد، وختمنا الفصل بالعادات والتقاليد والتي أصبحت من سمات مجتمع الدعوة الجديد، وقد كان هذا الفصل مزود بمجموعة من الملاحق والرسومات البيانية التي حاولنا من خلالها تبسيط الأحداث والمعالم وإخراجها بطريقة يتم من خلالها تقريب الفهم للقارئ.

ونهاية البحث كانت **بخاتمة** استنتاجية من خلال ماورد في الدراسة، دعمناها قائمة من الملاحق ضمت خرائط ورسومات بيانية وصور للأماكن التي كانت ميدانا لنشاط الدعوة وللجماعة الإسماعيلية، وقائمة **للفهارس** المعتمدة مرتبة تسهل عملية تصفح المذكرة تتعلق بالأعلام، والقبائل والجماعات، الأديان، والأماكن.

ولا يفوتني هنا أن أختم هذا العرض بتوجيه الشكر والتقدير للمشرف **أ. د إسماعيل سامعي** على ما بذله من جهد في الإشراف واسداء النصح والتوجيه، أدامه الله ذخرا للعلم والوطن.

والله نسأل التوفيق والسداد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

الدعوة الإسماعيلية في البيئة المغربية

– إشكالية التحقيب ولغز المنظر–

أولا– خصائص المجال الكتامي الدعوي

ثانيا– الدعوة في البيئة المغربية من خلال النصوص الإسماعيلية

ثالثا – الدعوة في البيئة المغربية من خلال النصوص الإباضية

رابعا– الدعوة في البيئة المغربية من خلال النصوص السنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يعد تاريخ الحركة الإسماعيلية وقيام الخلافة الفاطمية أحد أبرز تواريخ الإسلام غموضا وخلافا، ذلك لأنه يشتمل على العديد من الإشكاليات التي لم يتمكن الباحثون والمؤرخون من الفصل فيها، وهذا بسبب التكوين السري للفرقة الإسماعيلية، إضافة إلى الصراع والمعاناة التي تعرضت لها هذه الجماعة مع باقي الجماعات الأخرى وحتى الشيعية منها.

لهذا فإن أي محاولة من الباحثين للكشف عن تاريخ هذه الجماعة إلى غاية نهاية القرن 3هـ/9م (أي مرحلة الدعوة)، فإنها تكون صعبة وهذا نظرا لخصوصيات المرحلة التي تميزت بالسرية، والتقية، والتكتم على كتاباتها، وهذا الأمر بذاته هو الذي جعل مرحلة الدعوة تعد من أشد مراحل التاريخ الإسماعيلي غموضا وضبابية، سواء في بيئته الأولى المشرقية أو بيئته الجديدة الحاضنة المغربية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: خصائص المجال الكتامي الدعوي

أ: المجال الكتامي خصائص ومميزات

يعد مجال كتامة من بين أهم المجالات الحيوية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وقد لقب هذا المجال ببلاد كتامة كتعميم على أحد أكبر القبائل التي استوطنته وهي قبيلة كتامة[1]، والتي كانت تعرف في الفترة التي سبقت الفتوحات الإسلامية للمنطقة ب(Ucutumani) أو (Ucutammi)، وهذا بناء على النقيشة اللاتينية التي عثر عليها في منطقة فيدولاس بين كل من ميلة وجيجل[2]، لكن الملاحظ على هذا المجال أنه لم يكن مقتصرا على تلك القبيلة لوحدها(كتامة)فحسب، وإنما تواجدت وتشاركت معها فيه قبائل أخرى كانت أكثر ترسخا وقدما، وحتى أعظم دورا سواء في الفترة القديمة أو الفترة الوسيطة.

1: كتامة الجغرافية

إن مسألة التحديد الجغرافي للمجال الكتامي هي من بين المسائل التي اختلفت فيها المصادر سواء التاريخية أو حتى الجغرافية، المتقدمة منها والمتأخرة، وذلك بسبب الظروف التي عرفها هذا المجال والتحولات الكبرى التي طرأت على قبائله وهو أمر شائع في الفترة الوسيطة[3]، ولعل من بين تلك التحولات نذكر مايلي:

- مسألة التداخل بين المجالات بسبب الاشتراك في نفس التركيبات السكانية.
- الهجرة خاصة القسرية منها والتي كانت تعقب كل حرب.

---

[1]– تسمى هذه القبيلة بقبيلة كتامة نسبة إلى الجد الأكبر وهو كتام أو كتم والذي على حسب النسابة المسلمين هو ابن برنس بن مازيغ بن كنعان بن حام، ويلقب المنتمين إليها كذلك "ببني كتامة"، وهو ما يرجح أن هذه القبيلة لم تكن باتحاد لمجموعة من القبائل، وإنما قبيلة قائمة بذاتها، مع الزمن توسعت وأصبح لها بطون كثيرة ومتعددة، ودلالة اسم القبيلة وردت في احد النصوص الإسماعيلية الخاصة بالقرن 4هـ/10م كاشتقاق من لفظ الكتمان (كتامة الكتمان)، غير أننا نفند هذا الرابط، ونؤكد على أن القبيلة وتسميتها وفروعها كانت موجودة خلال عصر ما قبل الفتح الإسلامي وقد ذكر اسمها على النحو التالي(Ucutumani) أو(Ucutammi). لتفاصيل أكثر عن هذه القبيلة ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ظبط: خليل شحادة– مر: سهيل زكار، (بيروت/ لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000)، ج6/ 195– 200. لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979).

[2]– غوتييه أميل فيليكس، ماضي شمال إفريقيا، تر: هاشم الحسيني، (مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010)، 182.

[3]– بن عربة محمد، بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والسلطة الأغلبية(280–296هـ/893–909م)، (جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس/ الجزائر، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، سبتمبر، 2018)، مج9، ع2/ 226.

- الهجرة الجماعية لقبيلة كتامة سواء تلك التي حدثت سنة 296هـ/909م وهذا في إطار دخول أكبر بطونها إلى القيروان ثم المهدية، ومجاورة الحكام الفاطميين كقادة، وخدم، وجنود[1].
- الهجرة الجماعية نحو مصر[2]، وهذا بعد فتحها من طرف جوهر الصقلي وانتقالهم معه ومع الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله.
- ظاهرة تكتم عناصر وأفخاذ القبيلة عن نسبهم، وهذا بسبب ما رأوه نقيصة وشذوذا في أسلافهم الذين كانوا عونا ونصرا للشيعة الإسماعيلية إبان دعوتهم وتأسيسهم للخلافة الفاطمية، وصراعهم واشتداد عدائهم للسنة المالكية والخوارج الإباضية وعن هذا قال عبد الرحمن ابن خلدون:" وهم ينتفون من نسب كتامة ويفرون منه لما وقع مند أربعمائة سنة من النكير على كتامة بانتحال الرافضة، وعداوة الدول بعدهم، فيتفادون بالانتساب إليهم..."[3].
- فقدان الكتابات التاريخية التي كتبت من طرف أبناء القبيلة أو حتى تلك التي تناولت قبائل أخرى سكنت مجالاتها والتي كان من شأنها أن تزيح الكثير من الغموض حول مجال وتاريخ هذه القبيلة من بينها مؤلف " سيرة كتامة" لصاحبه حيدرة بن محمد بن إبراهيم الكتامي.

لكن إذا ما ركزنا على معطيات توزيع القبيلة وبطونها على الرقعة الجغرافية، يمكننا تحديد هذا المجال في أقصاه من جهته الغربية من حدود بجاية وينحدر بمحاذاة مضارب قبيلة عجيسة وزواوة بجبال البابور في أقصى حدود

[1]– يذكر القاضي النعمان أنه بعد دخول الداعية أبا عبد الله الشيعي إلى القيروان بدأ في تفريق قصورها ودورها على كتامة" فنزل بها جميع كتامة، ونزلوا أيضا بالقصر القديم في دور الهاربين مع زيادة الله وفيما حوله من الأرباض وحول رقادة" وكانوا من الكثرة لدرجة أن القاضي النعمان شبههم " بالجراد المنتشر". ينظر: القاضي النعمان أبو حنيفة محمد بن محمد بن حيون التميمي المغربي(ت363هـ/973م)، رسالة افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، (تونس/ الجزائر: الشركة التونسية للتوزيع– ديوان المطبوعات الجامعية، 1986)، 245– 246.

[2]– المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، نش: أيمن فؤاد السيد، (القاهرة/ مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2016)، مج1/ 106– 172

[3]– ابن خلدون عبد الرحمن، ج6/197.

سطيف، ودار الهجرة تازروت[1] تقع ضمن هذا الحد، وتمتد شرقا عبر الساحل إلى أن"تجاوز أرض القل وبونة"[2]، ويضم كل من المدن والموانئ التالية: جيجل، مرسى قلعة خطاب، دنهاجة، سكيكد أو إسكيدة، القل أما في جهته الجنوبية فقد كان يمتد إلى غاية سفوح جبال الأوراس[3]. وطالما كان المجال مختلطا ومتداخلا مع مجال الزاب وهذا بسبب التبعية السياسية القرب الجغرافي التركيبة الاجتماعية المشتركة، وقد ضم في عمقه المدن والحواضر التالية: إيكجان، تازروت، ميلة، سطيف، قسنطينة، تيفاش، قالمة... .

وقد تميز هذا المجال طوال الفترة الوسيطة وحتى الحديثة بأنه أحصن وأمنع المناطق في بلاد المغرب وهذا ما جعل منه منذ فجر الفتوحات الإسلامية وما بعدها "ملجأ أمن للثوار المنهزمين ضد السلطة الحاكمة في القيروان"[4].

كما أن هذه الخاصية(المنعة) هي التي سهلت من مهمة تسرب الدعوات المذهبية المشرقية بدءا بالإسماعيلية التي انتقلت إلى بلاد المغرب في منتصف القرن3هـ/9م في مرحلتها الأولى على يد كلا من أبا سفيان والحلواني[5]، أو حتى الإباضية، فقد ذكر القاضي النعمان على وجود أحد فروع قبيلة كتامة وهم بنو عفنيت من مسالتة، الذين" كانوا يذهبون إلى مذهب الإباضية قديما، ليس في جميع كتامة من يذهب إلى ذلك غيرهم..."[6].

---

[1]– تازروت: أو كما كانت تعرف بدار الهجرة تعد أحد أهم حواضر الجماعة الإسماعيلية ببلاد المغرب الأوسط مرحلة الدعوة، وتسميتها هي مدينة تازروت أو تاصورت كما عند صاحب سير الأئمة وأخبارهم، ومعناها في اللسان البربري "الصخرة الكبيرة "، وكانت في مرحلة الدعوة تقع في عمق مجالات قبيلة غشمان وهي حاليا تقع في أقصى شمال ولاية سطيف بمنطقة جبال البابور، وقد أكسب الداعي انتقاله إليها وتحويلها إلى دار هجرة استياء وحقد فروع كتامة المعارضة له والتي أعدت لحملة كبرى بغرض تدمير المدينة والقضاء على الدعوة إلا أن الجماعة الإسماعيلية الساكنة فيها والمتحصنة بها قد استطاعت الانتصار، هذا الأمر أدى إلى استقرار الداعي فيها لمدة حيث بنى فيها قصرا وأقطع لأنصاره للسكن فيها. ينظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص–ص: 86– 110. أبي زكريا يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، (ط3، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984)، 165.

[2]– الإدريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي الحسني(ت560هـ/1165م)، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس– مقتبس من كتاب نزهة المشتاق–، تح –تق– تع: إسماعيل العربي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)، 170.

[3]– ابن خلدون عبد الرحمن، ج6/ 195.

[4]– قيطوني حسني، بلاد قبائل الحضرة عبر التاريخ– موطن كتامة والحرب الاستعمارية–، تر: عز الدين بوكحيل، (الجزائر: دار القصبة للنشر، 2015)، 56– 57.

[5]– القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، (بيروت/ لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2006)، ج3/ 413– 414. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، نفسه، 26– 30.

[6]– القاضي النعمان، 111.

2: كتامة القبيلة

كانت قبيلة كتامة من أكثر القبائل التي شغلت حيزا جغرافيا كبيرا من أرض المغرب الأوسط، والذي امتد في أقصاه من بونة شرقا إلى حدود بجاية غربا، وقد ذكر النسابة والمؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون بأن هذا " القبيل من قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأسا وقوة، وأطوعهم باعا في الملك..."[1]، أما عن تعداد هذه القبيلة وعلاقتها بمن جاورها فإنه لم يكن " أكثر عددا ولا أشد شوكة، ولا أصعب مراما على السلطان، من كتامة"[2].

وقد ظلت هذه القبيلة في مختلف أطوار وجود الحركة الإسماعيلية في البيئة المغربية وحتى المشرقية بعد سنة 362هـ/973م مدافعة عن الدعوة والخليفة، بل كان أفرادها يشغلون العديد من الوظائف من دعوة، وقضاء، وسفارة، وقيادة العسكر، وإدارة الأقاليم والكور، وقد قسمها النسابة عبد الرحمن ابن خلدون تنقسم إلى قسمين:

يسودة: وتتفرع منه البطون التالية: فلاسة، دنهاجة، متوسة، ووريسن.

غرسن: وتتفرع منه البطون التالية: مصالة– قلان– ماوطن– ولهيصة– وجيملة– ومسالتة– وبنو يناوة– وإيان– لطاية – إجانة– غشمان– وبنو تيطاسن–[3]، كما أدخل ابن حزم الأندلسي قبيلة زواوة ضمن قبائل كتامة[4].

ومن هذين الجذرين تفرعت كامل القبيلة، وقد تشاركت بطونها في المجال والعادات والتقاليد، ومع ظهور الدعوة الإسماعيلية وانتشارها، قرر الداعي تقسيمها إلى سبعة قبائل كبرى، قلد لها مهام الدعوة والعسكر ويعتقد أن هذا كان بسبب أحد العوامل التالية:

– الثقل الديمغرافي لتلك القبائل.

– السبق في الدعوة.

لقد لعبت قبيلة كتامة أدوارا كبرى مع نهاية القرن3هـ/9م وهذا في إطار اشتراكها الكلي في الصراع الذي كان طرفاه الإمارة الأغلبية والجماعة الإسماعيلية، ومن بين تلك البطون والقبائل نذكر: جيملة، وبنو سكتان، ومسالته، وغشمان، وأجانة، ولهيصة، ولطاية، ومتوسة، وملوسة، ودنهاجة... .

في المقابل إن هذا المجال لم يكن مقتصرا على الوجود الكتامي فقط، لأن هناك قبائل أخرى توطنت واستقرت فيه منها:

---

[1]– ابن خلدون عبد الرحمن، ج6/ 195.

[2]– ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح– ضبط– تع: بشار عواد معروف– محمود بشار عواد، (ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2013)، مج1/ 169

[3]– ابن خلدون عبد الرحمن،ج6/ 195– 196.

[4]– ابن حزم علي بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح– تع: ليفي بروفنسال، (القاهرة/ مصر: دار المعارف، 1948)، 466.

قبائل البربر: نفزة، وسماتة، وأوارية، وهوارة، ومزاتة، وورفجومة، وملزوزة، وبني معاد، وبني وردیم، وبني هراش، وعجيسة، وزواوة، ... .

قبائل العرب:ربيعة، بنو سليم، بنو تميم، بنو خزيم، جذام... .

ب: ارتباط بلاد كتامة بالسلطة الأغلبية

دخلت بلاد كتامة والمغرب الأوسط ضمن مجال العالم الإسلامي خلال الفترة الممتدة(55-62هـ/681م) وهو التاريخ الذي تولى فيه القائد التابعي الجليل أبو المهاجر دينار[1] استكمال فتح بلاد المغرب، متخذا من مدينة ميلة قاعدة له، ورغم أن البلاد فيما بعد ذلك شهدت العديد من حركات الردة واشتعال المقاومة البربرية للعرب الفاتحين لاسيما بعد ثورتي كل من كسيلة بن ملزم الأوربي والكاهنة، غير أن المنطقة تم إعادة فتحها، بالرغم من صعوبة تضاريسها وبعدها نسبيا عن مراكز الثورات والتفاعلات خلال عصر الولاة، غير أنها لم تسلم من ذلك الحراك فقد أصبحت هذه البلاد لاسيما النائية منها أو الساحلية موطنا للعديد من الهاربين من السلطة أو المنهزمين في الحروب.

إن تاريخ انضمام بلاد كتامة إلى السلطة الأغلبية لا يزال مبهما، غير أننا نرجح أن هذا الانضمام كان منذ نشأة الدولة الأغلبية وقرينة ذلك هو أن مؤسس الدولة الأغلبية إبراهيم بن الأغلب الذي" وصله عهد الرشيد في العشر الوسط لجمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين ومائة، وقال له فيه: قد تقدم لكم بإفريقية أمر. وكان الرشيد قد ولاه بلاد الزاب"[2]وولايته على الزاب وما جاورها من بلاد كتامة من البديهي أنها جعلته يدرك أهمية المنطقة سواء من حيث:

1- ثقلها الديمغرافي، لأنها كانت موطنة من طرف العديد من القبائل البربرية (كتامة- نفزة- زناتة- هوارة- أورية)، إضافة إلى العديد من القبائل العربية (بنو تميم- بنو سليم).

2- حصانتها الجغرافية، لدرجة أن أهلها عبر كل العصور كانوا يمتنعون عن دفع الإتاوات[3].

3- ثرواتها الطبيعية، حيث أنها تمتلك ثروة حيوانية ونباتية هائلة بالإضافة إلى توفرها على المعادن والمياه.

---

[1]- أبو المهاجر دينار: هو أبو المهاجر دينار مولى الأنصار واصل عملية فتح بلاد المغرب سنة 55هـ/675م وكانت ولايته سبع سنوات عزل بأمر من دار الخلافة عام 62هـ، وارتبط الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط بشخصه حيث افتتح ميلة وما بعدها ووصلت خيله إلى تلمسان، وأسلم في عهده كبير وزعيم البربر كسيلة، نقم عليه كسيلة وغدر به وهو راجع من ارض المغرب الأقصى واستشهد في معركة تهوذة(بسكرة) بأرض المغرب الأوسط سنة 63هـ/683م. ينظر: ابن عبد الحكم عبد الرحمن، فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد صبيح، (القاهرة/ مصر: مكتبة مدبولي، دت)، 133- 134.

[2]- ابن عذارى المراكشي، 130.

[3]- يذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن غالبيتهم في زمانه رعايا معبدون للمغارم لكن يوجد منهم من" اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجبلهم وأهل جبال جيجل وزواوة أيضا في جبالهم...". ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن،ج6/ 196.

4- استراتيجية موقعها، الذي أهلها لأن تكون بوابة إفريقية، وبالتالي فإن السيطرة عليها يجعل منها حاجزا مابين إفريقية الأغلبية والكيانات العلوية والسليمانية، وكذلك القبائل الدائرة في فلك الإباضية.

ثالثا: مؤشرات تبعية البلاد الكتامية للسلطة الأغلبية

أ: تولية حكام المدن وتوطين العرب

بقدر ما يشاع على أن بلاد كتامة والمناطق الجبلية كانت منطقة بربرية خالصة، بقدر ما نفند هذا الرأي ونؤكد على أن المنطقة كانت خلال القرون الهجرية الأولى رمزا للوجود العربي[1]، والذي دخل المنطقة وتوالد فيها وتكاثر منذ الفتوحات الإسلامية وعصر الولاة، وتعزز توطينه فيها بقيام الإمارة الأغلبية ذات الأصول العربية التميمية، والتي عملت على تنصيب بعض البيوتات العربية وقبائلها على مدن وحواضر بلاد كتامة وإقطاعهم ومن بين تلك المدن مايلي:

1– ميلة:

كانت مدينة ميلة[2] خلال تلك الفترة " عظيمة جليلة، عامرة محصنة... لها حصن دون حصن ..."[3]، وقد حكمت هذه المدينة من طرف العرب وتبعت لسلطان الأغالبة، وقد عمرت من طرف العديد من العوائل العربية ذات أصول من قبيلة بني سليم أحد فروع قبيلة ربيعة الكبرى، وأشرف عليها أواخر القرن3هـ/9م "موسى بن العباس بن عبد الصمد من قبل ابن الأغلب"[4]، والذي كان ركيزة من ركائز القوة الأغلبية في المنطقة، وقد أسهم رفقة قواته في دعم الجيش الأغلبي في فتوحات شمال البحر الأبيض المتوسط، لهذا فإن سقوط مدينته وحكمه في يد الجماعة الإسماعيلية سنة **289 هـ/901م** كان ضربة كبرى تلقاها الحكم العربي الأغلبي في المنطقة.

---

[1]– لتفاصيل أكثر عن مجال وقبيلة كتامة ومسألة التعريب بها. ينظر:

Allaoua Amara, Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval : l'exemple du pays des Kutãma, (ALBORÁN. Poblamiento e intercambios en las zonas costeras de al-Andalus y el Magreb, GRANADA, 2018), 270- 285.

[2]– لتفاصيل أكثر عن مدينة ميلة ودورها في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط. ينظر: فيلالي عبد العزيز– بحاز إبراهيم بكير، مدينة ميلة في العصر الوسيط، (عين مليلة/ الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2017).

[3]– ابن رسته أحمد بن عمر (ت مابعد300هـ/912م)، الأعلاق النفيسة، (ج7، مطبة بريل، ليدن، 1891)، 351.

[4]– اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت284هـ/897م)، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، دت)، 190.

2– سطيف:

تقع مدينة سطيف في قلب وعمق مجالات كتامة، وقد كانت نواحيها مسرحا ومنطلقا للدعوة الشيعية الإسماعيلية في مرحلة البذر، وكباقي مدن كتامة الكبرى فقد حكمت هذه المدينة من طرف الإمارة الأغلبية وأوكلت إدارتها وشؤونها لقبيلة بني أسد بن خزيمة[1]، وكان الحاكم الأخير لها هو علي بن حفص والمعروف بابن عسلوجة[2]، والذي اشترك في جميع الخطط والمؤامرات التي استهدفت إجهاض ووأد المشروع الإسماعيلي بحيث أنه:" قام وقعد في أمر أبي عبد الله، وأدار الحيلة في أخذه، وزحف مع أبي حوال مرتين إليه ولم يبق شيئا قدر عليه إلا استفرغ جهده فيه"[3]، وقد عرفت الجماعة الإسماعيلية خطره وواجهت صعوبة كبرى في إسقاط المدينة، وكان هذا بسبب الميزات التي تمتع بها هذا الأمير بحيث تؤكد المصادر الشيعية:" أنه كان من الأبطال المعدودين، ولم يكن له بالناحية كلها نظير في النجدة والذكر"[4].

ب: الحضور العسكري

إن المتتبع للأسطوغرافيا التاريخية المغربية لاسيما تلك التي أرخت لأحداث النصف الثاني من القرن3هـ/9م يدرك حجم التواجد العسكري الأغلبي في الجهة الشرقية من أرض المغرب الأوسط(بلاد: كتامة– الزاب)، والذي كان موجها إلى قمع القبائل المعارضة البربرية وحتى العربية منها على غرار قبيلة بنو تميم[5]، والذين كانوا طوال عقود حلقة موجهة ضد قبيلة كتامة، ومن بين مظاهر ذلك الوجود ما ذكره ابن عذارى المراكشي في أحداث سنة(268هـ/881م) أنه:" كان فتك إبراهيم بن الأغلب بأهل الزاب وقتلهم جميعا وقتل أطفالهم وحملوا على العجل إلى الحفر فألقوا فيها "[6]. هذا إضافة إلى الحضور العسكري الأغلبي في كل من المدن والحواضر الكبرى على غرار كلا من سطيف وميلة وطبنة وبلزمة وغيرها.

---

[1] – اليعقوبي، المصدر السابق، 190.

[2]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 79. ذكره عبد الرحمن ابن خلدون بعلي بن جعفر ابن عسلوجة وأخوه أبو حبيب. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 45.

[3]– القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، 166.

[4]– القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، 165– 166.

[5]– لتفاصيل أكثر عن الثورات التي اندلعت ضد الأغالبة في بلاد المغرب. ينظر: عبد الحميد حسين محمود حمودة، ثورة الدراهم في عهد إبراهيم بن الأحمد الأغلبي– دراسة تحليلية لنص ابن عذارى المراكشي: الثورة والتغيير في الوطن العربي عبر العصور، تحرير: عبادة كحيلة، (ط1، الجيزة/ مصر: أعمال ندور الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 2005)، 149– 163.

[6]– ابن عذاري المراكشي، 162.

وقد شهدا مجالا الزاب وكتامة العديد من المواجهات العسكرية إن لم نقل مجازر ارتكبت في حق المعارضين للأمير الأغلبي، ولعل أهمها تلك التي حدثت بالقرب من مجالات كتامة وبالضبط في بلاد الزاب التي تراوح عدد ضحاياها ما بين سبعمائة[1] وبين ألف[2]، على يد الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب[3]، والذي أصر على إعدام خيرة رجال بلزمة في رقادة وهذا بعد إجارتهم لرجل منهم[4].

وتعد تلك المجازر من بين أهم الأسباب التي عجلت بزوال نفوذ الأغالبة وسقوط دولتهم، ذلك لأن من بين القتلى كان نحو ألف من رجالات العرب، والذين كانوا محسوبين على الدولة وعلى قوتها كما أنهم كانوا رماحا مسلطة ضد قبيلة كتامة، فلما قتلوا ارتاحت كتامة وبدأت تبحث لنفسها عن كيان ودولة[5] .

ج: العلاقات الخاصة

من خلال الرجوع إلى رواية القاضي النعمان والتي أرخت للصراع الذي كان مندلعا بين الأغالبة وكتامة المؤيدة للمشروع الشيعي، يجد الباحث إشارات وقرائن تدل على وجود علاقة متميزة جمعت بين حكام الإمارة الأغلبية وبعض زعماء قبيلة كتامة البربرية، ومن الأمثلة الدالة على ذلك علاقة الصداقة التي جمعت مابين الأمير الأغلبي وأمير" قبيلة مزاتة" يوسف العطاشي والذي قصد أحد المرات الأمير إبراهيم بن أحمد فكان من شأن هذا الأخير أن" حباه، ووصله، وكساه، وحمله، وأعطاه جارية نفيسة..."[6]

د: توفير اللجوء السياسي

إن مسالة اللجوء السياسي يعد أحد أهم الوسائل التي كانت موظفة في الصراعات ببلاد المغرب الإسلامي، لاسيما غداة اشتعال الصراع بين الأمويين والفاطميين[7]، وقد وظفت هذه الإستراتيجية من طرف أمراء أمراء الأغالبة، وكان أمراؤها وكبارها وشيوخها(كتامة) يفرون عند هزيمتهم إلى البلاط الأغلبي الذي كان يوفر لهم ملجأ أمنا ويقوم بشحنهم، ويعتبر نص القاضي النعمان " افتتاح الدعوة" أهم مصدر وثق أحداث وأسماء

---

[1]– ابن عذارى المراكشي، 166.

[2]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 71.

[3]– إبراهيم بن أحمد بن الأغلب : هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب تولى الحكم بعد وفاة أخيه أبي الغرانيق سنة261هـ/875م افتتحت في عهده مدينة سرقوسة في 14رمضان264هـ/878م، وفي نفس السنة استقر بعاصمة ملكه الجديدة التي بناها وهي مدينة رقادة عرف بقسوته والشدة في معاملة أعداؤه وحتى أهل بيته عزل عن الحكم سنة 289هـ/902م ورحل إلى صقلية غازيا فمات بها في نفس السنة. ينظر: الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، تق– تح– تع: محمد زينهم محمد عزب، (ط1، القاهرة/ مصر: دار الأفاق العربية، 2013)، 117– 119.

[4]– عن تفاصيل هذه المجزرة ينظر: ابن عذاري المراكشي، 166– 167.

[5]– الباجي المسعودي، 118. ابن عذارى المراكشي، 167.

[6]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 98.

[7]– لتفاصيل أكثر عن ظاهرة اللجوء السياسي وتوظيفه كسلاح في الصراع بين خلافتي قرطبة والمهدية. ينظر: زغروت فتحي، العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي (300– 350هـ)، (ط1، القاهرة/ مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2006)، 27– 71.

اللاجئين، ومن بينهم: فتح بن يحي المسالتي والذي كان من أشد أعداء الدعوة وكان يدعى بالأمير[1] " وكان مطاع في قومه، وشديد في نفسه، ونجد بيده، وفارس مشهور في قومه"[2]، وقد فشلت جميع مساعي هذا الأمير في إخماد الدعوة الإسماعيلية والتي انتشرت بين قومه وما جاورها من قبائل، حيث هرب في الأخير إلى إفريقية و" قدم على أبي العباس أحمد بن إبراهيم – وهو يومئذ بتونس بعد خروج أبيه إلى صقلية – فوصله، وأدناه، وأنزله، وأكرمه..."[3] وكان لجوؤه إلى البلاط الأغلبي دور كبير في أحداث المنطقة فيما بعد، بسبب أنه حرضه على إنزال عسكر لأخذ الداعية وقواته، وكان هذا التحريض منه ونزوح بقايا المعارضة المنهزمين بعد سقوط قلعة ميلة سببا في توجه أول حملة أغلبية رسمية تجاه بلاد كتامة للقضاء على الداعية أبي عبد الله ومن تبعه من كتامة، ومن بين هؤلاء الذين دارت عليهم الدائرة في بلاد كتامة من العرب ووجدوا في البلاط الأغلبي ملجأ لهم بعد ضياع نفوذهم ومدنهم، ابن أمير مدينة ميلة وهو أبو إبراهيم بن موسى بن العباس والذي استطاع يوم سقوط مدينة ميلة بالتعاون مع أبيه من " التسلل مع جماعة في الليل، فهربوا، فوصلوا إلى إفريقية..."[4] واستقروا ببلاط أبي العباس بن أحمد بن بن إبراهيم الأغلبي" وهو يومئذ بتونس، فأخبروه بافتتاح أبي عبد الله لمدينة ميلة وظهور دعوته"[5] وكان هدفهم في البلاط هو تحريض الأمير الأغلبي على أبي عبد الله الشيعي بحيث هونوا عنده أمر الداعية أبي عبد الله، وحثوه على إرسال قوة عسكرية لمحاربته وزينوا له الانتصار عليه[6]، وكان من بين هؤلاء المتواجدين في البلاط والمحرضين على خروج حملة عسكرية أغلبية على المجالات الكتامية فتح بن يحي المسالتي الأمير[7]، ولم يكن اللجوء إلى البلاط الأغلبي خاص بهؤلاء فقط بل كان فيهم من" حماة كتامة" والذين كانوا يعينون في مناصبهم من طرف الأمير الأغلبي لاسيما على رأس الجيوش الأغلبية للأسباب التالية:

– مكانتهم في التراتبية الاجتماعية، بحيث أنهم كانوا من أمراء قبائلها ومشايخها.

– معرفتهم بجغرافية المنطقة وتضاريسها.

– الاندفاع الكبير الذي تميزوا به بسبب أنهم خسروا مكانتهم وسلطتهم في قبائلهم، وكانوا شديدي الحرص على استرجاعها والتنكيل بالداعية ومن انضم إليه[8].

---

[1]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 80.

[2]– نفسه، 112.

[3]– نفسه، 114.

[4]– الداعي إدريس عماد الدين القرشي(ت872هـ/1488م)، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار– السبع الخامس–، تح: مصطفى مصطفى غالب، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر، دت)، 64.

[5]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 137.

[6]– نفسه، 137.

[7]– الداعي إدريس عماد الدين القرشي، 64.

[8]– بن عربة محمد، بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والسلطة الأغلبية(280-296هـ/893-909م)، 234.

ثانيا: الدعوة في البيئة المغربية من خلال النصوص الإسماعيلية

مع انتصاب جسد الخلافة الفاطمية وتربع عبيد الله المهدي(296-322هـ/909-934م)[1] على عرش المهدية[2]، بدأت تظهر الحاجة لكتابة تاريخ ومذهب الدولة المنتصرة، وهذا تم بإشراف وتوجيه من الحكام الفاطميين، حيث بدأت تتشكل معالم جديدة لمدرسة تاريخية معنية بكتابة تاريخ الشيعة عموما والإسماعيلية على وجه الخصوص، وقد أسندت لروادها مهمة الدفاع عن الإمام، والتعريف بمآثر دولته، والدفاع عن خلافته،

[1]– عبيد الله المهدي: لايزال تحديد نسب عبيد الله المهدي والخلفاء الفاطميين لغزا محيرا بين المؤرخين القدامى وبين الباحثين المعاصرين، بين من ينسبهم إلى سلالة آل البيت من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وبين من ينفي ذلك عنهم، إلا أن المتفق عليه حول عبيد الله المهدي أنه من مواليد سلمية بسوريا سنة 260هـ/874م، حيث نشأ بها وتولى إمامة الإسماعيلية فيها، وخرج منها قاصدا بلاد المغرب سنة 289هـ/902م وتربع على عرش الخلافة برقادة سنة 297هـ/910م في عمر 36 سنة، بنى المهدية واتخذها عاصمة له سنة 300هـ/912م، جابهت فترة حكمه العديد من الثورات سواء من بطانته التي مهدت لقيام دولته أو من رعاياه المتعديين بين سنة وإباضية وقد نجح في القضاء على الكثير منها، وافته المنية سنة 322هـ/934م، وهو يعتبر أحد أهم الشخصيات المؤثرة في التاريخ الإسلامي. عن نسبه وحياته ينظر: المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا، 67– 77. دفتري فرهاد، معجم التاريخ الإسماعيلي، تر: سيف الدين القصير، (ط1، بيروت/ لبنان – لندن/ بريطانيا: دار الساقي– معهد الدراسات الإسماعيلية، 2016)، 267– 268. هالم هاينتس، إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين (875-973م)، تر: محمد كبيبو، (ط1، بغداد/ العراق: دار الوراق، 2013). حسن إبراهيم حسن– طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الخلافة الفاطمية، (القاهرة/ مصر: مكتبة النهضة المصرية، دت).

[2]– المهدية: كبرى حواضر الفاطميين ببلاد المغرب وعاصمة ملكهم، وهي مدينة مطلة على البحر بناها المهدي عبيد الله بالحجارة، وبوبها بأبواب من الحديد المحصن، وهي تبعد مرحلتين عن القيروان، ذات قلاع وحط للسفن الحجازية القاصدة لها من بلاد المشرق والمغرب والأندلس وغيرها، بها حمامات كثيرة وهي بهية المنظر، لها سور منيع وبابان من حديد مطبق من غير خشب. ينظر: المقريزي تقي الدين، جني الأزهار من الروض المعطار، تح: محمد زينهم، (القاهرة/ مصر: الدار الثقافية للنشر، 2006)، 70. غفران محمد عزيز، مدينة المهدية (300-543هـ/912-1148م)– دراسة تاريخية، (جامعة الكوفة/ العراق، 2009 رسالة ماجستير، كلية الآداب، 2010).

ورسم طريق دعوته، وأول من أوكلت إليه هذه المهمة رسميا هو: "القاضي النعمان بن حيون التميمي المغربي" (ت363هـ/974م)[1].

أ: الدعوة الإسماعيلية من خلال الكتابات الفاطمية في حقبتها المغربية

1: من خلال نصوص القاضي النعمان

ألف "القاضي النعمان" أغلب أعماله في الدور المغربي، وقد تنوعت مصنفاته بين الفقه والعقيدة واستحق من خلالها بأن يكون مؤسسا للفقه الإسماعيلي، أما في مجال الكتابة التاريخية فلديه مؤلفات عديدة منها " **افتتاح الدعوة** " والذي يعد أهم وأقدم رواية رسمية عن تاريخ الفواطم في المرحلة المغربية، كما أنه يعد مصدرا أساسيا عن تاريخ الدعوة وبداية الدولة وهذا لعدة قرائن نذكر منها:

- قدمه بالنسبة للمصادر الأخرى والتي أخذ أغلبها عنه عدا البعض ومنهم ابن الهيثم(ت ما بعد سنة336هـ/948م)، والذي صنف "المناظرات"، وكان داعيا نشطا في مرحلة الدعوة السرية، والتقى بكبير الدعاة أبي عبد الشيعي وأخيه أبي العباس المخطوم.
- أهمية مؤلفه باعتباره من كبار رجال الدعوة، والقائم على مجالس الحكمة فيها.
- استفادته المباشرة من وثائق دواوين الدولة.

[1]– القاضي النعمان بن حيون التميمي: هو محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي القيرواني، غلب عليه القاضي النعمان وهو لقب يدل على منصبه الذي تولاه في إدارة الخلافة الفاطمية، اختلف المؤرخون حول تاريخ محدد لولادته إلا أن غالبيتهم أدرجوها مع نهاية القرن3هـ/9م، لقد عاصر وخدم القاضي النعمان جميع الخلفاء الفاطميين في المرحلة المغربية ابتداء من عبيد الله المهدي(ت322هـ/934م) وبرز دوره بقوة في خلافة المعز لدين الله حيث أصبح النعمان من أكبر ندمائه وقضاته، وقائما على مجالس الدعوة، ونظرا لغزارة علمه وفهمه وقربه من المعز، وإحاطته بالمذهب الإسماعيلي فإنه أصبح أهم فقهاء الإسماعيلية وأصبحت كتاباته عمدة المذهب الإسماعيلي وأهم تشريعاته، كما أنه ألف في علوم أخرى من بينها التاريخ ومن أهم مؤلفاته: افتتاح الدعوة، وكتاب المجالس والمسايرات، انتقل القاضي النعمان إلى مصر رفقة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله سنة 362هـ/973م وتوفي سنة 363هـ/973م. عن حياته ودوره في الخلافة الفاطمية ينظر: **سامعي إسماعيل، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ، (ط2، عمان/ الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي، 2014)**. إسماعيل سلمى محمود، ابن حيون المغربي مؤرخا من التأطير المذهبي إلى التنظير الفلسفي، (القاهرة، مصر، رؤية للنشر والتوزيع، 2017). صائب عبد الحميد، معجم مؤرخي الشيعة– الإمامية– الزيدية– الإسماعيلية–، (ط1، قم/ إيران: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، 2004)، ج1/ 406– 408.

- اعتماده أيضا على الرواية الشفوية والتي سمعها من الخلفاء الذين عاصرهم لاسيما المعز لدين الله(341-365هـ/953-975م)[1] حيث كان نديمه، والذي يبدو أنه هو من أمر بكتابة تاريخ الدعوة والدولة وفي هذا المقام يذكر صاحب كتاب فهرسة ابن المجدوع:" قال القاضي النعمان ابن محمد أمرني أمير المؤمنين المعز لدين الله بجمع أخبار الدولة في كتاب...وقال أما أخبار الدولة ومن قام فيها وسعى في إقامتها من الدعاة والمؤمنين فإنا نحب أن يخلد أخبارهم هكذا في الباقين ويبقى ذكرهم بالخير في الغابرين ونخلفهم فيها دعاء السامعين ..."[2].

الدعوة الإسماعيلية في نص الافتتاح:

أولا: الرواية النعمانية ومسألة البحث عن المرجعية(الشرعية) الجعفرية للدعوة.

يرجع القاضي النعمان أول أمر الإسماعيلية ودعوتها في البيئة المغربية إلى سنة 145هـ/762م وهو أول تاريخ رسمي لدى المؤرخين الإسماعيليين حول ظهور دعوتهم بالمغرب، والتي ربطوها بكبير أعلام بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الإمام جعفر بن محمد الصادق(ت148هـ/765م)، وحسب رواياتهم فإنه قام بإيفاد

---

[1]– المعز لدين الله الفاطمي: هو الإمام الإسماعيلي الرابع عشر، والخليفة الفاطمي الرابع معد بن المنصور بن القائم بن المهدي، ولد سنة 319هـ/931م نشأ نشأة خاصة في قصر أبيه المنصور بنصر الله، وبويع بولاية العهد في حياة أبيه، ثم جددت له البيعة بعد وفاته وتولى سنة(341هـ/953م)، شهدت الخلافة في عهده نهضة عمرانية وعلمية كبرى كما كانت له اليد الطولى في تأسيس وتقنين الفقه الإسماعيلي وهذا من خلال إشرافه على كتابات القاضي النعمان. عرفت فترة حكمه تحولات سياسية كبرى بحكم أنه الخليفة الذي نجح في تحقيق حلم أسلافه وهذا من خلال توسيع رقعة الخلافة ونقلها للمشرق وهذا بدخول مصر وبناء مدينة القاهرة والتي عرفت" بالقاهرة المعزية". توفي سنة365هـ/975م. ينظر: القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي– إبراهيم شبوح– محمد اليعلاوي، (بيروت/ لبنان: دار المنتظر، 1996). الجوذري أبو علي منصور العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تح– تع: محمد كامل حسين– محمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة/ مصر: مطبعة الاعتماد، 1954)، 72– 148. الداعي إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار– السبع السادس–، تح: مصطفى غالب، (ط1، بيروت، لبنان، دار الأندلس للطباعة والنشر)، 9– 202. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، (بيروت/ لبنان: دار صادر، دت)، مج05/ 224– 228. حسن إبراهيم حسن– طه أحمد شرف، المعز لدين الله– إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر، (القاهرة/ مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1948). عارف تامر، المعز لدين الله الفاطمي– واضع أسس الوحدة العربية الكبرى–، (ط1، بيروت/ لبنان: منشورات دار الأفاق الجديدة، 1982). المعز لدين الله الفاطمي، أدعية الأيام السبعة للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي، تح: إسماعيل قربان حسين بوناوالا، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2006). لقبال موسى، المعز لدين الله وجيل جديد من كتامة، (مجلة المؤرخ العربي، ع03، (بغداد/ العراق: 1975).
DE LACY OLEARY, A SHORT HISTORY OF THE FATIMID KHALIFATE, KEGAN PAUL, LONDON -NEW YORK, 1923, 93 – 115.

[2]– الأجيني إسماعيل بن عبد الرسول، فهرسة الكتب والرسائل ولمن هي من العلماء والأئمة والحدود والأفاضل، تح– تع: علينقي منزوي، (طهران/ إيران: 1966)، 67– 68.

أول بعثة دعوية هدفها نشر العلم الظاهري لآل البيت[1]، ورغم أن هذه الرواية تعد هي الأصل في كل الروايات الشيعية وحتى السنية حول تسرب التشيع إلى المغرب إلا أن المدقق فيها يجدها تحتوي على مغالطات تاريخية حول شخص جعفر الصادق وإلصاق بعض العقائد التي لم يعتقدها، ولم يتبناها ولم تكن حتى وليدة عصره.

أ: جعفر الصادق في مرويات وكتابات السنة

تعتبر شخصية جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، والملقب بـ" **الإمام الصادق**"[2] أحد أهم الشخصيات العلمية والدينية المساهمة في الفقه الإسلامي عند جماعة أهل السنة[3]، وتحتفظ المضان التاريخية السنية بمعالم شخصية الصادق وتؤرخ له باعتباره كبير آل البيت في القرن2هـ/8هـ علما، وحفاظا على الدين عموما وميراث أل البيت على وجه الخصوص، فقد ترجم له الحافظ الذهبي وعده على رأس الطبقة الخامسة من التابعين، وذكر بأنه" **الإمام الصادق، شيخ بني هاشم، أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلوي، النبوي، المدني، أحد الأعلام...**"[4]، وقد ذكره ابن تيمية بأنه من" **خيار أهل العلم والدين**"[5]، وقد قام جعفر الصادق وهو مستقر في المدينة بدور كبير بإثراء الحياة العلمية في ذلك العصر، وهو

[1]– يذكر القاضي النعمان في هذا المقام:" "قدم إلى المغرب في سنة خمسة وأربعين ومائة رجلان من المشرق. قيل إن أبا عبد الله جعفر بن محمد (صلوات الله عليه) بعثهما وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة (صلوات الله عليهم) وينشرا فضلهم". ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 26–27.

[2]– لقب بالصادق وهو لقب امتاز به لصدقه في مقالته وفضله، ولقب كذلك بعمود الشرف. ينظر: شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح، إحسان عباس، (بيروت، لبنان، دار صادر، دت)، مج1/ 327. ابن عنبة جمال الدين، عمدة الطالب الصغرى في نسب أل أبي طالب، تح: السيد مهدي الرجائي، (ط1، قم/ إيران: مكتبة سماحة أية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، 2009)، 110.

[3]– لتفاصيل أكثر عن شخصية جعفر الصادق عند أهل السنة والجماعة. ينظر: لطيفة إبراهيم القاسم الهادي، مرويات الإمام جعفر الصادق في السنة النبوية وأحوال الرواة عنه ونماذج مما نسب إليه، رسالة ماجستار، كلية الدعوة وأصول الدين، (جامعة أم القرى، مكة المكرمة/ المملكة العربية السعودية)، ج1–ج2/ 2001– 2002. المهداوي، حياة الأئمة في كتب أهل السنة، (ط1، قم/ إيران: دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، 2004)، 57–58. نزار الحسن، أهل البيت عليهم السلام في تفاسير أهل السنة، (ط1، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، 2008).

[4]– الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط– حسين الأسد، (ط2، بيروت/ لبنان: مؤسسة الرسالة، 1982)، ج6/ 255.

[5]– ابن تيمية تقي الدين الحراني ، منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد سالم، (ط1، المملكة العربية السعودية: منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1986)، ج4/ 52.

يعد المدرسة الكبرى التي تخرج على يديها كبار فقهاء المذاهب السنية وعلى رأسهم الإمام مالك بن أنس[1]، وأبو حنيفة النعمان[2]، هذا الأخير تتلمذ على يديه سنتين وقال عنه:"ما رأيت أفقه منه، وقد دخلني له من الهيبة ما لم يدخلني للمنصور"[3]، كما تتلمذ على يديه وروى عنه العديد من الأعلام منهم:" **يحي بن سعد الأنصاري، سفيان الثوري، سفيان بن عيينة، ابن جريج، وشعبة، يحي بن سعيد القطان، حاتم بن إسماعيل، وحفص بن غياث، ومحمد بن إسحاق بن يسار**"[4] وكلهم من رجالات السلف الصالح وكبار علماء أهل السنة.

أما عن علاقته بالفرق التي كانت نشطة في عصره فإنه كان شديدا عليهم لاسيما المغالين في آل بيت رسول الله، وقد أبطل حجج المغالين في آل البيت مع اعتقاده في إمامة الشيخين أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ويقدمهما عن سائر الصحابة وآل البيت[5]. وعن موقفه من الشيعة والروافض والمغالين في في عصره فقد ذكر الذهبي أنه كان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهرا

---

[1]– مالك بن أنس: هو شيخ الإسلام وحجة الأمة، وإمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، ولد سنة 93هـ/712م بالمدينة المنورة، نشأ في بيت علم، حفظ القرآن الكريم والحديث، وطلب العلم في صغره، ولازم الكثير من علماء عصره، حتى أصبح كبير فقهاء ديار الإسلام، قال عنه الذهبي:" اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره، أحدها:طول العمر وعلو الرواية،وثانيتها: الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم، وثالثها:اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية،ورابعتها:إجماعهم على دينه وعدالته وإتباعه السنن، خامستهما: تقدمه في الفقه والفتوى، وصحة قواعده" توفي سنة179هـ/795م. الذهبي شمس الدين، تذكرة الحفاظ، (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 1985)، ج1/ 207–213. القاضي عياض اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: محمد سالم هاشم، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 2012، مج1/ 44– 156.

[2]– أبو حنيفة النعمان: هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، اختلف في تاريخ ميلاده غير أن المرجح أنه كان سنة 80هـ/700م أدرك عدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلتقي بأي أحد منهم، نشأ بالكوفة، وتلقى العلم بداية على يد الإمام الشعبي، و اهتم في أوائل مسيرته بعلم الكلام وبلغ فيه مبلغا كبيرا، وجادل الكثير من أعلام الفرق وظهر عليهم، وهو صاحب أحد أكبر المذاهب الفقهية عند جماعة أهل السنة" الفقه الحنفي"، ترك مجموعة من المؤلفات منها: الفقه الأكبر، العالم والمتعلم، الرسالة إلى عثمان البتي، توفي مسجونا في بغداد سنة150هـ/767م. ينظر: الذهبي شمس الدين، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، تح: محمد زاهد الكوثري– أبو الوفا الأفغاني، (حيدر أباد/ الهند: لجنة إحياء المعارف النعمانية، دت)، 13– 53. لتفاصيل أكثر عن حياة ومسيرة الإمام أبو حنيفة ينظر: شمس الدين محمد عبد اللطيف، أبو حنيفة النعمان وآراؤه الكلامية، رسالة ماجستار، (جامعة الإسكندرية/ مصر، كلية الآداب، 1999). أحمد سعيد حوى، المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى، (ط1، جدة/ السعودية: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، 2002).

[3]– الذهبي شمس الدين، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تق– تع: محمد عوامة، تخ: أحمد محمد نمر الخطيب، (ط1، جدة/ المملكة العربية السعودية: دار القبلة للثقافة الإسلامية– مؤسسة علوم القرآن، 1992)، ج1/ 295. الصالحي أبو عبد الله ابن عبد الهادي الدمشقي، طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي– إبراهيم الزيبق، (ط2، بيروت/ لبنان: مؤسسة الرسالة، 1996)، ج1/ 259.

[4]– ابن تيمية تقي الدين أحمد ، منهاج السنة النبوية، المصدر السابق، ج4/ 52. لتفاصيل أكثر عن علاقة هؤلاء العلماء والفقهاء بالإمام جعفر بن محمد الصادق من وجهة نظر شيعية ينظر: المظفر محمد الحسين، الإمام الصادق، (قم/ إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، دت)، ج2/ 125– 130.

[5]– عن تفاصيل ذلك ينظر: الصادق جعفر بن محمد ، مناظرة جعفر بن محمد الصادق مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، تح: علي بن عبد العزيز العلي أل شبل، (الرياض/ المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد ناشرون، دت)، 93– 137.

وباطنا[1]، وكان يقول لمن يسأله عنهما" تولهما وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى...أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدي، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما"[2].

وأكد ابن تيمية الحراني على براءة جعفر الصادق من التشيع وعقائد الروافض والتقية بما يلي" **إن جعفرا كذب عليه مالم يكذب على أحد، لأنه كان فيه من العلم والدين، ما ميزه الله به، وكان هو وأبوه – أبو جعفر– وجده– علي بن الحسين– من أعيان الأئمة علما ودينا، ولم يجيئ بعد جعفر مثله في أهل البيت...**"[3]، ونفى علاقته بالفرق وقال في هذا" صار كثير من أهل الزندقة والبدع ينسب مقالته إليه حتى أصحاب رسائل إخوان الصفا ينسبونها إليه، وهذه الرسائل صنفت بعد موته بأكثر من مائتي سنة، عند ظهور مذهب الإسماعيليين العبيديين...**"[4].

أما عن علمه وفضله فقد ذكر ابن حبان أنه:" كان من سادات أهل البيت فقها علما وفضلا، وقد اعتبرت حديثه من الثقات عنه، فرأيت أحاديثه مستقيمة ليس فيها شيء يخالف حديث الأثبات، ومن المحال أن يلزق به ما جنت يدا غيره"[5]، وعلمه وفضله ومكانته على علماء عصره[6] هي التي دفعت الكثير من فرق الإسلام الإسلام وعلى رأسهم الإسماعيلية ينسبون تراثهم إليه وكأنهم بهذا يحاولون إعطاء مرجعية لمقالتهم وتمذهبهم.

ب: جعفر الصادق في مرويات وكتابات الشيعة

[1]– الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، 255. وانتسابه للصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن طريق أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها أسماء بنت عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق، وهذا معنى قول الإمام جعفر الصادق " ولقد ولدني أبوبكر مرتين". وفي رواية أخرى" ولدني ثلاثة لا يفتخر مثلهم أحد، ولدني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وأبو بكر". الموصلي محمد بن عبد الواحد ، النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم– مناقب آل محمد–، تح: العلامة السيد علي عاشور، (ط1، بيروت/ لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2003)، 122. الأربلي أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، (بيروت/ لبنان: دار الأضواء، دت)، ج2/ 374. ابن عماد الحنبلي شهاب الدين، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، (ط1، دمشق/ سوريا: دار ابن كثير، 1988)، مج2/ 216. الرازي فخر الدين، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تح: السيد مهدي الرجائي، (ط2، قم/ إيران: مكتبة أية الله المرعشي النجفي، 1998)، 89.

[2]– المزي أبي الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، (ط2، بيروت/ لبنان: مؤسسة الرسالة، 1985)، مج5/ 80.

[3]– ابن تيمية تقي الدين أحمد الحراني، مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جم– تر: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم– محمد بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة/ المملكة العربية السعودية: منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 2004)، مج11/ 581.

[4]– نفسه، 581.

[5]– ابن حبان محمد، تقريب الثقات، تح: خليل بن مأمون شيحا، (ط1، بيروت/ لبنان: دار المعرفة، 2007)، 310.

[6]– تقي الدين أحمد بن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج5/ 163.

كل المذاهب التي ترجع لجماعة الشيعة عبر تاريخها وعلى رأسها الإمامية والإسماعيلية تؤكد على انتمائها لمدرسة آل البيت وتكفر من خالفهم في هذا الاعتقاد[1]، وتعتبر شخص جعفر الصادق كبير آل البيت ومشرع مذاهبهم وعمدة أسانيدهم، وهم في ترتيبهم للأئمة جعلوا جعفر الصادق هو الإمام السادس[2]، وهو صاحب فقه خاص يختلف عن فقه أهل السنة والجماعة في شكله ومضمونه يسمى**"بالفقه الجعفري"**[3]، والمتتبع لهذا الفقه يجده مختلفا في سنده ومواضيعه ومضامينه عن فقه أهل السنة المحفوظ في كتبهم، كما أن أحاديث وفقه جعفر عند الشيعة تختلف فيما بينهم لا سيما بين الإسماعيلية والإمامية، وإذا تجاوزناها إلى العقيدة فالإسماعيلية أو الباطنية هم كفار في نظر الإمامية، ومهدي الإمامية يختلف عن مهدي الإسماعيلية، والتقية عند الإمامية تعني التكتم والسرية، أما عند الإسماعيلية فهي الباطن والغيب.

وقد أكدت المصادر الشيعية على أن العديد من علماء وفقهاء عصره تتلمذوا على يده[4].كما أن جعفر الصادق عند علماء الشيعة شخصية تتجاوز مرتبة العلماء[5] من خلال الخوارق والمعجزات التي نسبوها إليه ومن جملة ذلك ما ذكره عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي الطوسي في مؤلفه**" الثاقب في المناقب"** في بابه التاسع والعاشر المخصص للإمام**" الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام"** مايلي:

---

[1]– إن منظري الفرق والمذاهب من الشيعة وعلى رأسهم النوبختي يشير إلى انشقاقات كبيرة عرفتها جماعة الشيعة بعد موت محمد الباقر(أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين) في تيارين: الأول: قال إن الإمامة بعد الإمام الباقر تعود إلى القائم والثائر بالمدينة: محمد النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والفرقة الثانية نزلت إلى القول بإمامة جعفر الصادق وهو أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ينظر: النوبختي الحسن بن موسى، فرق الشيعة، تح: دكتور عبد المنعم الحفني، (ط2، القاهرة/ مصر: دار الرشاد، 2010)، 74–76.

[2]– الكرماني أحمد حميد، المصابيح في إثبات الإمامة، تح: مصطفى غالب، (ط1، بيروت/ لبنان: دار المنتظر، 1996)، 96– 103. الكرماني أحمد حميد، الرسالة الوصية في معالم الدين وأصوله، تح: محمد عيسى الحريري، (ط1، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1987)، 49. القاضي النعمان، الأرجوزة المختارة، تح: إسماعيل حسين قربان بونوالا، (ط1، مونتريال/ كندا: منشورات معهد الدراسات الإسلامية، جامعة مجيل، 1970)، 188–1991.

[3]– هاينس هالم، الشيعة، تر: محمود كبيبو، (ط1، بيروت/ لبنان– بغداد/ العراق: بيت الوراق للنشر للطباعة والنشر والتوزيع، 2011)، 41– 42. لتفاصيل أكثر عن علم وفقه والأثر الذي تركه جعفر الصادق من وجهة نظر شيعية. ينظر: عطاردي قوجاني عزيز الله، مسند الإمام الصادق، (ط1، إيران: المجمع العالمي لأهل البيت، 1963). مغنية محمد جواد، فقه الإمام جعفر الصادق– عرض واستدلال–، (ط2، قم/ إيران: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، 2009).

[4]– يذكر القاضي النعمان في مؤلفه" المناقب والمثالب " أن جعفر بن محمد الصادق" سمع الناس منه وأخذوا عنه وعن أبيه، وممن أخذ عنه من أكابر فقهاء العامة، ولقيه أبو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب الرأي الكوفي، ومالك بن أنس فقيه أهل المدينة، وسفيان الثوري، وشعبة، وسفيان بن عيينة...وكثير من علماء الأمصار". القاضي النعمان، المناقب والمثالب، (ط1، بيروت/ لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2002)، 335 -336.

[5]– تقدم الدراسات الأكاديمية لا سيما الشيعية جعفر الصادق على أنه كان معني بعلوم غير تلك العلوم التي كانت متداولة في عصره (عقلية– نقلية)، كالطب والكيمياء والفلك وغيرها. ينظر: آل علي نور الدين ، الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، (ط1، بيروت/ لبنان: دار القارئ، 2007).

– بيان ظهور آياته في إحياء الموتى وفيه: خمسة أحاديث.

– في بيان آياته من الأخبار بالغائبات وفيه: سبعة عشر حديثا.

– في بيان آياته ومعجزاته في معان شتى وفيه: اثنا عشر حديثا.[1]

إضافة إلى أنهم نسبوا إليه كثيرا من الأشياء كتسخير الجن والملائكة لخدمته وفي هذا يذكر:" إن الإمام الصادق هو حجة الله على الجن والإنس والخلق أجمعين، فمن الطبيعي أن تطيعه الجن وتنقاذ لأوامره، كما أن الملائكة تخدمه أيضا، وكل ذلك يكون بإذن الله سبحانه ..."[2].

كما نسبوا إليه على لسانه علم الغيب وأنه أعلم من موسى عليه السلام والخضر، وهذا ما ذكره صاحب مؤلف "تفضيل الأئمة على الأنبياء والملائكة"[3].

إن هذا الزيف والتعظيم وتصوير شخص الإمام جعفر الصادق عليه السلام بهذه المواصفات تتفق عليه جميع مذاهب الشيعة وعلى رأسها الإمامية والإسماعيلية وبالتالي فلا يمكن للباحث عن الحقيقة التاريخية الاعتماد على مقالاتهم وإدراجها ضمن المسلمات وهذا لتعارضها مع العقل والشرع.

- كما أن التسليم بكرونولوجيا الدعوة على أنها جاءت من بعثة جعفرية أمر من الصعب تقبله والوثوق فيه، مادام جعفر الصادق في حد ذاته محل اختلاف وتجاذب بين جماعة السنة والشيعة، إضافة لما أورده القاضي النعمان من أن البعثة الجعفرية بلفظ المبني للمجهول " **قيل**". ذلك " أن أبا عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه بعثهما (أبا سفيان– الحلواني) وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة صلوات الله عليهم وينشرا فضلهم"[4]. ولفظ "قيل" يحتمل التشكيك وهو طعن في المؤرخ الذي يجب عليه ألا يكتب إلا بعد التأكد.

صناعة الحدث وتكييفه وفق المذهب الإسماعيلي

[1]– الطوسي عماد الدين أي جعفر محمد بن علي، الثاقب في المناقب، تح: نبيل رضا علوان، (ط3، صدر– قم/ إيران: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، دت)، 393– 427.

[2]– القزويني محمد كاظم، الإمام الصادق من المهد إلى اللحد، (ط1، قم/ إيران: دار العلوم، 2008)، 330.

[3]– الحلي العاملي الحسن بن سليمان، تفضيل الأئمة على الأنبياء والملائكة، تح: مشتاق صالح المظفر، (ط1، قم/ إيران: منشورات مكتبة العلامة المجلسي، 1912)، 261.

[4]– القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة 26– 27. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 41.

إن المتتبع لما أورده القاضي النعمان لاسيما في المراحل الأولى من الدعوة يجد كما هائلا من الخوارق والمصادفات وحتى الأخبار المبهمة، الغرض منها كله إيهام القارئ أن الأحداث كانت تتم بعناية إلهية وأن حركة التاريخ والأحداث خلال القرن 3هـ/9م كانت تسير وفق القدر الإسماعيلي[1]، وقد كان القاضي النعمان حريصا على إبراز أن الإمام من وجهة نظر إسماعيلية هو المحرك والموجه للحياة وأن الدعاة لم يكونوا سوى مسيرين لدعوة بشر بها الرسول صلى الله عليه وعلى أله، وأن أحداثها وزمانها ومكانها مما توارثت على ذكره الأخبار، وكتب الجفر والملاحم، ونبوءات الأئمة المعصومين ومن جملة ذلك ماقاله:" والأخبار والأشعار في هذا كثيرة تخرج عن حد هذا الكتاب وأن الشيعة يروونها ويذكرونها وقد جاءت بها الروايات والأخبار وبشر بها كما جاءت الأخبار بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أن يبعث، ورواها وذكرها كثير من العرب في الشعر وفي الأخبار كأمية بن الصلت، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو، وأسعد أبي كرب، وقس ابن ساعدة، وخالد بن سنان وغيرهم..."[2]، ويعلق موسى لقبال رحمه الله عن تلك الأحداث قائلا:" **وما نسج حولها في المصادر السنية والشيعية لا تعدو أن تكون قصة مختلقة أو تخللتها مبالغات كثيرة للتأثير**..."[3] وفي موضع أخر ذكر أنها من نسج وابتكار علماء الإسماعيلية، والذين تواتروا دوما على نسج الكرامات وخوارق العادات إلى دعاتهم الأوائل ويصوروهم في صورة الأولياء...[4].

تناقضات القاضي النعمان

من خلال تتبع نص رواية الافتتاح والتي عرض فيها القاضي النعمان مفصلا للدعوة وأحداثها مركزا على كثير من الشخصيات الفاعلة فيها يجد غموضا لكثرة وجود أشخاص نشطوا ضمن دعوة أبي عبد الله الشيعي منهم القادة والعسكريون، ومنهم الدعاة المختلفة أعمارهم بين الشباب والشيوخ) بالإضافة إلى شخصيات أخرى التقت بالحلواني وتتلمذت على يديه، مع العلم أن القاضي النعمان يذكر أن الحلواني قدم إلى المغرب سنة 145هـ/762م وكان من بين هؤلاء الأشخاص من امتدت أعمارهم إلى ما بعد 296هـ/908م أي بمعدل

[1]– علق علاوة عمارة على منهج ودوافع الكتابة التاريخية الفاطمية أن الغرض منها كان لصنع مجتمعي شيعي(وهمي) خاضع لسلطة الفاطميين لإعطاء صورة مغايرة عما هو قائم، لأن المجتمع المغربي ظل على سنيته وعلى خارجيته، ولم يلتحق بركب الإسماعيلية إلا القليل من القبائل البربرية ونخبة الحنفية. ينظر: عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008)، 154.

[2]– القاضي النعمان،افتتاح الدعوة، 76– 77.

[3]– لقبال موسى، دور كتامة، 237.

[4]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 218.

140-150 سنة وهذا غير معقول، ولو كان شادا لاقتصر على شخص وشخصين لكن عددهم يوحي إلى نوع من المبالغة، وفي هذا الجدول عينة من هؤلاء والمذكورين في مؤلف "افتتاح الدعوة":

اسم المتشيع	الداعية	زمنه	القبيلة	المصدر
حريث الجيملي	تشيع على يد الحلواني والتقى بأبي عبد الله الشيعي	280هـ/893م.	جيملة	افتتاح الدعوة، 34
موسى بن مكارم	تشيع على يد الحلواني والتقى مع أبي عبد الله الشيعي	سنة280هـ/893م.	بني سكتان	افتتاح الدعوة، 34.
أبو حيون المعروف بأبي المفتش	تشيع على يد الحلواني والتقى مع أبي عبد الله الشيعي	سنة280هـ/893م.	–	افتتاح الدعوة، 30.
أبو القاسم الوفرجومي	تشيع على يد الحلواني وإلتقى بأبي عبد الله الشيعي	سنة280هـ/893م.	ورفجومة	افتتاح الدعوة، 40
أبو عبد الله الأندلسي	غير معلوم على يد من تشيع وكيف دخل المغرب وتاريخ ذلك، لكن المؤكد بناء على المصادر انه التقى الحلواني والتقى أبا عبد الله الشيعي سنة280هـ/893م وحظي عنده بمكانة	سنة280هـ/893م	عربي	افتتاح الدعوة، 40
يسين بن يوسف اخو ابن الأصم	تشيع على يد الحلواني هو وأخوه يحي بن يوسف	سنة280هـ/893م	إجانة	افتتاح الدعوة، 131.
امرأة يحي بن يوسف	تشيعت على يد زوجها يحي بن يوسف المعروف بابن الأصم الاجاني زمن الحلواني والتقت بالداعية أبا عبد الله ما بعد 280هـ/893م وعاشت إلى أخر سنوات الدعوة ويحتمل حتى إلى قيام الدولة بدليل أنها كانت تحضر الحروب والحملات العسكرية	سنة280هـ/893م	إجانة	افتتاح الدعوة، 131- 132
إسماعيل بن نصر المعادي	تشيع على يد الحلواني والتحق بدعوة أبي عبد الله الشيعي	قبيل 294هـ/907م	هوارة	افتتاح الدعوة، 182
أم موسى بنت الحلواني	تشيعت على يد أبيها الداعية الحلواني كما أنها كانت حية زمن الداعية أبا عبد الله الشيعي، وكانت تحضر مجالس الدعوة وتشارك في الحروب	سنة280هـ/893م	عربية	افتتاح الدعوة، 132

في المقابل أكد موسى لقبال استحالة وصول بعثة شيعية إسماعيلية إلى البيئة المغربية منتصف القرن2هـ/ 8م حيث قال:" **إنما بشيء من التأمل، يتضح فيما يبدوا خطأ هذا الرأي...**"[1] وسبب ذلك في نظره يرجع إلى النقاط التالية:

– اضطراب أرض المغرب خلال تلك الفترة بسبب الثورات الخارجية والإباضية ضد ولاة القيروان، إضافة للعديد من النحل المتطرفة من بينها نحلة برغواطة.

[1]– لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 223.

– انشغال العلويين بالثورات في المشرق بسبب كثرة أتباعهم لاسيما في العراق والحجاز، إلى غاية هزيمة معركة فخ[1] وهي المعركة التي جعلت العلويين يعترفون بصعوبة إنشاء دولة لهم في بلاد المشرق ومن ثمة الانتقال إلى مجالات جديدة كان من بينها بلاد المغرب.

– عدم وجود دور للعلويين في بلاد المغرب خلال مرحلة الفتوحات الإسلامية أو عصر الولاة، كما هو الشأن لبعض الأسر العربية التي لعبت أدوارا كبرى كأسرة عقبة بن نافع وغيرها[2].

ويمكن ترجيح هذا الرأي للأسباب التالية:

- ✓ براءة الإمام جعفر الصادق من التشيع والشيعة والعقائد الباطلة.
- ✓ استحالة وجود تنظيم سري إسماعيلي خلال النصف الثاني من القرن2هـ/8م لأن المصادر الشيعية مختلفة في حياة وموت إسماعيل في حياة أبيه، إضافة إلى ذلك فإن المصادر الإسماعيلية لم تتحدث عن تنظيم الدعوة وإرسال الدعاة إلا في حياة الإمام المستتر محمد بن إسماعيل.
- ✓ انعدام أي خبر أو إشارة واحدة في المصادر السنية والإباضية وحتى الشيعية التي سبقت القاضي النعمان وابن الهيثم تشير إلى دعوة مذهبية شيعية ببلاد المغرب يقودها جعفر الصادق أو سلالته.

[1]– معركة فخ: أحد كبرى المعارك الفاصلة بين جيوش الخلافة العباسية والعلويين الثائرين وقد حدثت هذه المعركة بمنطقة فخ القريبة من مكة، سنة 169هـ/ 786م، بين العلوي الحسين بن علي بن الحسن المثلث ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ضد حكم الخليفة العباسي موسى الهادي، ورغم انتهاء المعركة لصالح العباسين غير أنها كانت لها أثار أسهمت في نجاح العلويين في بيئات خارج الحجاز والعراق، بحيث نجا من المعركة إدريس الأكبر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ودخل المغرب وتمكن من تأسيس أول دولة علوية ببلاد المغرب الإسلامي سنة 172هـ/788م. الرازي أحمد بن سهل، أخبار فخ وخير يحي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، تح: ماهر جرار، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1995). الأصفهاني أبي الفرج، مقاتل الطالبيين، تح– شرح: السيد أحمد صقر، (ط2، قم/ إيران: منشورات الشريف الرضي، دت)، 364–385.

[2]– لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 223.

✓ تناقض رواية القاضي النعمان لاسيما عندما أورد شخصيات نشطت في دعوة أبي عبد الله الصنعاني مختلفة أعمارهم، بين الشباب إلى غاية الشيخوخة، والذين ذكر انهم التقوا بالحلواني، وهذا ما يعد مستحيلا بحكم أن الحلواني قدم 145هـ/762م والذين ذكرهم امتدت الأعمار بهم إلى ما بعد 296هـ/909هـ بمعدل 140- 150سنة، وهذا غير معقول، ولو كان شادا لاقتصر على شخص وشخصين لكن عددهم كثير.

وبالتالي يمكن القول أن الدعوة ومسألة إرسال الدعاة لم تكن من تخطيط جعفر الصادق، كما أنها لم تكن خلال القرن 2هـ/8م، ويرجح أنها كانت خلال النصف الثاني من القرن 3هـ/9م، وهي الفترة التي نشطت فيها الدعوة على يد الأئمة في سلمية، وقام دعاتهم بنشرها في البيئة اليمنية، لتصبح اليمن موطنا لإرسال الدعاة.

الدعوة الإسماعيلية من خلال مؤلف شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار:

يعد مصنف" **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار**" من أهم وأضخم مؤلفات القاضي النعمان والتي وضعها حول سيرة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلاقتهم بخلفاء عصرهم ومناقبهم وفق المنظور الشيعي، كما دافع فيه عن الإسماعيلية وأقصى بقية الفرق الشيعية الأخرى[1] وهو ما يلتمس في تصريحه" تاهت في مهاوي الضلالة وتعكست في العمى والجهالة"[2]. وتضمن هذا المؤلف فصولا لها من القيمة والأهمية في كشف بعض خبايا التاريخ الإسماعيلي الفاطمي في البيئة المغربية نذكر منها التالي:

– معالم المهدي عليه السلام. المتشبه بالمهدي عليه السلام. فضل المهدي عليه السلام. إتباع المهدي والقيام معه. إضافة إلى صفة المهدي:

في هذا المحور الأخير أورد القاضي النعمان أحاديث كثيرة كلها تبشر بالخليفة المهدي الفاطمي (عبيد الله)، وجميعها تدل عليه، وقد كان النعمان في مؤلفه هذا شارحا لها، ومحاولا إظهار تطابقها مع شخصية مؤسس خلافة الفواطم ومن بين ما ذكره على سبيل المثال:" ومن حديث سفيان الثوري يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وأله، أنه قال: المهدي رجل من ولدي، أرى وجهه كالكوكب الدري، اللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي"[3].

---

[1]– إسماعيل سلمى محمود، 151.

[2]– القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 318.

[3]– وقد شرح وعلق القاضي النعمان في مؤلفه حول الحديث بمايلي:" الجسم جسم إسرائيلي: وأجسام بني إسرائيل أجسام ضخمة، وهم في الأغلب والأكثر من أجسام العرب. وكذلك كان المهدي وسيما جسيما بساطا لا يكاد أحد يماشيه إلا قصر عنه، وصغر إلى جانبه، وكذلك كان من صغرت إليه الإمامة من بعده إلى اليوم، قد أتاهم الله تعالى بالفضل والجمال والكمال..."القاضي النعمان، شرح الأخبار، 378.

وزاد عليه:" **فكذلك كان المهدي صلى الله عليه وأله، وسيما من أجمل الرجال وجها كأن وجهه كوكب دري كما قال رسول الله صلى الله عليه وأله في صفته**"[1].

وأهم عنصر في كل ذلك هو محور"**بدء الدولة الفاطمية**" والذي تعرض فيه إلى الدعوة في بلاد اليمن ثم الدعوة في بلاد المغرب والتي ابتدأها بالحديث عن أيات المهدي ودعوة أبي عبد الله الشيعي[2].

و يحيل القاضي النعمان حديثه إلى دعوة أبي سفيان والحلواني دون التعرض، أو الإشارة إلى تاريخ إيفادهما، ومن الذي أرسلهما بالرغم من أن هذا المؤلف كتب بعد مؤلفه " افتتاح الدعوة" مناقضا لروايته في سيرة الافتتاح وذكر أن الحلواني النازل بأرض سوجمار والتي نزل فيها أبو عبد الله مقتفيا أثره سنة 280هـ/893م، تشيع فيها على يديه" **عالم كثير من أهل تلك الناحية**"[3]، وهؤلاء المتشيعين هم الذين عندما قدم إلى بلاد المغرب أبا عبد الله الشيعي سنة 280هـ/893م نزل بينهم وكان الكثير منهم أدرك بعضهم الحلواني[4]، وقد تواصل معه من هؤلاء الشيوخ وأخبروه بأن الحلواني كان قد بشر بدعوته وتوجهه نحو المغرب وقد أعطاهم بعضا من صفاته وفي هذا يذكر القاضي النعمان:" **والله لقد وصفك لنا شيخنا بصفتك ما غادر غير أنه ذكر أن في فيك أصبع**"[5].

تعتبر هذه الرواية ذات أهمية كبيرة بسبب تأريخها للدعوة الإسماعيلية في مرحلتها الأولى، والملاحظ هو أن هذا المؤلف مادته العلمية حول الدعوة تكاد تكون مشابهة لما جاء في رواية الافتتاح، بل إن القاضي النعمان يذكر في كتابه هذا أن هذه الأخبار فصل فيها في مؤلفه الافتتاح، في المقابل يجد المتمعن فيها أنها خالية توضيحات حول تاريخ الدعوة والتي أرجعها(القاضي النعمان) في مؤلفه الافتتاح إلى سنة 145هـ/762م، ما يثير التساؤل حول هذا التاريخ في ظل تقديمه لمعطيات حول وجود مجموعة من الشخصيات والتي التقت مع دعوة أبي عبد الله وفي المقابل كان تشيعها على يد الحلواني.

وبالتالي فإن تاريخ الدعوة حول سنة 145هـ/762م أو عبارة الدعوة القديمة هي من نسج وحبك مخيلة القاضي النعمان والذي حاول من خلالها إرجاع الدعوة إلى شخص جعفر الصادق بغرض إضفاء المصداقية عليها والشرعية التاريخية والدينية، وأنها دعوة الحق التي توارثها أئمة وخلفاء الإسماعيلية، والتي كانت محل تشكيك ليس من طرف السنة بل حتى من طرف الشيعة الذين أنكروا وجود إمامة شيعية تنتمي إلى نسل الإسماعيلية، وعملية

[1]– القاضي النعمان، شرح الأخبار، 378.

[2]– نفسه، 413.

[3]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة،29. القاضي النعمان، شرح الأخبار، 415.

[4]– نفسه، 415.

[5]– نفسه، 415.

الترويج لها وإعطاءها البعد الجعفري هو محاولة لاستقطاب عامة الشيعة، غير أن قيادتهم وبالرغم من نجاح نشاطها تحت غطاء الستر والتقية[1]، فلم تستطع وقف تيار الانشقاق داخلها[2]، هذا الأمر حتم على الإمام المستتر التعجيل بالخروج فارا من المنشقين ومن عيون الخلافة المراقبين، والوجهة كانت المغرب.

الدعوة من خلال مؤلف المناظرات:

لايزال الداعية الشيعي المغربي **" أبي عبد الله جعفر بن أحمد بن محمد بن الأسود بن الهيثم"** من بين الشخصيات المذهبية التي لم تنل حقها من البحث والدراسة، وقد يكون هذا بسبب ضياع نقص الإشارات في المصادر، وضياع موروثه عدا ما وصل إلينا من مؤلفه **"المناظرات"**[3]، والذي يعد الشاهد المعاصر لبداية الخلافة الإسماعيلية في بلا المغرب[4]، أما عن أصوله ونشأته فكنيته **"**أبي بكر وكناه الداعية بأبي عبد الله[5] **"**، وقد رجح

---

[1]– موسى علي حسن، الستر والتقية في تاريخ الإسماعيلية، (ط1، بغداد/ العراق: دار نينوى، 2009)، 33– 94.

[2]– كانت أول الانشقاقات وأكبرها داخل الحركة الإسماعيلية في مرحلة السرية وحتى قيام الخلافة الفاطمية هي" **القرمطية"**، والتي تنتسب إلى حمدان قرمط الكوفي، حيث اعتنق الإسماعيلية على يد الحسين الأحوازي وبدأ بنشر الدعوة في سواد الكوفة وبقية العراق، وحقق انتصارات على مخالفيه وعلى جيوش بني العباس، غير أنه انشق عن أئمة الإسماعيلية لما علم أنهم ليسوا من سلالة وأبناء محمد بن إسماعيل وإنما هم من آل ميمون القداح. لتفاصيل أكثر عن هذه الحركة ينظر: الحمادي اليماني محمد بن مالك بن أبي الفضائل، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم، در– تح: محمد عثمان الخشن، (الرياض/ المملكة العربية السعودية: مكتبة الساعي. دت). ابن الجوزي عبد الرحمن، القرامطة، تح: محمد الصباغ، (ط5، بيروت/ لبنان: المكتبة الإسلامية، 1981). صديقي محمد الناصر، القرمطية في مرجعيتها الإسماعيلية، (ط1، تونس: منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، 2016). برنارد لويس، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، تق: خليل أحمد خليل، (ط1، دار الحداثة، 1980). عبد الرحمن ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا– مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، دت)، ج13/ 14– 24. زكار سهيل، الجامع في أخبار القرامطة في الأحساء– الشام– العراق– اليمن–، (دمشق/ سوريا: التلين للتأليف والترجمة والنشر، 2007). دي خوية ميكال يان، القرامطة– نشأتهم، دولتهم، وعلاقتهم بالفاطميين،– تر– تح: حسني زينة، (ط1، بيروت/ لبنان: دار ابن خلدون، 1978). غالب مصطفى، القرامطة بين المد والجزر، (بيروت/ لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، دت). شنقارو عواطف العربي، فتنة السلطة– الصراع ودوره في نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري–، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2001)، 254– 265. ابن رزام الكوفي الطائي أبي عبد الله محمد بن علي ، الرد على الإسماعيلية القرامطة وشرح مذاهبهم في الصد عن شرائع الرسل والدعاء إلى إفساد الممالك والدول والرد على سائر الملحدين، تح: فواز بن عبد الله بن معيوض الثبيتي، (المدينة المنورة/المملكة العربية السعودية: رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، 2014– 2015). زياد سلمان نعمان أبوسنينة، القرامطة في السواد وبلاد الشام في القرنيين الثالث والرابع الهجريين، رسالة دكتوراه، (عمان/ الأردن: كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية1997– 1998).

[3]– إن مصنف" المناظرات" هو عبارة عن مذكرات شخصية ضمنها صاحبها الكثير من الحوارات والمناقشات مع دعاة الإسماعيلية في افريقية على غرار أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس المخطوم، ومناظرات أخرى مع فقهاء وعلماء المالكية، ورجح فرهاد دفتري أن هذا المصنف دون في حدود سنة 334هـ/945م، ينظر: فرهاد دفتري، معجم تاريخ الإسماعيلية، 73– 74.

[4]– علاوة عمارة، إسماعيل سامعي: الدولة الفاطمية وجهود القاصي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي، قراءة وعرض: علاوة عمارة، (ع12، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة/ الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2011)، 532.

[5]- Wilferd Madelung and Paul E. Walker, The Advent of the Fatimids Contemporary Shi'I Witness,(London, New York, I.B. Tauris, 2000), 58.

سنختصر إحالة هذا المصدر في الأطروحة باسم ابن الهيثم.

فرهاد دفتري تاريخ ولادته سنة 273هـ/886م[1]، وكانت عائلته على المذهب الشيعي الزيدي، ودخل جده الأكبر "الهيثم بن عبد الرحمن" المغرب، وكان هذا الأخير عربيا كوفيا من بني منقر من بني تميم[2]، مع يزيد بن حاتم عام 154هـ/710م أو عام 155هـ/711م، من المقربين عند الوالي روح بن حاتم والذي اشتغل معه في ولايته " **وكان صديقا له يؤثره على نظرائه**"[3] وطلب الإعفاء من الخدمة وذهب إلى الكوفة ثم رجع إلى بلاد المغرب سجل الخليفة الذي طلب من روح اكرامه وتقديمه[4]، وقد عاش ابن الهيثم يتيما، وتحول من مذهب الأحناف إلى التشيع، وفي فترة قصيرة تعمق في كتب الفقه والجدل والمنطق والفلسفة.

أما عن وفاته فقد يكون توفي بعد سنة336هـ/948م أي في فترة حكم المنصور بنصر الله(ت341هـ/952م)[5]، أو بدايات حكم المعز لدين الله، وهذا من خلال قرينة ذكرها في مؤلفه حول حياته إلى غاية فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد ودل هذا على إشارة وردت منه في مؤلفه المناظرات وذكرها على النحو التالي:" **وكان في كتبي مضمونا حتى ذهب فيما ذهب لنا في أيام الدجال عليه غضب الله**"[6].

وقد قدم ابن الهيثم خدمات جليلة للخلافة الفاطمية، وكان من بين أبرز الدعاة في مرحلة نهاية قيام الدعوة وقيام الدولة، مقربا من الداعية، ومن الخلفاء الثلاثة وهذا بسبب الميزات والمؤهلات التي اكتسبها واختصرها الداعي إدريس فيما يلي:" وكان فيه فضل وله عقل، وبحث وبيان ونظر في الفقه، وكان قد أخذ كثيرا من ظاهر علم الأئمة وباطنه...وكان من أهل الفضل وبلغ مع الأئمة عليهم السلام مبلغ الدعاة..."[7].

أما عن قيمة روايته التاريخية فإنه:

---

[1]– فرهاد دفتري، معجم تاريخ الإسماعيلية، 73.

[2]– ويلفرد ماديلونغ، السياسة الدينية للفاطميين تجاه رعاياهم السنة في المغرب، (مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، 2010)، ع01، مج66/11.

[3]– ابن الهيثم، 59.

[4]– نفسه، 59.

[5]– المنصور بنصر الله الفاطمي: هو أبو الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر بالله بن عبيد الله المهدي ثالث خلفاء الدولة الفاطمية، ولد في رقادة عام 301هـ/914م، وخلف أباه القائم في الحكم سنة 334هـ/953م في ظروف عصيبة تمثلت في اشتداد ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد، حيث تمكن المنصور من هزيمته في معارك عديدة في افريقية، ونقل المعارك إلى المغرب الأوسط وقادها بنفسه إلى غاية قضائه على أبي يزيد، وهو باني مدينة المنصورية والتي ضاهت المهدية العاصمة الأولى للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب، توفي سنة 946هـ/956م. ينظر: الداعي إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 230– 350. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 95– 99. ابن الخطيب لسان الدين، إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام– تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط–، تح: أحمد مختار العبادي– محمد إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء/ المغرب: دار الكتاب، 1964)، 54.

[6]– ابن الهيثم، 117.

[7]– الداعي إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 107.

– أول رواية شيعية فاطمية في المغرب أرخت للدعوة الإسماعيلية والخلافة الفاطمية، وهي تختلف عن رواية القاضي النعمان، بسبب أن هذا الأخير تأليفه لكتابه كان بطلب من الإمام الفاطمي أما رواية ابن الهيثم فهي أشبه ما يكون بالمذكرات الشخصية، وإن كان ما يعاب على هذا النوع من الكتابات هو الابتعاد عن الموضوعات المتخصصة، وتطغى عليها الذاتية، لكن في المقابل تكون عفوية وليست موجهة لتمجيد الكتابة السلطانية، ومن عنوانه الذي أسماه **"المناظرات"** يتبين لنا الغرض منها وهو تدوين وحفظ حلقات المناظرة التي كانت بين ابن الهيثم والداعية أبي عبد الله الشيعي من جهة[1] وما بين ابن الهيثم ومالكية القيروان من جهة أخرى، وهو أول وثيقة تتحدث عن النشاط المذهبي والعلمي للشيعة الإسماعيلية في البيئة الإفريقية.

– إضافة إلى كون صاحبها (ابن الهيثم) مقرب من الداعية أبي عبد الله وأخيه أبي العباس المخطوم.

– مصاحبته للعديد من الشخصيات الكتامية التي لعبت دورا كبيرا في مرحلة الدعوة ثم الدولة.

– تقديمه لمعلومات مهمة عن نشاط الدعاة من القبائل.

أما عن تطرقه لموضوع الدعوة فهو لم يتتبع حركتها، وإنما أرخ للإسماعيلية بعد دخول قوات أبي عبد الله الشيعي إلى إفريقية حيث أن لقاءه به كان بعد نزوله برقادة بيومين، يوم الاثنين من سنة ست وتسعين ومائتين[2] وكان الالتقاء به في الليلة الثالثة وهي التي انطلقت فيها حركة المناظرات داخل البيت الشيعي والتي كان طرفاها أبا عبد الله وابن الهيثم، لكن في المقابل يقدم لنا إشارة واحدة ووحيدة لكن لها من الأهمية ما قد يوضح مسالة تحقيب الدعوة، وهذا عند حديثه عن أفلح بن هارون الملوسي والذي سماه بداعي ملوسة وشيخ الجماعة وفقيهها[3]، وذكر وذكر أنه " أدرك أبا معشر[4] والحلواني وكان يحدث عنهما..."[5] وفي هذا إشارة أخرى على أن بعثة الحلواني إلى بلاد المغرب لم تكن سنة 145هـ/762م أو خلال القرن 2هـ/8م، ولم يكن صاحبها جعفر الصادق بدلالة أن أفلح بن هارون الملوسي عند إدراكه لأبي معشر والحلواني كان" يحدث عنهما عن الحلبي"[6] ولم يذكر جعفر الصادق والذي لو كان بعثهما لحدثا عنهما بصفته شيخهما وإمامهما، ولو توفرت تفاصيل عن هذا المحدث الحلبي لرجح تاريخ إرسالهما وظروفهما أو من أي بيئة قدما، ومن خلال تتبع مسار نشاط وحياة أفلح بن هارون

[1]– ابن الهيثم، 02.

[2]– نفسه، 03.

[3]– نفسه، 121.

[4]– باستثناء مصنف" المناظرات" هو الذي أشار إلى الداعية أبا معشر لكن اقترانه في الذكر بالحلواني يجعلنا نعتقد أنه هو أبا سفيان نفسه.

[5]– ابن الهيثم، 122.

[6]– نفسه، 122.

فإنه كان حيا بعد سنة308هـ/920م باعتبار أن المهدي عبيد الله سكن المهدية في شهر شوال من سنة308هـ/920م[1]، وقلد قضائها إلى أفلح بن هارون الملوسي[2]، والراجح أنه يكون توفي سنة 310هـ/922م بمعنى أنه عاش أكثر من نحو ثلاثون سنة قضاها في خدمة دعوة أبي عبد الله الشيعي، وفي خدمة الفواطم، وباحتساب سنوات تتلمذه على يد الحلواني وهو شاب يمكن أن يكون قد التقى به فيما بين260- 280هـ/ 873- 893م.

الدعوة الإسماعيلية من خلال مؤلف" سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي صلوات الله عليه وأله الطاهرين من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة":

صاحب هذا المؤلف هو مملوك فاطمي يدعى جعفر بن علي بن الحاجب لا يعلم تاريخ محدد لميلاده لكن من خلال إشارة ذكرها في مؤلفه نستنتج أنه كان قد ولد في السنة التي ولد فيها الخليفة عبيد الله المهدي، وفي هذا يقول" **كان المهدي بالله عليه السلام أكبر سنا مني بشهور يسيرة"**[3]، نشأ وترعرع في بيت أسرة إسماعيلية في مرحلة استتارها بسلمية، كما أنه رضع مع الإمام المهدي في ولادته وهو من اختاره فيما بعد لخدمته.

وقد قدم جعفر بن علي بن الحاجب معلومات وتفاصيل عن الدعوة الإسماعيلية، والتي يبدو أنها كانت مزدهرة عندما تولى الإمام عبيد الله المهدي أمر الدعوة وخلال السنوات الأخيرة من الإمام الذي تولاها قبله بحيث يذكر جعفر الحاجب أن التحف والأموال كان يحملها الدعاة من كل بلد إلى سلمية[4]، غير أنه لم يذكر البلدان التي وردته منها الأموال وأسماء الدعاة الذين كانوا يبعثون بها، وهو ما يطرح إشكالا حول دور المغرب في الدعوة الإسماعيلية وسبل تواصله مع سلمية، فإن كان من المؤكد الصلة الوثيقة التي جمعت الداعية أبا عبد الله بمركز الدعوة في سلمية، بحيث أنه كان يبعث بالرسل إلى المشرق لنقل الأخبار والأموال باستمرار، فإن من سبقه في دعوة المغرب لا توجد تفاصيل عنهم، ولم تفد رواية جعفر بن علي الحاجب عن ذلك التواصل شيئا.

وبالرغم من توفر المعلومات والتفاصيل المهمة التي قدمها جعفر عن رحلة هروب عبيد الله المهدي وحلوله بالمغرب لم يشر إلى تواصله مع الجاليات الشيعية عند دخوله إلى أفريقية، والتي استوطنت المنطقة وتشيعت بسبب هجراتها أو بسبب دعوة أبي سفيان كما تذكره المصادر الإسماعيلية، وبالرغم من إرسال عبيد الله المهدي الداعية

---

[1]– الداعي إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 136.

[2]– ابن الهيثم، 123. الداعي إدريس عماد الدين القرشي– السبع الخامس–، 137.

[3]– جعفر بن علي الحاجب، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي صلوات الله عليه وأله الطاهرين من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة رواية محمد بن محمد اليماني رحمة الله عليه، (القاهرة/ مصر: مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، 1936)، مج4– ج2/ 108.

[4]– جعفر بن علي الحاجب، 108.

أبي العباس المخطوم إلى إفريقية لجمع الأخبار، وتهيئة الطريق غير أنه فشل في مهمته بحكم أنه لم يجد أحدا يعرفه فيثق به ويطمئن إليه[1]. مما يوحي بأن الدعوة الإسماعيلية لم تكن انتشرت في إفريقية ولم يكن للمهدي أتباع في المنطقة[2]، إضافة إلى ذلك فإن " الكتب وصلت إلى زيادة الله صاحب المغرب بطلب المهدي وصفته وأنه أفلت منهم بمصر وأنه أمر بالسؤال عن المهدي..."[3]. وكانت النتيجة أن" قبض عليه زيادة الله وقرره فأنكر وقال إنما أنا رجل تاجر، فحبس واتصل حبسه بالمهدي"[4]. ورغم متابعة المهدي لرحلته عن طريق " نفوسة إلى **سماطة** من قسطيلية"[5]. غير أن جعفر لم يتعرض إلى أية أخبار عن التقاء أتباعه أو من هؤلاء الذين كانوا قد انتشرت فيهم دعوة أبا سفيان وما كان عليه إلى أن يشق طريقه نحو سجلماسة بالرغم من أنه كان قريبا من بلاد كتامة.

وبالتالي فإن رواية جعفر الحاجب رغم ما لها من أهمية في تسليط الضوء على شخصية عبيد الله المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية وضمها لمعلومات دقيقة عن رحلته والموكب الذي كان متابعا له وعن موقف حكام الأمصار وولاتهم في المشرق والمغرب، إلا أنها تعد متواضعة وشحيحة فيما يخص الدعوة بالمغرب ومعالم نشاط الداعية فيها، وبالتالي فهي لا تقدم معلومات كافية، ولا تجيب عن أسئلة انتشار الدعوة ومن كان صاحبها ومتى بدأ العمل عليها.

الدعوة الشيعية الإسماعيلية من خلال رحلة وكتابات ابن حوقل:

عرفت بلاد المغرب الأوسط والغرب الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة قدوم العديد من الرحالة المشارقة، والذين تعددت دوافع رحلاتهم، غير أنهم دونوا معالمها السياسية والحضارية ووصفوا حياتها الاجتماعية والاقتصادية وحتى المذهبية منها ولعل من بين أهم تلك الرحلات والتي تزامنت مع فترة قيام وتوسع الخلافة الفاطمية في البيئة المغربية هو الرحالة ابن حوقل النصيبي.

إن المعلومات حول أبي القاسم البغدادي والملقب "بابن حوقل" أو " الحوقلي" وهو المعروف عنه أنه رحالة عربي عراقي غادر مسقط رأسه بغداد في شهر رمضان من عام331هـ/943م[6]، دامت ثلاثين عاما دونها في مؤلف" **المسالك والممالك والمفاوز والمهالك**" أو مؤلف" **صورة الأرض**" والتي تعرض فيها" **رجالات أهل البلدان**

---

[1]– جعفر بن علي الحاجب، 116.

[2]– هذا الخبر جاء عكس رواية ابن الهيثم والذي أكد على أن المغرب الأدنى وإفريقية كانت محفوفة بأعداد وجاليات عربية شيعية غالبيتها إمامية. ينظر: ابن الهيثم، 60- 63.

[3]– نفسه، 116.

[4]– نفسه، 116

[5]– نفسه، 116.

[6]– أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، (ط1، القاهرة/ مصر: شركة نوابغ الفكر، 2009)، 07.

وأعيان ملوكها من ذوي السلطان وأهل الإمكان، والمقدمين في كل ناحية وبلد بالإحسان..."[1] إضافة إلى تعرضه وذكره للأقاليم و" مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها..."[2]، وقد حظي الغرب الإسلامي باهتمام كبير من طرفه بحيث أنه زار بلاد المغرب ودون معلومات في غاية الأهمية حول معالمه ومآثره، وهذا ما قاد العديد من الباحثين إلى إثارة نقطة علاقة ابن حوقل بالتشيع والخلافة الفاطمية، حيث يذهب الكثير من الباحثين إلى أنه كان جاسوسا وعينا للفواطم في بلاد الأندلس وقد كتب تقارير عديدة عن أعداءهم(بنو أمية) وفضح فيها عوراتهم.

أما عن مكانة رحلته إلى أرض المغرب الأوسط فقد زار المنطقة مرتين في الذهاب والعودة، ويبدو أنه زارها في حدود سنة 336هـ/947م أو 337هـ/938م بحكم أنه دخل المهدية في هذه السنة وفي هذا يقول:" أدركتها سنة ست وثلاثين وملوكها كماة وجيوشها حماة وتجارها طراة..."[3]واختلط بساكنها ودون معالمها وأحصى قبائلها، كما أنه تعرض إلى جوانب عديدة من حياتها الاجتماعية والمذهبية، إضافة إلى أن هواه كان معلقا بالفواطم، ولا أدل على ذلك من توصيفه لسلالة عبيد الله المهدي بعبارة " موالينا عليهم السلام"[4].

أما بخصوص المغرب الأوسط والذي كان عند زيارته له تحت الحكم الفاطمي والذي كانت تنازعهم قوى مذهبية محلية كالخارجية الاباضية التي تفجرت في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، والأمويين في الأندلس، وقد تضمنت زيارته تفصيلا عن الحياة الاقتصادية[5]، والتي شملت مختلف مدنه وحواضره الكبرى.

---

[1]– أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، 7– 8.

[2]– نفسه، 08.

[3]– نفسه، 77.

[4]– نفسه، 108.

[5]– لتفاصيل أكثر عن الحياة الاقتصادية في أرض المغرب الأوسط من خلال مؤلف صورة الأرض ينظر: **سامعي إسماعيل، الحركة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال صورة الأرض لابن حوقل القرن4هـ/10م، ع21، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، (قسنطينة/ الجزائر: 2006)، ج1، 171– 188.**

أما عن الدعوة الإسماعيلية التي سبقت قيام الخلافة فإن الحديث عنها مغيب بالكامل في كتابات ابن حوقل بالرغم من أنه تعرض إلى المجالات التي انتشرت فيها على غرار إيكجان وسطيف، وما أشار إليه هو تشيع القبائل التي كانت مجاورة لسطيف من خلال نشاط أبي عبد الله الداعي، إضافة إلى حديثه عن عادات وتقاليد[1] شاذة نسبها إلى كتامة سطيف[2]، وهذا ما نفنده وإن كنا نعدم سبب ادعاء ذلك ابن حوقل إلا أننا في المقابل نؤكد أن المصادر التي سبقت ابن حوقل وزارت المنطقة لم تتعرض إلا هكذا أفعال مارستها تلك القبائل وحتى المصادر الإسماعيلية وعلى رأسها القاضي النعمان والتي أرخت لدور مدينة سطيف وأهلها في مقارعة الجماعة الإسماعيلية فلم تذكر عنهم أنهم تخلقوا بأخلاق ذميمة وهذا الادعاء قد نقلته المصادر التي أرخت للمنطقة فيما بعد ومن بينها جغرافية الإدريسي. إضافة إلى هذا فابن حوقل أورد في رحلته معلومات محتواها يتعارض مع ماذكرته العديد من مصادر عصره، لاسيما تلك التي اتهم فيها الشعوب والأجناس في أعراضهم ومن أمثلة ذلك توصيفه لخليفة الأندلس بالضعف وفي هذا يقول:" ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم، وبعدهم عن اليأس والشجاعة والفروسية والباسلة ولقاء الرجال ومراس الأنجاد والأبطال..."[3] مع العلم أن الأندلس في هذه الفترة كانت تعيش أوج مجدها تحت راية الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله والذي وحدها وغزا ممالك النصارى في عقر ديارهم ودانت له أجزاء كبيرة من بلاد المغرب وخطبت له زناتة المغرب الأوسط على منابرها.

[1]– لتفاصيل أكثر عن العادات والتقاليد في العالم الإسلامي عموما، وبلاد الغرب الإسلامي على وجه الخصوص من خلال رحلة إبن حوقل. ينظر: سمار سعد عبود، ابن حوقل– دراسة تاريخية في كتابه" صورة الأرض"–،(ط1، دمشق/ سوريا: دار تموز، 2016)، 104– 112.

[2]– في هذا الشأن يذكر ابن حوقل:" وسطيف يضيفون المارة ويطعمون الطعام، ويتخلق قوم منهم بخلق ذميم من بذل أنفسهم لأضيافهم على سبيل الإكرام ولا يحتشمون من ذلك، وأكبرهم وأجله كأصغرهم في بذله نفسه لضيفه حتى يلح به، وقد جاهد على ذلك أبو عبد الله الداعي لبعضهم إلى أن بلغ بهم كل مبلغ فيما تركوه" وذكر في موضع أخر " ومدينة سطيف ... وبربرها بالصورة التي ذكرتها من بذل الطعام والأولاد، وكان أصل ما استباحهم به أبو عبد الله الداعي على بذل أولا دهم لأضيافهم، فإني سمعت أبا علي بن أبي سعيد يقول: إنه ليبلغ به فرط المحبة في إكرام الضيف أن يؤثر الصبي الجليل الأب والأصل، الخطير في نفسه بمضاجعة ضيفه ليقضي منه نهمته وينال منه الحرام وربما وقعت شهوة أحد الباطل في جليل من فرسانهم وشجعانهم فلا يمتنع عليه منه مطلب من الباطل، ويرى ذلك كرما وفخرا والإباء عنه عارا ونقصا...". ينظر: ابن حوقل أبي القاسم النصيبي، 96–97.

[3]– أبي القاسم ابن حوقل النصيبي ، 108.

الدعوة في كتابات الداعي المطلق عماد الدين إدريس القرشي(ت872هـ/1467م):

تعد رواية الداعي عماد الدين إدريس القرشي[1] من بين أهم الكتابات التاريخية الإسماعيلية في مراحلها المتأخرة، وترجع أهميتها بسبب أن صاحبها كان داعيا يمنيا وترقى ليصل إلى مرتبة الداعي المطلق، كونه مشرفا على الدعوة الإسماعيلية في كافة أصقاع الأرض إضافة إلى كونه رجل سياسة وحرب.

وقد أفادت إشارته حول الدعوة وطقوسها، على أن ما كان يقوم به الحلواني في بلاد المغرب مع المستجيبين هو من ضمن الطقوس التي كانت لدى المدرسة الدعوية الإسماعيلية خلال القرن3هـ/9م، وهذا دلالة على أن وفود الحلواني وأبا سفيان كان بعد ظهور الجماعة والدعوة الإسماعيلية وانتظامها في البلاد الشامية، وتشكل مدرستها الفكرية والفلسفية، عكس مايذهب إليه القاضي النعمان أنها بدأت مع العالم جعفر الصادق نزيل المدينة المنورة والذي وإن كانت الشيعة في عهده ذات نشاط سياسي كبير ظاهر ومستتر من رؤوس معلومة ومجهولة غير أنها لم تصل إلى ماوصلت إليه إسماعيلية القرن 3هـ/9م من طقوس: الغنوصية[2]، والفلسفة، والباطن، والتأويل، وغيرها، والطقس الذي كان يمارسه الحلواني هو **أخذ العهد عن المستجيبين** وفي هذا يقول الداعي إدريس عن أبي المفتش أنه كان من هؤلاء الذين أدركوا الحلواني **وأخذ بعهده**[3].

---

[1]– الداعي عماد الدين إدريس القرشي: هو إدريس عماد الدين بن الداعي الحسن بن الداعي عبد الله بن علي بن محمد بن حاتم القرشي، غير معروف تاريخ ولادته غير أن المرجح من قبل المؤرخين أنه كان نهاية ق8هـ/14م أو مطلع ق9هـ/15م، وبدأ دوره كداعي مطلق باليمن سنة 832هـ/1428موقد شهدت الدعوة في عهده انتشارا كبيرا وعرف بأنه أحد مؤرخي وفقهاء الإسماعيلية نهاية العصر الوسيط، وقد خلف تراثا ضخما تراوح بين التاريخي والفقهي وغيرها من علوم الإسماعيلية المعروف منها مايلي: نزهة الأفكار، رسالة في الرد على الزنديق، زهر المعاني، رسالة البيان، عيون الأخبار وفنون الآثار، رسالة مدحضة البهتان وموضحة الحق في صوم شهر رمضان، توفي سنة872هـ/1468م. الخربوطلي علي حسني، عماد الدين إدريس الداعي والمؤرخ الفاطمي، (القاهرة/ مصر: دار العلوم للطباعة، 1973). الزركلي خير الدين، الأعلام– قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين–، (ط15، بيروت/ لبنان: دار العلم للملايين، 2002)، ج1/ 279.

[2]– الغنوصية: مدرسة فلسفية ظهرت في القرون الأولى بعد المسيحية، والتي مزجت اللهوت المسيحي مع ديانات الشرق القديمة والأفلاطونية المحدثة، وهي تؤمن بصلة روحية أولى، لايمكن إدراكها تبتدئ في الفيض وتتعارض مع العالم المادي الذي هو مصدر الشر. ينظر: **سامعي إسماعيل، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ، 491**. لتفاصيل أكثر عن الغنوصية في التاريخ الإسلامي ينظر: فراس السواح، طريق إخوان الصفا: المدخل إلى الغنوصية الإسلامية، (ط3، دمشق/ سوريا: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2016). هاينس هالم، الغنوصية في الإسلام، تر: رائد الباش– مرا: سالمة صالح– رائد الباش، (ط2، بيروت/ لبنان: بغداد– العراق، منشورات الجمل، 2010).

[3]– الداعي إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس، 87. أدرجنا عبارة **"عهده"** ضمن التحقيق الثاني لمحمد اليعلاوي، أدرجها مصطفى غالب بعبارة **"بعده"**، ورجحنا أنها **عهده**، وهي التي تتوافق مع سياق الحديث. وبقية الأطروحة كلها اعتمدنا على تحقيق مصطفى غالب. الداعي إدريس عماد الدين القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب– القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار–، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1985)، 87.

ثالثا: الدعوة في البيئة المغربية من خلال النصوص الإباضية

من الطبيعي أن المصادر الإباضية قد أولت اهتماما بتاريخ الخلافة الفاطمية وأخبارها بحكم أنها هي التي أسقطت الرستميين بتاهرت والمدرارين بسجلماسة[1]، وإن كانت هذه المصادر قد قدمت تفاصيل حول هذه الدولة وتوسعها وعلاقة حكامها بالجماعات الإباضية اللاجئة إلى صحاري المغرب الأوسط وافريقية، وشذرات عن دعوتها غير أن الأمر يتغير بالنسبة للصفرية، والتي لم تؤرخ للخلافة الفاطمية ودعوتها بل إن الباحث حول تاريخ مملكة سجلماسة لا يجد معلومات حولها إلا إذا فتش في النصوص الإخبارية الإباضية والسنية وحتى الشيعية هذه الأخيرة تعد مصدرا مهما حول تاريخ سقوط هذه المدينة.

1: غياب أخبار الدعوة في أدبيات وإخباريات القرنيين الثالث والرابع هجريين:

تمكنت الجماعة الإباضية في المغرب الأوسط من تحويل دعوتها الدينية إلى مشروع سياسي منذ حوالي 160هـ/777م حيث عكف أئمتها على استقطاب أتباعهم إلى تاهرت، وعملوا على تشيجع عمرانها، ونشر العلوم والفنون فيها، ورغم تلك الإنجازات إلا أنها لم توثق في كتابة تاريخية تمجد تلك المرحلة كما هو متعارف عليه، وما كتب يبقى شحيحا ولا يوفي بالغرض، وما وصلنا منه هو:

رواية إخبارية لمؤرخ غير إباضي استقر بتاهرت وهو ابن الصغير المالكي.

أ: أخبار الأئمة الرستميين والتاريخ السلالاتي

تعد رواية **"أخبار الأئمة الرستميين "** أهم وأقدم رواية تاريخية في المغرب الأوسط حول الإباضية في إطار ما يعرف بالتاريخ السلالاتي[2]، وفيها أرخ ابن الصغير للأسرة الرستمية وقيام دولتها إلى غاية أحداث سنة 294هـ/906م[3]، ورغم أن صاحبها تحدث بإسهاب عن الأسرة الرستمية، والثورات التي قامت ضدها، وعلاقاتها، وعن الطوائف والتشكيلات المذهبية بتاهرت وما جاورها، إلا أنه لم يتعرض إلى الحديث عن الإباضية الموجودة في مجالات الشيعة عموما، والإسماعيلية منها على وجه الخصوص، فمن المعلوم أن حدود الدولة الرستمية لم تكن قارة ومتواصلة حيث أننا نجد الكثير من الأقليات الإباضية والتي استوطنت في مجالات لا تتبع لسلطة

[1]– بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي:296-362هـ/909-973م (الجزائر– ليبيا– تونس– المغرب)، (إربد/ الأردن– قسنطينة/ الجزائر: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع– دار بهاء الدين، 2010)، 40.

[2]– علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، 153.

[3]– وهي السنة التي انتهى فيها حكم الإمام أبي حاتم وخلفه على تاهرت الإمام الأخير اليقظان ابن أبي اليقظان والذي شهدت فترة حكمه نهاية بني رستم ودخول أبي عبد الله الشيعي لتاهرت.

الرستمين، والأمر ينطبق على إباضية جبال الأوراس وإباضية بلاد كتامة، كما أنه لم يتعرض عن توجه جيش الإسماعيلية إلى أعماق بلاد الإباضية في المغرب الأوسط وسقوط عاصمتهم تاهرت عام 296هـ/909م .

إن هذا السكوت عن النشاط المذهبي القوي يمكن رده إلى المسائل التالية:

– عدم تعرض الإباضية في المناطق ذات النفوذ الشيعي والإسماعيلي إلى المضايقات والحروب مما جعل المصادر تسكت عنها، عكس إباضية المجالات الأخرى جبل نفوسة التي دخلت في العديد من الحروب والصراعات جعلت المصادر الإباضية وصاحب أخبار الأئمة الرستميين يتعرض لأحداثها.

– إن توطن الإباضية في أعماق مناطق الشيعة لم يكن ذا تأثير كبير مذهبيا ولا حتى سياسيا، بحكم أن هذه المناطق لم تنتشر فيها الإباضية، ولم تصبح ولايات أو أقاليم خاضعة لسلطان الرستمية.

– انقطاع أخبار صاحب الرواية قبيل 296هـ/909م أي قبيل سقوط تاهرت في يد جيش الدعوة الإسماعيلية، واحتمال موته جعل مصنفه خال من أخبار الحركة الثورية المذهبية الجديدة.

وبالتالي فإن المصادر الإباضية والتي أرخت للمغرب الأوسط خلال القرن3هـ/9م قد أهملت التواجد الشيعي الإسماعيلي في المنطقة وأخبار دعوته.

2: الدعوة الإسماعيلية في أدبيات وأخبار القرنيين الخامس والسادس الهجريين:

أ: أبي زكريا يحي بن أبي بكر(ت471هـ/1081م) مؤرخا لدعوة الإسماعيلين ودولتهم

يعد مؤلف سير"الأئمة وأخبارهم" والمعروف "بتاريخ أبي زكريا" ذروة الكتابة التاريخية عند مؤرخي الإباضية الوهبية، وكان سبب تأليف الكتاب هو لما رأى أبي زكريا يحي بن أبي بكر ما" **أنطمس من الآثار، وما أندرس من الأخبار**"[1] وهذا بعد سقوط الإمامة وتفرق جماعتها فعزم على:" **تأليف أخبار من سلف من الأشياخ، أهل هذه الدعوة وصلحائها ونذكر مناقبهم، وحسن سيرهم، وجميل مذاهبهم، ونشر فضائلهم...**"[2] وقد تعرض أبو زكريا في كتابه إلى: "دخول العقيدة الإباضية (الفكر الاباضي) إلى المغرب وتطورها، وعن تاريخ الرستميين وسقوطهم، وعن مقاومة الإباضية للفاطميين، كما(ترجم للعديد من الأعلام للمغربين الأدنى والأوسط) يزودنا بسير عدد من أعلام الإباضية المشهورين من مواليد الجنوب الجزائري والتونسي من القرنين الرابع والخامس"[3]، ويعتبر أبي زكريا يحي أول مؤرخ إباضي أرخ للإسماعيليين في بلاد المغرب الأوسط، ومؤلفه يعد مرجعا أساسيا لتاريخ الإباضية ومصدرا مهما

[1]– أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 39.

[2]– نفسه، 39.

[3]– ليفيتسكي تادايوش، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، تر: ماهر جرار– ربما جرار، (مؤسسة تاوالت الثقافية، 2007)، 83.

للدولة الرستمية بتيهرت[1]، وروايته في عداد أحد أهم الروايات التاريخية حول الوجود الإسماعيلي في بلاد المغرب وهذا بسبب أنها خالفت في مضمونها على ما كان متعارفا ومتداولا في روايات الشيعة والسنة.

أ: رحلة الإمام قبل الدعوة والداعي

استفتح أبو زكريا روايته حول الدعوة وتاريخ الفواطم بإسناد الحديث إلى جماعة من أصحابه دون ذكرهم" حدث غير واحد من أصحابنا"[2]، كما أنه ربط الأمر كله بانتقال ورحلة الإمام عبيد الله مخالفا بذلك بقية المصادر الأخرى والتي ذهبت إلى أن قدوم عبيد الله كان محصلة حاصل عن ظهور الدعوة واتساع مجالها، وكثرة أتباعها[3]، وتناول أبو زكريا شخصية المهدي بإقرار على أنه علوي، كما يبدو أنه تعامل معه بنوع من الاحترام المبطن إذ أنه لا يذكره بسوء ولا يتعرض له باللعن، عكس ما أورده عن داعيته أبي عبد الله الصنعاني[4]، وعن هذه الرحلة لم يذكر بداية انطلاقها، ولا عن خط سيرها، بل أنه اكتفى بذكر وجهتها التي كان عبيد الله على علم بها وأنه منها سيقام ملكه وعزه، وهذه الوجهة هي توزر[5].

وبخلاف المصادر الشيعية والسنية[6] التي تحدثت عن المغرب الأوسط عامة، ومجالات كتامة على وجه الخصوص كمسرح لأحداث الدعوة وقيام الدولة، وموطنا للدعاة وهجرة الإمام، فإن أبا زكريا يقدم لنا في روايته مدينة توزر بإفريقية على أنها هي مقصد الإمام، وكانت مدينة توزر تعد في مصاف المدن الأغلبية ومن خلال

---

[1]– سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي– تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين–، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1999)، 44

[2]– أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 164.

[3]– في هذا الشأن يذكر المقريزي:" وكان من خبر ذلك أن أبا عبد الله سير إلى عبيد الله رجالا من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليه ،وأنهم ينتظرونه ..." في حين أن مصادر أخرى ذكرت أن سبب خروجه من سلمية كان هربا من العباسين، الذين تفطنوا إلى دعوته ومن القرامطة الذين رفضوا إمامته وعزموا على قتله ، وفي هذا يقول:"...فرفع إلى الخليفة العباسي المعتضد ما انتهى إليه وقيل له في المهدي بالله وسأل أن يرد للقبض عليه ...وخرج اللعين بعد ذلك إلى سلمية (القرمطي)...ثم قصد دار المهدي ...أمر بها وبولد الإمام الذي في حجرها فقتلا وقتل جماعات من قربات الإمام وحرمه وخدمه وحشمه رحمة الله عليهم .وأمر بهم فألقوا في صهريج من الدار.وانتهب ما وجد في دار الإمام.. ". المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 103. الداعي إدريس عماد الدين، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 89– 93.

[4]– سماه أبي زكريا بالداعية الحجاني مخالفا جميع الروايات التاريخية، وقام بلعنه وذكر أنه كان منجما. أبي زكريا يحي بن أبي بكر، المصدر السابق، ص 168. الباروني سليمان، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مر: محمد علي الصليبي، (ط1، لندن، بريطانيا، دار الحكمة، 2005)، 345.

[5]– توزر: قاعدة بلاد الجريد في الجنوب التونسي وأكثفها غابات وأكثرها مياه، وكانت هذه المدينة موطنة في الفترة الوسيطة من بقايا الروم قبيل الفتح الإسلامي، إضافة لسكانها الأصليين من البربر والقبائل العربية التي جاءت بعد الفتح والتي هاجرت إلى المغرب خلال القرن5هـ/11م، وكان أهل المدينة مشهورون بأكل الكلاب ويرونه جائزا عندهم. التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، (تونس– ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1981)، 157– 172.

[6]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 47– 86. القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 415– 417. ابن عذاري المراكشي، 168– 173. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 42– 47. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 68.

رجوعنا إلى المصادر التاريخية والجغرافية لم تقدم لنا قرائن تثبت وجود شيعة أو دعوة خاصة بهم في هذه المدينة، وعلى العكس وحسب الرواية فإن عبيد الله المهدي لم يجد ضالته فيها رغم أنه كان يعتقد فيها سلفا أنها مبدأ دولته، ويطرح هذا الأمر إشكالية النبوءات ومدى وقوعها في المستقبل، والتي أكدت الأسطوغرافيا الإسماعيلية والسنية أنه فيما يخص الفاطميين تنبأت بقيام الدولة وحصار المهدية والانتقال إلى المشرق، لكن في رواية أبي زكريا تجعل النبوءة تفشل والمهمة تتعقد، ما أدى بعبيد الله المهدي إلى البحث عن موطن آخر.

إن القول بصرف اهتمام عبيد الله المهدي عن مدينة توزر إلى تاصورت يبدو غير معقول ولا يستند على حجج بينة، فإن ما ذكره أبو زكريا فيما يخص تحوله إلى الوجهة الجديدة كان بناء على المعلومات التي استقاها من سوق توزر، وهذا الأمر غير منطقي فكيف لإسماعيلي يسافر من المشرق إلى بلاد المغرب يبتغي قيام دولة، ويتوه في الأسواق ليستقصي منها أحوال وجهته، إضافة إلى مواصفات المدينة التي كان المهدي يبحث عنها، فمن المعلوم من مراحل الدعوة السرية هو خروج الإمام من مرحلة الكتمان إلى العلنية، ينتقل صاحب الأمر إلى المركز الذي تتعاظم فيه أتباعه ويتكاثرون وينتصرون، وهو الطريق الذي سلكه أبو العباس السفاح عندما دخل الكوفة التي كانت معقل شيعته، وما تذهب إليه المصادر الشيعية وحتى السنية، والتي ذكرت أنه بعد خروجه من سجنه توجه إلى إيكجان معقل أتباعه وأنصاره[1].

لم يصرح أبو زكريا عما إذا كان لعبيد الله في رحلته رفقة، إلا أنه من سياق كلامه يستنتج أنه كان معه أحد مواليه وهو الداعية أبي عبد الله الشيعي والذي ذكرته الرواية باسم الحجاني، ولم نقف على أحد من المؤرخين ذكره بهذا الاسم غير أبي زكريا، وقد يكون الحجاني تحريف للإيكجاني نسبة إلى إيكجان القلعة التي اتخذها مركزا لدعوته[2].

وتتعقد أحداث الرواية أكثر عندما يذكر أبي زكريا عن: قبول كتامة دعوته، " **فخلف فيهم مولى له يكنى أبا محمد ويسمى الحجاني يقرئهم القرآن ويشرح لهم مذهب التشيع** "[3]. وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: مادام عثر عبيد الله المهدي على المدينة التي يكون منه ملكه/ ومدام قبل أهلها دعوته فلماذا يترك هدا الموطن الأمن لشخصه ومشروعه، ويسافر في رحلة بعيدة إلى سجلماسة متوغلا في معاقل أعدائه من الإباضية والصفرية، والذين

[1]– ابن الهيثم، 119. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 288– 289. جعفر بن علي الحاجب، 131. عماد الدين إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون، الآثار، السبع الخامس، 107– 108. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 47. المقريزي تقي الدين ، اتعاظ الحنفا، 68.

[2]– لقبال موسى، دور كتامة، 233.

[3]– أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 165.

كانوا على علم بأنه طالب ملك حيث سخروا منه لما وصل ورجلان **"فرموا في وجهه وضربوا له القرون"**[1] ونفس الأمر بالنسبة لتشيع كتامة الذي تم بتلك البساطة، فمن المتعارف عليه في أدبيات تاريخ الدعوة الإسماعيلية أن أبا عبد الله الشيعي مكث في المجالات الكتامية أكثر من 15 سنة كان فيها داعيا ومحاربا، ولم تخلو له الساحة ويتقدم نحو الأغالبة إلا بعد أن انتصر فريقه الكتامي المؤيد لمشروعه، ضد الفريق الكتامي المعارض له.

إن رواية أبي زكريا شذت عن الروايات الأخرى وتفردت بالنقاط الآتية:

– افتقارها إلى عنصر التوقيت فيما ورد من أحداث، كما أن أحداثها انحصرت مابين دخول عبيد الله المهدي إلى توزر وتوجهه نحو تاصروت إلى غاية رجوعه من سجلماسة وهي المدة التي قدرها مؤرخو الإسماعيلية في حدود خمس سنوات، وبالتالي فإن الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب الأوسط ترجع إلى سنة 294هـ/906م.

– غموض أشخاصها ونحن هنا نشير إلى شخص الحجاني وهو نفسه الداعية أبا عبد الله الشيعي.

– التعقيد في أحداثها.

– خلافا لبقية الرواية حول الترتيب للزمني الدعوة فهي تخلو من المرحلة الأولى الخاصة بأبي سفيان والحلواني.

– تختلف عن البقية التي تحدد مناطق نشاط الدعوة، وهذا من خلال اتخاذها لمنطقة تاصورت منطلقا للدعوة.

– طرحها بهذا الشكل يتعارض شكلا ومضمونا مع أحداث دعوة بمثل ذلك الحجم والتأثير وتلك القوة التي أفرزتها، والتي تمكنت من خلالها الإطاحة بثلاث دويلات في أشهر معدودة.

ب: طبقات المشائخ لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(ت670هـ/1272م)

يعد هذا المصنف من المصادر الإباضية المتأخرة، وهو من عيون التراث الإباضي بالمغرب، ومن المصادر الأساسية التي أرخت للحياة العلمية والمذهبية والاجتماعية[2]، وقد اهتم صاحبه بتاريخ الإسماعيلية ببلاد المغرب، وإن روايته تخلوا من تفاصيل الدعوة الإسماعيلية في مرحلتها الأولى التي أرخت لها المصادر الإسماعيلية(مرحلة أبي سفيان والحلواني)، غير أنها تضم تفاصيل كثيرة ومهمة تختلف عن تلك الرواية التي أوردها صاحب السير، ويرجع السبب في ذلك إلى أن صاحب مؤلف طبقات المشائخ وهو يؤرخ لأحداث سقوط تاهرت وارتباطها بالحركة الشيعية في المنطقة اعتمد في نقله لأخبارها على العديد من المصادر منها" الرقيق في تاريخ إفريقية"[3]وقد عنون

[1]– أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 165.

[2]– سعيدوني ناصر الدين، 106.

[3]– الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، (قسنطينة/ الجزائر: مطبعة البعث، دت)، ج1/ 91.

الدرجيني لفصله هذا ب:" نبذ من أخبار عبيد الله ووقوعه بأرض المغرب وانتشار مذهب الشيعة بها، وما يتصل بذلك من الأخبار التي ذكرها"[1]، وتتضمن هذه الرواية ثلاث محاور أساسية:

المحور الأول: نسب المهدي وأخباره ووقوعه في بلاد سجلماسة مرورا بأرض المغرب الأوسط ومدينة وارجلان.

المحور الثاني: أخبار عبيد الله الشيعي وإسقاطه لتاهرت وتخليصه لعبيد الله المهدي ومسيره نحو وارجلان للانتقام من أهلها.

وكعادة معارضي الخلفاء الفاطميين عبر العصور فإن الدرجيني كانت المسألة الأولى التي تعرض لها حول المهدي هو الحديث عن نسبه إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح بأنه" غير ثابت"[2].

وعلى حسب رواية الدرجيني فإن عدن لاعة[3] من أرض اليمن، هي مركز الدعوة ومنها تفرق الدعاة، وكان يشرف عليها الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي، وأن داعية المغرب وهو عبد الله الحسن بن أحمد بن زكرياء الكوفي والمعروف "بصاحب البذر"[4] خرج إلى اليمن بأمر من الإمام الإسماعيلي والذي أمره بملازمة داعية اليمن وأمره بأن" يتمنى سيرته، وينتظر مخارج أفعاله، فيجتهد بها، ففعل"[5] وعن وجهته المغربية يتحدث أنه قصد مكة وإن خلت هذه الرواية من التحقيب إلا أنها أكدت على أن الداعية صادف مجموعة من حجاج كتامة **"وفيهم من تقدم له شيء من التشيع"** وفي هذا إشارة إلى أنه ببلاد المغرب الأوسط من قبائل كتامة من احتضن التشيع. غير أن هذه الإشارة غامضة بخصوص طريقة وعلى يد من تشيع هؤلاء: هل من بقايا الدعوة العلوية؟ أو كبار آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أو هي نتيجة من نتائج جهود الداعية أبي سفيان والحلواني؟. وهذا الأخير هو مانرجحه بإقرار المصادر السنية والإسماعيلية.

غير أن المتفحص لهذه الرواية يجدها غنية بتفاصيل غير متوفرة في بقية النصوص عن العلاقة بين الجماعة الإسماعيلية والسلطة الرستمية بأرض المغرب الأوسط قبيل 296هـ/909م والبداية برحلة الإمام عبيد الله والذي إتجه نحو بلاد المغرب قاصدا سجلماسة بحيث"اجتاز في طريقه وارجلان فاستخف به سفهاؤها، وحتوا في وجهه

---

[1]– الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، 91.

[2]– إن نفي النسب العلوي للخلفاء الفاطميين من طرف الدرجيني هو بناء على إتباعه رأي" بعض النسابين، وأصحاب التواريخ" والذين لم يشر لهم. ينظر: الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، 92.

[3]– عدن لاعة: قرية صغيرة قريبة من جبل صبر في نواحي اليمن، وبها ظهرت الدعوة الإسماعيلية وكانت معسكرا لتدريب الدعاة وإرسالهم إلى بقية الأمصار. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت/ لبنان: دار صادر، 1977)، مج5/ 7.

[4]– ذكره لعبارة صاحب البذر دلالة على اعتماده على المصادر الإسماعيلية والتي أرخت للدعوة وعلى رأسها مصنف "افتتاح الدعوة" لصاحبه القاضي النعمان ابن حيون المغربي.

[5]– الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، 92.

التراب يقولون: هذا الذي جاء من الشرق يطلب الملك..."[1] وهذا النص يتنافى مع النصوص الإسماعيلية والتي قدمت المهدي عبيد الله في أعقل وأكتم صورة والتي تستر فيها لأبعد الحدود عن سره ونسبه ووجهته، وبالغ وأحسن في التمويه حتى استطاع أن يتخلص من كل العقبات في طريقه لغاية وصوله إلى سجلماسة، إضافة إلى ذلك نستبعد كل الاستبعاد أن يطلب عبيد الله المهدي من الإباضية مساعدته ومبايعته وهو يعلم تمام العلم معتقدهم وموقفهم في المقابل غير بعيد عنهم كان الجيش الذي اتبع داعيته عبيد الله الشيعي قد ابتلع الحواضر والبوادي في مجالات كتامة، وتستعد للتوغل في أراضي المغرب الأدنى، لكن الأمر الأغرب هو أن الدرجيني ذكر في روايته أن عبيد الله المهدي تعرض للأذى من طرف سكان وارجلان حيث أنه وبعد تخليصه من بني مدرار ومبايعته بالمغرب الأدنى" وجه عسكرا عظيما إلى وارجلان"، بغرض الانتقام من أهل المدينة، ورغم إشارة الدرجيني إلى تخريب الجيش لها، إلا أنه لم يصل إلى أهلها وهذا بسبب اعتصامهم" بكدية حصينة شهيقة "[2].

رابعا: الدعوة في البيئة المغربية من خلال النصوص السنية.

أ: النصوص المغربية خلال القرن4هـ/10م

أنتج علماء وفقهاء المالكية مؤلفات كثيرة وعديدة تزامنت مع قيام وتوسع الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي أشارت في ثناياها إلى الصراع المذهبي المحتدم بين الجماعة الإسماعيلية وفقهاء المالكية ومشاركة بعض الشخصيات المذهبية منها:

[1]– أبي العباس أحمد بن سعيد، 93.

[2]– نفسه، 95.

– كتاب طبقات علماء إفريقية:

صاحب هذا المصنف هو محمد بن حارث بن أسد الخشني(ت361هـ/971م) والمكنى بأبي عبد الله، كان مولده بالقيروان أواخر القرن 3هـ/9م، وقضى حياته بالأندلس وهو من كبار علماء الغرب الإسلامي خلال القرن4هـ/10م، صنف الخشني مؤلفات عديدة في علوم كثيرة تراوحت بين: الفقه والتاريخ والسير وغيرها[1].

أهم مؤلفاته الذي له صلة بالحياة المذهبية بأفريقية خلال العصر الفاطمي هو" **طبقات علماء افريقية"**[2]، ويبدو أن هذا الكتاب وصل مبتورا بحكم أن الخشني لم يترجم للقضاة منذ ظهورهم بعد الفتح، والكتاب يقع في ثلاثة أجزاء. الأول والثاني خاصين بعلماء القيروان، والثالث بالعلماء الذين اختصوا بالجدل والمناظرة وقد امتحنوا أو نكبوا.

وكتابه هذا غني بتاريخ الإسماعيلية غداة قيام الخلافة الفاطمية، وهو المصدر السني الأول الذي ترجم للعديد من فقهاء المالكية والأحناف والذين تشرقوا بمعنى تشيعوا، كما ترجم لأولئك العلماء الذين واجهوا الدعوة الإسماعيلية وتصادموا مع الداعية أبي عبد الله الشيعي وأخاه أبو العباس المخطوم، كما أنه ترجم لأولئك الذين نكبوا من طرف الخلفاء الفاطميين وعلى رأسهم عبيد الله المهدي.

وأثبت بعض المناظرات التي كانت محتدمة بين علماء المالكية ودعاة الإسماعيلية، في عدد من المجالس، وقدم منها أربعة مجالس مفصلة مواضيعها بعض القضايا العقدية والفلسفية[3]. غير أنه لم يتعرض للأحداث التي سبقت عام296هـ/909م من انتشار للتشيع، أو حتى التدابير التي اتبعتها الإمارة الأغلبية في مواجهته.

---

[1]– تتلمذ الخشني على يد كبار علماء عصره من أمثال: أحمد بن نصر، أحمد بن زياد، ابن اللباد، قاسم بن أصبغ، أحمد بن عبادة، الحسن بن سعد، وقد نبغ في صغره وقبل توجه إلى قرطبة وقد رآه أحد الفقهاء "سنة11هـ .(يعني 311هـ/923م)في مجلس أحمد بن نصر وهو شعلة يتوقد في المناظرة". وبعدها رحل إلى الأندلس وصاحب ولي عهدها آنذاك والذي أصبح فيما بعد خليفة الأندلس " الحكم المستنصر بالله"، وطلب منه هذا الأخير تأليف العديد من الكتب له، ومن بين هذه الكتب مايلي: أصول الفتيا في الفقه على مذهب الإمام مالك. قضاة قرطبة.أخبار الفقهاء والمحدثين. عن حياته ومؤلفاته ينظر: ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله بن محمد، تاريخ علماء الأندلس– تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس–، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 2011)، 338– 384. الخشني محمد بن حارث، أصول الفتيا في الفقه على مذهب الإمام مالك، تح– تع: الشيخ محمد المجذوب– محمد أبو الأجفان– عثمان بطيخ، (الدار العربية للكتاب – المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985). الخشني محمد بن الحارث، قضاة قرطبة، تح: إبراهيم الأبياري، (ط2، بيروت/ لبنان– القاهرة/ مصر: دار الكتاب المصري، – دار الكتاب اللبناني، 1989). الخشني محمد بن حارث، أخبار الفقهاء والمحدثين، تح: ماريا لويسا أبيلا– لويس مولاينا، (مدريد/إسبانيا: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، 1991).

[2]– الخشني محمد بن حارث، طبقات علماء إفريقية، تق– تح– تع: محمد زينهم محمد عزب، (ط1، القاهرة/ مصر: مكتبة مدبولي، 1993).

[3]– عن تفاصيل هذه المناظرات من وجهة نظر سنية والتي كانت بين "أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد" و "أبا العباس المخطوم". ينظر: الخشني محمد بن حارث، 62– 71.

الدعوة الإسماعيلية في نصوص الوراق(ت363هـ/944–945م):

يعد محمد بن يوسف الوراق أحد أهم رواد المدرسة التاريخية المغربية خلال القرن 4هـ/11م، كان مولده سنة292هـ/904م من عائلة أندلسية أصولها من واد الحجارة، وقد كان منشأه بالقيروان، وعني بالعلم، واستقر بقرطبة حيث عاش وتوفي بها[1]، ولعل من دوافع هجرته نحو الأندلس هروبا من الفاطميين، ومؤازرة وتشجيع للأمويين، وقد نال الوراق حظوة كبيرة ومكانة خاصة لدى ثاني خلفاء الأندلس الحكم المستنصر بالله وقد ذكر الحميدي أن محمد بن يوسف الوراق" **ألف بالأندلس للحكم المستنصر كتابا ضخما في: مسالك إفريقية وممالكها، وألف في أخبار ملوكها، وحروبهم، والغالبين عليهم، كتبا جمة، وكذلك ألف أيضا في أخبار تيهرت، ووهران، وتنس، وسجلماسة، ونكور، والبصرة، هنالك، وغيرها تواليف حسانا**"[2]، والعديد من الكتب التي فقدت[3]، ورغم ذلك فقد حفظت مؤلفات المؤرخين نصوصا منها لاسيما تلك التي تتعلق بقيام الخلافة الفاطمية والتي نقلها ابن عذارى المراكشي في مؤلفه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب وابتدأ الحديث عنها بعبارة قال الوراق وغيره، غير أن رواية الوراق قد تختلف الروايات الإسماعيلية وحتى تلك السنية الناقلة عنها، وهذا بسبب أن هذا الأخير لم يشر أو يلمح إلى أي إشارة تذكر بوجود دعوة أبي سفيان والحلواني، بل إنه حتى في سياق حديثه عن دعوة أبي عبد الله الشيعي ذكر أنها ابتدأت بسبب فشل دعاة الشيعة في بسط الدعوة وإقامة الدولة[4] إلى أن" **تفاوضوا وتراسلوا على أن يرسلوا داعيا إلى المغرب، يدعو الناس إلى التدين بحب أهل البيت، وتكاتبوا بذلك من سائر الأفاق**"[5]. وما يلاحظ على هذا الخبر الذي أورده الوراق أنه يحمل قدرا من الغموض، وهذا بوضعه الشيعة في كفة واحدة، وهذا بعدم تحديده للجماعة الشيعية التي أرسلت الداعية، ولم يحدد الأشخاص الذين تفاوضوا وأرسلوا داعية المغرب، أما عن بداية الدعوة فهي من موسم الحج غير أن وفد حجاج المغرب حسب رواية الوراق لم يكونوا من قدماء الشيعة

[1]– ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ، التكملة لكتاب الصلة، تح– ضبط– تع: بشار عواد معروف، (ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2011)، ج2/ 373.

[2]– الحميدي أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح– تع: بشار عواد معروف– محمد بشار عواد، (ط1، تونس/ تونس: دار الغرب الإسلامي، 2008)، 145.

[3]– من بين هذه المؤلفات المفقودة " المقابس في أخبار المغرب وفاس". ينظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، در– تح: عبد القادر بوباية، (ط1، الرباط/ المغرب: دار أبي الرقراق للطباعة والنشر والتوزيع، 2005)، 127.

[4]– ابن عذاري المراكشي، 168.

[5]– ابن عذاري المراكشي، 168.

مخالفا بذلك كل الروايات[1]، بل إن الشيخ الذي كان معهم ويعظهم كان من معتنقي المذهب النكاري الإباضي[2]، فهل يكون ذلك الشيخ من فرع بني عفنيت الكتاميين، والذين ذكرهم القاضي النعمان في الافتتاح وقال بأنهم "كانوا يذهبون إلى مذهب الإباضية قديما، ليس في جميع كتامة من يذهب إلى ذلك غيرهم"[3]؟.

وبالرغم من مخالفة هذه الرواية في الكثير من أجزاءها لما ورد في بقية الروايات غير أن لها أهمية بالغة بسبب تقديمها لشذرات وضحت معالم الحياة الفكرية التي كانت منتشرة على أرض المغرب الأوسط، كما أشارت إلى الآليات التي اتبعها الداعية في بسط ونشر فكره ومذهبه.

الدعوة الإسماعيلية في نصوص القرن5هـ/11م

الدعوة في مؤلف "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب":

مما سبق ذكره أن بلاد الغرب الإسلامي كانت محل زيارة ووصف من طرف العديد من الجغرافيين والرحالة المشارقة، غير أن هذا لا ينفي وجود مدرسة جغرافية مغربية كان لها إسهام كبير في التعريف بمدن وحواضر المغرب الإسلامي، وتدوين تواريخها، ولعل من بين أهم تلك الكتابات مصنف" **المسالك والممالك**" لصاحبه **"عبيد الله البكري"**. والذي وإن كان بعيدا نسبيا عن تاريخ الدعوة الإسماعيلية وحتى الخلافة الفاطمية، إلا أنه تضمن معلومات وإشارات حول التشيع والشيعة ومناطق تواجدهم، وهذا الذي لم نلحظه عند ابن حوقل الذي كان نسبيا قريبا جدا من فترة موضوع البحث وإن خلا موضوعه من انتشار التشيع أو نوع التشيع المنتشر إلا أن ذكره لبعض المناطق وإطنابه فيها يضفي على روايته أهمية، ومن بين تلك الإشارة التي تحدث عنها هو وجود بيئات حاضنة للتشيع منها مدينة نفطة التي ذكر أن" **أهلها شيعة وتسمى الكوفة الصغرى**"[4]، وهذه الإشارة رغم أهميتها غير أنها تعيد التساؤل حول تاريخ تسرب التشيع لهذه المدينة، ومن هو صاحب ذلك، وما طبيعة التشيع الذي كان منتشرا فيها، كما يجعلنا نخمن كثيرا في تعميم ظاهرة المتشيعين فيها لدرجة أن البكري سماها بالكوفة الصغرى كما سبق ذكره، وما تحمل هذه التسمية من معاني مذهبية.

---

[1]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 34. القاضي النعمان، شرح الأخبار، 415. عماد الدين إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون، الآثار، السبع الخامس، 45. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 41.

[2]– ابن عذاري المراكشي، 169.

[3]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 111.

[4]– البكري عبيد الله، 169.

إضافة لهذا فإن المصدر حفظ نصوصا قل وجودها في المصادر التي فصلت في الدعوة من بينها أبيات شعرية لصاحبها الداعية أبو عبد الله الشيعي مفتخرا بنفسه وبصنيعه في الحروب[1].

الدعوة الإسماعيلية في نصوص عز الدين ابن شداد الصنهاجي:

يعتبر الأمير عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي، أحد أعلام الكتابة التاريخية ببلاد المغرب وهو صاحب مؤلف ضخم تناول أخبار وسير ملوك المغرب سماه بـ" الجمع والبيان في أخبار القيروان ومن كان فيها وفي سائر المغرب من الملوك والأعيان"[2]، ورغم أن المصنف وكتابات الأمير في عداد المفقودة غير أن العديد من المصادر أخذت عليه واحتفظت بشدرات من نصوصه[3]، من بينها تلك التي أرخت للخلافة الفاطمية ودعوتها والتي تواجدت في كتابات تقي الدين المقريزي[4].

إن رواية ابن شداد الصنهاجي المتواجدة في كتابات المقريزي حول الحركة الإسماعيلية تتناولها بنوع من المعاداة[5]، وترجع أصولها على أنها تيار زندقة، أقطابها ومن نظروا لها ابتدعوا عقيدة الباطن، وكان من أنجب هؤلاء هو عبد الله القداح والذي يعزى إليه" بث الدعاة"[6]. وبالرغم من أن ابن شداد لم يتعرض إلى هؤلاء الدعاة ومناطق نشاطهم، لكنه في المقابل لا يتحدث أو يشير على أن هذه الحركة كان لها ارتباط بجعفر أو أله، بل يرى في أتباعها منتحلين ومظهرين للتشيع.

أما بخصوص الدعوة وانتشارها في المغرب فقد تحدث أن الدعوة امتدت إلى المغرب بجهود الداعيين أبي سفيان والحلواني بحيث تقدمت القيادة إليهما" بالوصول إلى أقاصي المغرب والبعد عن المدن والمنابر، وقالوا لهما:

---

[1]– الأبيات التي أوردها البكري على لسان أبا عبد الله كانت كالتالي:

من كان مغتبطا بلين حشية فحشيتي و أريكتي سرجي

من كان يعجبه و يبهجه نقر الدفوف ورنة الصنج

فأنا الذي لا شيء يعجبني إلا اقتحامي لجة الرهج

سل عن خميسي إذ ا طلعت به يوم الخميس ضحى على الفج

[2]– لتفاصيل أكثر عن عز الدين ابن شداد الصنهاجي، ينظر: عمارة علاوة، ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط، (مجلة التاريخ العربي، 2002)، ع21/ 67- 96.

[3]– من بين هؤلاء الذين نقلوا عنه في مؤلفاتهم: عز الدين ابن الأثير في مؤلفه" الكامل في التاريخ"، جمال الدين علي بن ظافر الأسدي في مؤلفه" أخبار الدول المنقطعة"، شمس الدين ابن خلكان في مؤلفه" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري في مؤلفه" كنز الدرر وجامع الغرر"... ينظر: علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، 15- 166.

[4]– المقريزي تقي الدين، المقفى، 65- 70.

[5]– الطالبي محمد، في تاريخ إفريقية– دائرة المعارف الإسلامية– عدد خاص، (ط1، قرطاج/ تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون– بيت الحكمة–، 1994)، 46.

[6]– المقريزي تقي الدين، المقفى، 66.

ينزل كل واحد منكما بعيدا عن صاحبه وقولا: قد قيل لنا: اذهبا فلمغرب أرض بور فاحرثاها واكرباها حتى يجيء صاحب البذر..."[1].

لم يتعرض ابن شداد إلى مصدر إرسالهما إلى المغرب وكل ما ذكره عبارة" وكانوا قد نفذوا إلى المغرب"[2]، ورغم ضبابية هذه العبارة، إلا أنها تختلف عن رواية الافتتاح حول البعثة الجعفرية، لكن تتبع سياق النص(من خلال نص ابن شداد) توحي بأنه هذه البعثة كانت لها علاقة وثيقة بدعوة اليمن وداعيتها ابن حوشب وأنها جاءت في عز نشاط الدعوة مع منتصف القرن 3هـ/9م، إضافة لهذا فإن ابن شداد أشار لأن الإمام الحسين والمستقر بسلمية كان" يدعي أنه الوصي وصاحب الأمر دون بني القداح ويكاتب الدعاة"[3]. فهل يكون داعيا المغرب أبا سفيان والحلواني قد نشطا زمن الحسين، وكانا من ضمن جملة الدعاة الذين أرسلهم وكاتبهم؟

الدعوة الإسماعيلية في نصوص القرن7هـ/13

الدعوة في مؤلف أبي عبد الله محمد بن علي بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي (ت628هـ /1232م)

يعد أبا عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي[4] من رواد المدرسة التاريخية ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الموحدي، ونظرا لتكوينه العلمي واشتغاله بالبلاط الموحدي ومشاهداته لانتشار العصبية المصمودية جعله يشعر بالحنين لمجد قبائل المغرب الأوسط وقبيلته التي ينتمي إليها وهي صنهاجة[5]، وكان هذا دافعا له لتأليف لتأليف كتاب" **النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة**" غير أن هذا الكتاب في عداد المؤلفات المفقودة، لكن هنالك كتاب آخر لابن حماد سلم من الضياع وهو "**أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**" وهو يعد من أهم ما ألف من طرف مؤرخي المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي حول الخلافة الفاطمية، ومادته العلمية تؤرخ لظهور الخلافة منذ ظهورها في بلاد المغرب إلى غاية سقوطها في القاهرة، وأغلبية مادتها تلك التي خصصت للطور المغربي من عمر هذه

---

[1]– المقريزي تقي الدين، المقفى، 68.

[2]– نفسه، 68.

[3]– نفسه، 69.

[4]– أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي: هو أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي أصله من قرية تعرف"بحمزة" من أحواز قلعة بني حماد والتي وصفها الغبريني بأنها "كانت حاضرة علم" ، تلقى العلم فيها ثم سافر نحو بجاية وتتلمذ على يد جمع من المشايخ الكبار على رأسهم أبي مدين شعيب، وعبد الحق الإشبيلي، ثم قام برحلة علمية تتلمذ فيها على مشايخ كبار في كل من الجزائر، تلمسان والعديد من حواضر المغرب الأقصى، ، عين واليا للدولة الموحدية في كل من:الجزائر، سلا، الجزيرة الخضراء، له العديد من المؤلفات منها: "برنامجه"، "الإعلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الإشبيلي"، "شرح مقصورة ابن دريد"، "النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية"، توفي سنة 628هـ/1232م. ينظر: الغبريني أبو العباس أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح– تع: عادل نويهض، (ط2، بيروت/ لبنان: منشورات دار الأفاق، 1979)، 218– 220.

[5]– علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط، 163.

الخلافة، وبالتالي فمن المرجح أنه استقاها من تلك المصادر المباشرة والتي غالبها الآن مفقود على غرار"سيرة كتامة" وقد لمح في مقدمة كتابه على أن مادته" **بعضها...من مفرقات التواليف"**، وبعضها الأخر يذكر أنه سمعها عن الذين وثق منهم بالتعريف[1]، ويبتدئ في كتابه بمناقشة نسب أول خليفة ألا وهو عبيد الله المهدي ويعزف عن عرض آراء النافين للنسب وهذا بسبب موقفه الشخصي والمؤيد لهم وفي هذا يقول" **والذي ادعاه الناس لابرهان عليه فلا حاجة لي إليه"**[2]، بعدها يتعرض إلى رحلته مركزا على حجم الأخطار التي أحاطت به وعن معرفة أعدائه وخبرته وصفاته وسبب رحلته، وكذا الصفات التي تميز بها والتي أهلته بأن يموه أعدائه ويتخلص من مراقبتهم في الحواضر والبوادي، وكان الطلب عليه من بني العباس حثيث، والكتب تنفذ إلى سائر الأمصار، وعامة الأقطار، باسمه، صفته، زيه وهيئته، وبأن يقبض عليه متى عرف، وأن يثقف متى ثقف، فلم يزل بكل بلد تذكى عليه العيون، وتظن بأشياعه الظنون، ويخلص من أيدي الحكام، وولاة الأحكام، خلاص الأمن من نسج المرام..."[3]ولم يذكر ابن حماد تاريخ هذه الرحلة ولا خط سيرها في بلاد المغرب، وإنما ذكر فقط الوجهة التي انتهت إليها رحلته(عبيد الله المهدي) وهي" **سجلماسة إما بعلم سبق، وإما بشيء اتفق"**[4]، أما بخصوص الدعوة فإن الذي أقامها هو أبو عبد الله الحسين أحمد بن محمد المعروف "**بالمحتسب**" و"**المعلم**"، ولم يذكر الصنهاجي تاريخ نزول أبي عبد الله وأخاه أبا للعباس المخطوم بالمغرب، بل ذكر أنه وأثناء رحلة وسجن الخليفة الأول عبيد الله المهدي أستقر أبا عبد الله بالمغرب، ولم يتحدث عن تفاصيل دعوته وما كان ينشره بل ذكر فقط أنه عرف بالمعلم"لأنه كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية"[5]، وأنه لما تم له ما أراد" **قاد الأجناد، والأنجاد، واستفتح المدن وملك البلاد"**[6] ورغم التفاصيل التي قدمها ابن حماد في مرحلة الدولة لاسيما تلك المتعلقة بالسياسة المذهبية الفاطمية، ونظم حكمهم ببلاد المغرب وتفاصيل دقيقة حول ثورة أبي يزيد، إلا أن مرحلة الدعوة خالية تماما من دعوة أبي سفيان والحلواني، ورحلة الداعية الصنعاني وتفاصيل دعوته وعلاقته بالقبائل عدا أنه بنى دار هجرته" بموضع يعرف بإيكجان على مقربة من قسنطينة وسمى أتباعه وأشياعه من كتامة وغيرهم المؤمنين"[7].

---

[1]– محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح– در: التهامي نقرة– عبد الحليم عويس، (القاهرة/ مصر: دار الصحوة للنشر والتوزيع، دت)، 34.

[2]– نفسه، 35.

[3]– محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، 36.

[4]– نفسه، 36.

[5]– نفسه، 36.

[6]– نفسه، 37.

[7]– نفسه، 37– 38.

الدعوة الإسماعيلية في كتابات عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي (ت 808 هـ/1406م):

يعد المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون رائد الكتابة التاريخية ليست المغربية بل الإسلامية في نهاية العصر الإسلامي المزدهر.

وتنفرد روايته عن باقي الروايات المغربية التي أرخت أو أشارت إلى الدعوة الإسماعيلية والخلافة الفاطمية بإيراده لتفاصيل كثيرة عن دعوة أبي سفيان والحلواني، حيث ذكر أن من قام بإنفاذهما إلى المغرب هو جعفر الصادق مؤكدا على ما قاله القاضي النعمان، " وقال لهما بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر"[1].

ويبدو أن هذا النص كان قد نقله عن صاحب نص افتتاح الدعوة حين قال:" فنزل أحدهما ببلاد مراغة والأخر بمنطقة ببلد سوف جمار"[2]، وقد ربط عبد الرحمن ابن خلدون الحديث عنهما مباشرة بالحديث عن الإمام الإسماعيلي محمد الحبيب النازل بسلمية ومسألة التقائه بمحمد بن الفضل ورستم بن الحوشب، وكانت دعوة أبي سفيان والحلواني ترتبط بشخص محمد الحبيب، وذات صلة بدعوة دعاة اليمن لكن في النص الذي بعده تتعقد الأحداث وهذا عند انتقال ابن خلدون إلى الحديث عن دعوة أبي عبد الله الشيعي، والذي أكد على أن بعثة الحج الكتامي التي التقاها وعاد معها إلى المغرب يوجد من بين أفرادها من كان" **لقي الحلواني وابن بكار وأخذوا عنهما**"[3]، محمد بن حمدون بن سماك الأندلسي والمسمى عند ابن خلدون بابي عبد الله الأندلسي والذي كان قد" **أدرك الحلواني وأخذ عنه**"[4]. وهذا يعود بنا إلى مسألة عمر الدعاة وزمن الدعوة، فباحتساب أن ذلك اللقاء حسب حسب ما ورد في كل المصادر التي أرخت لذلك قد تم سنة280هـ/893م[5]، وفي رواية ابن خلدون سنة287هـ/899م وتحقيبه لبداية دعوة أبي عبد الله الشيعي شاذة إذ أنه أرخ لها ابتداء من سنة288هـ/900م.

وبالتالي فإن فرضية إرسال الدعاة على رأس سنة145هـ/762م قد لا تكون صحيحة ومنطقية حتى، بسبب استحالة امتداد فترة حياة أشخاص كانوا أحياء إلى مابعد الفترة الممتدة مابين 288-296هـ/900-

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 41.

[2]- نفسه، 41.

[3]- نفسه، ج4/ 41.

[4]- نفسه، 42.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 47. القاضي النعمان، شرح الأخبار، 416. عماد الدين إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون، الآثار، السبع الخامس، 48.

908م وأنهم التقوا بأشخاص كانوا أحياء سنة 145هـ/ 762م كالحلواني وابن أبي بكار اللذان أرسلهم الإمام جعفر الصادق إذ أن الفترة مقدرة بأكثر من 151سنة.

ب: الدعوة الإسماعيلية من خلال النصوص التاريخية المشرقية

عند ابن الأثير(630هـ/1232م):

يعد عز الدين ابن الأثير أحد أهم المؤرخين ورواة الحديث الثقاة عند المسلمين[1]، وشهرته عند المؤرخين كبيرة وطيبة بحيث أنه كان" **إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم** "[2]. وهو صاحب أحد أكبر موسوعة إسلامية والتي كانت جامعة لأخبار المشرق والغرب، وأتى فيها بالحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة يتلوا بعضها بعصا إلى وقته[3]، سماها " **الكامل في التاريخ**"، وهو تاريخ عام أرخ فيه لتاريخ بدء الخليقة وابتداء أول الزمان إلى غاية أحداث عصره والتي انتهى فيها إلى سنة(628هـ/1230م)، أما عن منهجه المدون فقد اعتمد على المنهج الحولي في تسجيل الأحداث، فهو يسجل أحداث كل سنة على حدة، ورغم أن ابن الأثير كان مشرقيا غير أنه لم يهمل تاريخ بلاد المغرب الإسلامي والذي حظي بحيز كبير ضمن موسوعته عكس الطبري، سواء من حيث الحجم أو حتى من حيث المادة التاريخية والتي يبدوا انه اعتمد فيها على الكثير مما هو الآن مفقود.

- وقد تطرق في مؤلفه هذا للدعوة الإسماعيلية باعتبارها كانت إحدى المنعرجات التي أثرت في تاريخ المنطقة التي عاش فيها وهي بلاد الشام، إضافة لتناوله في مصنفه تاريخ خلافة الفواطم.
- وتتوفر روايته على نصين هامين قد يسهما في تحديد زمن وشخص الإمام الذي أرسل فيه داعيا المغرب أبا سفيان والحلواني.

أولا: ذكر العبارة التالية:" **...كانو أنفذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يعرف بالحلواني، والأخر يعرف بأبي سفيان...**"[4].

لا يخفى دقة وموضوعية منهجه وأسلوبه في التعامل مع الروايات التاريخية، وخلافا لكل الذين ذكروا قصة إيفاد الداعيتين أبا سفيان والحلواني على يد جعفر الصادق، فإن ابن الأثير يتحفظ عن شخص جعفر الصادق

[1]– لتفاصيل أكثر عن الكتابة التاريخية عند تقي الدين المقريزي. ينظر: عز الدين محمد كمال الدين، المقريزي مؤرخا، (ط1، بيروت/ لبنان: عالم الكتب، 1990).

[2]– ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد، مج3/ 348.

[3]– السيد أيمن فؤاد، الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين، (ط1، القاهرة/ مصر: الدار المصرية اللبنانية، 2017)، 154.

[4]– ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، (ط4، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 2003)، مج6/ 450.

وعلاقته بالدعوة وهذا بعدم ذكره، وما لهذا من أهمية إضافة إلى أنه ربط سياق الحديث عن دعوة أبي سفيان والحلواني بالحديث عن نشاط ابن حوشب وعلي بن الفضل اليماني ومراسلاتهم إلى الأئمة الإسماعيليين، وكأنه يوحي لنا بأن نشاط هؤلاء جميعا كان متزامنا نسبيا، وتزداد الأمور ارتباطا ووضوحا عندما يذكر في موضع يليه أنه" **فلما أتى خبر وفاة الحلواني وأبي سفيان إلى ابن حوشب** "[1] وفي هذا دلالة وقرينة على تزامن دعوة أبي سفيان والحلواني مع دعوة ابن حوشب التي ابتدأت سنة 268هـ/882م أو على الأقل باقترابهما من بعضهما، كما تدل على علم دعاة اليمن بخبر الدعوة في المغرب وأشخاصها.

ثانيا: في سياق الحديث عن دعوة أبي عبد الله الشيعي ينتقل ابن الأثير إلى توجه عبيد الله المهدي نحو سجلماسة وخلافا لغيره حول هذه النقطة من الحراك الإسماعيلي فإنه يرجع إلى التعرض لنسب مؤسس الخلافة والأئمة الذين سبقوه ونشاطهم ومن كان في خدمتهم من الدعاة، وهنا يورد نصا قصيرا إلا أنه بالغ الأهمية حول شأن الدعوة في بلاد المغرب وهي أن الإمام الحسين(الحسين بن أحمد– الملقب: بعبد الله الرضي) كان" **الدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه**"[2] وهذه أول إشارة صريحة في المصادر تدل على مراسلات بين الإمام الإسماعيلي في المشرق والدعاة في بلاد المغرب، ومن خلال الرجوع إلى جميع المصادر باختلافها فالدعاة في المغرب تمثلوا في كل من أبي سفيان والحلواني وأبو عبد الله الشيعي، فإذا كان الإمام الحسين تولى إمامة الإسماعيلية سنة229هـ/842م وتوفي سنة267هـ/881م، فيعني أن أبا عبد الله الشيعي غير مقصود بتلك المراسلات بحكم أنه قدم المغرب وبدأ نشاطه سنة 280هـ/893م بإجماع جل المصادر، مما يعني أن المقصود بالدعاة في نص ابن الأثير هما أبا سفيان والحلواني، وبالتالي فإن بداية الدعوة في بلاد المغرب على حسب نص ابن الأثير كانت في زمن الإمام المستتر إسماعيل أي أن إيفاد الداعيين ونشاطهما ببلاد المغرب كان خلال الفترة الممتدة مابين(230هـ– 270هـ/843– 884م).

[1]– ابن الأثير عز الدين، 450

[2]– نفسه، 453.

الدعوة في مؤلف "اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا" لصاحبه "تقي الدين المقريزي":

يعد القرن 9ه/15م عصر ازدهار الكتابة التاريخية بمصر وهذا بسبب العديد من الظروف والتأثيرات والتي كانت سببا في ظهور العديد من المؤرخين الأفداد، والذين أغنت كتاباتهم المكتبة التاريخية الإسلامية بالعديد من المؤلفات التي حفظت تواريخ عصرهم أو العصور التي سبقتهم ومن بين هؤلاء المؤرخين **" تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي(ت845ه/1442م)".**

يعد المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي رائد المدرسة التاريخية أواخر العصر المملوكي، وما أنتجه في سنوات غطى تاريخ مصر منذ بداية فتحها إلى غاية القرن 9ه/15م وقد حظي التاريخ الفاطمي منه بذلك حصة الأسد حيث ألف مجموعة من الكتب أهمها مصنف**"اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا"**[1] أهم مؤلف تناول تاريخ الخلافة الفاطمية منذ دور الستر إلى غاية الانقلاب السلمي الذي قاده صلاح الدين الأيوبي سنة567ه/1171م. ويبدو أن أهميته ترجع إلى اعتماده " على أهم المصادر المعاصرة أو التي كتبت بعد سقوط الدولة بوقت قصير... والتي فقدت أصولها الآن وحفظ منها المقريزي نصوصا مطولة..."[2]، كما أن كتاباته تمتاز بالموضوعية والبعد عن المذهبية.

أما عن تناول المقريزي لموضوع الدعوة الإسماعيلية فهو قد عمد إلى سرد العديد من الأخبار والتي كانت متناقضة فيما بينها حيث عرض أراء المؤيدين للنسب الإسماعيلي وأراء المعارضين له وتحدث عن الدعوة وأئمتها في البيئة المشرقية وعن أهم التطورات الحاصلة فيها، وعن انضمام أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرح بن حوشب بن زادان النجار إلى الدعوة ومسيره إلى اليمن، وبعدها يتحدث عن بداية الدعوة في بلاد المغرب وربطها بدعوة أبي سفيان والحلواني، ورغم أن المقريزي ذكر دعوتهما ربما مستشهدا وناقلا عن المصادر الإسماعيلية التي استفاد منها وحتى من ما كتبه شيخه عبد الرحمان ابن خلدون في مؤلفه "العبر" حول الدعوة الفاطمية غير أنه يحجم عن ذكر تاريخ إرسالهما والإمام الذي أرسلهما ويكتفي بعبارة**" وأوفدوا إلى المغرب رجلين: أحدهما الحلواني، والآخر أبو سفيان"**[3]. وفي حديثه عن الدعوة في المشرق ذكر معلومة بالرغم من قصر حجمها غير أن لها من الأهمية ما قد

---

[1]– اعتمدنا في موضوعنا على أخر تحقيق علمي لمؤلف اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا" والذي حققه في أربعة أجزاء الدكتور أيمن فؤاد السيد والذي صدر سنة 2016. ينظر: المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، تح: أيمن فؤاد السيد، (القاهرة/ مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2016).

[2]– المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، 01.

[3]– نفسه، 40.

يحسم مسألة كرونولوجيا أول بعثة دعوية إسماعيلية إلى البيئة المغربية وهي من خلال ماذكره أن" **كان الحسين يدعي أنه الوصي وصاحب الأمر، والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه...**"[1]. والدعاة قبل أبا عبد الله بالمغرب ليس سوى الحلواني وأبا سفيان، والحسين هذا سواء كان والد عبيد الله المهدي أو متبنيا له فإنه هو الذي" **علمه أسرار الدعوة من قول وفعل، وأين الدعاة، وأعطاه الأموال والعلامات، وتقدم إلى أصحابه بطاعته وخدمته، وأنه الإمام والوصي، وزوجه ابنة عمه أبي الشلعلع...**"[2]. إضافة إلى أن ابن حوشب كان قد عمل تحت أمره ويذكر المقريزي أنه" **لما ورد على ابن حوشب موت الحلواني ورفيقه بالمغرب، قال لأبي عبد الله الشيعي: إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك**"[3]وبالتالي فإن مسألة حلول الدعوة بالبيئة المغربية قد يرجح أنها كانت من طرف الإمام الإسماعيلي المستتر **"الحسين بن أحمد"** والملقب **"بعبد الله الرضي"**(ت حوالي268هـ/881م) وأن هذه البعثة كانت دائمة الاتصال بدعوة اليمن والتي كان تحضر لاستخلاف من يكون بدل أبا سفيان والحلواني ألا وهو أبو عبد الله الشيعي، ويؤكد هذا الاتجاه كبار المؤرخين الإسماعيلين المعاصرين وعلى رأسهم مصطفى غالب والذي أكد بأن من أرسل الداعيتين إلى المغرب وأنه لما" علم(الإمام عبد الله الرضي) بأن الدعوة في المغرب تتقدم باستمرار أوعز إلى الداعية الكبير أبا عبد الله الحسين أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي الذي كان يعلم الناس المذهب الإسماعيلي في البصرة كي يذهب إلى مدرسة الدعوة في اليمن ليدرس هناك على ابن حوشب، وأمره أن يطيعه وأن يقتدي به ثم يذهب بعد فراغه من الدراسة إلى المغرب قاصدا بلاد كتامة"[4].

من خلال ماسبق نستنتج مايلي:

إن التحقيب لبداية الدعوة الإسماعيلية أو الشيعية بشكلها العام في بلاد المغرب، والمتمثلة في بعثتي الحلواني وأبا سفيان عرفت العديد من الاضطرابات وتضارب الآراء: بين النص الأصلي للإسماعيلية والذي أرخ له القاضي النعمان، ونقلت عليه النصوص الإسماعيلية المتأخرة وحتى السنية، وبين تلك التي يبدوا أنها أخذت من مصادر أخرى مغربية كرواية الجمع والبيان لابن شداد الصنهاجي[5] وهنا نقصد ابن الأثير، أما الرواية الإباضية فهي متحاملة وتبدوا مخلة بالترتيب الزمني العام المعروف.

---

[1]– المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، 41.

[2]– نفسه، 41.

[3]– نفسه، 56.

[4]– غالب مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، (بيروت/ لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، دت)، 156.

[5]– في هذا المقام علينا أن نشير إلى أن رواية ابن شداد الصنهاجي والتي تعرضنا لها سابقا قد حفظت بعض نصوصها حول الإسماعيلية والدعوة من طرف تقي الدين المقريزي.

وبعد عملية القراءة والتمحيص والمناقشة فيما سبق من روايات، يمكن لنا أن نتجاوز سنة145هـ/762م كسنة لبعثتي أبي سفيان والحلواني (البعثة الجعفرية)، ونرجح أن عصر هذه البعثة ومصدرها يرجع إلى حقبة الإمام الإسماعيلي المستتر الحسين بن أحمد (ت حوالي268هـ/881م). وهذا الرأي أكدت عليه العديد من الدراسات والأقلام المختصة نذكر منها:

علي حسن موسى يذهب لأن :" في عهده (الإمام الحسين بن أحمد) تقدمت الدعوة الإسماعيلية تقدما كبيرا، ...وبتعليمات منه أرسل ابن حوشب وهو في اليمن الداعيين الحلواني وأبو سفيان إلى المغرب لنشر المذهب الإسماعيلي فيهما، وبعد وفاتهما طلب الإمام من ابن حوشب إرسال الداعية الكبير أبي عبيد الله الشيعي إلى المغرب، وكان ذلك سنة في سنة(280هـ/893م)[1].

في حين يؤكد علي سامي النشار:" ثبت تاريخيا أن الإمام الحسين بن أحمد– وهو ابن حفيد جعفر الصادق، والمتوفى بعد أكثر من قرن من وفاة جده الأكبر، هو الذي أمر بإرسال الداعيين – الحلواني وأبي سفيان إلى المغرب ليغرسا فيها غرسا، وقد فعلا. ويبدوا أن اتصالهما المباشر كان بابن حوشب منصور اليمن. بل يبدو أنهما تعلما الدعوة في مدرسته، وأتقنا فيها كل التأويل، والتفسير الباطني والظاهري. وسارا إلى كتامة...وهناك بشرا بظهور المهدي وقيام دولته..."[2]

وذهب كل من حسن إبراهيم حسن – طه أحمد شرف إلى أن" إرسال الحلواني وأبي سفيان كان على يد ابن حوشب في عهد أحمد بن عبد الله القداح، وإن ذلك لابد أن يكون بأمر الإمام الحسين وحجته أحمد بن عبد الله القداح، لأنه لا يعقل أن ينفرد ابن حوشب بأمر دونهما"[3]

أما المؤرخ الجزائري موسى لقبال رحمه الله فإنه نفى وفند أسطورة البعثة الشيعية بأوامر وتوجيهات جعفرية، ورجح أنها قد تكون من طرف قيادة الأئمة الإسماعيلية في سلمية وفي هذا يقول:" ...ويتصل بموضوع الداعيين، أبو سفيان والحلواني، إنما بشيء من التأمل، يتضح فيما يبدوا خطأ هذا الرأي...ولهذا يبدوا مقبولا، أن الداعيين أبا سفيان، الحلواني، إنما أرسلا من طرف أحد دور الستر من سلمية، إلى اليمن ومنها أرسلا كما أرسل غيرهما إلى جهات أخرى..."[4].

---

[1]– علي حسن موسى، 55.

[2]– النشار علي سامي ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام– نشأة التشيع وتطوره–، (ط8، القاهرة/ مصر: دار المعارف، دت) ج2/ 367.

[3]– حسن إبراهيم حسن– طه أحمد شرف، 75.

[4]– لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 222– 223.

ويذهب عارف تامر أن أبا عبد الله الشيعي أرسل إلى اليمن من طرف الإمام الحسين بن أحمد، وكان أبو سفيان والحلواني عند إرساله لايزالا حيين، وإن ورود خبر وفاتهما(وهو في اليمن) هو الذي جعل القيادة في اليمن، ترسله إلى بلاد المغرب لإكمال المهمة التي بدا فيها، وتفعيل الدعوة، وتحويلها إلى حركة عسكرية[1].

ويؤكد محمد حسن العيدروس حول الدعوة أيام الحسين بمايلي:" اتسمت أيام الإمام الحسين بن أحمد بانتشار الدعوة الإسماعيلية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، ... وكان مبعوثاه إلى المغرب أبا سفيان والحلوني..."[2].

وبدوره المؤرخ الإسماعيلي حسام خضور أكد أن الداعي أبي القاسم حسن ابن فرج بن حوشب المعروف " بمنصور اليمن هو" الذي أرسل داعيين هما الحلواني وأبا سفيان إلى المغرب...وقد أرسلهما ليعظا قبائل البربر هناك..."[3].

وأكد محمد جمال الدين سرور" اتسمت أيام الإمام الحسين بن احمد بانتشار الدعوة الإسماعيلية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي...وكان مبعوثاه إلى المغرب أبا سفيان والحلواني. وقد نصح لهما ابن حوشب بأن يبتعد كل منهما عن صاحبه في نشر دعوة الإسماعيلية ويمهدا بعملهما لظهور المهدي ودولته"[4]

---

[1]– غالب مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، دت)، 165.

[2]– العيدروس محمد حسن، المغرب العربي وحكم الدولة الفاطمية– نصوص وثائقية تاريخية–، (ط2، القاهرة/ مصر: دار الكتاب الحديث، 2011)، 31.

[3]– خضور حسام، المذهب الإسماعيلي الإسلامي– المذهب الشيعي الإسماعيلي وجهة نظر معاصرة–، (ط4، سلمية/ سوريا: دار الغدير، 2000)، 43.

[4]– محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، (مدينة نصر/ مصر: دار الفكر العربي، دت)، 22.

الفصل الثاني

المجال الكتامي موطن الدعوة تأثير وتأثر

أولا- **الموروث العلوي والتشيع السياسي**

ثانيا- **الدعوة الأولى ومرحلة البذر**

ثالثا- **واسطة الدعوتين ومرحلة الترقب للوافد الجديد**

رابعا- **الدعوة الأخيرة ومرحلة الحصاد**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: الموروث العلوي والتشيع السياسي

أ: العلويون الأوائل ونشر التشيع

إن فكرة الدعوة والتحضير لقيام الدولة من طرف آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هي فكرة ترجع إلى فترة مبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية، وقد أخذت طابع السرية بسبب الانتكاسات التي تعرضت لها ثورات العلويين.

وأقدم دعوة أشارت لها المصادر التاريخية هي تلك التي أطرها الفرع العباسي[1] من بيت النبوة، والتي بعد عقود استطاعت الإطاحة بخلافة بني أمية، غير أن هذا الانتصار لآل البيت سرعان ما تحول إلى صراع داخلي بين كبار البيت الهاشمي، ذلك لأن العباسيين كانوا يرون في بني عمومتهم العلويين خطرا محدقا عليهم، وحقا انتفض العلويون غير أنهم فشلوا في الإطاحة بأقاربهم وإقامة مشروعهم السياسي، هذه الانتكاسة دفعتهم إلى البحث عن مناطق جديدة وبعيدة عن دار الخلافة لنشر دعوتهم وشحن أتباعهم وعصبيتهم، وكان من بين أهم تلك المناطق بلاد المغرب ومجالات البربر حيث تذكر المصادر التاريخية أن أول بعثة دعوية أوفدت إلى المنطقة كانت بإيعاز من طرف الثائر "محمد النفس الزكية " والذي كان له إخوة" بعث أربعة منهم دعاة إلى الأمصار يدعون إلى طاعته وبيعته"[2] وأوفد سفيره "عيسى بن عبد الله" نحو بلاد المغرب ودخل" إفريقية فأجابه بها خلق كثير من قبائل البربر"[3]، ورغم الاستجابة التي حضي بها هذا الأخير من طرف المغاربة في إفريقية إلى أنه لم يتم له الأمر، وقد يكون هذا راجع إلى انقسام المنطقة خلال تلك الفترة إلى قطبين فاعلين على الساحة أولهما معسكر العباسيين

---

[1]- لتفاصيل أكثر عن الدعوة العباسية-نظمها- تطورها- نجاحها. ينظر: مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده لمؤلف من القرن الثالث الهجري (عن مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة-بغداد)، تح: عبد العزيز الدوري- عبد الجبار المطلبي، (بيروت/ لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر-دار صادر، 1971). علبي أحمد، العهد السري للدعوة العباسية أو من الأمويين إلى العباسيين، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الفارابي، 2010)، 57- 139.

[2]- ابن أبي زرع علي الفاسي، 15.

[3]- نفسه، 15.

والذي كان مصمما على إخضاع إفريقية، وثانيهما معسكر الإباضية الذي أعلن إمامة الظهور[1]، ورغم استرجاع دار الخلافة لعاصمتها في بلاد المغرب(القيروان) سنة 144هـ/761م، غير أنها فشلت في القضاء على غريمها[2].

وقد شهدت السنوات اللاحقة انتشارا كبيرا للجماعات الإباضية تعزز نشاطهم بقيام دولتين في كل من المغربين الأوسط والأقصى وهما الدولتين الرستمية والمدرارية، إلا أن هذه الأحداث لم تكن مانعا من انتشار التشيع السياسي العلوي، أو وصول أفراد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بلاد المغرب[3]، فمع حلول سنة 172هـ/788م دخل المغرب الأقصى أحد كبار العلويين وهو "إدريس الأكبر" الذي تمكن بعد استقرار دام ستة أشهر وسط قبيلة أوربة من استمالة أهلها وتمت مبايعته، وكانت هذه المبايعة دليل على أنهم" يحبون أل البيت ويتبركون بوجودهم بين ظهورهم ويتعلقون بأهدابهم"[4]، وعن تفاصيل هذه البيعة ذكر ابن عذاري المراكشي أنهم اجتمعوا إليه وأطاعوه وعظموه وقدموه على انفسهم[5]، أما عن القبيل الذي نزل فيه والزعيم الذي بايعه هو" إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي فبايعه على مذهبه"[6].

وقد لعبت سياسة اللين والدعوة إلى السنة التي اتبعها إدريس الأكبر والتي وضحها في أول خطابه نحو البربر والقائمة على العدل وسياسة ولي عهده من بعده دورا كبيرا في استقطاب المغاربة وكانت النتيجة توسعا جغرافيا لهم

---

[1]- بدأت إمامة الظهور عند الإباضية بعد دخول الإمام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إلى القيروان قادما من طرابلس حيث تقاتل مع قبيلة ورفجومة الصفرية وطردها وكان هذا في سنة 140هـ/757م، وقد رجع الإمام الاباضي أبا الخطاب بعدها الى طرابلس وترك عبد الرحمان ابن رستم الفارسي واليا على القيروان، غير أن هذه الإمامة والدولة الناشئة تعرضت إلى النكبة والهزيمة، نتيجة انهزامها وقتل إمامها على يد قوات الخلافة العباسية بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي سنة 144هـ/761م. ينظر: لقبال موسى، المغرب الإسلامي، (ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981)، 169- 170.

[2]- بالرغم من كثرة الهزائم التي منيت بها الحركات الخارجية المعارضة سواء الصفرية أو الإباضية، غير أنها في الأخير قررت الابتعاد عن قاعدة الخلافة العباسية في افريقية (القيروان)، وتوغلت في أعماق المغربين الأوسط والأقصى وهنالك تمكنت من تأسيس دولتين وهما: الدولة الرستمية(160-269هـ/777-909م) والدولة المدرارية (140-366هـ/757-978م).

[3]- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله العلي الزيدان- عز الدين عمر موسى، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1990)، 178- 180.

[4]- بن سلامة عبد الرحيم وآخرون، الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية، (ط4، الرباط/ المغرب: مؤسسة عبد الله كنون- الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، 2017)، 93.

[5]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، 119. الطيب محمد سليمان، الإنصاف في تاريخ الأشراف في المغرب الأقصى(الأدارسة)، (ط1، القاهرة/ مصر: دار الفكر العربي، 1994)، 53- 54.

[6]- البكري عبيد الله، 229.

امتد نحو غربي المغرب الأوسط، وقد ارتبط برعيته بعلاقة خاصة حيث يذكر أبو القاسم سعد الله:" أن نسبه النبوي قد سهل مهمته في الوسط الأهلي، فأصبح الناس يسترضونه لينالوا بركته بوصفه من آل البيت النبوي"[1].

ب: علي وفاطمة رضي الله عنهما والمخيال الشعبي

لازال المغاربة يرتبطون بآل البيت بعلاقة خاصة[2] لا سيما الفرع العلوي المتمثل في علي وأله" يستوي في ذلك عالمهم وجاهلهم جبلة في طباعهم"[3]، ومن قرائن ذلك كثرة تسمية **علي** بالنسبة للذكور وقد ورد في صيغ عديدة منها:" السيد علي، علال، علاوة، أعلول، علول، عليوة، علولة..."[4]، كما أشتق من اسمه بالنسبة للنساء في الأشكال التالية:" العالية، علياء ...".

ولم تقتصر التسميات على العنصر الذكوري فقط بل حتى الإناث تسمين باسم زوجة علي رضي الله عنه وابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها والتي تسمى عندهم إلى غاية يوم الناس هذا بـ: " فطومة، فطيمة، وفطيطمة، وفطوم، وافطيمة، وافطما...".

كما أنهم لازالوا يتداولون قصص الحرب والشجاعة والفروسية حوله والتي من بينها تسمية فرسه بسرحان، ويربطون بغضهم لليهود بشخص علي والذي يرون فيه الفارس الذي أذل اليهود وقضى عليهم.

---

[1]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي- السلسلة الأولى" من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري"-، (ط1، الجزائر: عالم المعرفة، 2015)، ج1/ 143.

[2]- كانت مناصرة المغاربة لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تتعاظم بتزايد الاضطهادات عليهم ابتداء من مجزرة كربلاء عام61هـ/680م والتي راح ضحيتها حفيد رسول اله الحسين بن علي رضي الله عنهما وأله، وتعاطف أهل المغرب يعود لسببين الأول: ديني مرده نظرة التبجيل والتعظيم لهم، الثاني: سياسي قصدوا من خلاله إثبات ذاتهم ووجودهم، وتمسكهم بحريتهم، وقد تبلور هذا الموقف بوقوفهم إلى جانب بعض العلويين الواصلين إلى المغرب. **سامعي إسماعيل، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ/10م، 118.**

[3]- ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، (الجزائر- تونس: الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976)، ج1/ 154.

[4]- سامعي إسماعيل، قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2012)، 53.

ج: المصاهرات واندماج آل البيت في المنظومة الاجتماعية المغربية

لعبت المصاهرة دورا كبير في التاريخ السياسي للمغرب الإسلامي خلال العصر المزدهر وقد كانت في الكثير من الأزمنة مؤشرا على نوع العلاقة بين الكيانات وعاملا مؤثرا فيها، وارتبط الكثير من حكام وملوك الدول الإسلامية بعلاقة مصاهرة مع القبائل البربرية ولا أدل على ذلك من أن الخليفة الأموي عبد الرحمن بن معاوية[1] صقر قريش كانت أمه بربرية[2]، وأثناء هروبه من العباسيين آواه أخوال أمه، ونزل محتميا في" نفزة وهم أخواله"[3]، ونفس الأمر مع آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اشتهروا بمصاهرتهم الكثيرة مع القبائل البربرية وهذا التواصل والاندماج الاجتماعي هو الذي عزز من قابلية المغرب لاعتناق التشيع السياسي، وأقدم المصاهرات ذكرا في المصادر التاريخية هي تلك التي حدثت بين الإمام إدريس الأكبر وقبيلة أوربة حيث" تزوج من جارية بربرية اسمها كنزة"[4]، وقد أنجبت له ابنا سمته إدريس ورعته هي وقبيلتها إلا أن اشتد عوده" وبايعه جميع القبائل"[5]، وكان الإمام الثالث لهذه الدولة أمه" حرة من أشراف نفزة"[6]، وكان عبيد الله بن عمر بن إدريس تزوج من مملوكة بربرية أنجبت له حمزة والقاسم وأبا العيش، هذا الأخير هو الذي أنجب حمود(جد الحموديين ملوك قرطبة)[7] وهو أب علي علي والقاسم اللذان أسسا الدولة الحمودية سنة407هـ/1016م[8].

---

[1]- عبد الرحمان بن معاوية: هو الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم ابن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان مولده سنة 112هـ/730م، رباه جده الخليفة هشام بن عبد الملك، بعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق سنة 132هـ/750م هرب عبد الرحمن بن معاوية إلى بلاد المغرب عازما على استرجاع ملك أجداده حيث دخل الأندلس وتمكن بعد صراع من تأسيس الإمارة الأموية فيها سنة 138هـ/756م حيث تمكن من كسرة شوكة العرب والبربر، وتوحيد بلاد الأندلس وقمع النصارى والفرنجة في الشمال، عرف عنه حزمه وعزمه، وملكته الشعرية وحبه للعلم وتقريبه العلماء، لقب "بالداخل" ويلقب أيضا " بصقر قريش"، كانت وفاته سنة 172هـ/788م. ينظر: ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله ، تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف، (ط1، تونس/ تونس: دار الغرب الإسلامي، 2008)، مج1/ 32- 33. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تح- تع: إسماعيل العربي، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983)، 121- 160.

[2]- ابن حزم الأندلسي، رسائل إبن حزم، تح: إحسان عباس، (ط1، بيروت/ لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981)، ج2/ 122.

[3]- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها، 125.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط/ المغرب: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972)، 24. ابن عذارى المراكشي، 221.

[5]- ابن عذاري المراكشي، 221. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 18.

[6]- ابن أبي زرع الفاسي، 51.

[7]- البكري عبيد الله، 245.

[8]- لتفاصيل أكثر عن علي والقاسم ابن حمود ودورهما في الفتنة البربرية وتأسيس دولة خاصة بهم. ينظر: أبو عبد الله التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، تاريخ دولة الأدارسة- من كتاب نظم الدر والعقيان-، تح- تق: عبد الحميد حاجيات، (الجزائر، موفم للنشر، 2011)، 55-63. عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شر- اعتناء: صلاح الدين الهواري، (ط1، صيدا/ بيروت: لبنان، المكتبة العصرية، 2006)، 41-58. مؤلف مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، (الجزائر: مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، 2013)، 324-327.

ولم يقتصر هذا الاندماج على الفرع الإدريسي بل انتشر في الفرع السليماني[1] وامتد نفوذه من تلمسان إلى غاية أرض بلاد الزاب، وقد تميزت العلاقة بينهم وبين البربر بالسلم والمودة بل إننا نجد أن الممالك السليمانية التي أسسوها كان جل رعيتها إن لم نقل كلهم في العديد من حواضرهم تقوم على العنصر البربري، كما أنها تمتعت بحسن الجوار مع الإمارات والحصون البربرية الأخرى ومن بين تلك المجتمعات المتجانسة نذكر في الجدول التالي:

حاكم الإمارة	المقر	القبائل المتوطنة فيها	المصدر
الحسن بن أبي العيش	جراوة (بين واد ملوية وتلمسان)	مطغرة – بنو يفرن	ابن عذاري، 211
بني محمد بن سليمان	العلويين(صبرة حاليا)	زناتة	اليعقوبي، 196
بني محمد بن سليمان	تمطلاس (نواحي سعيدة)	مطماطة	اليعقوبي، 196
الحسن بن سليمان بن سليمان	هاز(قرب المسيلة)	بني برنيان من زناتة– زواوة– صنهاجة	اليعقوبي، 191
عبد الله بن إدريس بن محمد بن سليمان الترناني	ترنانا بالقرب من تلمسان	بني يلول فخد من بني دمر	البكري عبيد الله، 177-176

ولشدة مخالطة العلويين لسكان المغرب الأوسط وتشبعهم بطباعهم وتقاليدهم فإنا نجد العديد من أمرائهم لقبوا بأسماء بربرية تعود للقبائل أو الحواضر التي حكموها ومن بينهم عبد الله بن إدريس بن محمد بن سليمان والملقب بالترناني[2]، وإبراهيم بن أبي العيش والمعروف بالأرشقولي[3].

إن هذا التوافق والاختلاط للجيل الأول من آل البيت الداخلين إلى المغرب لا نجده في الجيل الثاني منهم والذي قدم مع نهاية القرن 3هـ/9م وهم المعروفون بالفاطميين الذين اتبعوا موقفا مغايرا لما سلكه بنو عمومتهم العلويون، بحيث اعتزلوا العامة وهجروا مواطنهم، بدليل أنهم لم يستقروا في البيئة الكتامية منطلق دعوتهم وخزان عصبيتهم، وذهب الخليفة الأول منهم عبيد الله المهدي إلى أبعد من ذلك حيث لما أتم له بناء المهدية قال" اليوم أمنت على الفاطميات"[4].

---

[1]- لتفاصيل أكثر عن السليمانيين وأدوارهم وعلاقتهم ببني عمومتهم الأدارسة. ينظر: القشيري الكلبي التلمساني أحمد بن محمد بن عبد الله، كنوز الأسرار ومعدن الأنوار في ال بيت النبي المختار، (القاهرة، مصر، مخطوط دار الكتب القومية، رقم: 251)، 71- 81. بهلولي سليمان، الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (173-342هـ/789-954م)، تق: غازي الشمري، (الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011).

[2]- البكري عبيد الله ، 177.

[3]- نفسه، 174.

[4]- الداعي إدريس عماد الدين القرشي، كتاب زهر المعاني، تح: مصطفى غالب، (ط1، بيروت/ لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1991)، 220. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 74.

هـ: رعاية السلطة الحاكمة في بلاد المغرب الأوسط لآل البيت وتألفها معهم

لم ترى دول المغرب في آل بيت رسول الله صلى عليه وسلم خطرا عليها عكس ما كان يحدث في المشرق، رغم أن البيت النبوي كانت له العديد من التجارب السياسية تحقق البعض منها كقيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى وتوسع الإمارات العلوية السليمانية بالمغرب الأوسط، وقيام الدولة الحمودية بالأندلس، أو حتى الخلافة الفاطمية، ورغم عداء الأمويين والعباسيين إلا أن البيئة المغربية كانت حاضنة للعلويين ومدافعة عن مشاريعهم فأوربة ارتبطت بالأدارسة وزناتة بالعلويين، وكتامة بالفاطميين، وكان المغاربة يتقربون من آل البيت وكانت السلطة تتآلفهم وتحسن إليهم، وفي هذا الشأن يذكر علي الجزئاني أن" حفدة الإمام إدريس بن إدريس رضي الله عنه قاطنين بمدينة فاس منذ أسست إلى زمننا هذا، محمولين على البر والإكرام، والمحاشاة والاحترام، والرعي المستدام، على مر الليالي والأيام، يتبرك الناس بشهادتهم في الصدقات والصدقات، ويتوسلون بهم في الشفاعات، ويستسقون بأطفالهم في الإستسقاءات..."[1].

وفي أواسط القرن8هـ/14م كان السلطان أبو عنان المريني(ت759هـ/1358م)[2] "قد استخلص الشريف أبا عبد الله[3] واختاره لمجلسه العلمي مع من اختار من المشيخة..."، ونفس الأمر مع أبي حمو موسى الزياني

---

[1]- الجزنائي علي، جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، (ط2، الرباط/ المملكة المغربية: المطبعة الملكية، 1991)، 28.

[2]- أبو عنان المريني: هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني يكنى بأبي عنان لقبه المتوكل على الله من أم رومية تدعى شمس الضحى كان مولده سنة 729هـ/1328م، وتولى الحكم عقب انقلابه على أبيه أبي الحسن سنة 749هـ/1348م، وهو أول من تلقب بلقب الخلافة من بني مرين، وكان مجلسه يعد من أعظم المجالس العلمية في عصره ،حيث كان يضم فطاحل الشعراء ،وكبار العلماء ،وكان السلطان ابن عنان سريع البديهة، فياض القريحة، يرتجل الشعر ارتجالا ،محبا للصوفية ومشجعا وبانيا للعمران الديني والتعليمي، أخضع بلاد المغرب الأوسط لسلطانه فسيطر على تلمسان وبجاية وقسنطينة، توفي مقتولا وقاتله هو وزيره الحسن بن عمر الفودودي سنة 759هـ وكان عمره حينذاك 30سنة. ينظر: المكناسي أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، (الرباط/ المغرب: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973)، ج2/ 508- 510. الونشريسي أحمد بن يحي، وفيات الونشريسي، تح: محمد بن يوسف القاضي، (ط1، القاهرة/ مصر: شركة النوابغ للنشر والتوزيع، 2009)، 48.

[3]- الشريف أبا عبد الله: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحي بن علي بن محمد بن القاسم بن حمود بن علي بن عبد الله بن ميمون بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عالم تلمسان وفقيهها وبها نشأ، أخذ العلم عن شيوخها واختص بأولاد الإمام وتفقه على يدهم، ثم لزم الشيخ الأبلي وتضلع من معارفه فاستبحر، ارتحل إلى تونس سنة 740هـ/1340م، وطلب العلم على يد كبار مدرسيها وفقهاؤها وعلى رأسهم أبا عبد الله ابن عبد السلام الذي أثره من بين طلبته واختصه بصحبته، ثم نقله السلطان أبي عنان إلى فاس وهذا بعد حركته الكبرى للسيطرة على بلاد المغرب، ونكبه، وبعد وفاة السلطان أبي عنان انتقل إلى تلمسان وهذا بعد مراسلة أبي حمو إليه، ووصلها وعظم قدره فيها، وكان يخاطب من طرف العامة والخاصة وحتى السلاطين "بسيدي" كانت وفاته سنة 771هـ/1370م . لتفاصيل أكثر عن حياته ومكانته بين فقهاء وعلماء عصره ينظر: ابن مريم التلمساني محمد، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تح: عبد القادر بوباية، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 2014)، 311- 332.

الثاني[1] (ت791هـ/ 1388م) الذي "استدعى الشريف من فاس... وتلقاه براحتيه، واصهر له أبو حمو في ابنته..."[2] كما كان حكام هذا العصر من البربر يتزوجون من العربيات والعلويات.

و: العصبية والقابلية للاندماج في ظل السلطة العلوية

كانت التجربة الأورابية مع الأدارسة تجربة ناجحة جعلت القبيلة تخرج من نظامها البدوي وحيزها المغمور إلى الفضاء الرحب والمجال المفتوح، وكان هذا حافزا غير مباشر لقبائل لم تنتظم تحت لواء أية سلطة وافتقدت إلى دولة تؤطرها وترعاها، لذا تأقلمت مع العلويين وانتظمت في مشروعهم مع حفاظها على عصبية القبيلة، عكس النماذج التي كانت منتشرة والقائمة على العصبية المذهبية والتي مثلتها الخارجية الصفرية والخارجية الإباضية، والتي أرهقتها الحروب والانشقاقات المذهبية وقد سارت على هذا النظام زناتة بالمغرب الأوسط وانتظمت مع السليمانيين أما كتامة فكان مصيرها مصير زناتة لكن مع الفاطميين.

ولم يكن التشيع في بلاد المغرب الإسلامي مقتصرا على **التشيع السياسي** فقط بل كان هنالك من المدن والحواضر من **تشيع وتزندق أهلها عقديا** وفي هذا المقام نشير إلى الطائفة البجلية[3] وصاحبها محمد بن ورسند والذي انتشرت بدعته في إقليم السوس حيث يذكر الرحالة ابن حوقل أن أهل هذه المنطقة" فرقتان مختلفتان، مالكيون أهل السنة، وموسويون شيعة يقطعون على موسى بن جعفر من أصحاب علي بن ورصند، والغالب على الجميع الجفاء والغلظة في العشرة وقلة رقة الطبع...وبينهم القتال المتصل والدماء الدائمة..." [4].

---

[1]- أبي حمو موسى الزياني الثاني: هو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب بن يحي بن يغمراسن، سادس ملوك بني زيان وأعظمهم، ولد بغرناطة سنة 723هـ/1323م، عندما كان أبوه مبعدا إليها ،يعتبر من عظام دولة بني زيان ،وهو مجددها وباعثها بعد زوالها، عرف بغزارة علمه وحنكته واهتمامه بالعلم والعلماء حتى أصبحت تلمسان في عهده من أكبر حواضر المغرب الإسلامي وقبلة للعلماء والشعراء، بنى المدرسة اليعقوبية تخليدا لذكرى والده السلطان أبي يعقوب وهي الآن مندثرة ولم يتبقى منها إلا مسجدها والمعروف" بجامع سيدي إبراهيم"، كما ألف كتابا في علم السياسة الشرعية سماه بـ "واسطة السلوك في سياسة الملوك "، توفي عن عمر ناهز 68 سنة، وكانت وفاته على يد جنود بنو مرين الذي تحالفوا مع ابنه وولي عهده السلطان أبي تاشفين. ينظر: بن خلدون أبي يحي زكريا، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح، بوزياني الدراجي، (الجزائر: دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، 2008)، 40- 76. مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تح: بوزياني الدراجي، (الجزائر: مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، 2013)، ج2/ 14- 40. حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، (ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982)، 69- 155.

[2]- ابن مريم محمد التلمساني، 315.

[3]- نسبة إلى قبيلة بجيلة العربية والتي اعتنقت التشيع وخالفت الأمامية والإسماعيلية، ورأت أن الإمامة تكون في ولد الحسن دون الحسين، وقد انتشر أتباع معتقدهم ببلاد السوس من أرض المغرب الأقصى وظلوا لعدة عصور في صراع مع المالكية. عبد الرحمن محمد جيلان صغير، موقف أهل المغرب والأندلس من الإسماعيلية قبل تحولها إلى مصر(270-361هـ/883-972م)، (جامعة صنعاء/ اليمن: 2004 رسالة دكتوراه، كلية الآداب،- 2005)، 99- 101. عن قبيلة بجيلة تاريخها مواطنها أعلامها. ينظر: بن مساعد الياسين عبد العزيز، أعلام بجيلة وخثعم: كتاب أعلام بجيلة وخثعم وسير بعض الصحابة البجليين، (الكويت: دار العروبة للنشر والتوزيع، 2008).

[4]- ابن حوقل النصيبي، 94.

ويؤكد البكري أن بني لماس:" كلهم روافض ويعرفون بالبجليين نزل بين ظهرانهم رجل بجلي من أهل نفطة قسطيلية قبل دخول أبي عبد الله الشيعي إفريقية...ودعاهم إلى سب الصحابة رضوان الله عليهم وأحل لهم المحرمات وزعم أن الربا بيع من البيوع، وزادهم في الأذان بعد أشهد أن محمد رسول الله: أشهد أن محمد خير البشر، ثم بعد حي على الفلاح: حي على خير العمل آل محمد خير البرية..."[1].

ثانيا: الدعوة الأولى ومرحلة البذر.

1: أبا سفيان والدعوة في بلاد إفريقية

يعد نص "افتتاح الدعوة" لصاحبه القاضي النعمان من أولى وأقدم الروايات التي تقدم لنا معلومات حول فجر الدعوة الإسماعيلية في البيئة المغربية، حتى أن بعض النصوص الإخبارية التي أرخت لبدايات الدعوة في هذا المجال ماهي إلا روايات منقولة عن نص "افتتاح الدعوة" تختلف في مضامينها نسبيا بسبب تصرف مؤلفيها في النص الأصلي- رواية القاضي النعمان- بين تلك التي أوردتها في شكلها العام دون مناقشة وبين التي تحيزت ضدها أولم تشر إليها سواء منها المشرقية أو المغربية، وهذا خدمة لتوجهها وموقفها من المذهب والخلافة الفاطمية، وقد أفردت العديد من المصادر لهذا الحدث عناوين كلها كانت قرائن على أهمية الحدث بأنه نوعي ومكانته متميزة في التاريخ الإسلامي ومن بين تلك العناوين:

- " ذكر السبب الذي تقدم إلى المغرب قبل قدوم الداعي إليه"[2]، إضافة لعنوان الكتاب "افتتاح الدعوة".
- "خروج الحجاني(لعنه الله) من كتامة"[3] لأبي زكريا يحي سير الأئمة.
- "ابتداء دولة العبيديين"[4] لعبد الرحمن ابن خلدون وهو يتحدث عن مضمون الدعوة والدولة.
- "ذكر ابتداء الدولة العلوية بإفريقية"[5] لتقي الدين المقريزي في مؤلفه اتعاظ الحنفا.

وعن هذه الدعوة وابتداء أمرها ببلاد المغرب يذكر القاضي النعمان أن صاحباها مشرقيان أمرا بالتوجه نحو بلاد المغرب وبتجاوز بلاد إفريقية إلى حدود البربر، ثم يفترقان[6]، وكان أولهما نزولا واستقرارا هو أبا سفيان الحسن

---

[1]- البكري عبيد الله، 284.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 26.

[3]- أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 168.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 40.

[5]- المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 32.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 26- 27.

بن القاسم والذي توجه نحو مرماجنة[1] والتي كانت معروفة بأسواقها وموطنة من طرف قبيلة هوارة[2]، واستقر بموضع منها يقال له تالا[3] والتي سماها ابن خلدون ببلاد مراغة[4]، وهنالك احتمالية اشتراك هذه المدينة خلال العصر الوسيط مع ما يقابلها في أقصى حدود المغرب الأوسط في التركيبة الاجتماعية وهي أن كلاهما هو من أرض كتامة[5] وتربطهما روابط اقتصادية، ويؤكد ابن حوقل أن مدينة مرجانة ومسكيانة كانتا خلال الحكم الفاطمي "تجمعان لعامل واحد"[6].

وقد كانت تلك القرية الصغيرة والبعيدة عن أنظار الولاة الأغالبة مسرحا لنشاط الداعية أبي سفيان أين بدأ حياته الجديدة فيها بالزواج ومصاهرة إحدى عائلاتها، كما اشترى عبدا وأمة يساعدانه في العمل ويكونا له بمثابة عيون تأتيه بالأخبار، وقد لعبت سيرته وصلاحه دورا كبيرا في استقطاب أهل المنطقة وجعلهم شيعة، وكان عالما وفقيها[7] وقد ذكر القاضي النعمان في مؤلفه" شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار" أنه" كان عابدا عالما يصوم يصوم النهار ويقوم الليل ملازما لمسجده"[8]، وكان هذا المسجد منطلق نشاطه الدعوي فقد بناه من نفقته الخاصة الخاصة وهذا لكسب ود سكان المنطقة وإضفاء هالة الزهد والتعبد على شخصه والتي تضمن له إعجاب السكان وتقربهم منه، وكان تأثير دروسه في المسجد ومحاضراته حول آل بيت رسول الله صلى الله عليهم وسلم دور كبير في تشييع المنطقة لدرجة أن مرماجنة أصبحت معروفة بأنها" دار شيعة "[9]، وامتد نشاطه في الجهة الشمالية حتى بلغ بلغ

[1]- مرماجنة: من مدن المغرب الأدنى، قديمة أزلية، بها أثار كبيرة للأوائل، وبها عيون، وهي واسعة الزروع كثيرة الخيرات. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار- وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب- تح: سعد زغلول عبد الحميد، (الرباط/ المغرب: دار النشر المغربية، 1985)، 162.

[2]- ابن حوقل النصيبي، 88. الإدريسي الشريف، 195.

[3]- تالا: أحد الحصون المتواجدة بإفريقية، وقد ذكر الإدريسي انه أصبح خراب، ومنه إلى المغارة، إلى ساحل البحر. ينظر: الإدريسي الشريف، 168.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 41.

[5]- يذكر ابن الأثير أن مرماجنة امتداد لبلاد كتامة. كما أن ابن خلدون يذكر أن كلا من بلاد مراغة وسوف جمار كلاهما من أرض كتامة. ينظر: ابن الأثير، 450. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 41.

[6]- ابن حوقل النصيبي، 88.

[7]- الطالبي محمد، الأوضاع التي مهدت لقيام دولة الفاطميين في إفريقية، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، (المهدية/ تونس: منشورات الحياة الثقافية، 1977)، 33.

[8]- القاضي النعمان، شرح الأخبار، 413- 414.

[9]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 27.

الأربس[1] أما الجهة الجنوبية فقد كانت نفطة[2] من أهم الجهات التي انتشرت بها دعوة أبي سفيان، وقد لعبت الصلات الاقتصادية دورا في ذلك فسكان مدينة نفطة كانوا دائمي النزول على تالا لشراء القمح منها وبيع التمر فيها[3] وكانوا كثيرا ما ينزلون على مسجد أبي سفيان ويستمعون لدروسه، وقد ظلت أثار دعوة أبي سفيان في المنطقة إلى غاية القرن 6هـ/12م وقد أكد البكري (487هـ/1094م) ذلك قائلا: كان" جميع أهلها شيعة وتسمى الكوفة الصغرى"[4]، وهذه دلالة على انتشار التشيع بها أما الجهة الغربية على حدود إفريقية فإنها كانت مسرحا لنشاط الحلواني[5].

2: الحلواني في مجالات كتامة

عرف الداعية الثاني "عبد الله بن علي بن أحمد" الذي كان رفقة أبي سفيان في مهمته الدعوية ببلاد المغرب بإسم " الحلواني " ونزل بموضع يقال له سوجمار[6]، ومن خلال الرجوع إلى المصادر التاريخية والجغرافية للتنقيب عن عن هذا الاسم نجده أنه ذكر بصيغ مختلفة متعددة المعنى لجدع مشترك واحد، فعبد الرحمان ابن خلدون ذكره باسم سوف جمار[7] أما ابن الأثير فقد ذكره باسم سوق حمار[8]، وأي كان الاختلاف في هذا المعنى فإن نواحي هذه المنطقة كانت مستقرا لهذا الداعية وهي مدينة الناظور، فباستثناء الناظور الموجود في المغرب الأقصى فإن ناظور المغرب الأوسط في جهته الشرقية لم تفصح لنا المصادر الجغرافية عن موضعه وبيان معالمه، لكن يرجح أنه يقع

---

[1]- الأربس: من كبرى مدن المغرب الأدنى تقع على مرحلتين من تونس، وعلى مسافة ثلاث أيام من تونس، تقع في ربض كبير، عليها سور تراب جيد، جيد، وفي وسطها أعين ماء جارية لا تجف، وبها يتواجد معدن الحديد، وهي على مزارع الحنطة والشعير. ينظر: الإدريسي الشريف، 192- 193. البكري عبيد الله، 129- 130.

[2]- نفطة: من مدن المغرب الأدنى، مبنية بالصخر عامرة أهلة، بها جامع ومساجد وحمامات كثيرة، وقد كان جميع أهلها شيعة، لهذا سميت بالكوفة الصغرى، أما يقوت الحموي فقد ذكر أن سكانها شراة إباضية . ينظر: البكري عبيد الله، 169. الإدريسي الشريف، 179. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت/ لبنان: دار صادر، 1977)، مج5/ 296.

[3]- ظلت نفطة إلى غاية ق6هـ/12م أحد المناطق المشتهرة بتجارتها وزراعتها للتمور وذكر الإدريسي أن بها:" أسواق وتجارات ونخل وغلات ومياه جارية...". ينظر: الإدريسي الشريف، 179.

[4]- البكري عبيد الله، 169.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 28-29.

[6]- سوجمار: وردت في المصادر بالصيغ التالية: سوف جمار، صوف حمار، سوق حماد، سوق حمار، لم تحدد المصادر المتقدمة موضعا لها، إلا أن الجغرافي المتأخر ليون الإفريقي أورد مصطلح سوفغمار وقال أنه أحد الأودية التابعة لقسنطينة، لكن يستبعد هذا الرأي بسبب أن القاضي النعمان ذكر أن سوجمار هي الأرض الكبرى التي حوت الناظور وباعتبار أن الناظور حاليا تتبع ولاية قالمة فبالتالي فإن سوجمار لا تبعد كثيرا عن قالمة. الوزان الحسن، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي- محمد الأخضر، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1983)، 55. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 29.

[7]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 41.

[8]- ابن الأثير عز الدين، 450.

مباشرة على حدود المغرب الأوسط في أقصى بلاد كتامة وبالضبط هو في ولاية قالمة حاليا حيث توجد منطقة لازال اسمها الناظور[1]، واختيارها لم يكن من باب الصدفة وإنما كان لعدة قرائن نذكر أهمها:

- إن نزول أبي عبد الله الشيعي لأول مرة في بلاد كتامة كان بالقرب من مضارب سماتة وأن من نزل ضيفا عندهم كانوا قد التقوا بالحلواني بمعنى أن إقامتهم قد تكون هي نفسها إقامة الحلواني أو بالقرب منها.

- رواية النعمان تؤكد أن منطقة سوجمار قريبة من إفريقية وركب الحج الكتامي كان عند خروجه من إفريقية قد دخل إلى منطقة سوجمار مباشرة وفي هذا يقول النعمان: " فلم يدخلوا إفريقية حتى إذا ساروا إلى سوجمار من أرض سماتة[2]، تلقاهم أهل الموضع..."[3]، وفي قوله دلالة على أنها في الأطراف وليس في العمق، إضافة إلى ذلك ذلك فإن الركب هذا بعد الضيافة لم يستقر في هذا الموضع بل توجه غربا نحو بلاد كتامة، وهذه إشارة إلى أن المنطقة كانت في حدود بلاد كتامة وليس في أعماقها.

بالإضافة إلى ذلك فالمنطقة التي كان يشترط النزول فيها يجب أن تكون بعيدة عن مراكز الولاة ليعمل فيها الدعاة بهدوء، وبالتالي لا يمكن أن تكون في أعماق كتامة التابعة لكل من ميلة، سطيف وقسنطينة.

ومن خلال الرجوع إلى النصوص التاريخية وعلى رأسها نص القاضي النعمان ومحاولة تتبع مناطق تأثير دعوة الحلواني نجد أنها تمت في الجهة الشرقية من بلاد كتامة، وهذا بانضمام قبائل عديدة لا تدخل ضمن نطاق قبائل كتامة مثل: هوارة ونفزة وبني معاد، إضافة لمناطق جغرافية كتيفاش وغيرها والتي دخلت فيما بعد في نطاق دعوة أبي عبد الله الشيعي صلحا وسلما.

---

[1]- بوبيدي حسين، الداعيان الشيعيان: أبو سفيان والحلواني ببلاد المغرب دراسة في النصوص، ومقاربات حول مجالات النشاط والتأثير، (ع19، (قالمة/ الجزائر: مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، 2015)، 24- 53.

[2]- سماتة : قبيلة بربرية من فروع قبيلة نفزاوة كانت مواطنها جنوب افريقية وامتدت إلى أرض المغرب الأوسط، وقد سكن الكثير منها في قسنطينة، ولها فروع في المغرب الأقصى، وكانت الدعوة الشيعية في بلاد المغرب الأوسط أول ما ظهرت كانت في بلادهم المجاورة لكتامة حيث اعتنق الكثير منهم التشيع. البكري عبيد الله، 156. بن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، (ج1، الرباط/ المملكة المغربية: المطبعة الملكية، 1968)، 307. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح- تع: عبد السلام محمد هارون، (ط5، القاهرة/ مصر: دار المعارف، 1982)، ج2/ 497.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 40.

كما نرجح أن يكون الحلواني هو الداعي الأصلي صاحب المهمة الأصلية وأبو سفيان هو الداعي المرافق وهذا على حسب التنظيم الدعوي الإسماعيلي حيث كان يرسل داعيا احتياطيا أو بديلا مع الداعي الأصلي" لئلا يحدث به حدث فيكون معه من يخلفه إلى أن يأتي أمر الإمام"[1]، وقد أكد الداعي إدريس هذا على أن ماجرت به سيرة الدعاة هي" أن يكون مع الواحد منهم من يختصه ويختاره ليخلفه إن حدث به حدث من أمر الله الذي لا محيص عنه ولا مفر منه"[2]، فقد خرج أبو القاسم بن حوشب إلى اليمن ومعه علي بن الفضل، كما خرج في الفترة اللاحقة أبا عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب ومعه عبد الله الحسن بن أبي الملاحف[3].

وقد استعان الحلواني في تأدية مهمته بامرأة تزوجها، وعبدا وأمة اشتراهما، كانا بمثابة عينين له ولزوجته يأتيانه بأخبار من جاورهما من القبائل فضلا عن أحوال البلاد[4].

وكانت دعوة الحلواني دعامة أساسية لحركة التشيع الإسماعيلي في طورها المغربي والتي أسهمت في بناء الخلافة الفاطمية، ولا أدل على ذلك من أن أبا عبد الله الشيعي في حجه سنة280هـ/893م وأثناء بحثه عن حجاج كتامة وجد من بينهم وجهان كانا قد تشيعا على يد الحلواني[5].

وقد اتبع أبو سفيان والحلواني مبدأ التقية بكل دقة وإحكام لضمان نجاح مهمتهما وتجاوبا مع حرص الإمامة على وجوب الالتزام بالدعوة الصامتة والعمل بمقتضاها[6]، وهذا هو السبب على شح المعلومات حولهما بالرغم من اتفاق المصادر على نجاح مهمتهما.

ثالثا: واسطة الدعوتين ومرحلة الترقب للوافد الجديد

رغم النشاط الكبير والتأثير الواضح الذي أفرزته دعوة أبي سفيان والحلواني لاسيما هذا الأخير والذي كان سببا في تغيير الخارطة المذهبية للعديد من قبائل المجالات الكتامية، إلا أن المعلومات عن تاريخ وفاته ورفيقه تبقى

---

[1]- الإمامة: هي رتبة الأمر وسياسة الأمة كافة على سنن الدين، تجمع أشياء كثيرة بها يتعلق عمارة الحرث والنسل ظاهراً وباطناً وجذب الأنفس إلى الوجود وبذلك سماهم الله تعالى أولي الأمر. احمد حميد الدين الكرماني، راحة العقل، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت/ لبنان: دار الأندلس، 1967)، ص 252. لتفاصيل أكثر عن الإمامة والمهدوية من وجهة شيعية. ينظر: الكاتب أحمد، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الجديد، 1998).

[2]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار-السبع الخامس-، 44.

[3]- المقريزي تقي الدين، المقفى الكبير، 23.

[4]- الشرقاوي عوض، العيون(الجواسيس) في المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى سقوط دولة الموحدين، (ط1، القاهرة/ مصر: دار العالم العربي، 2019)، 92.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 34.

[6]- مرغي جاسم عثمان، الشيعة في شمال إفريقيا- موسوعة الشيعة في العالم الشيعة في قارة إفريقيا-، (ط1، بيروت/ لبنان: مؤسسة البلاغ، 2004)، 218.

لغزا[1] في غياب الحديث عن ذلك في المصادر عدا الذي ذكره ابن الأثير أنهما" أقاما سنين كثيرة، وماتا، وكان أحدهما قريب الوفاة من الأخر"[2]، ويزداد الأمر تعقيدا إذا حاول الباحث التنقيب حول من سيكون خليفتهم في أمر الدعوة إلى غاية وصول صاحب البذر أو الدعوة النهائية والتى من خلالها ستقوم خلافة الفواطم، فالقاضى النعمان يتكتم في الحديث عن المرحلة المؤقتة التى تلت أبو سفيان والحلوانى، فمن غير المعقول لدعوة مذهبية تعتمد على التخطيط المميز والتخابر إهمال منطقة أضحت أحد أهم المجالات لنشر التشيع وفقا للعقيدة الإسماعيلية وكل الإشارات في المصادر أهملت الحديث عن هذه المرحلة وقد يكون هذا راجع للأسباب التالية:

– إن قيادة المرحلة الجديدة لم يكن من إشراف وتأطير الدعوة في سلمية كما كان بالنسبة لأبي سفيان والحلوانى وأبي عبد الله الشيعى.

– قد تكون حالة التكتم عليه لإضفاء أهمية كبرى على الدعوة التى تلتها، وهى مرحلة أبي عبد الله الشيعى ونفس الأمر مع الدعوة الأولى الخاصة بأبي سفيان والحلوانى والتى لم تحظى باهتمام وتفصيل في أدبيات الكتابة التاريخية الإسماعيلية النعمانية، والحديث عنها ومناطق تأثيرها لم يذكر إلا بعدما تقاطعت أحداثها وشخصياتها مع شخصيات عاصرت دعوة أبي عبد الله الشيعى.

– قد يكون التكتم على أمر هذه الدعوة وصاحبها بسبب أن عائلته فيما بعد قد أصبحت من بين البيوتات التى خلعت طاعة الفاطميين وانحازت لخلافة الأمويين في الأندلس.

أما ابن الأثير فإنه بالرغم من تأخره إلا أنه يقدم لنا معلومات حول مآل دعوة أبو سفيان والحلوانى" فيذكر أنه لما وصل"خبر وفاة الحلوانى وأبي سفيان إلى ابن حوشب قال لأبي عبد الله الشيعى: إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلوانى وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك، فبادر، فإنها موطأة ممهدة لك"[3].

وإن كان هذا النص يخلو من شخصية عوضت دور الداعيتين أبا سفيان والحلوانى أو حتى الشخص الذي قام بإعلام القيادة المشرقية بوفاتهما، إلا أنه دلالة على قرب الدعوتين من بعضهما زمنيا كما أنه قرينة على أن الدعوة في بلاد المغرب بعد وفاة الحلوانى كان هنالك من يشرف عليها، وله آليات وطرق التواصل مع القيادة في البيئة المشرقية، كما أن أخبار الدعوة كانت تصل باستمرار إلى القيادة لاسيما في اليمن.

[1]– خلافا لكل المصادر التي تحدثت على أن وفاة الداعيين أبا سفيان والحلواني توفيا في ظروف عادية، يذهب المؤرخ الإسماعيلي حسام خضور أنهما قتلا. خضور حسام، 43.

[2]– ابن الأثير عز الدين، 450.

[3]– ابن الأثير عز الدين، 450.

من خلال تتبع مجالات تأثير الداعيان أبا سفيان والحلوانى والجهات الأولى التى تواصل معها أبى عبد الله الداعى يتبين وجود شخصية لعبت في المنطقة خلال الفترة مابين الدعوتين دورا كبيرا ونرجح أنها هى التى خلفت الدعوة الأولى ومهدت لنشاط الدعوة الثانية وهذه الشخصية هى **أبو عبد الله الأندلسى** سليل **أسرة بنى حمدون**[1].

من هو أبو عبد الله الأندلسى؟

تعد أسرة أبو عبد الله الأندلسى والتى نرجح أنها هى نفسها أسرة ابن حمدون أحد أهم البيوتات العربية التى لعبت دورا كبيرا في الحياة السياسية والمذهبية خلال النصف الثاني من القرن 3هـ/9م والقرن4هـ/10م، وقد أنجبت هذه الأسرة العديد من الأفراد الذين أسهموا بنشاط مميز لصالح الجماعة الإسماعيلية مرحلة الدعوة وامتد نشاط أفراد العائلة إلى مرحلة الدولة حيث حظيت بثقة الخلفاء الفاطميين الأربعة واقطعوهم الإقطاعات وجعلوا منهم الولاة.

تنتسب أسرة بنى حمدون إلى قبيلة جذام[2] سلالة عرب الجنوب القحطانيين، ورغم أن هذه الأسرة قد سطع نجمها وعظم دورها على أرض المغرب الإسلامي وبالتحديد المغرب الأوسط منه إلا أن المصادر التي أرخت لها دأبت على وصف هذه العائلة با "الأندلسية"، وهذا راجع إلى أن بداية استقرارهم بالغرب الإسلامي كان في الأندلس وجدهم عبد الحميد كان أول المقيمين بها، وفي هذا الشأن يقول المؤرخ الأندلسي ابن حيان في أحداث سنة360هـ/971م نقلا عن الوراق" أن جعفرا وأخاه هذين الهاربين إلى وطن جدهما بالأندلس هما ابنا علي ابن حمدون بن سملك بن سعيد بن إبراهيم ... بن أحمد بن عبد الحميد الجذامي، وعبد الحميد هذا ...كان الداخل إلى بلاد الأندلس من الشام وأرضه ... "[3]، كما ترجم لهذه الأسرة صاحب كتاب" المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" فذكر نسبهم على النحو التالي: "علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي "[4]، وقد

---

[1]- سامعي إسماعيل- بن عربة محمد، البيوتات العربية في المغرب الأوسط وإسهاماتها في الدعوة الإسماعيلية قبيل 296هـ/909م "البيت الحمدوني أنموذجا"، (ع18، الوادي/ الجزائر: مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر، 2018)، 176- 194. بوبة مجاني، الإسماعيليون في المغرب العربي، 163.

[2]- جذام: قبيلة عربية من قبائل اليمن، وهم بنو جذام، وهو عمرو بن عدي بن الحارث ابن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهم أول من سكن مصر من العرب، حيث دخلوها رفقة الصحابي الجليل الفاتح عمروا بن العاص رضي الله عنه، وكان أول حضور لهاته القبيلة في الأندلس عبر اشتراكها في حركة الفتوحات الإسلامية حيث استقر أفرادها وبطونها في كل من: شدونة، تدمير، اشبيلية، كورة البيرة . ينظر: ابن حزم الأندلسي علي بن أحمد، 419- 422 .

[3]- ابن حيان مروان ابن خلف، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح: صلاح الدين الهواري، (ط1، بيروت/ لبنان: المكتبة العصرية، 2006)، 22.

[4]- البكري عبيد الله، المصدر السابق، 148.

استقر جدهم الأول عبد الحميد بالأندلس بكورة البيرة[1]" بقرية... من قرى قلعة يحصب"[2]، وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى صمت المصادر التاريخية حول تاريخ هجرته، إلا أنه يحتمل أنها كانت في حدود سنة 123هـ/741م وهذا مع طالعة الشاميين[3]، فمن المعلوم أن هذا الجيش قد ضم أعدادا كبيرة من قبيلة جذام العربية، كما سكتت المصادر عن حياة أبناءه وأحفاده إلى غاية حمدون الذي كان حيا إلى غاية سنة 287هـ/901م والذي عرفت الأسرة بنسبتها إليه.

ثانيا: أبي عبد الله محمد بن حمدون الأندلسي صاحب الدعوة

ذكرت المصادر التاريخية التي أرخت للدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب وقيام الخلافة الفاطمية أنه كان للأسرة الحمدونية أدوارا عديدة في مرحلتي الدعوة والدولة، غير أنها قد وقعت في خلط كبير في أسماء وأعداد هذه الأسرة ممن أسهموا في الدعوة، ومن خلال الرجوع إلى ماتوفر عنها بفرعيها المغربي والأندلسي وتحليلها ومقارنتها يمكن التوصل إلى نتيجة مفادها وجود شخصين من هذه الأسرة يرجح أنهما أخوين أسهم كل واحد منهما في خدمة الدعوة أحدهما هو أبو عبد الله محمد بن حمدون المعروف بأبي عبد الله الأندلسي[4]، والذي تنتهي أخباره قبيل نهاية القرن 3هـ/9م وثانيهما أخوه علي بن حمدون وهذا الأخير هو أشهر أفراد الأسرة الحمدونية في المصادر التاريخية وحتى الدراسات الحديثة بسبب استمرار انجازاته إلى مرحلة الدولة، كما أنه خلف ذرية قامت بدور كبير في حركة الصراع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في بلاد المغرب[5].

تعتبر رواية "افتتاح الدعوة" لصاحبها القاضي النعمان أول رواية إسماعيلية رسمية تحدثت عن نشاط البيت الحمدوني كبيت عربي نشط في المغرب الأوسط بهدف نشر التشيع وإقامة دولة الفواطم، وجاء الحديث عن هذا البيت وكبير دعاته "أبو عبد الله محمد بن حمدون الأندلسي" في معرض حديثه عن دخول الداعية أبي عبد الله الشيعي أرض المغرب الأوسط بالقرب من بلاد كتامة والتقى فيها بالدعاة ومن بينهم" موسى أبي المفتش وأبو

---

[1]- البيرة: وتسمى أيضا بيلبيرة، لبيرة، وهي أعظم كور الأندلس، و كانت تدعى في القديم بقسطيلية، نزلها وعمرها جند دمشق، وكان لها من الشهرة والعمارة، وأهلها من الثروة والعد، وبها من الفقهاء والعلماء ما هو مشهور. وفحصها مستطيل، وعدد قراها مائتين وسبعون قرية، وأعظم مدنها غرناطة، ينظر: ابن الخطيب أبي عبد الله محمد لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تق- مر- تع: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج1/ 171-181. مؤلف مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، (الجزائر: مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، 2013)، 163- 165. ابن سعيد المغربي علي، المغرب في حلى المغرب، تح- تع: شوقي ضيف، (ط4، القاهرة/ مصر: دار المعارف، 1995)، 91- 122 .

[2]- ابن حيان مروان ابن خلف، 22.

[3]- اليعلاوي محمد، بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،(ع24، مجلة الأصالة، قسنطينة/ الجزائر: مطبعة البعث، 1984)، 49.

[4]- يسميه عبد الرحمن ابن خلدون" بمحمد بن حمدون بن سماك الأندلسي". ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 42.

[5]- عن دور هاته الأسرة في حركة الصراع ما بين الأمويين والفاطميين. أنظر: أبي مروان حيان ابن خلف، 22- 27. شهاب نهلة أحمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2009)، 122- 138.

القاسم الوفرجومي وأبو عبد الله الأندلسي"[1]، وتم هذا اللقاء سنة 280هـ/893م وقد أعطى القاضي النعمان وصفا موجزا لكنه دقيق عن أحوال ومؤهلات ومهنة أبي عبد الله الأندلسي الحمدوني قال عنه أنه كان له" فهم وحدة ومعرفة، وكان معلما بالموضع، ثم أوطنه، وصار إلى درجة العلماء فيه وتشيع "[2].

ويؤكد إبن خلدون أن محمد بن حمدون بن سماك الأندلسي "...أدرك الحلواني وأخذ عنه"[3]، ومن خلال رواية ابن خلدون يتبين لنا أن أبا عبد الله الأندلسي كان على علم بما ستؤول إليه الدعوة، وأنه كان ينتظر قدوم شخص من بلاد المشرق ليكمل مهمة أبي سفيان والحلواني وفي هذا يقول عند لقاءه الداعي:" فنزل أبو عبد الله الشيعي عليه فأكرمه، وفاوضه وتفرس ابن حمدون فيه أنه صاحب الدولة..."[4].

إن هذه المعلومات تعد قرائن ودلائل تؤكد على أن أبا عبد الله الأندلسي كان من كبار دعاة الإسماعيلية في بلاد المغرب الأوسط، وتولى أمور الدعوة في المجالات الكتامية قبيل دخول أبو عبد الله الشيعي إليها، بل إنه كان المسؤول عن الدعوة بين مرحلتي البذر والحصاد وكانت مهنة التعليم سبيلا نشر من خلاله التشيع في المنطقة وأبرز مؤسسات تلك الفترة المسجد[5] الذي كان موجودا في مقر إقامته وبيته الذي يسكن فيه، إذ لم تكن في تلك الفترة الفترة قد ظهرت مجالس الحكمة بعد، أما عن تشيعه وارتباطه بالإسماعيلية فقد سكتت المصادر عن ذلك وهذا الصمت حول الدعاة هو أمر شائع خلال تلك المرحلة المتقدمة من عمر الدعوة ليس فقط في المغرب الإسلامي بل حتى في مشرقه، والراجح أن سرية نشاطات الدعاة كان سببها الخوف من وقوع أصحابها وكتبهم في أيدي أعدائهم، لكننا نستبعد فرضية تلقيه في الأندلس ونرجح أنه كان تلقى ذلك من الداعية الإسماعيلي الحلواني وهذا ما ذهب إليه عبد الرحمن ابن خلدون حيث قال عنه أنه" أدرك الحلواني وأخذ عنه"[6].

وبالتالي فإن أبا عبد الله الأندلسي هو نتاج النشاطات الواسعة والهادفة للحلواني والذي تمكن من تجنيد بعض الشخصيات المهمة ذات الثقل في المنطقة على غرار الوفد الذي استضاف الداعية أبو عبد الله الشيعي سنة 280هـ/893م[22] وهو ثمار هذا الجهد، **حيث أصبح وريثا ووصيا على الدعوة بعد وفاة الحلواني وحافظ على دوره، فكان رابطة وصل بين مرحلتي الدعوة التي قام بنشرها أبو سفيان والحلواني، وبين ما يدعوا إليه أبي عبد الله الشيعي،**

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 40.

[2]- نفسه، 42.

[3]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج 4/ 42.

[4]- نفسه، 42.

[5]- كان المسجد أحد أهم المؤسسات التي اعتمد عليها دعاة الإسماعيلية الأوائل في بلاد المغرب في نشر دعوتهم وهذا قبيل ظهور مجالس الدعوة، وكان أحد هاته المساجد هو الذي تم بناءه في المغرب الأوسط بالقرب من الحدود الشرقية للمجالات الكتامية بعيدا عن أعين السلطة الأغلبية المتمركزة في كل من ميلة و سطيف، وهذا المسجد هو للداعية الحلواني. ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 26- 29.

[6]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 42. إلا أن عبد الرحمن بن خلدون لم يميز بين محمد بن حمدون وبين علي بن حمدون أخيه، وعدهما شخصا واحد بل إن له رواية شاذة في تاريخ ابتداء دعوة أبي عبد الله الشيعي حيث يؤرخ لها ابتدءا من سنة 288هـ/900م. ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 42.

وأصبح مخضرما عاش بين عصرين : عصر التمهيد وعصر التمكين، ويرجح أنه هو الذي أرسل إلى القيادة باليمن خبر وفاة الداعيتين.

ورغم سكوت المصادر عن العلاقة بين الداعية الحلواني والبيت الحمدوني في هذه الفترة المتقدمة من عمر الدعوة إلا أنها تفصل في أحداث الفترة اللاحقة والتي برزت فيها مكانة آل حمدون في الدعوة الإسماعيلية وتعاظمت ابتداء من سنة 280هـ/893م تاريخ بداية الدعوة الجديدة أو "مرحلة البذر" على أرض المغرب الأوسط، بدليل التقاء أبي عبد الله محمد بن حمدون الأندلسي بالداعية أبي عبد الله الشيعي أول دخوله أرض المغرب الأوسط وكان مبيته تلك الليلة في بيت أبي عبد الله الأندلسي، فحدثه الداعي عن مهمته وكشف له الأمر وهذا من طقوس الدعوة وتعاليمها ومن المحتمل أنه أطلع الداعية أبي عبد الله الشيعي عما وصلت إليه إنجازات الدعوة في عهد الحلواني كما أعلمه بأحداث المنطقة وتطوراتها ومكان القوة والضعف فيها، وكما كان لأبي عبد الله بن حمدون السبق في اعتناق المذهب واحتضان كبير دعاته وضيافته والاطلاع على سره فإنه كان له السبق أيضا في مرافقته فيما بعد وحمل السلاح معه ضد أعداءه في البلاد الكتامية بل وهاجر موطنه رفقة الداعي إلى عمق أراضي كتامة واستقرا بها، ورغم أن الداعية الصنعاني كان مهيأ من طرف قيادة الدعوة ومحاطا بجميع تفاصيل وأسرار البلاد المرسل إليها وهذا من تقاليد الدعوة الإسماعيلية – وهذا من الشروط التي يجب أن تتوفر في الداعية أو حجة الجزيرة[1] المرسل إليها[2]– إلا أنه لا يستبعد أن يكون عبد الله محمد بن حمدون قد أطلع الداعية أبو عبد الله الشيعي على تقارير وتفاصيل جديدة عن تطورات الدعوة ومجالاتها ومعالم وطبائع أهلها خصوصا بعد وفاة أصحاب الحرث (أبو سفيان والحلواني)، بدليل أن الداعي لما دخل البلاد سأل سؤالا غير متوقع وقال:" أي موضع منكم فج يسمى فج الأخيار"[3] فاندهشت الصحبة الكتامية التي كانت معه ذلك لأنها لم تتحدث عن هذا المكان أمامه قط.

وقد استمر عبد الله محمد بن حمدون في تنشيط حركة الدعوة في البلاد الكتامية واستقطاب خاصتها وعوامها، وشارك في الحروب التي كانت مشتعلة بين الكتاميين المعارضين للمشروع الجديد والمؤيدين له، وقد برز

---

[1]– حجة الجزيرة: رتبة من مراتب الدعوة الإسماعيلية الهرمية تأتي في المرتبة الثانية بعد داعي الدعاة (الباب) ، وقد كانت مهمة الحجة في جزيرته والإقليم العامل عليه تتمثل في: "الحكم في ترتيب المراتب وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق وإظهار تأويل الكتاب "، وقد كان لبلاد المغرب أو كما تسمى في أدبيات الدعوة الإسماعيلية "بجزيرة البربر" وحجتها هو الداعية أبو عبد الله الشيعي، والذي كان عمله في بلاد المغرب يعتبر ذروة النشاط الإسماعيلي في مرحلة الدعوة، وقد عاصره في الدعوة مجموعة من الدعاة في باقي الأقاليم المتبقية وهي إحدى عشرة من أصل اثنا عشرة نذكر منهم: ابن حوشب: بلاد اليمن ، حمدان قرمط : جنوب العراق أبو حاتم الرازي: الري وإقليم الجبال، النسفي: بلاد خراسان وما وراء النهر ... . الداعي أحمد حميد الكرماني ،راحة العقل، تح :مصطفى غالب، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1983)، 252. فرهارد دفتري، مختصر تاريخ الإسماعيلين، تر: سيف الدين القصير، (ط3، بغداد/ العراق: دار المدى للثقافة والنشر، 2010)، 84- 89.

[2]– يشترط فيه أن يكون" عارفا بمذاهب أهلها وبعلومهم وطباعهم وما يميلون إليه ويرغبون فيه من العمل وبأفهامهم حتى يمكنه المناظرة معهم ويقبلون منه العلم". ينظر: أحمد بن إبراهيم النيسابوري، استتار الإمام عليه السلام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه، نشر: إيفانوف، (ع4، القاهرة/ مصر: مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، 1936)، 153.

[3]– عماد الدين الداعي إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 88.

بقوة في أحداث سنة 289هـ/901م حيث تسارعت كتامة المعارضة لدعوة أبي عبد الله الشيعي إلى محاصرة دار الهجرة[1] فكان على رأس الذين رأوا بإخفاء الداعية الصنعاني خوفا عليه من القتل أثناء النزال، لكن الداعية شكر حرصهم وسعيهم وأكد على تمام أمره وظهوره على أعدائه وبيّن أن ما حدث هو امتحان يميز فيه أصحابه من أعدائه، بعدها تحرك مباشرة و" أبو عبد الله الأندلسي قائما على قدميه ابتهاجا بما سمع من ذلك ورأى من المؤمنين، فقال: لقد ثبت أمر الله فيكم كما ثبتت هذه في هذا – وأومأ إلى أذنه ورأسه –، والله لو قابلتهم هذه الجبال– وأشار إليها–، بهذه النيات لأنزلتموها "[2] ثم بدأ في" تجهيز الجيش مما تمتلكه قبيلة غشمان "[3].

كانت تلك المعركة من أهم معارك الجماعة الإسماعيلية مرحلة الدعوة والتي قضوا فيها على شوكة كتامة المعارضة، وقد أبلى فيها محمد بن حمدون الأندلسي بلاءا كبيرا مفجرا كل طاقاته القيادية والحربية، ولم يتوقف نشاطه عند هذا الحد فمن المعلوم أن الداعية الصنعاني لما اتسع مجال نفوذه وسلمت القبائل له وتساقطت المدن في يده بعد تلك المعركة بدأ في تعيين الدعاة[4] ومن بينهم عبد الله محمد بن حمدون، فمن غير المعقول أن يستنجد الداعي في شرح دعوته وإدخال من تبقى من كتامة في أمره بدعاة جدد حديثي العهد بالتشيع ويستغني عن خدمات من كانت له سابقة في الدعوة واشتهر فيها بالفهم والمصابرة والعلم والمثابرة، غير أن هذه الشخصية تنقطع أخبارها تماما في مراحل متأخرة من عمر الدعوة ليشارك أبي عبد الله محمد بن حمدون عنصر آخر من الأسرة في خدمة الفاطميين وهو أخوه "علي بن حمدون".

[1]– دار الهجرة: تعد أحد أهم حواضر لجماعة الإسماعيلية ببلاد المغرب الأوسط مرحلة الدعوة، وتسميتها هي مدينة تازروت أو تاصورت كما عند صاحب سير الأئمة وأخبارهم، ومعناها في اللسان البربري "الصخرة الكبيرة "، وكانت في مرحلة الدعوة تقع في عمق مجالات قبيلة غشمان، وقد أكسب الداعي انتقاله إليها وتحويلها إلى دار هجرة استياء وحقد فروع كتامة المعارضة له والتي أعدت لحملة كبرى بغرض تدمير المدينة والقضاء على الدعوة إلا أن الجماعة الإسماعيلية الساكنة فيها والمتحصنة بها قد استطاعت الانتصار، هذا الأمر أدى إلى استقرار الداعي فيها لمدة حيث بنى فيها قصرا وأقطع لأنصاره للسكن فيها. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 86– 110 . أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 165 .

[2]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 102.

[3]– مجاني بوبة وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، (ط1، قسنطينة/ الجزائر: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2007)، 84.

[4]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 146.

رابعا: الدعوة الأخيرة ومرحلة الحصاد

أ: الدعوة في المرحلة السلمية (بين كتامة المؤيدة وكتامة المعارضة)

1: خصائص الداعية الجديد أبو عبد الله الشيعي[1]

النشأة والتكوين:

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي لا يعلم تاريخ ولادته كما أنه مختلف في مكان نشأته، بين من ينسبه إلى الكوفة وهي النسبة الراجحة ومن هؤلاء القاضي النعمان[2] وعلي بن ظافر[3]، وبين من ينسبه إلى صنعاء باليمن كالوراق[4]وابن الأثير[5] إلا أن نسبته الأخيرة إلى صنعاء هي الغالبة عليه، وقد يكون مرد ذلك لكونها الموطن الأخير الذي تكون فيه ومنه بدأت رحلته إلى بلاد المغرب، وكان أبو عبد الله في بداية أمره على مذهب الشيعة الإمامية ثم تحول إلى الإسماعيلية، وعن نشأته وتكوينه يذكر الحاجب جعفر أنه" كان رجلا صوفيا جارا لأبي علي الداعي بالكوفة"[6]، وكان له أخ اسمه أبو العباس والذي كان" أكبر سنا من أبي عبد الله وكانا شيعيين جميعا"[7]، ثم اعتنقا المذهب الإسماعيلي على يد داعي الدعاة فيروز، والذي كان صهرا لجارهما أبي علي الداعي الكوفي، والذي رباهما وفقههما[8] وأبلغ القيادة في سلمية بخبرهما، وتوسط لهما عند الأئمة، وبعث بكل واحد منهما إلى وجهة للتكوين ميدانيا، ويبدو أن الداعي فيروز هو صاحب فكرة استخلاف أبي عبد الله الشيعي الداعيان أبا سفيان والحلواني في مجال دعوتهما لأنه هو الذي عرفهما واختبرهما وكانا لم يلتقوا بعد

---

[1]- تفاصيل أكثر عن حياته ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 30- 323. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 414- 431. المقريزي تقي الدين، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، (بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1987) 25. ابن خلكان شمس الدين، مج2/ 192. لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني- مذهبية وتوحيد- ضمن سلسلة شخصيات لها تاريخ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990. الخربوطلي علي حسني، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، (مصر/ القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، 1972).

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 30. دفتري فرهاد، معجم التاريخ الإسماعيلي، 77- 78.

[3]- ابن ظافر جمال الدين علي، أخبار الدولة المنقطعة- القسم الخاص بالفاطميين-، تق- تع: أندريه فريه، (القاهرة/ مصر: مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1972)، مج12/ 06.

[4]- نقلا عن: ابن عذاري المراكشي، 168.

[5]- ابن الأثير عز الدين، 450.

[6]- اليماني محمد بن محمد، 121.

[7]- نفسه، 121.

[8]- نفسه، 121.

بالإمام[1]، وأرسلهما إلى أحد أقوى مراكز الدعوة وهي اليمن وصاحبها أبو القاسم وهذا" ليقتدي بسيرته وأفعاله"[2].

تعد اليمن أحد أهم المراكز التي ظهرت وانتشرت فيها الحركة الإسماعيلية ولازال وجود هذه الطائفة فيها إلى يوم الناس هذا[3]، وترجع جذور العلاقة بين اليمن والحركة الإسماعيلية إلى سنة266هـ/880م وهي السنة التي اتصل فيها كل من "علي بن الفضل" و"أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي والمعروف بمنصور اليمن" بالإمامة الإسماعيلية واعتنقا المذهب الإسماعيلي، وكان اقدرهما هو أبو القاسم الذي امتلك صفات فريدة كالطاعة والخبرة والدراية والذكاء والتي جعلته يتدرج في مراتب الدعوة بسرعة[4]، وبعد الحج سارا إلى اليمن سنة 268هـ/881م ثم افترقا، وإن كان عليا بن الفضل بعد نجاح دعوته انفصل عن الإسماعيلية وأعلن الإلحاد والإباحية وقد أشارت المصادر السنية وحتى الشيعية منها إلى هذا التحول الخطير الذي شهدته الحركة، كما أن أحداث في تلك الفترة كانت مزودة بنشاط أدبي دل على هذا التحول ومن بينها القصيدة التالية:

خذي الدف يا هذه والعبي	وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة	وهذي شرائع هذا النبي
فقط حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي	وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا	ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين	من أقربي ومن أجنبي
فكيف تحلى لهذا الغريب	وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه	وسقاه في الزمان المجدب
وما الخمر إلا وكما ماء السماء	حلالا فقدست من مذهب[5]

[1]- اختلفت المصادر التاريخية أيضا في مسألة الشخص الذي بعث به إلى المغرب فعبد الرحمان ابن خلدون يذكر أن الذي بعث به إلى المغرب هو الإمام الإسماعيلي محمد الحبيب، في حين نجد جمال الدين علي بن ظافر وتقي الدين المقريزي يذكر أن الذي أرسله هو أبو الشلعلع محمد بن أحمد وهو عم الإمام المهدي. ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 41. ابن ظافر جمال الدين علي، 06. المقريزي تقي الدين، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- الخطط المقريزية-، تح: محمد زينهم- مديحة شرقاوي، (ط1، القاهرة/ مصر: مكتبة مدبولي، 1997)، ج2/ 26.

[2]- القاضي النعمان، شرح الأخبار، 414.

[3]- لتفاصيل أكثر عن الإسماعيلية في اليمن خلال الفترة المعاصرة. ينظر: الهمذاني معد يكرب حسين وآخرون، الحق في المواطنة المتساوية- الإسماعيليون الإسماعيليون في اليمن أنموذج-، (ط1، صنعاء، اليمن، الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، 2012). فرهاد دفتري، تاريخ الإسماعيلين الحديث الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، تر: سيف الدين القصير، (ط1، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: دار الساقي- معهد الدراسات الإسماعيلية، 2013).

[4]- القصير سيف الدين، ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، (دمشق/ سوريا: دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دت)، 49.

[5]- ابن أبي الفضائل الحمادي اليماني محمد بن مالك، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم، در- تح: محمد عثمان الخشن، (الرياض/ المملكة العربية السعودية: مكتبة الساعي، دت)، 55.

أما الداعية الثاني ابن حوشب فقد كان: زاهدا عابدا محافظا على الفرائض ملتزما بأوامر الأئمة وتعاليمهم، وممثل لهم أحسن تمثيل وكان مقصده مدينة عدن لاعة[1] التي بقى فيها سنتين يدعو سلما وبالحجة والإقناع، فمالت ودخلت في دعوته العديد من القبائل وابتنى لأنصاره مركزا جديدا سماه دار الهجرة وشرع في النشاط العسكري، " فلما تمكنت الدعوة باليمن، وظهر أمرها، أرسل الإمام أبا عبد الله إلى أبي القاسم داعي اليمن"[2] فاحتفل به أحسن احتفال واعتنى به خير اعتناء" فأنزله عنده، وقرب مجلسه، وأدنى مكانه، ورفع من قدره"[3]، كما أشركه في السياسة والتدبير وأخرجه معه في غزواته، وكان كل هذا تحضيرا له لمهمته القادمة وهي مد الدعوة وضخ الدماء في عروق جزيرة المغرب من جديد.[4]

- **ركب الحج الكتامي وخبر الداعي الجديد:**

نجحت الدورة والمهمة التكوينية التي حظي بها الداعية أبو عبد الله الشيعي في اليمن والتي صقلت مواهبه وزادت من معارفه كما أنها أكسبته حنكة سياسية ومعرفة بالصراعات والشؤون العسكرية، وهذا ما جعل من مهمته في بلاد المغرب رغم صعوبتها من أنجع المهام في تاريخ الإسلام الوسيط، وقد أثنت المصادر على خبرته وتكوينه وحسن تدبيره فمدحه القاضي النعمان قال فيه:" كان أبو عبد الله من خيار المؤمنين وأفصلهم من الدين في نهايته، ومن الورع في غايته، لطيفا عاقلا، عالما بالتأويل، يحسن منه ما يقول"[5]، أما ابن عذاري المراكشي فقد وصفه بأنه:" رجل ذا فهم، وفصاحة، وجدال، ومعرفة..."[6]، وقال عنه ابن خلكان أنه" كان من الرجال الدهاة، الدهاة، الخبيرين بما يصنعون..."[7]، ووصفه ابن الأثير على أنه كان" ...على علم وفهم وذكاء ومكر"[8]، ومدحه ومدحه تقي الدين المقريزي قال عنه أنه "من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون، أحد رجالات العالم القائمين

---

[1]- ذكر ياقوت الحموي في معجمه أن لاعة: مدينة في جيل صبر من أعمال صنعاء وإلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة: وهي قرية لطيفة منها ظهرت دعوة الإسماعيلية. ينظر: ياقوت الحموي، ج4/ 89. العمري حسين عبد الله- مطهر علي الإرياني- يوسف محمد عبد الله-، في صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، (ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، 1990)، 70.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 30.

[3]- نفسه، 31.

[4]- بالرغم من أغلبية المصادر التاريخية تحدثت أن الذي أرسل الداعي أبو عبد الله الشيعي وأخيه أبو العباس المخطوم هو داعي اليمن ابن حوشب. لكن المقريزي في مؤلفه المقفى ذكر أن أبو الشلعلع هو الذي بعث أبي عبد الله وأخيه أبي العباس المخطوم إلى المغرب. ينظر: المقريزي تقي الدين، المقفى الكبير، 58.

[5]- القاضي النعمان، شرح الأخبار، 415.

[6]- ابن عذاري المراكشي، 168.

[7]- ابن خلكان، ج2/ 192.

[8]- ابن الأثير عز الدين، 450.

بنقض الدول وإقامته الممالك العظيمة من غير مال ولا رجال"[1]، وعنه قال الذهبي:" كان من دهاة العالم، وأفراد بني أدم دهاء ومكرا ورأيا..."[2].

لقد كانت نقطة انطلاقته هي موسم الحج باعتبارها محطة كبرى لالتقاء الدعاة وتبادل الأخبار فقصدها وأثناء النزول بمنى بدأ في البحث عن المغاربة وسأل عن حجاج كتامة فأرشد إليهم[3]، وكان من بينهم حريث الجيملي وموسى بن المكارم[4] الذان تشيعا على يد الحلواني[5]، فسمعهم يذكران لأصحابهم فضائل علي رضي الله عنه فاغتنم الفرصة وجلس إليهم وزاد في حديثهم حتى اطمأنوا له[6]، ويذكر ابن الأثير أن الداعية" حدثهم بما لم يعلموه"[7] ويبدو أن هذا حديثه هذا هو الذي مكنه من استقطابهم حيث مكثوا إلى جانبه ليوم ثان وهم به معجبون، فلما عزموا على الرحيل سألوه عن وجهته فقال لهم مصر وسروا بذلك وسافروا معا، وعند وصولهم إلى مصر تظاهر الداعي بمكوثه فيها" فأظهروا الغمة لفراقه وقالوا: مايقيمك هاهنا وما نرى معك من تجارة ولا هو بلدك ؟ قال: أطلب التعليم"[8]، ففرح ركب الحج الكتامي بذلك فعرضوا عليه التعليم في بلدهم وذكروا حاجة أهلهم ومن خلفوهم لذلك وأنهم سوف ينفقون عليه ويجزلون له الثمن نظير عطاء عمله، وألحوا في ذلك حتى أجابهم ورضي منه، وكان أبو عبد الله طوال الطريق الممتد من الحجاز إلى غاية المغرب ووصوله إلى كتامة محل إعجاب وتقدير من طرف الكتاميين الذين تباروا في خدمته وتوفير الراحة له، وكانوا كلما تقدموا تزيد مكانته عندهم[9].

وقد استغل الداعي رحلته مع ركب الحج الكتامي واستثمرها وهذا باستعلامه عن بلدهم وأوضاع أهلها وعلاقتهم بسلطان الأغالبة وعن علاقتهم ببعضهم البعض، وعن عدتهم وفعالهم في الحروب، وكان الداعي" مغتبط بكل ما يسمعه من ذلك ويرى أن الأمر ينتهي فيهم"[10]، وكانت إجاباتهم محفزا له وفأل خير بالنسبة إليه لما توفر

---

[1]- المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 71.

[2]- الذهبي شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2003)، 936.

[3]- عز الدين ابن الأثير، 450.

[4]- يذكره ابن الأثير باسم موسى بن مكاد. ينظر: ابن الأثير عز الدين، 450.

[5]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 45.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 34.

[7]- ابن الأثير عز الدين، 450.

[8]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 38.

[9]- لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 26- 27.

[10]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 38.

عليه البلاد من بغض للأغالبة وكثرة البطون التي سينزل فيها وشدة بأسها ووفرة الموارد بها لا سيما من الثروة النباتية والحيوانية والتي ستوظف في الحرب.

الداعية في بلاد كتامة:

ذكر القاضي النعمان عند تتبعه لوفد الحج الكتامي بأن أصحابه رفقة ضيفهم الداعية سلكوا طريقا بعد خروجهم من مصر عبر طرابلس إلى قسطيلية وتجنبوا دخول إفريقية، وكان أول موضع نزلوا به من أرض المغرب الأوسط وفي حمى كتامة هو سوجمار من أرض سماتة وفيها التقى" رجال من الشيعة"[1] وهم وجوه الدعوة في البيئة الكتامية من أنصار الحلواني[2] وكان على رأسهم واسطة عقد الدعوتين "عبد الله محمد بن حمدون"، والذي ظل في في حوار مع الداعية حتى الفجر و"كشف له الأمر، وأخذ عليه العهد"[3].

وكان من الذين التقاهم وكانوا شيعة على يد الحلواني"حريثا وموسى أبو المفتش وأبو القاسم الورفجومي"[4]، ومكث الركب عند أضيافهم ليومين وكان أبي عبد الله الداعية يبيت عند أبي عبد الله الأندلسي ولما هم الركب بالخروج خرج معه أبي عبد الله الأندلسي وأبي المفتش وشقت الرحلة نحو عمق أراضي كتامة.

بعد مراحل من السير وصل الحجاج بمن معهم من السماتيون إلى النواحي التابعة لسطيف وبالضبط إلى مدينة إيكجان الموطن الموعود، وكان أول ما بدر منه سؤاله عن "فج الأخيار" مدهشا بذلك الصحبة التي كانت رافقته[5]، وكان هدفه من ذلك إضفاء قدسية على المنزل الذي نزله محاولا إيهام سكانه بأنهم مختارون لمهمة ستغير من مصير المنطقة وديار الإسلام موظفا في ذلك حديث المهدي المنتظر وفق المنظور الإسماعيلي حيث قال:" إن للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار، من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان"[6]. وقد حول الداعية مدينة إيكجان أرض هجرة لكل من له تشيع في إفريقية والمغرب[7].

---

[1]- المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 57.

[2]- القفري علي محمد شايع، دور البربر في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى قيم دولة بني زيري الصنهاجية(22هـ-643م/362هـ-973م)، (ط1، القاهرة/ مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 2017)، 135.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 42.

[4]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار- السبع الخامس-، 45. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 40.

[5]- العيدروس محمد حسن، 66.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 48. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 57- 58. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 48.

[7]- العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، (ط2، بيروت/ لبنان: المركز الثقافي العربي، 2000)، 60.

وقد أشار شمس الدين الذهبي إلى أن أبا عبد الله عندما نزل في عمق مجالات كتامة خاطب عقلاها وكبراءها وقال لهم نزلت فيكم آية فغيرت حسدا لكم فقالوا وماهي؟ قال:" كنتم خير أمة أخرجت للناس"[1]. فاندهش القوم وسألوه من غيرها فقال لهم ولاة أمركم، وبدا في التحريض والدعوة إلى إمام معصوم يعلم الغيب[2].

معالم نشاط الداعية الجديد:

كعادة الدعاة في مختلف الأقاليم عمد أبو عبد الله الشيعي إلى التقرب من كتامة المقيمين بسطيف ونواحيها وهذا من خلال ظهوره بمظهر الزاهد العابد وهذا ما ظل عليه طوال مدة إقامته في المغرب منذ سنة 280هـ/893م إلى غاية قتله سنة 298هـ/911م، فكان يؤدي الصلوات الخمس ويؤم جموع الكتاميين ويقضي كل وقته في التعليم ودعوة الناس[3]، وترى المؤرخة بوبة مجاني أن التشيع الذي كان على عهد أبي سفيان والحلواني كان تشيعا عاما أما الذي باشر به الداعية أبي عبد الله الشيعي هو تشيع من نوع خاص دون أن يبلغ بهم أعلى المراتب[4]، في حين أن المؤرخ علي سامي النشار ذهب لأبعد من ذلك وقال:" إن كثيرا من المؤرخين قد ذهبوا إلى إن أبا عبد الله لم يبين حقيقة الفكرة الإسماعيلية عن الإمام للكتاميين، وهم في ذلك مخطئون إذ أضفى أبو عبد الله هالات القداسة على الإمام، فهو مظهر محمد ومجمع الأنبياء وهو ظهور العقل الكلي"[5]، وتمكن من من إقناع عدد معتبر وراح يتدرج في استقطاب الآخرين، وقد ذهب ابن الأثير إلى أن أبا عبد الله الشيعي وظف في دعوته ومخاطبته للكتاميين مجموعة من" الحيل والمكيدات والنارجسيات ما أذهل عقولهم"[6]، غير أنه من المستبعد أن يسلك الداعي هذا المسلك والمصادر كلها أجمعت على علمه وحلمه وبيانه، وهو الذي أثر على عقول الكتاميين وسحر ألبابهم منذ لقاءه بهم في موسم الحج عام279هـ/892م، كما أن قبوله من طرف الكتاميين راجع إلى استمرار للدعوة التي بدأها كل من الحلواني وأبي سفيان[7].

وكان من ضمن المستجيبين أشخاص تدرجوا بسرعة وكانت لهم القدرة على الاستيعاب والفهم حتى إن البعض منهم بلغوا مرتبة التأويل ومن بين تلك الشخصيات القليلة في البيئة الكتامية القاضي أفلح بن هارون

---

[1]- سورة آل عمران، الآية: 110.

[2]- الذهبي شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 936- 937.

[3]- ابن عذارى المراكشي، 171.

[4]- بوبة مجاني، الإسماعيليون في المغرب العربي الفكر والمؤسسات والعمران، (ط1، رؤية للنشر والتوزيع، 2014)، 34.

[5]- النشار سامي علي، 522.

[6]- ابن الأثير عز الدين، 451.

[7]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 40. القاضي النعمان، شرح الأخبار، 415. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 52. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار، السبع الخامس، 46. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 41.

الملوسي، ولحسن الحظ حفظ لنا مؤلف "المناظرات" البعض من نشاطه[1]، والراجح أن الداعي منذ نزوله على القوم سنة 280هـ/893م بدأ في نشر التشيع بينهم وإن لم تفصل المصادر في ذلك إلا أنها تركت لنا إشارات دالة من بينها" إسقاط صلاة التراويح"[2] وادعاء أنها ليست من سنة النبي صلى الله عليه وسلم إنما سنها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، وكان غالبية أتباعه في البداية من بني سكتان اللذين أخلوا له مجلسا للسماع وكانوا يقومون بضيافة من يأتيه ويرد عليه وينفقون في ذلك"[3]، وكان هذا المجلس هو نواة لمجالس الحكمة الفاطمية والتي بلغت ذروتها بالقاهرة المعزية.

الصراع داخل كتامة:

لقد كان الكتاميون المعارضون الذين لم يحتضنوا الدعوة الإسماعيلية ينظرون إلى الداعي الجديد ومن اتبعه نظرة سوء وينسبون الداعي إلى الكفر والخروج عن الملة، بيد أنهم لم يبادروا إلى التعرض إليهم لأنهم كانوا ينتظرون تحولهم ويظنون أن احتضانهم للدعوة مجرد حماس مؤقت سينطفئ مع الوقت، أو كانوا ينتظرون تدخل الوالي الأغلبي ليفرق شمل الشردمة بالقوة، ولما يئسوا من ذلك وأدركوا أن سلطتهم زائلة وأن عصبيتهم ذاهبة عمدوا إلى المكر وتواصلوا فيما بينهم وتآمروا ولم يكن هذا التآمر مقتصرا على وجوه كتامة الناقمين بل اشتمل أيضا على رؤساء المدن المتربصين الذين لم يكونوا ينظروا باطمئنان إلى تعاظم الدعوة والداعية وسط قبائل كتامة، وهؤلاء المتآمرين هم: أمراء المدن القوية من أصحاب العدد والعدة والقوة والنجدة والأموال الكثيرة رتبتهم في الجدول التالي:

جدول يوضح أمراء المدن العرب في بلاد الزاب وكتامة الذين عارضوا دعوة أبي عبد الله الشيعي:

المدينة	أميرها
ميلة	موسى بن العباس
سطيف	علي بن عسلوجة
بلزمة	حي بن تميم

جدول يوضح مقدمي قبائل كتامة ومشايخهم وأبطالهم:

القبيلة	ممثلها
مسالتة	فتح بن يحي المسالتي(المعروف بالأمير).
لهيصة	مهدي بن كناوة
أجانة	فرح بن جيران
لطاية	تميم بن فحل
متوسة	زياد المتوسي

[1]- ابن الهيثم 121- 124.

[2]- ابن حماد الصنهاجي، 50. المالكي، 56، ابن عذارى المراكشي، 171.

[3]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 49.

وبالرغم من كثرة عدد المتآمرين والذين بلغت بطونهم من كتامة خمسة بطون مع قيادة سياسية لثلاث مدن ووفرة مؤونتهم وسلاحهم واعتزازهم بالسلطان وموالاته، إلا أنهم ترددوا في أمرهم وهذا بسبب عجزهم على أخذ الداعية عنوة من بين أيدي السكتانيين، إضافة إلى تخوفهم من تدخل قبيلة جيملة المعروفة بقوة عددها وحصانة أرضها[1] إلى جانب السكتانيين في حالة اللجوء للعنف، وبالتالي تعقدت العملية وانقسمت كتامة إلى فريقين وعمدوا من جديد إلى أسلوب الملاينة وقرروا التواصل مع بيان بن صقلان أحد وجوه بني سكتان الذين لم ينضموا إلى الدعوة بعد[2].

كان القوم في هذه الأثناء قد خافوا على داعيتهم من يد خبيثة تغتاله بينهم فعمدوا إلى إخفائه ولم يعرف بمكانه إلا قلة قليلة من وجوههم، وأخرجوا للقوم سفارة جمعت الكثيرين من ممثليهم حاملين معهم:" أربعة أفراس ومائة شاة هدية، وقالوا: إن هذا الرجل قد بذل الدين وفرق الجماعة وشتت الكلمة، وأدخل الشتات بين الأقارب، وقد قصدناك في أمره وأملنا قيامك في قطع هذا المكروه عنا، بأن تقبض على هذا الرجل فتخرجه من بلدنا إن كرهت قتله وتنفيه عنا"[3]، كما عملوا على إغرائه إذا فعل ذلك بأن يجعلوه مقدما على جميع كتامة والبربر وقبائل والعرب، كما قاموا بترهيبه وتخويفه وتذكيره بقدوم عسكر السلطان إليه[4].

غير أن رد بيان كان مخيبا وأخبرهم بأان الداعية بعد نزوله في مضاربه أصبح ضيفه، ويستحيل تسليمه، ففكر القوم أن يدفعوه للخروج من البلاد مع عدم التعرض له لكن بيان كان مدركا لتخطيطهم فأقترح عليهم حلا قد يجمع بين الطرفين وهو المناظرة، غير أنهم لم يحتكموا لها بسبب خشيتهم" أن تقوم حجته فيكون ذلك أقوى لأمره وتزول رئاستهم بسببه"[5].

ب: الدعوة في مرحلتها العسكرية

كانت قبائل كتامة المعارضة لمشروع الداعية في بلادهم متأكدة من إخلاص أتباعه له، لهذا اختاروا المناظرة كوسيلة احتكام بينهم سينتصر عليهم وما لهذا الأمر من تداعيات على خططهم ومكانتهم، فتظاهروا بقبولها بالذهاب للالتقاء بعلمائهم غير أنهم في عودتهم كانوا مستترين وراء جمع من العلماء وهم حاملين معهم أسلحتهم على نية الفتك بالداعي، لكن أنصاره عرفوا بتدبيرهم فخرجوا متقلدين أسلحتهم واصطف الفريقان وطال النقاش،

[1]- بوبة مجاني، الإسماعيليون في المغرب العربي، 164.

[2]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 53.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 82.

[4]- نفسه، 82.

[5]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار-، 53.

عندها تحركت جماعة من الأولياء فهجموا فيهم، فاندلع القتال بين الفريقين[1]، وسمعت قبيلة جيملة بهذا فتدخلت وشاركت لصالح أنصار الداعية وتمكنت من ترجيح الكفة لصالح الداعية وفر خصومه من ميدان المعركة[2].

وكانت هذه الواقعة بداية لفصل جديد من أحداث الدعوة وهو دخولها النزال العسكري الذي كان فريقاه **كتامة المؤيدة للمشروع الإسماعيلي وكتامة المعارضة له والمدعومة من طرف البيوتات والقبائل العربية والسلطة الأغلبية.**

دار الهجرة(تازروت) معالمها وأسباب التوجه إليها:

رغم الانتصار الكبير الذي حققه معسكر الداعية أبو عبد الله الشيعي إلا أن معارضيه ظلوا قائمين وانتصاره في جولة لا يعني أنه ملك كتامة بأكملها، بل كان العدو الأول المتابع والمستهدف من طرف أمراء المدن في كل من ميلة وسطيف وبلزمة، ولم يكن جميع أهل إيكجان قد دخلوا دعوته ولا حتى الموضع الذي مكث فيه كان حصنه، إضافة إلى ذلك لم ينقطع الفريق المنهزم عن متابعته والاتصال ببيان بن صقلان للتآمر في شأنه لدرجة أنهم أنكروا تدخلهم في الاشتباك الأخير وبراءتهم من المجموعة التي قاتلته، وراحوا يحذرونه أن تلك المعركة ما هي إلى جولة قد تكون الجولات الأخرى عليهم وليس لهم كما أنهم ذكروه بأن الشيعي هذا وإن ظهر أمره وكثر أتباعه فلازال أمره مكتوم والذي يدعو إليه غير معلوم[3].

بعد أن تناقلت الأخبار وأحس الداعية أبو عبد الله الشيعي بتغيير موقفه بدأ يحضر للرحيل وفي المقابل خرج أمير قبيلة غشمان "الحسن بن هارون الغشمي" والذي كان مطاعا بين قومه لرجاحة عقله وحسن خلقه وكرم نفسه[4] وقصد أبو عبد الله الشيعي ورغب إليه في الإقامة عنده ووعده بالحماية والمدافعة دونه بنفسه وأهله وماله[5]، وماله[5]، وتشاور مع أتباعه فرغبوه بذلك عدا بنو سكتان الذين نزل عندهم في البداية" فإنه عظم ذلك عندهم وكرهوه وقالوا: نحن ندفع عنك ذلك بأنفسنا حتى نقتل كلنا دونك... فشكر لهم قولهم..."[6]، وفي الأخير خرج قاصدا مركز دعوته الجديد وهاجر معه جمع من بني سكتان ومن الأنصار الذين سكنوا معه بإيكجان.

إن النصوص الإخبارية التي أشارت إلى المجتمع الجديد للجماعة الإسماعيلية وصفته بأنه مجتمع مثالي حرص فيه الأنصار الجدد للدعوة على التشبه بأنصار المدينة لما قدم عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان

---

[1]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار-، 54. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 84.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 84.

[3]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس، 54. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 85.

[4]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 54- 55. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 87.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 87. بيضون إبراهيم، الفاطميون قراءة مختلفة في تاريخ ملتبس، (ط1، بيروت/ لبنان: دار المؤرخ العربي، 2013)، 2013)، 44.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 87.

الله عليهم مهاجرين بدينهم من المدينة، حيث قام أنصار الدعوة الجدد وعصبيتها(الغشمانيين) "بمقاسمة الوافدين الجدد عليهم من الإخوان الأموال وأحلوهم فيها محلهم، وأروهم من الغبطة والسرور بهم ماسرهم"[1].

وكان لهذه السمعة الطيبة التي اشتهر بها مجتمع دار الهجرة الجديد أو كما يسميها أحد المستشرقين "بالدولة الدينية في تازروت"[2] عاملا مشجعا لهجرة العديد من الأنصار عليها حاملين معهم كل مايستطيعون من مؤونة، نصرة وزيادة في الجماعة، بل حتى إن ضعفاء إيكجان من الشيوخ والمرضى قد حملوا رفقة إخوانهم على ظهر الخيول، وقد" بدل الحسن بن هارون من ماله في ذلك، وأموال خاصة أهل بيته ما أوسع المؤمنون به"[3].

وفي هذه المرحلة عمت دعوة الشيعي كل قبائل كتامة ولم يبقى فيهم بطن إلا ودخل في الدعوة فرادى أو جماعات ومن بين القبائل التي دخلت وأقبل الكثير من أنصارها على دار الهجرة أجانة، ملوسة، لهيصة، لطايةو جيملة وهي ليست ببعيدة عن مركز الدعوة (إيكجان)[4].

المؤامرة داخل بيت الهجرة الجديد:

كان للحسن بن غشمان أخ أكبر منه يقال له "محمود" وكان مطاعا في بيته وقومه ومع ظهور الدعوة وانتشارها انصرفت وجوه الناس إليه[5]، فحسده أخوه على ذلك وتكلم فيه وفشا عنه وكان " يداريه ويتلطف به خوفا أن يفرق جماعة غشمان، ويدخل بينهم الشتات"[6]، ولما تسامع أعداء الداعي بذلك تواصلوا فيما بينهم وكان على رأسهم مهدي بن كناوة اللهيصي وكان هدفهم محمود وبدءوا في تحريضه على أخيه والداعية وأجابهم هو بأن" بني سكتان...، عامة غشمان وكثير من قبائل كتامة، ارتحلوا إليه، وساروا حوله، فهم يمنعونه ويقاتلون دونه من أراده"[7] وانتهى اجتماعهم بأن يجهزوا للداعية جمعا من العلماء يناظرهم، لكن لم يكن يوجد في كتامة من هو أقدر على الداعية علما وبيانا فقرروا السير في خطة التظاهر بجمع العلماء فإذا ظهر الداعية قتلوه، لكن الأخبار وصلت إلى أبي عبد الله الشيعي وسيد غشمان الحسن بن هارون وأرسلوا وفدا إلى محمود ليخبروه بعلمهم باجتماعه مع الأعداء وأنهم دبروا خدعة القتل في دون علمه والعار الذي سيلحقه إن حدث ذلك، ثم أتاه أخوه

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 88. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس، 55.

[2]- هالم هاينز، إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين، 142.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 88.

[4]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس، 55.

[5]- الدشراوي فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب- التاريخ السياسي والمؤسسات-(296-365هـ/909- 975م)، تر: حمادي الساحلي، (بيروت/لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1994)، 103.

[6]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، 55. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 90.

[7]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 91.

ووجوه غشمان وقالوا له:" نحن أهل بيتك وعشيرتك وأنت مقدمنا، وأميرنا، وهذا ضيفك وضيفنا، وقد أجرناه، وقد رأيت ما لحق ببني سكتان في إخراجه من النقص، وأنهم قد ندموا على ذلك، وأنا بيانا قد دخل في أمره...فلا تجعل علينا عارا ونقصا، وأتوه بالمصحف، وحلفوا به، وقدموه على أنفسهم، فاستماله ذلك، وجمع من كان يميل إليه من غشمان، وأعلمهم ما عقدت عليه الجماعة من الفتك بأبي عبد الله"[1].

وبهذا أحبطت المؤامرة من داخل البيت الجديد وتوحدت غشمان كلها تحت راية الداعي وانصرف محمود رفقة عدد من الغشمانيين متظاهرا بأنه مع المعارضين في مسألة الإيقاع بالداعي، فالتقى بهم وطلب منهم العلماء فقط للمناظرة يقودهم نحو مضارب القبيلة "فانحل في أيديهم ما عقدوه... وأمام إصرارهم أعلمهم بما خططوا له وتكلم الحسن أخوه وحمل فيهم"[2] وحمل الأولياء، والتحم القتال، وغضب محمود، وقاتل قتالا شديدا، وقاتل الأولياء قتالا لم يرى مثله"[3].

وكان محمود قد جرح في المعركة وتوفي من جرحه هذا وأظهر الداعية أبو عبد الله والحسن وقبيلة غشمان الطلب بدمه معلنين بذلك الحرب مع مهدي بن أبي كناوة وقبيلة لهيصة، وكان للمهدي أخ إسمه أبو مديني فارس عصره وأعجبهم ولما طال غي أخيه عمد إلى أحد الفتيان اللهيصين الداخلين إلى الدعوة إسمه"لاوة بن صوحان" ولم يكن أمره شاع بعد، وعمدا هذين الأخيرين على التخطيط لقتل المهدي وفي أحد المعارك" خرجا ناحية ودعوا به، فأقبل إليهما، وكلمه أخوه أبو مديني بمثل ما كان يكلمه حتى أنس إليه، ثم ضرباه جميعا ضربة رجل واحد، فاختلف رمحاهما فيه، فسقط إلى الأرض، وحمل الأولياء وحملت لهيصة، فاستنقذته وحملته، فمات من جراحه تلك بعد أن وصل إلى موضعه، وتفرق أمر لهيصة من بعده، وأقبلوا إلى الدعوة واصطلح غشمان ولهيصة وتألفوا في الدين"[4].

أثار هذا الانتصار حفيظة بقية قبائل كتامة المعارضة خصوصا لما سمعوا بمقتل حليفهم مهدي صاحب لهيصة فأرسلوا إلى مزاتة[5] واجتمع لهم بقية القبائل وقرروا الزحف في موقعة كبرى تقضي على الداعية وأنصاره، فلما سمع

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 92- 93.

[2]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 57. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 94.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 94 .

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 96- 97.

[5]- يبدوا أن سبب استدعاء وإقحام قبيلة مزاتة في الحرب بسبب العلاقة المميزة التي جمعت رئيسها يوسف العطاشي مع الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد، أحمد، فأصبحت القبيلة وحماها مستباحا من طرف الداعية أبي عبد الله الشيعي وأنصاره، وحدث أن أغارت الجماعة على قافلة لها كانت قادمة من ميلة وكان على رأسها سيدها يوسف العطاشي، فنهبت القافلة وهرب صاحبها ومن بين الغنائم التي سلبها الكتاميون جارية أهداها علي إبراهيم بن أحمد إلى يوسف المزاتي، فأهداها الأولياء للداعية فكانت أم ولده ولم يكن له غيرها. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 98- 99.

بذلك أبو عبد الله وعلم بتحضيراتهم وتحركاتهم قام إليه أنصاره وبرز "بمن معه عن تازورت وعسكر بناحية منها وخندق على نفسه"[1]، وخاف الأولياء على الداعية من أذى يلحقه إن اجتمع الجمعان واعلموه بأنهم يريدون حمايته وذلك بإخفاء وإبعاده عن المعركة غير أنه شكر سعيهم وخطب فيهم خطبة بليغة حمستهم وحركت الدماء في عروقهم، وكان من بين الذين تجلدوا ذلك اليوم وزلزلوا حشد الأولياء بخطابهم هو الداعية العربي أبو عبد الله الأندلسي[2] والذي كان" قائما على قدميه ابتهاجا بما سمع من ذلك ورأى من المؤمنين، فقال: لقد ثبت أمر الله فيكم كما ثبتت هذه في هذا— وأومأ إلى أذنه ورأسه –، والله لو قابلتهم هذه الجبال– وأشار إليها–، بهذه النيات لأنزلتموها "[3] ثم بدأ في" تجهيز الجيش مما تمتلكه قبيلة غشمان "[4]، فبلغت عدتهم ذلك اليوم" سبع مائة فارس لا يزيدون ولا ينقصون، وبلغت رجالاتهم نحو ألفي رجل"[5] وكانوا كلهم من أهل النجدة والشدة مخلفين المرضى والضعفاء وراءهم، وكان القتال بين الفريقين في مواضع عديدة وعلى جبهات مختلفة كل مرة ينزلون على حلف من القبائل، وفي اليوم الثالث من القتال ظهرت صولة وشجاعة غزوية بن يوسف الذي أبلى ذلك اليوم بلاء منقطع النظير[6] وجرح في المعركة، ولما زالت الشمس حمل غزوية على رجل من شجعان فرسانهم فقتله وتبعه الأولياء فانهزمت الجموع وكان الداعي بمن معه" يقتلون ... ويحرقون ديارهم، ويغنمون أموالهم إلى أن حال الظلام دونهم، ولم يتعرضوا لامرأة أو حرة، ولا كشفوا عورة، وانصرفوا إلى مناخهم، قد ملئت من الغنائم أيديهم"[7]، وكان هذا الجمع الذي انتصر عليه هو جمع ميلة وما جاورها من القبائل وفي صباح اليوم الرابع زحف الداعية وجيشه نحو معسكر سطيف وما جاورها" فقاتلوهم فهزمهم الله ببين أيديهم، وأمكنهم من ظهورهم، فقتلوهم قتلا دريعا، وغنموا أموالهم"[8].

وقد وصفت المصادر الإسماعيلية غنائم ذلك اليوم من الغنم والعبيد والأمتعة والأموال لدرجة أنهم لم يستطيعوا أخدها جميعا، ونفس الأمر مع الأنعام التي لم يستطيعوا سوقها، وبيع ذلك اليوم الجمال عشرين بعيرا

[1]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 100.

[2]– سامعي إسماعيل – بن عربة محمد، البيوتات العربية في المغرب الأوسط، 183.

[3]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 102.

[4]– بوبة مجاني وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، (ط1، قسنطينة/ الجزائر،: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2007)، 84.

[5]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 103.

[6]– الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 60.

[7]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 108.

[8]– نفسه، 108.

بدينار، وبيع الجمل بخمس بصلات، أما الخيول فكانت كثيرة لا تحصى[1]، هذا إضافة إلى السروج واللجم المحلاة...والسلاح والبنود والطبول وزعت كلها على الجيش وزادت في قوته وكثرة عتاده، إضافة إلى ذلك فإن هذا الانتصار والمعارك الهامشية التي خاضها الشيعي في نواحي تازروت كانت لها دور كبير في إخضاع القبائل المتبقية في حدود كتامة الشرقية وفي طليعتها قبيلة عجيسة، وزواوة، ومجرس وجميع كتامة.

كما أن الداعي بعد هذا النصر إطمأن لما حققته دعوته في مرحلتها الأولى فأمر ببناء قصر بتازروت سكنه بنفسه[2] وعمل على توطين الأولياء ومقربيه وأقطعهم"دورا حوله وارتحل إليه المؤمنون من كل ناحية، وبنوا وسكنوا وواطنوا، وقوي أمرهم، واستأمن كثير من القبائل إليهم..."[3].

معاودة النشاط العسكري والانطلاقة الفعلية للمواجهة العلنية مع الإمارة الأغالبية

النشاط العسكري داخل مجالات كتامة:

لقد كان للنصر الذي حققته الجماعة الإسماعيلية بمعسكر كتامة الموالية للدولة الأغلبية بعد موقعة تازروت صدى وأثر عميق وضاقت الأرض عليهم بما رحبت وهم يشهدون انتشار دعوة أبي عبد الله الشيعي واتساعها، وتعاظم سمعته باعتباره مخططا حربيا محنكا[4]، وازدياد أنصاره وانضمام القبائل لصفوفه، وفي المقابل كانوا يخسرون امتيازاتهم ومكانتهم في قيادة قبائلهم والتي بدأ أفرادها ينضمون للدعوة فرادى وجماعات، لهذا اتجه الكثير منهم نحو إفريقية وبلاط الأغالبة لتحريضهم بإخراج جيوش نظامية تتصدى للداعي وأتباعه، وكان على رأس هؤلاء المحرضين فتح بن يحي المسالتي الذي وعدهم بالمساعدة في حين كان توجه جيوشه لبلاده كتامة[5].

سقوط ميلة 289هـ/901م:

إن صراع أبو عبد الله الشيعي مع الأغالبة كان يمثل المنعرج الحاسم في تاريخ الدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب، فمن غير المعقول أن تقوم خلافة المهدي المنتظرة بجوار أحد أقاليم الخلافة العباسية الذين لطالما تتبعوا فلول العلويين وبادروا إلى وأد مشاريعهم وهي في مهدها، وبالتالي كان لا بد أن تصطدم دار الهجرة والمجتمع الشيعي الوليد بدولة الأغالبة[6] وكانت البداية بالمنطقة القريبة وحاكمها الأغلبي المتربص وهي مدينة ميلة.

---

[1]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 60. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 109.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 109.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 109- 110.

[4]- غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، (الدار البيضاء/ المغرب: إفريقيا الشرق، 2014)، 172.

[5]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 43.

[6]- الخربوطلي علي حسني، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، 47.

تمثل مدينة ميلة رمزا للحضور العربي في بلاد كتامة[1] وحاكمها رجل من بني سليم هو "موسى بن العباس بن عبد الصمد"[2] وذلك في أواخر القرن3ه/9م، وقد كان الداعية الصنعاني مدركا لخطورتها ذلك أن واليها كان خصما له دائم التربص به محرضا لقبائل كتامة على محاربة دعوته الجديدة وأنصاره، غير أنه (الداعية)كان ينتظر نزاله والزحف على مدينته بعدما توفر له جهاز مخابرات قوي يعلمه بكل التطورات شاردها وواردها[3]، وقد تحدث القاضي النعمان عن هذا الجهاز وقال أن الداعية" كان يرسل إلى إفريقية قوما يأتونه بالأخبار، لا يقطع ذلك، فقيل: كان لا يمر يوم إلا وعنده منها خبر"[4]، وجأته الفرصة مناسبة لما علم بخروج الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد أحمد سنة 289ه/901م قاصدا صقلية والتي استعصى فتحها على المسلمين فيما مضى من سنوات، ففتحها ودخلها عنوة، وواصل توغله في العمق الإيطالي حتى سقط شهيدا في أخر ذو القعدة من سنة289ه/901م، وكان موسى بن العباس صاحب مدينة ميلة قد أسهم في هذا الغزو بنصف قواته من الحامية المرابطة بالمدينة، فكان هذا" من العوامل التي سهلت مهمة أبي عبد الله الشيعي وأنصاره لدخول المدينة"[5]، إضافة لعامل داخلي جد مهم وجاذب ومحفز لأبي عبد الله الشيعي دفعه للتوجه نحو المدينة والإستيلاء عليها، وهو احتدام المنافسة والصراع القبلي داخل المدينة بين كل من "السناجرة" و"بني سليم" وكان على رأس السناجرة الحسن بن أحمد بن علي بن كليب والمعروف"بأبي الخنزير" والذي انحاز إلى دعوة أبي عبد الله الشيعي وكاتبه، وسار إليه وأطلعه على غرة البلد[6]، فتوجه أبو عبد الله بجموعه نحو المدينة وحاصرها من جميع جهاتها، ونازل الداعية واليها ومن معه من رؤساء كتامة الموالين للأغالبة على غرار فحل بن نوح، وفرح بن جيران، ويوسف بن محمود، ووزرة بن نصر[7] وقاتلوهم قتالا شديدا[8]، وقتل فحل بن نوح وغلب الداعية وجنده على أرباض ميلة حينها لجأ المنهزمون إلى حصن حصن المدينة، ويبدو أن جزء لا بأس به من ساكنة المدينة لم ينضموا إلى واليها للدفاع عنها وحسبنا في هذا دليلا أنه لما أيقن واليها بقرب سقوطها أرسل إلى الحسن بن أحمد بن أبي الخنزير طالبا منه التوسط عند أبي عبد الله من

---

[1]- الطالبي محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، 707.

[2]- اليعقوبي، 190.

[3]- يذكر عوض الشرقاوي أن الداعية أبي عبد الله الشيعي درب وامتلك شبكة منظمة من العيون والجواسيس، تأتي له بأخبار إفريقية مفصلة، وقد استطاعت هذه الشبكة تزويده بالعديد من التقارير والتي رجت كفته في الصراع مع الأغالبة، في المقابل لم يغفل الأغالبة عن لعب ورقة الجاسوسية والتي من خلالها أدركوا حجم وقوة الجماعة الصاعدة في المنطقة. الشرقاوي عوض، 89- 100.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 146.

[5]- فيلالي عبد العزيز- بحاز إبراهيم بكير، مدينة ميلة في العصر الوسيط، (عين مليلة/ الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2017)، 34.

[6]- ابن الأثير عز الدين، 451.

[7]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 64. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 136.

[8]- ابن الأثير عز الدين، 451.

أجل تسليم المدينة شريطة عدم التعرض لأهلها، غير أن هذا الإجراء يبدو أنه كان مناورة من والي المدينة والظاهر أنه كان يبحث عن الوقت المناسب ليتمكن ابنه وحاشيته من الهرب وفعلا تحقق له ذلك، لأن ابن أبي إبراهيم ابن موسى ابن العباس" تسلل في جماعة ممن معه وهربوا بالليل ولحق بإفريقية"[1].

أما الغريب في الأمر هو بقاء وجوه كتامة من الإجانيين الذين حاربوا الداعية في الماضي وطمعهم في عهد الأمان الذي منحهم الداعية إياه لكنهم قتّلوا، ويبرر القاضي النعمان قتلهم من طرف جيش الداعي بأن الذي سعى في ذلك هو أبو زاكي والذي كان خائفا على فقدان مكانته في إجانة إذا بقي هؤلاء الوجوه أحياء ودخلوا الدعوة[2]، وبعدها ترك الداعية على المدينة أبو يوسف ماكنون بن ضبارة واليا عليها وعاد إلى تازروت.

أصداء سقوط ميلة عند الأمير الأغلبي

لجأت الفلول العربية المنهزمة بقيادة ابن أمير ميلة السابق إلى كبير الأغالبة [3]والذي كان يومها مقيما في تونس تونس فحرضوه على الداعية وقللوا من شأنه وأن مصيره الانهزام عند خروج جيش الإمارة، فأمر الأمير بخروج الجيش الأغلبي بقيادة ابنه أبي حوال الذي كان فارسا شديدا من أجل القضاء على الداعية وأتباعه، حيث انتقى من الجيش الأغلبي اثني عشر ألف بين راجل وفارس وخرج معه وجوه كتامة اللاجئين إلى البلاط الأغلبي، وكان خروج الحملة من مدينة تونس في ذي القعدة سنة 289هـ/901م وتوغلوا في أعماق كتامة ونزل بمدينة سطيف وفيها تجمعت حشوده بالتحاق بنو تميم من بلزمة والكتاميين الذين لم ينضموا إليه، وبدأت الحملة بالانتقام من القبائل التي ساندت الداعية والبداية بالمجرسسين"والذين قتلوا قتلا دريعا، وانتهبت أموالهم وسبيت نساءهم وذراريهم[4]، ثم اتجه بجيشه نحو أكبر تجمع للجماعة الإسماعيلية وهو تازروت، غير أن الداعي كان يريد تجنيب

---

[1]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، 64.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 137.

[3]- زيادة الله الأغلبي: هو أبو العباس بن إبراهيم الأغلبي التميمي أخر أمراء الدولة الأغلبية بتونس وهو الثاني عشر ممن ولوا إمارتها .ولد ونشأ بتونس وكان ميالا إلى اللهو ولاه أبوه إمارة صقلية وجعلوه أمير على افريقية سنه 290هـ ثم فر من افريقية سنة 296هـ/909م بعد أن استفحل أمر عبد الله الشيعي فنزل بمصر ثم قصد بغداد فمر بالرقة ثم رجع إلى مصر فمرض فقصد بيت المقدس فمات بالرملة. ابن الآبار أبي بكر القضاعي البلنسي، الحلة السيراء في تراجم الشعراء ومن أعيان الأندلس والمغرب من المائة الأولى للهجرة إلى المائة السابعة، تع: على إبراهيم محمود، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 2008)، 102- 104. ابن خلكان، ج 193/2- 194. الدواداري ابن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر- الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية-، تح: صلاح الدين المنجد، (القاهرة/ مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1961)، ج6/ 40- 43. ابن الخطيب لسان الدين، إعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق :احمد مختار العبادي- محمد إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء/ المغرب: دار الكتاب، 1964)، ج3/ 37- 45.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 140.

عاصمته الخراب والحصار فخرج لالتقاء الأغالبة ومن والاهم وكان اللقاء ببلاد ملوسة، وكانت الهزيمة على الداعية وجيشه ليومين وحجز الثلج بين قتال الفريقين فخرج الداعية بمن معه من تازروت واتجهوا نحو إيكجان، فسار أبو حوال نحو تازروت ووجدها خالية فأحرقها وهدم قصر الداعي فيها، ثم توجه نحو ميلة فوجدها خالية فنزل بناحية منها مخندقا على أمل التوجه نحو إيكجان للإجهاز على الجماعة الشيعية، وفي صباح اليوم الموالي أنقلبت الموازين وذلك أن ابن أبي إبراهيم بن موسى بن العباس قرر أن يمضي إلى كجارمة لإعادة دفن أبيه- الذي كان واليا على ميلة- والذي قتله الداعية ورمى به في مطمورة فتوجه نحو كجارمة وهي بلد لطاية غير أنه التقى بفرسان كجارمة فاشتبكوا واشتد القتال بينهم وأنجد كلا من المعسكرين فريقه ومع هبوط الليل كانت الدائرة على معسكر أبي حوال الذي هرب بقواته تلك الليلة نحو إفريقية[1].

لم تكن هذه الحملة هي الأخيرة فقد أرسل أبو حوال مرة أخرى على رأس جيش كان أكثر قوة وعتاد وعدة وسلك به نفس الطريق الذي سلكه في حملته السابقة حتى نزل بسطيف[2]، ولما علم الداعية بوصوله خرج على رأس جيش شمل كل من تجمع في إيكجان ونزل بتاسدق من بلد لهيصة وخرج أبو حوال من سطيف نحو بلد ملوسة فأرسل له الداعية أبو عبد الله الشيعي " عامة الخيل الذين معه...فلما أشرفت على أبي حوال خرج من خندقه بجميع عسكره، فاقتتل القوم قتالا شديدا وكانت الغلبة لأصحاب أبي عبد الله"[3]، وحال الليل بين الفريقين وفي اليوم الموالي لم يقدر أبو حوال على الخروج من خندقه والجماعة الإسماعيلية محاصرة له وظل كذلك إلى غاية الليل" حيث أوقد المشاعل وكر راجعا إلى سطيف"[4] ولحقه الأولياء وضربوا ساقة جيشه وقتلوا الكثير منهم وانتهبوا ماتركه، وبهذا انتهت الحملة الثانية التي وجهتها السلطة الأغلبية نحو البلاد الكتامية للقضاء على الجماعة الإسماعيلية والتي لم يتعدى عمرها وحراكها أكثر من9سنوات، وكان مصير أبي حوال هو القتل في تونس لأن الأحداث في إفريقية شهدت تطورات جديدة حيث تم انقلاب دموي في الأسرة الأغلبية وتولى الحكم زيادة الله بعد مقتل أبيه وقام بحملة تطهير في صفوف بطانة أبيه والعائلة الحاكمة ومن بينهم أبو حوال[5]، وبالرغم من هزيمة هذا الأخير على يد الداعية أبي عبد الله في موقعتين إلا أنه كان أحد ابرز القادة الأغالبة الذين كانوا أشد عناية بمسألة الداعية وحراكه وكان معول عليهم في القضاء على الدعوة أو على الأقل الإبطاء من زحفها.

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 144- 145.

[2]- بن عربة محمد، بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والسلطة الأغلبية(280-296هـ/893-909م)، 239.

[3]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 76.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 150.

[5]- ابن عذاري المراكشي، 179- 180.

سقوط سطيف 291هـ/903م:

كانت سطيف خاضعة لحكم علي بن حفص والمعروف "بابن عسلوجة" والمنتمي لبني أسد بن خزيمة[1]، "و كان من الأبطال المعدودين ولم يكن له بالناحية كلها نظير في النجدة والذكر"[2]، ومنذ بداية الدعوة كنّ لصاحبها وجماعته العداء واشترك في جميع الحملات ضده ولم يذخر جهدا في القضاء عليه، ، ولما سقطت مدينة ميلة وفشلت الحملات الأغلبية بقيادة أبي حوال واقترب الخطر منه أكثر بدأ يخرج على رأس جيشه رفقة بقايا من كتامة كان قد جمعهم وكان في كل تلك المعارك يظهر عن شجاعته حيث أنه قتل بسيفه في إحدى معاركه "ثلاثة عشرة فارسا، في القتال، لا يزيد الواحد منهم على ضربة واحدة"[3]، وكان القتال بينه وبين الأولياء أربعون يوما، بعدها رجع الداعية إلى إيكجان، ومكث فيها شهرا " وجمع الأولياء وأوعب في جمعهم، وزحف إلى سطيف في عساكر لا يحصى عددها حتى أحاط بها"[4]، وخرج ابن عسلوجة كعادته إلى أن غلب وحوصر في قلعته لأيام ومات هو وأخوه أبو حبيب، ورغم أن المصادر لم تفصل في طريقة موته إلا أننا نرجح أنه يكون قد أغتيل من طرف أعين وأيادي الداعية أبو عبد الله الشيعي داخل الحصن، فليس من المعقول لرجل أجمعت المصادر على شجاعته المفرطة أن يموت في حصار دام فقط أيام معدودات داخل مدينته ومع أخيه واقرب أتباعه، وعموما بعد وفاته انفرط عقد المقاومة في المدينة وتفاوض الداعية مع داوود بن حباسة اللهيصي الذي كان في جملة قواد ابن عسلوجة، ورضي بأن تسلم المدينة وتفتح أبوابها شريطة ضمان "أهل البلد كلهم"[5]، فأمنهم الداعي عدا بعض الأفراد اللذين أمر بقتلهم كما قام بهدم سور المدينة وعين عليها عاملا جديدا[6]، وبموت ابن عسلوجة تنتهي أكبر مهمة للداعي في صراعه مع أقوى البيوتات العربية في المجالات الكتامية ذلك أن المدن الأخرى وعمالها لم يكونوا بمثل قوة وشجاعة صاحب مدينة سطيف.

أصداء سقوط سطيف عند الأمير الأغلبي

لقد كان لسقوط سطيف أثر كبير في نفس أمير رقادة الجديد لما لها من أهمية بالغة لدى الأغالبة في المجالات الكتامية، فعمد إليه العديد من وجوهها ووجوه ميلة التي سقطت قبلها وشرعوا في تحريضه وتخويفه من تمدد أبي

---

[1]- اليعقوبي، 190.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 165- 166.

[3]- نفسه، 166.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 167.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 167.

[6]- عيبش يوسف وآخرون، الخريطة التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف- الملف التاريخي-، (ط1، قسنطينة/ الجزائر: منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2011)، 173.

عبد الله الشيعي" فأخذ في الحشود، وأوسع في العطاء فاجتمعت له عساكر عظيمة"[1] وقدم على هذه الحشود أحد أفراد بيته وهو"إبراهيم بن حبشي"وقد بلغ قوام هذا الجيش 40ألف مقاتل[2]، باعتباره أكبر جيش أخرجته إمارة الأغالبة منذ تأسيسها سنة 184هـ/800م، غير أن قائده يختلف تماما عن القائد المغدور أبي حوال لأنه لم يكن من رجالات العسكر ولم يكن مشهورا بالقوة والبطش بل كان يغلب عليه اللين[3]، فقبل خروجه إلى المغرب الأوسط رسم له الكتاميين طريقا غير الطريق الذي سلكه سلفه، حيث توجه نحو قسنطينة العتيقة الجاثمة فوق جبل وعر[4] والتي يبدو أنها خلال هذه الفترة لم تكن قد سقطت في يد الداعية، غير أنه لا تتوفر لنا معلومات عن عن واليها ومن كان قائما عليها، وبقي القائد الأغلبي وجيشه بقسنطينة لمدة ستة أشهر في انتظار أن تدعم صفوفهم بقوات جديدة كان على رأسها "شيب بن أبي الشداد" أمير طبنة والذي خرج حسب رواية الداعي إدريس القرشي" في جيش عظيم"[5].

وعلى الرغم من المبالغة التي تحملها رواية القاضي النعمان حول عدد الجيش الذي قدره بمائة ألف رجل[6]، إلا أنه ومما لا شك فيه أن العدد كان ضخما نظرا لاعتماد قائد الحملة في تعبئة جيشه على المال واستمالة القبائل بالحملان والخلاع، والراجح أن هده السياسة قد تكون من أسباي هزيمتهم، وذلك لأن جزء منهم كان خروجهم من أجل المال والغنيمة، وغالبيتهم الساحقة من الجيش كانت تقاتل في مجالات غير مجالاتها.

أما جيش الجماعة الإسماعيلية الذي قام بحشده الداعية أبو عبد الله من بين قبائل كتامة[7] فقد كان جيشا عقائديا لم يكن هدفه جمع الغنائم وتحصيلها، إضافة إلى شعوره بالمسؤولية فكان إذا دافع دافع عن حماه وإذا هجم كان يرمي إلى توسيع نطاق دعوته والتخلص من الأغالبة وولاتهم المسيطرين على مجالاتهم.

وأما عن أحداث ونهاية هذه المعركة فقد كانت على منوال سابقاتها حيث خرج ابن الحبشي مع جيشه من قسنطينة ونزل بكينونة التي أصبحت بالنسبة للأغالبة تُعرف بمجزرة كينونة، وهاجم القوات الاستطلاعية الإسماعيلية مباشرة قبل أن ينزل ويرتب أمور قواته ويخندق عليها كعادة سلفه، وفي المقابل زحف الداعي بقواته

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 168.

[2]- ابن أبي الدينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (ط3، بيروت/ لبنان: دار المسيرة، 1993)، 67.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 169.

[4]- الدشراوي فرحات، 130.

[5]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 70.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 170. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 70.

[7]- حسن علي حسن، قبائل البرانس ودورها في تأسيس دول المغرب العربي في العصور الوسطى، (ع6، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة/ مصر: 1976)، 60.

عليهم والتحم القتال وجرح ابن الحبشي وبدأ جيشه في الانهزام وتركوا الأموال والأثقال وجيش الداعي يطاردهم قتلا وأسرا، وقد ذكر ابن عذاري المراكشي أن هذه المعركة كانت ملحمة عظيمة، تقاتل فيها الفريقان، وتطاعنوا بالرماح حتى تحطمت، وتجادلوا بالسيوف حتى تقطعت[1].

وإن كانت المصادر لم تحدد لنا عدد القتلى إلا أنه ومن خلال الرسالة التي بعثها قائد الجيش المنهزم إلى الأمير الأغلبي في رقادة تدل على عظم الكارثة حيث كتب له أنه" قتل أكثر أهل العسكر"[2].

سقوط طبنة 293هـ/905م

إذا كانت الجيوش الأغلبية التي أرسلت لمجالات كتامة لقتال الجماعة الإسماعيلية قد انهزمت من طرفهم فهذا لا يعني أن مهمة هؤلاء الجماعة كانت سهلة وبسيطة لأن الخطر لازال محذق بهم، فهناك مدن وحاميات لايزال حكامها من الأمراء العرب متشبثين محافظين على قواتهم ومتحصنيين داخل أسوارهم ومن بين تلك المدن التي لازالت لم تسقط مدينة طبنة، حيث يشير المؤرخ موسى لقبال رحمه الله إلى أن مدينة طبنة مع نهاية القرن3هـ/9م كانت بالنسبة للداعية أبي عبد الله الشيعي تمثل:

- أكبر حواضر الإقليم وهي مركزه وقاعدة توجيهه.
- مقر الحامية الأغلبية موالية ثبتت نجاعتها وفيها والي يمثل السلطة السياسية في رقادة عاصمة بني الأغلب.
- القاعدة الحيوية في خط الدفاع الأول عن مدينة رقادة وتحييدها من الصراع مما سمح بفتح الطريق نحو إفريقية نسبيا[3]، بالإضافة إلى ذلك ساهمت طبنة في تقديم خدمات عديدة للحملة الأغلبية التي قادها أمير جيش الأغالبة إبراهيم بن عمر بن حبشي.
- الخزان الحيواني والنباتي والمعدني لتوفر المدينة وأرباضها على إمكانات اقتصادية هائلة مما دفع الداعي جاهدا لاستغلالها وومنع وحرمان الأغالبة ووجوه كتامة المعارضين لدعوته من خيراتها.

لقد كانت مدينة طبنة تحت حكم "الحسن بن أحمد بن نافد والمعروف"بأبي المقارع"[4]، وكان الداعي قد نازلها نازلها مرات عديدة غير أنه استعصى عليه اقتحامها نظرا لحصانتها ولم يدرك غايته إلا بعدما طوق ورجاله المدينة

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، 181.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 172.

[3]- لقبال موسى، قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي، (حوليات جامعة الجزائر، 1990)، ع1، مج5/ 96- 97.

[4]- الحسن بن أحمد بن نافد والمعروف بأبي المقارع: ترجم له ابن الأبار في حلته وقال عنه:" كان واليا على طبنة من أعمال افريقية في ولاية زيادة الله بن عبد الله أخر ملوك الأغالبة، فحاصره أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المهدي حتى غلب على المدينة، ولجأ أبو المقارع هذا إلى حصن منيع بداخلها، ثم نادى بالأمان...وأعجب الشيعي ما رأى من نبله وجزالة منطقه، فأمر بحفظه وحفظ من كان معه، ولم يزل في صحبه إلى أن دخل إفريقية". ينظر: ابن الآبار، الحلة السيراء، 366.

من كل جانب" وقدموا إليهم دبابة، فنقبوا برجا من أبرجة السور، فسقط وحمل الأولياء عليه، فهرب جميع العسكر والمقاتلة والمقدمين، فدخلوا حصنا أوليا مبنيا بالحجارة منيعا في داخل المدينة، واحتوى الأولياء على المدينة"[1].

وكانت هذه المرة الأولى التي تطلعنا فيها المصادر على النضج العسكري للجماعة الإسماعيلية وتطور نظمها العسكرية وتسليحاتها وذلك لاعتمادها على آلات جديدة اخترقت بواسطتها أبواب وأسوار ومدن بلاد كتامة.

وهذا التحول نجم عنه تحول الحراك العسكري للجماعة من **حرب البسائط والعصابات إلى مرحلة جديدة وهي منازلة المدن وحصارها**، ونرجح أن يكون هذا الانجاز قد تم بعد حصار مدن وحواضر كتامة(ميلة، سطيف) والتي عجز الداعية وجيوشه على اختراقها لذا عمد إلى تطوير أسلحته.

وبعد سقوط المدينة لجأ كل من: "أبي المقارع" و"شبيب بن أبي الشداد" وفتح بن يحي، ومحمد بن قرهب[2]، إلى حصن بالمدينة وأمر أبو المقارع بتشغيل منجنيق كان متواجد فيه غير أنه لم يعمل، فتشاور المتحصنون ورأوا بأن يطلبوا الأمان من الداعية، فدخل المدينة مع شرط الأمان[3]، واستثنى من ذلك فتح بن يحي وجماعة مما كان معه من المعسكر، وبقتله من طرف الداعية أبي عبد الله الشيعي تخلصت الجماعة الإسماعيلية من أحد خصومها والذي سبب المتاعب للداعية داخل مجال كتامة، وصرف طاقته خارجها، كما أنه كان أحد المحرضين على إدخال الجيوش الأغلبية للعمق الكتامي بغرض القضاء على الداعية.

سقوط بلزمة 294هـ/906م:

بعد الانتهاء من وضع الترتيبات التي خطط لها والي بلزمة واتخاده مختلف الاحتياطات اللازمة أمر أحد رجالات مجانة يدعى "أبو عبد الله" بتعبئة الجيش، وفي المقابل شرع الداعي الشيعي في حصارها مع اواخر عام294هـ/906م وضيقت عساكره على أهلها[4] حيث" كان يخرج إليهم العساكر في أوان زراعتهم فتأتي عليها"[5] فعل ذلك ثلاث سنين حتى انقطع الطعام من أيديهم ... وأكلوا كل ما عندهم من الحيوان ثم أكلوا جلودها ثم لما نفد ذلك كله عادوا إلى درقهم فكانوا يقطعونها ويبللونها ويطبخونها، ويأكلونها "[6]، ومات حاكم

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 174. العمايرة محمد عبد الله سالم، الجيش الفاطمي(297-567هـ/909-1171م)، (ط1،عمان/ الأردن: دركنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، 2010)، 26- 27. بوقاعدة البشير، 40.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 174. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 71.

[3]- ابن عذاري المراكشي، 182. ابن الأثير عز الدين، 456.

[4]- ابن الأثير عز الدين، 456.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 178.

[6]- نفسه، 178. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار، السبع الخامس، 71.

المدينة في ذلك الحصار ورغم ما أصاب القوم من حيف وجوع غير أنهم استمروا كذلك صامدين في جلد عظيم وفيهم قال القاضي النعمان:"...ودافعوا مدافعة عظيمة، ونصب عليهم أبو عبد الله الدبابات والأبرجة، فأحرقوها، ولم يصل إليهم إلا من شدة الجهد وغلبة الجوع عليهم."[1]، غير أنها في الأخير سقطت وقتل فيها الرجال وهدم سورها[2]، وبدخول الداعية لكل من طبنة وبلزمة استطاع فتح ثغرة في الحصون الغربية التي تحمي إفريقية[3].

سقوط تيجس 294هـ/907م:

كانت تيجس[4] من بين المدن التابعة للحكم الأغلبي وكان ابن الركاب واليا عليها، وهنا لا بد من الإشارة إلى إلى أن هذه المدينة سلمت من الحراك الشيعي العسكري إلى غاية اليوم الذي اتصل فيه قوم من هوارة ورأس الفحصيين[5] – بقايا الشيعة الذين تشيعوا على يد الحلواني– [6]، فذهبوا إلى إيكجان لإعلان انضمامهم وكان من من بينهم فارس جلد مقدام اسمه "حمزة الملزي"، فقرر هذا الأخير الإغارة على نواحي باغاية وتعطيل مصالح الأغالبة فيها وصادف هجومه مرة سفارة مهمة قادمة من إفريقية بأمر من زيادة الله نحو المدينة فهجم عليها رفقة غلام له" فهجما فيها، وقتلا جماعة من أهلها وأخذا ما أصابا مع من قتلاه من المال وما قدرا عليه من المتاع"[7] وغنم الكثير، ولما قدم على أبي عبد الله" سره ذلك وكان سروره بالكتب وعلم مافيها أكثر"[8]، فلما رأى بقية قومه بلاؤه قاموا معه بشن الغارات وأرهبوا وأرعبوا كل المنطقة الممتدة مابين باغاية وتيجيس، فلما رأى أهلها – تيجيس– خطورة ذلك وتربص الجماعة الإسماعيلية بحماهم وعلمهم بما جرى من المدن التي سقطت قبلهم قرر حاكمها ابن ركاب مراسلة الداعية أبو عبد الله سرا للقدوم بجيش ويدخل المدينة، إلا أن الأمير الأغلبي زيادة الله كان له بالمدينة رابطة بخمسمائة فارس مع عبد من عبيده يقال له يحفور[9]، فأرسل الداعية لهم جيشا بقيادة مكتداس الجيملي فلم يخرجوا له وتحصنوا بحصن منيع، فانصرفت قوات الداعي واستبدلها بجيش أخر بقيادة يوسف

---

[1]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 179. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 71– 72.

[2]– ابن الأثير عز الدين، 456.

[3]– طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام،–297–567هـ/910–1171م)، (ط2، بيروت/ لبنان: دار النفائس، 2007)، 72.

[4]– المدينة حاليا (تيجس) قريبا من مدينة سوق أهراس.

[5]– الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 73.

[6]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 182. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 7.

[7]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 183.

[8]– نفسه، 183.

[9]– الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 73. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 183.

بن سكلب الغشمي وحاصر المدينة والحصن[1]، وأقنع الوالي أبو الركاب الحامية بالجلاء عن المدينة وقام سكانها إلى إلى القائد الكتامي ففاوضه وفتحت المدينة صلحا[2]، مقابل أن يدع أبي عبد الله الشيعي الرابطة وقالوا له هم أضيافنا، "فأجابهم يوسف على ذلك وخرجت خيل الرابطة بجميع مالها فنفذت إلى زيادة الله لم يعترض أحد منهم لا في قليل ولا كثير"[3]، وبعدها دخل جيش الداعية" تيجيس صلحا فلم يتعرضوا لأحد من أهلها بمكروه، وانصرفوا إلى بلدهم"[4]. وانتشر خبر سقوط المدينة ودهش عامة إفريقية من صنيع أبي عبد الله الشيعي وعفوه وعدله وتطلعت الناس إليه[5].

سقوط باغاية 294هـ/907م:

كان أهل باغاية يتابعون بشدة التطورات المتلاحقة في بلادهم، ورغم أن المدينة كانت مشهورة بأنها" حصن حصين"[6]، وأنها كانت القاعدة الأمامية لمدينة رقادة عاصمة الدولة[7]، إلا أن وجوهها قرروا الجنوح إلى السلم وتجنيب المدينة وأهلها خطر الدمار والتقتيل، فقام مجموعة من رؤوسهم بالتوجه نحو أبي عبيد الله الشيعي منهم"إبراهيم المعروف بابن المزيلي، وعبد الله الردم، وحمود القصير وغيرهم"، ويبدو أن هؤلاء المراسلين من المعتنقين للدعوة كانت لهم جموع أخرى تتبعهم فراسلوهم ورد عليهم الآخرون بكتب كلها تريد قدوم الداعية الشيعي، عندها توجه هذا الأخير نحوهم في جموع كبيرة فلما علم عامل المدينة أمر المراسلة تركها هاربا خوفا من القبض عليه، فخرج إليه وجوه من المدينة فأمنهم ودخلها وأقام فيها أياما وترك فيها ماكنون بن ضبارة الأجاني عاملا عليها ومعه خمسمائة جندي مرابط فيها وعاد إلى إيكجان، وسقوط هذه المدينة كان هو سقوط آخر حصن للأغالبة في بلاد الزاب وانتهاء سيطرتهم عليها والتي دامت منذ عهد مؤسس دولتهم.

---

[1]- فرحات الدشراوي، 137.

[2]- ابن الأثير عز الدين، 456.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 184- 185. الداعي عماد الدين إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 73.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 185.

[5]- إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 73.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 205.

[7]- لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 61

سقوط مجانة 294هـ/907م:

كانت مدينة مجانة[1] من بين المدن التابعة لسلطان الأغالبة حاكمها خفاجة العبسي أحد خدام وأمناء زيادة الله الأغلبي[2]، وكانت ضمن مخططات الداعية لأنه لما رأى الجيش الأغلبي لا يحرك ساكنا[3] أرسل إليها جيشا قوامه قوامه ألف فارس بقيادة أبو مديني بن فروخ اللهيصي الذي اصطدم بحامية المدينة خارج أسوارها غير أنه لم يضفر بها فنهبوا نواحيها وعادوا إلى إيكجان.

أما الداعية فأرسل جيشا من جديد سلك طريقا آخر نحو المدينة والتقى الفريقان على رأس جبل المطاحن والذي تعرف به مدينة مجانة فكانت الغلبة لخيالة الجماعة الإسماعيلية الذين قتلوا خفاجة العبسي وجماعة معه واحتزوا رؤوسهم[4]، وهرب البقية نحو قلعة بشر[5] وقتلوا وبعدها كر جيش الداعي راجعا غانما إلى إيكجان[6].

سقوط قسنطينة 294هـ/907م:

لا تتوفر لدينا المعلومات التي تروي تفاصيل سقوط مدينة قسنطينة في يد الأغالبة باعتبارها المنطقة الأكثر حصانة في بلاد كتامة، فالمدينة كانت تابعة رسميا لسلطان الأغالبة وقد لجأ إليها كبير قادتهم ابن حبشي خلال حملته على المنطقة سنة291هـ/904م، وفي طريقه نحوها أباد عددا من القبائل التي انضمت إلى دعوة أبي عبد الله[7] ثم تحصن بها لمدة ستة أشهر وكان هذا سنة292هـ/905م[8]، وبعد مدة قصيرة وصلته الإمدادات بإيعاز من من الأمير الأغلبي زيادة الله الثالث الذي أمر عامله والي طبنة شبيب بن أبي شداد بالخروج وجنوده إلى مدينة قسنطينة لدعم الجيش المتحصن بها[9].

---

[1]- مجانة: من مدن شرق المغرب الأوسط، تعرف بمجانة المطاحن، وهي مدينة أزلية قديمة، صغيرة، عليها سور تراب، وكثيرة المياه والعيون، وكان يزرع بها بصل الزعفران كثيرا، وقد تواجد بها معدن لقطع حجارة الأرحاء ليس على الأرض مثله، وذكر الإدريسي أن ارض مجانة تغلب عليها العرب وبها تخزن طعامها. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 161. الإدريسي الشريف، 194. البكري عبيد الله، 260.

[2]- الطالبي محمد، الدولة الأغلبية، 755.

[3]- الدشراوي فرحات، 143.

[4]- لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 295.

[5]- قلعة بشر: نسبة إلى بشر بن أبي أرطأة وهو من قادة الفتح إلى بلاد المغرب بعثه موسى بن نصير لفتح هذه القلعة وفتحها عنوة، وبه سميت بعد ذلك. البكري عبيد الله، 260.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 211.

[7]- ابن الأثير عز الدين، 455.

[8]- بن عربة محمد، بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والسلطة الأغلبية(280-296هـ/893-909م)، 244.

[9]- فيلالي عبد العزيز، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط(دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، (قسنطينة/ الجزائر: دار البعث، 2002)، 36.

وبالتالي أصبحت المدينة معبأة بالجنود لدرجة أن القاضي النعمان قدر الجيش المتواجد بها بمائة ألف رجل، وإذا لم يكن عدد الجنود بالقدر الذي ذكره القاضي النعمان فهو يقاربه لأن الجيش الأغلبي القادم من إفريقية- جيش مدينة طبنة – إلتحم مع جيش الحامية التي كانت تابعة لمدينة قسنطينة بالإضافة إلى انضمام جمع من قبيلة كتامة سواء كانوا المعارضين الأوائل والمشاركين في الحروب السابقة أو من الذين انظموا مؤخرا بعد حملة أبن حبشي على أحواز قسنطينة، وبسبب إحجام الداعي عن مهاجمة هذا الجيش والتحرك نحو قسنطينة إضافة إلى الضغط المتزايد من طرف المدينة بسبب كثرة الجموع ورغبتهم في تحقيق النصر والرجوع من حيث أتوا خرج ابن حبشي من المدينة المحصنة وسار حتى وصل إلى كبونة أو كينونة والتي تسمى حاليا "بالقرارم" التابعة لولاية ميلة والتي كانت خلال تلك الفترة تقع ضمن مجالات أجانة، وفيها حدثت "معركة كبونة" أو "كارثة كبونة" والتي تعد من أهم النكبات التي حصلت للسلطة الأغلبية وجموعها في بلاد كتامة بحيث وقعت فيها الهزيمة على جيش" ابن حبشي وأصحابه، وعقر برذونه وجرح... واستوت الهزيمة، وأسلموا جميع الأثقال والأموال... وطالبهم الأولياء يومهم ذلك أجمع ومن غد يقتلون منهم، ويغنمون أموالهم فقتل منهم ما لا يحصيه إلا الله تعالى وحده وغنم من أموالهم ما لايحصى عدادا من أحمال الأموال، والخلع، والكراع، سائر الناس"[1].

وتاريخ هذه المعركة كان في رجب من عام292هـ/905م بدليل أن المؤرخ ابن عذارى المراكشي ذكر في أحداث هذه السنة – 292هـ/905م- " وقعة على عسكر السلطان... بكينونة واقتتل الفريقان، فكانت بينهما ملحمة عظيمة، تطاعنوا بالرماح حتى تحطمت، وتجادلوا بالسيوف حتى تقطعت، ثم انهزم إبراهيم، ووقع القتل في أصحابه، فانهزم وقتل كثير منهم، ونجا باقيهم، واشتغلت كتامة بالغنيمة والأموال والسلاح والسروج واللجم وضروب الأمتع..."[2].

لكن بعد نهاية المعركة كان مجال المطاردة يتجه نحو بلاد باغاية في الجنوب[3] وهو ما يطرح تساؤلا حول مصير مصير قسنطينة بعد المعركة، إضافة إلى سكوت المصادر التاريخية لاسيما الإسماعيلية، إلا أن هناك بعض الباحثين[4] الباحثين[4] من يذهب إلى أن مدينة قسنطينة سقطت مباشرة بعد معركة كينونة، غير أننا نفند هذا الرأي للأسباب التالية:

- حصانة المدينة وصعوبة اقتحامها بالرغم من نقص عدد القوات المتواجدة بها.

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 171.

[2]- ابن عذاري المراكشي، 181.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 171.

[4]- فيلالي عبد العزيز، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط(دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، 36.

- توجه جيش الداعية على حسب رواية القاضي النعمان مباشرة بعد معركة كينونة في حملة إلى مدينة طبنة وهذا في إطار عملية ضرب القواعد الكبرى ببلاد الزاب التي كانت تتبع لسلطان الأغالبة[1].
- رغبة الداعية أبو عبد الله الشيعي في معاقبة شيب بن أبي شداد عامل مدينة طبنة والذي شارك بجموعه في معركة كينونة.
- عدم ورود أخبار الصراع حول المجالات والمدن القريبة من قسنطينة في سنة 292هـ/905م.

وبالتالي فإننا نستبعد سقوط المدينة المحصنة خلال سنة292هـ/905م ونرجح أن يكون سقوطها خلال السنوات القليلة القادمة – 294 – 295 – 296هـ/907– 908– 909م، ويبدو أن سقوطها قد تم بطريقة سلمية وهذا بعد طول الحصار حولها وخضوع جميع المدن المجاورة لها من الجهة الشرقية(قالمة تيفاش)، إضافة إلى تحول كل قبيلة كتامة إلى نصرة الداعية ومشروعه وفرار وانهزام الكثير من البيوتات والقبائل العربية.

سقوط تيفاش294هـ/907م:

كانت مدينة تيفاش[2] تابعة لسلطان الأغالبة وكان إسحاق بن سلاس عاملا عليها وقد تأثر هذا الأخير من تخاذل الأغالبة وتخادلهم في حماية مدنهم التي كانت تسقط الواحدة تلو الأخرى فلما قربت خيل الداعية منه ترك المدينة وتوجه نحو إيكجان معتنقا الدعوة[3]، فلما وصل الخبر لمسامع زيادة الله انتدب قوما نحوها لكنهم خافوا من ذلك فذكر على مسامعه رجل منها" يقال له حبيب بن ليفة، فكتب إليه بالولاية، وبعث إليه بصلة وخلعة، فقبل وتولى أمر تيفاش"[4]، غير أن هذا الأخير أول جيش أرسله من إيكجان تحت قيادة الداعي صولات بن القاسم السكتاني[5] هرب وتركها لمصيرها" فتلقاه أهلها واستأمنوا إليه فأمنهم ودخلها وأقام بها"[6].

---

[1]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 172– 178.

[2]– تيفاش: من مدن المغرب الأوسط والتابعة حاليا لولاية تيفاش، يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 534هـ، وكانت أولية شاخة البناء، وكانت تسمى بتيفاش الظالمة، وقد تواجد بها عيون ومزارع كثيرة. البكري عبيد الله، 140.

[3]– لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 295.

[4]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 211.

[5]– كان الجيش الذي قاده صولات بن القاسم السكتاني يبلغ خمسمائة فارس وكان معه من أهل تيفاش عبد الله بن كليب وهو شيعي قديم التشيع، وكان يعمل جاسوسا للداعية الصنعاني يجمع له الأخبار في تلك النواحي، ومعه في الجيش اثنين من وجوه تيفاش وهما:" محمد بن زنبور وأبو زعبل، وهذين هما اللذان ذلا الشيعي على أسرار المدينة ونواحيها وطلبا منه توجيه جيش نحوها. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 211– 212.

[6]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 212.

سقوط قالمة 294هـ/907م:

لما علم وجوه قالمة القريبة من تيفاش بأمر سقوطها في قبضة الداعي وجنوده تأسوا لذلك وخرج مقدمهم خلفون بن مهدي ودخل في دعوة أبي عبد الله الشيعي، وقد تزودت المدينة بثلاثمائة مقاتل للمرابطة فيها قدموا من تيفاش وبقي في هذه الأخيرة قرابة المائتين، ولما سمع زيادة الله بعدد الجند المتبقي في تيفاش أرسل إليها جيشا قوامه"إثني عشرة ألف فارس وما لا يحصى من الرجالة وكان الذي حركه على ذلك حبيب بن ليفة وجماعة فلم يشعر صولات ومن معه من الأولياء بتيفاش حتى أظلتهم العساكر"[1]، فخرج صولات لمقاتلة جيش الأغالبة ولما اصطدم مع مقدمته انسحب لقلة عدده[2]، ودخل الجيش الأغلبي المدينة وقتلوا من وجدوا فيها من الأولياء وعلى رأسهم عبد الله بن كليب[3].

سقوط بونة 295هـ/907م:

كانت قبيلة أوربة تسكن بونة[4] ونواحيها وكان المقدم على رأسها هو خليل الأوربي[5] الذي دخل الدعوة غير أن أهل قبيلته ارتدوا بعدها وقتلوه، فتوجه ابنه "أبوعبد الله منصور بن خليل الأوربي" نحو الداعية في إيكجان وطلب منه إمداده بالجيش الذي يكسبه القوة لمعاقبة المرتدين والأخذ بثأر أبيه، " فأمر أبو عبد الله بإخراج عسكر، وقدم على كل قبيلة فيه منهم، فخرجوا مع منصور حتى أتوا بونة، فنزلوا على مجاز المراكب وقسموا العسكر على ثلاثة أثلاث، فأخذ الثلث على ساحل البحر، والثلث على سنديني وإيزان، والثلث في وسط الفحص، وشنوا الغارات على أوربة فقتلوا كل من مروا به، وغنموا أموالهم، واجتمعوا بباب زانة، وانصرفوا بالغنائم إلى إيكجان"[6].

وكانت هذه المعركة تمثل آخر بقعة ساحلية وصل إليها الجيش الكتامي بالتالي انتهاء العمليات العسكرية في مجالات المغرب الأوسط وبداية تحولها نحو المغرب الأدنى وإفريقية.

---

[1]- نفسه، 213.

[2]- بن عربة محمد، بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والإمارة الأغلبية، 243.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 214.

[4]- بونة: من مدن وحواضر المجال الكتامي في أقصاه سرقا، وهي مطلة على البحر، عرفت تطورا وازدهارا كبيرا خلال العصر الحمادي، وتواجد بها أسواق كثيرة، وتجارتها مقصودة، وتوفرت بها مختلف المزروعات. ينظر: الإدريسي الشريف، 191- 192.

[5]- أوربة: من أكبر قبائل البربر وأكثرهم عددا وأشدهم بأسا، وهم من ولد أورب بن برنس، وهم متفرقون في بطون كثيرة، وكان أميرهم عند بدء الفتوحات الإسلامية: سكرديد بن زوغي بن بارزت بن برزيات والذي أسلم ثم خلفه كسيلة بن ملزم والذي أسلم على يد الفاتح التابعي أبو المهاجر دينار، واستقر غالبيتهم فيما بعد بالمغرب الأقصى، وكانوا هم العصبية التي اعتمد عليها إدريس الأكبر لقيام دولته سنة172هـ. ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، ج6/ 192- 195.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 215.

النشاط العسكري خارج مجالات كتامة:

تعود إرهاصات النشاط العسكري للجماعة الإسماعيلية خارج مجالات كتامة إلى سنة 280هـ/893م حيث بدأ الداعي أبو عبد الله الشيعي في إرسال جواسيسه إلى بلاد إفريقية وهذا لمتابعة أخبارها والتحولات الطارئة عليها، ومنذ تلك الفترة لم تخرج له قوات خارج بلاد كتامة والزاب بسبب انشغاله بمقاتلة الأمراء العرب وعمال المدن، ولم تتسنى له الفرصة للتدخل في أمور قبائل إفريقية إلا مع مطلع سنة294هـ/907م، حين جرى اقتتال بين كرناية وهي أحد فروع قبيلة زناتة المقيمة بأقصى غرب إفريقية وأهل قصر الإفريقي وفيها قتل رجل من كرناية يقال له "عبلوا" وكان له أخ اسمه "فوناس" فتوجه نحو الداعية الصنعاني وطلب منه النصرة فأخرج معه الداعية جيشا بقيادة أبي جعفر أحمد بن سليمان السكتاني وتوجهوا نحو القصر الإفريقي فقاتلوا أهلها وانهزموا بين يديه[1]، وتتبعوا فلولهم تشريدا وتقتيلا حتى وصلوا إلى طبرسيف فانتهبوا منازل مكلاتة وبنو عمرو وعادوا إلى إيكجان غانمين.

إن هذه الأحداث الجديدة داخل أراضي إفريقية تعكس النقاط التالية:

- فقدان السلطة الأغلبية لهيبتها ومكانتها وسط قبائل إفريقية وهذا بسبب الهزائم المتتالية لجيوشها.
- إحتمال تشيع قبائل بأكملها أو حتى غالبيتها والعديد من وجوهها لدرجة أنها أصبحت لا تخشى السلطة الأغلبية وترى في الدعوة والداعية نصرة لها.
- فراغ المدن الإفريقية من حاميات عسكرية ذلك لأن السلطة الأغلبية ركزت رابطات عسكرها على المدن والحواضر في المجالات الكتامية وشحنتها بالجند كي تكون خط دفاعي ورئيسي ضد الجماعة الإسماعيلية، إضافة إلى تراجع المجندين في الجيش بسبب هروب الكثير منهم وموت غالبيتهم خلال معارك مدن كتامة.

سقوط ميدرة(حيدرة) 295هـ/908م:

كانت مدينة ميدرة[2] (حيدرة حاليا) والمعروفة بحصانة قلعتها ملجأ للعديد من القبائل وسكان المدن الهاربة والمرهوبة من تقدم الجماعة الإسماعيلية على غرار" أهل القصر الإفريقي، وأهل مجانة، والقلعة، وتبسا، ومرماجنة، وأخلاط من الناس قد أووا إليها..."[3]، فخرج إليها الداعية بجيش كبير مستعرضا قوته سالكا الطريق التالي: باغاية

---

[1]- نفسه، 210- 211.

[2]- لم نعثر على هذه المدينة في المصادر الجغرافية ولا حتى التاريخية، لكن المؤرخ محمد الطالبي رجح أنها المدينة القديمة Ammaedara والتي كانت خلال الفترة القديمة تقع على الخط الكبير الرابط مابين قرطاجة ولمبيس، عبر تبسة والأربس، وهي اليوم معروفة بحيدرة وهي مركز جمركي على الطريق الرابط مابين تبسة والقلعة الجرداء، على بعد 7كلم من الحدود الجزائرية. ينظر: الطالبي محمد، الدولة الأغلبية، 759.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 216.

– مسكيانة– تبسا– حيدرة، غير أنه عند وصوله انشغل بمرضه وجيشه محاصرا لها، وقام أهلها بطلب الأمان من المحاصرين فأمنوهم غير أنه بعد دخولهم لها أعملوا فيها السيف وبالغوا في النكاية والنهب[1]، فخرج إليهم الداعي مسرعا محاولا تخليص ما بقي منها فاغتم لذلك...ورد ما قدر عليه مما وجده بأيدي العسكر... وطلب من فعل ذلك، فلم يوجد..."[2].

وكانت هذه الواقعة أول إنفلات خطير صادفه الداعي مع جماعته التي اعتنى بتكوينها وتعليمها، ونرد ذلك للأسباب التالية:

– مرض الداعية وانشغاله وقت الحصار فأخذ المحاصرون زمام المبادرة.

– حالة الاحتقان التي كان يحملها جيش الداعي فبعد خروجهم من مجالات كتامة لم يعد الصراع وكأنه حرب أهلية بين بطون قبيلة اختلف أهلها مذهبيا وإنما أصبح صراع بين جماعة موحدة عرقيا وقبليا ضد تكتل آخر في مجال جديد وهو إفريقية.

– دخول عناصر جديدة في صفوف الجيش الإسماعيلي لم تتكون مذهبيا في إيكجان وتازروت وإنما التحقت بالدعوة بعد انكسار شوكتها واندحارها، فأرادوا إثبات ولائهم من جهة والحصول على الغنائم من جهة أخرى الغنائم.

سقوط القصرين 295هـ/908م:

بعد سقوط ميدرة توجه الجيش الإسماعيلي نحو القصرين حيث أحكم الحصار على أهلها فلما اشتد عليهم الأمر طلبوا الأمان واستسلم من كان داخل الحصن[3]، ويبدو أن الداعية لم يدخل القلعة رغم قدرته على ذلك وهذا لأنه لم يكن بعد قادرا على التحكم في جيشه والذي فاجأه بعصيانه وتقتيل أهل ميدرة، ولعلمه كذلك بخطورة ذلك الفعل فقد وظفه الأغالبة في دعاية كبيرة تطعن في الجيش الإسماعيلي وقائده وتحذر رعية المغرب الأدنى من تسليم مدنهم.

الخيبة المؤقتة عند أبي مدين والتراجع لتوحيد الجبهة:

لما سمع القائد ابن الأغلب بسقوط مدينة القصرين في يد الداعية سلما وأنه من الممكن أن يتجه إلى زيادة الله نحو رقادة قام بالخروج إلى الأربس وعسكر بدار مدين، فلما علم الداعي بذلك أرسل إليه ألفي فارس

[1]– لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 296.

[2]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 216– 217.

[3]– لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 761.

واشتبكوا مع الجيش الأغلبي وقتل الكثير منهم، وجاءه رسول منهم يخبرهم أن القتل نشب فلما قرب من ميدان المعركة وجدهم" انهزموا متفرقين في الوعر والشعراء"[1]، فواصل الداعية الزحف نحو ابن الأغلب واشتبك معه وقتل العديد من جنوده وانهزمت البقية "وحجز بينهم الليل"[2]، فعاد أبو عبد الله إلى إيكجان وانصرف ابن الأغلب إلى الأربس[3]، واستغل زيادة الله الأحداث وروج لها على أنها انتصار كبير للأغالبة ضد القوات الشيعية، وتدعم صف الأغالبة بارتداد" بنو وشنو وبنو صدغايان من بني هراش، بعد أن كانوا دخلوا طاعة أبي عبد الله" فغضب لذلك الداعية وأخرج إليهم عسكرا تحت قيادة غزوية بن يوسف وأبي مكدول فتسللوا إلى داخل إفريقية ووجد كل من القصر الإفريقي وطبرسيق خاليتان فباتا بالأخيرة"وبنو وشنو بقربهم فكمنوا دونهم، ولم يوقدوا نارا ثم أصبحوهم مع الصباح، فقتلوهم قتلا دريعا، وأحرقوا أموالهم، وانصرفوا إلى المناخ الذي كانوا فيه فنزلوا به"[4].

ولم يكن هؤلاء هم الوحيدون الذين ارتدوا عن الدعوة فيذكر القاضي النعمان أن من بين الذين انحازوا إلى ابن الأغلب هم بنو ماجن أحد فروع هوارة كدران، فاتصل خبرهم بأبي عبد الله فأخرج إليهم قطعة من جيشه من فرسان قبيلتي جيملة وأجانة وقدم على الجيملين أبا مكدول وعلى الأجانيين ماكنون بن يوسف بن ضبارة وهجموا عليهم فقتلوهم وغنموا أموالهم[5].

واستغل ابن الأغلب كذلك هده المرحلة في تأديب القبائل التي دخلت في دعوة كتامة ومن بينها"بنو وردیم" فسمع أبي عبد الله بخبر ذلك فأرسل إلى قائديه غزوية وأبي ماكدول بذلك وكانا لا يزالان بأرض إفريقية" فقاموا من وقتهم فمشوا نهارهم وليلهم حتى نزلوا إلى قالمة"[6] والتي يبدو أنها خلال هذه الفترة أصبحت مركزا لانطلاق الحملات الشيعية الصغرى نحو إفريقية في الحالات الطارئة، وأرسل أبو عبد الله "خمسمائة فارس إلى ناحية بني ورديم وأمرهم أن يأتوهم"[7]، وزاد عليهم بعض فرسان الذين كانوا في جيش قالمة تحت قيادة غزوية والذين لم ينصرفوا معه إلى إيكجان وزحفوا حتى وصلوا جبل بانورات وعسكروا فيه وفي الجبل المقابل لهم وهو جبل الساطور عسكر جيش ابن الأغلب وكان بنو ورديم بين الجبلين، فنزل جيش ابن الأغلب على بني ورديم ولم يتحرك جيش

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 218- 219.

[2]- نفسه، 219.

[3]- الطالبي محمد، الدولة الأغلبية، 761.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 220.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 222.

[6]- نفسه، 220.

[7]- نفسه، 220.

إيكجان لهم لمعرفة ماسيصنعون فواجه الورديميون جيش الأغالبة وهزموهم وقتلوا جماعة منهم"، ونزلت خيل أبي عبد الله فأعانوهم، وأقاموا عندهم أياما، ثم انصرفوا إلى عبد الله"[1].

سقوط قسطيلية وقفصة 296هـ/908م:

بعد الجولات التي خاضتها فرق جيش الداعية والتي عاقبت المرتدين عن الدعوة وجابهت آل بنو أغلب خرج الداعي من جديد على رأس جيشه وكانت وجهته هذه المرة مدينة قسطيلية[2] " فخرجوا إليه فقاتلوا ساعة من النهار قتالا خفيفا، ثم استسلموا إليه، وسألوه الأمان فأمنهم" ثم سار بعدها نحو قفصة[3]" وسألوه الأمان فأمنهم، فأمنهم، وأخذ أيضا ما كان لزيادة الله من الأموال عندهم"[4]، ثم عاد نحو باغاية فترك عليها أبي مكدول قائدا رفقة خمسمائة فارس وفيها فقد أبرز قادته وهو محمد بن غزوية فخلفه في حكم المدينة أبوه غزوية ومعه خمسون فارسا من ملوسة، وسمع ابن الأغلب برجوع أبي عبد الله وبقاء خمسمائة جندي في المدينة فطمع بأخذها وسار نحوها وراسل أهلها الداعية في إيكجان"وتصايح كتامة ففاضوا من كل جانب وعلوا السهل والوعر مبادرين إلى باغاية، فلما رأى ذلك أبو عبد الله سبقهم إلى سكتان، فحبس الناس وتخير إثني عشر ألف فارس وقدم عليهم أبا مديني" وكانت وصيته له أن يستميت في القتال عن المدينة وإن فر الجيش الأغلبي وطاردهم فلا يتجاوز في مطاردتهم فج العرعار، واستمات أهل المدينة في الدفاع عنها وعلى رأسهم حارث المدغري وفرسانه الثلاثمائة وأبلى غزوية في الدفاع عنها بلاء عظيما، ولما وصل جيش ملوسة وجد أن الأغالبة انسحبوا فلاحق فلولهم المتأخرة وغنم ماتبقى من متاعهم حتى وصل فج العرعار وقال:" هذا الذي حده لنا الشيخ وأمرنا أن لا نتجاوزه"[5]، وبعدها انصرف أبو مديني وأبو مكدول وغزوية بن يوسف رفقة الجيوش التي معهم وبقي على المدينة مكنون بن ضبارة[6].

---

[1]- نفسه، 221- 222.

[2]- قسطيلية: مدينة قديمة وإقليم كبير تقع أقصى جنوب بلاد الجريد بتونس، واكبر قواعدها هي مدينة توزر، وهي ضاربة في الصحراء. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 155- 156.

[3]- قفصة : من مدن لمغرب الأدنى، وهي قديمة أزلية، تقع في وسط صحراوي شمال واحدة الجريد، وهي مدينة قديمة، تشتهر بزراعة الفستق ومنه يحمل يحمل إلى مصر والأندلس وسجلماسة، وبها مختلف الفواكه والتمور، وحولها أكثر من مائتي قصر. ينظر: البكري عبيد الله، 130- 131. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 150- 154.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 224. الطالبي محمد، الدولة الأغلبية، 763.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 227.

[6]- نفسه، 227.

جيش الأربس يباد وسقوط دولة الأغالبة 296هـ/909م:

تعد معركة الأربس من المعارك التاريخية الحاسمة في بلاد المغرب الإسلامي والتي مثلت أكبر هزيمة مني بها الأغالبة في عقر ديارهم والتي فتحت الباب على مصراعيه ودون مقاومة لدخول جيش الجماعة الإسماعيلية رفقة شيخهم أبي عبد الله الداعي إلى رقادة عاصمة حكم الأغالبة، ورغم إشارة المصادر لتفاصيل هذه المعركة غير أنها لم تلقى عناية من طرف الباحثين، والمادة المصدرية حول المعركة من المنظور الشيعي تمثل دليلا قاطعا على الفكر العسكري المتفوق الذي امتاز به الداعية واكتسبه من خبرة فاقت 13سنة أمضاها فوق صهوة جواده صاعدا الجبال وكارا في السهول والوديان ومنصبا للأبراج ومخترقا للحصون.

وكان الداعي قد أعد العدة ودخل هذه المعركة بجيش كبير وفي هذا الشأن ذكر كل من القاضي النعمان[1]، عبد الرحمان ابن خلدون[2] والداعي إدريس[3] أن تعداده بلغ مائتي ألف، في حين يذكر كل من تقي الدين المقريزي، ولسان الدين ابن الخطيب[4] أنه بلغ مئة ألف بين فارس وراجل[5]، أما محمد بن علي بن حماد الصنهاجي فقد ذكر ذكر أن جيشه بلغ ثلاثمائة ألف[6]، ورغم المبالغة التي حملتها الروايات المشار إليها في هذا العدد إلا أننا نؤكد أنه أكبر تجمع قاده الداعية غداة انتهاء مرحلة الدعوة وقيام الدولة.

لقد اختار الداعي فصل الربيع لملائمة الطقس وسهولة تحرك جيشه وكان ذلك في آخر جمادى الأولى لعام296هـ/909م[7]، فقصد باغاية واستعرض فيها جيشه مع العلم أن غالبية خرجاته نحو إفريقية كانت تبدأ من من هذه المدينة لموقعها وإشرافها على طريق تونس وتوجه إلى مسكيانة، وتوغل مع جيشه عبر الوادي حتى وصل إلى واد مجانة ثم خرج على مرماجنة إلى وادي الرمل ونزل عليه.

لم يوضح القاضي النعمان سبب سلوكه هذا الطريق وسط الأودية ونرجح أن يكون اختياره لهذا المسلك قصد إخفاء عدد قواته أو لمفاجأة خصمه، ومن هذه المدينة أرسل رابطة خيل لتخضع ما خلفه الأغالبة من جيوب المقاومة لعرقلة الجيش فاستسلمت منيولة وانتهبت، ونزلت شقبنارية إلا الأمان وهذا بعد صمود أهلها مابين نصف

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 227.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 46.

[3]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 81.

[4]- ابن الخطيب لسان الدين، 42.

[5]- المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 65.

[6]- محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، 39.

[7]- إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 81.

النهار إلى العصر، وانهزمت جنوده التي قصدت بني جودان بسبب إحاطتها بعساكر من بني الأغلب وأسر من الكتاميين رجل تمكن ابن الأغلب من قتله.

وفي صبيحة ست باقين من جمادى الأولى أعاد الداعي تنظيم جيشه للحظات الأخيرة قبيل الواقعة الفاصلة وكان ترتيبهم بأن جعل في الميمنة بنو يعطاش وفي الميسرة بو يناوة أما ملوسة ومسالتة فجعلهما في القلب، بيد أن العسكر الرديف الذي كان قوامه 10آلاف فارس من خيرة الفرسان ومشايخ كتامة من الدعاة فتموقع بمكان مرتفع للإشراف على المدينة وساحة القتال.

موقع المعركة

إن موقع المعركة الفاصلة هو فحص الأربس والذي تقع به المدينة، وقد كان في عداد أهم المواقع الإستراتيجية في تاريخ إفريقية لإشرافه على العديد من الطرق الرابطة بين الشرق والغرب خاصة أنه كان بوابة إلى المغرب الأوسط، وبالتالي لم يكن هناك مجال أوسع غيره في المنطقة لاستقبال تلك الجموع.

لم تحدثنا المصادر التاريخية عن خطب خصت الفريقين على غرار تلك المعارك الكبرى الحاسمة، غير أن عبارات القاضي النعمان حول تمركز القتال في الفحص وأخذ الناس لبعضهم البعض[1] دلالة على حجم الوعي بتلك المعركة وإدراك الطرفين أنها الحاسمة في عملية الصراع، حيث كانت فيها " المواقفة شديدة، وقتل من الفريقين خلق كثير، وأقام القتال بينهم من أول النهار إلى وقت صلاة العصر"[2]، وكانت المعركة متوازنة بين الطرفين بسبب الالتحام وكان الداعية ينتظر تقهقر الأغالبة غير أن صمودهم أخافه من أن ينهزم أصحابه، فعمد إلى تدبير حيلة وهذا بتكليف مجموعة من الرجال، أسندت إليهم مهمة الوصول إلى أطراف المعسكري الأغلبي بسرية، بغرض حرق المعسكر وإطلاق سراح خيوله بهدف إحداث الفوضى[3]، واتفق أن كان ابن الأغلب أن رأى مثل ذلك الرأي، ودبر مثل ذلك التدبير، وأخرج رجالة من قبله في تلك المسيلة.. فوافق أول رجل طلع من الكتاميين أول رجل طلع من أصحاب ابن الأغلب وتقايسا بالرماح، وحمل كل واحد منهما على صاحبه فقتل الكتامي الخارج إليه من أصحاب ابن الأغلب فانهزموا"[4]، فتسللت صيحاتهم إلى داخل الجيش الأغلبي وداخلهم أبو عبد الله بخيله بخيله التي حملت عليهم فانهزموا وبدؤوا في الهروب وتفرقوا في كل ناحية، وكانت مجزرة رهيبة حيث كان" الأولياء

[1]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 229. إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع الخامس، 82.

[2]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 229.

[3]- لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 68.

[4]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 230- 231.

يقتلونهم ويأسرونهم ويأخذون ما معهم"[1]، وبلغ التشنيع لدرجة لجوء أهل الأربس" ومن بقي فيها من فل الجند إلى جامعها وركب بعض الناس بعضا، فقتلهم الشيعي أجمعين حتى كانت تسيل الدماء من أبواب المسجد كسيلان الماء بوابل الغيث، وقيل أنه قتل داخل المسجد ثلاثين ألفا، وذلك من وقت صلاة العصر إلى أخر الليل"[2]، فلما أصبح وقد فرغ من القتل والنهب والسبي انصرف إلى باغاية"[3]، ولما علم الأمير الأغلبي بهزيمته وإبادة معظم من تحصن بالأربس ومن حاول الهرب، جمع ماله وخدمه وخرج نحو طرابلس، وخرج جموع من الغوغاء نحو العاصمة وانتهبوها، واستمررت الأعمال فيها إلى غاية إرسال أبي عبد الله طليعة من جيشه قوامها ألف فارس وأمرهم" أن لا يتعرضوا أحدا بمكروه، فوصوا إلى رقادة وأصابوا الناس بها ينتهبون...فلما رأوهم تفرقوا، وخافوا منهم، فأمنوهم ولم يتعرضوا لهم وتركوا لكل واحد منهم ماكان معه قد حمله، ومنعوا مابقي فأتى من كان برقادة إلى القيروان فأخبروا بالخبر فابتهج الناس بذلك وسروا به"[4].

وقد حاول قائد الجيش المنهزم بالأربس ابن الأغلب من السيطرة على الأمور والضغط على فقهاء القيروان بأن يبايعوه ويجمعوا له المال ليعيد جمع الناس ويحرضهم على القتال غير أن جهوده باءت بالفشل وخرج من القيروان رفقة أتباعه تحت سخط الناس ورميهم له بالحجارة، ولما علم أهل القيروان وفقهاؤها صنيع جند أبي عبد الله في رقادة خرجوا له" فسلموا عليه وهنئوه بالفتح، فرد عليهم أحسن الرد وأقبل عليهم بوجهه، وأمرهم فركبوا دوابهم، ودعا وجوههم فاستصحبهم وحدثهم وأمنهم في أنفسهم وما ملكته أيديهم"[5]

سقوط تيهرت والقضاء على دولة بني رستم عام296هـ/909م

كان أول احتكاك للجماعة الإسماعيلية وكيان الدولة الرستمية من أرض المغرب الأوسط بدايات عام296هـ/908م وهذا لما أرسل الداعية أبو عبد الله الشيعي سفارة تتكون من 14رجلا ووجهتهم سجلماسة لإيصال الأموال لعبيد الله المهدي[6]، فلما عادوا من المهمة ودخلوا مجالات بني رستم" قطع عليهم الطريق جماعة

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 232.

[2]- البكري عبيد الله، 129- 130.

[3]- ابن عذاري المراكشي، 183.

[4]- القاضي النعمان، 243.

[5]- الداعي إدريس القريشي، عيون الأخبار وفنون الآثار 137. مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، (الإسكندرية/ مصر: منشأة المعارف، 1991)، 154.

[6]- القاضي النعمان، 22- 223.

من زناتة[1]، فلم يزالوا يقاتلونهم ويقتلوا منهم الواحد بعد الواحد حتى صرعوا عن أخرهم، واحتمل زناتة قتلاهم، وانصرفوا وتركوهم مجدلين، فعزم الداعي على الخروج لقبائل زناتة لتأديبهم غير أن وجوه دعوته ومشايخها صرفوه عنه وحذروه من الوقوع بين فكي كماشة: الزناتيون من الغرب والأغالبة من الشرق[2]، ولما أطاح بالأغالبة ودخل عاصمتهم عزم على تخليص المهدي من أسره فاعترضت طريقه العديد من القبائل والتي يرجح أنها كانت تابعة لحكم الرستميين فهزمها وخافته زناتة وهربت وأصبح الطريق ممهدا له نحو عاصمة بني رستم، وإن كانت المصادر الشيعية ومعها السنية لم توفر لنا تفاصيل ومعلومات حول سقوط إمارة بني رستم والتي جاوز حكمها 130سنة فإن النصوص الإخبارية الإباضية المتأخرة تحدثت بإسهاب عن هذا الخطب الجلل الذي أصاب دولة الاباضية وأطاح بأول وآخر إمارة لهم ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط[3]، ولم يكن سقوط هذه المدينة حدثا عفويا بقدر ما كان نتيجة حتمية لما آلت إليه الأمور من تدهور وانحطاط[4] وسخط القبائل والكثير من الطوائف الدينية على الإمامة الرستمية، وفي هذا يذكر صاحب سير الأئمة وأخبارهم أن سقوط تاهرت تم بتحريض من"وجوهها من المخالفين والشيعة والواصلية ومن بها من الصفرية"[5]، حيث خرجوا إلى الداعية لما اقترب منن المدينة" بل أن هنالك من يذهب إلى أن أحد أفراد الأسرة المالكة وهي دوسرا خرجت لتحرض الشيعة على أعمامها انتقاما منهم لأنهم قتلوا والدها، لدرجة أنها وعدت الداعية أبي عبد الله الشيعي بالزوال جبه مقابل أخذه لثأر أبيها[6]، وكان الوفد الخارج معها قد شكوا له الإمارة ووعدوه العون من أنفسهم، على جميع الرستميين، وأمروه وأمروه باستئصال شأفتهم وتوهين شوكتهم..."[7]، فأرسل الداعية بسفارة إلى آخر حكامها يأمره بالخروج من المدينة إليه، ولم يكن هذا غرورا من الداعية بل إنه كان على علم تام بضعف العائلة الرستمية، ولم يرضي هذا الأمر قلب الداعية بل إنه دخل المدينة واقتحمها على أهلها" وانتهبها وانتهك حرمتها وأجلى كثيرا ممن فيها وجعل أعزة

---

[1]- سنوسي يوسف إبراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، (ط1، القاهرة/ مصر: شركة سعيد رأفت للطباعة، 1986)، 164- 165. الطالبي محمد، الدولة الأغلبية، 763.

[2]- بن عميرة محمد، 173.

[3]- رغم أن القاضي النعمان فصل في أحداث نزول أبي عبد الله الداعي على مدينة سجلماسة وما جرى فيها من أحداث لكنه غض الطرف عن مدينة تاهرت وما جرى لها غير أننا نجد إشارة عن تاهرت أو ما جاورها قد تكون قرينة على أنه كان على علم لما بها من ضعف وانحلال وغياب قوة تحميها وكل هذا كان من خلال عيون له يرسلها وفي هذا يذكر القاضي النعمان:" وسار قاصدا إلى سجلماسة وأوقع بقبائل عرضت في طريقه واتصل بها عنه سوء حال". القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 276.

[4]- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984)، 70.

[5]- أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 169.

[6]- الباروني سليمان، 345.

[7]- أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 169.

أهلها أذلة..."[1]، أما عن أفراد الأسرة الرستمية فإنه قد قتل" من الرستمية جماعة وبعث برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس، وطوفت بالقيروان..."[2].

غير أن أفراد هذه الأسرة لم يقتلوا كلهم فكان منهم من هرب وعلى رأسهم كبيرهم آنداك يعقوب بن أفلح والذي في طريقه نحو وارجلان قال لأتباعه:" لا يجتمع منكم اثنان إلا كان عليهم الطلب، افترقوا فقد انقضت أيامكم وزال ملككم ولا يعود إليكم إلى يوم القيامة"[3]، إضافة لهذا فعند دخوله لوارجلان إلتف به وجوهها وطالبوه بالإمامة وأعلنوا دعمهم له فرد عليهم" لا يستتر الجمل بالغنم"[4]، وكان هذا فصلا نهائيا لسقوط الدولة وموقف السلالة الحاكمة من مسألة إحيائها.

سقوط سجلماسة عاصمة بني مدرار وتحرير الخليفة المنتظر296هـ/909م:

تعد دولة بنو مدرار أول دويلة إسلامية انشقت عن دار الخلافة في بلاد المغرب سنة 140هـ/757م وكان لبعدها الجغرافي عن مقر عاصمة ولاية المغرب دورا كبيرا في استقرارها السياسي، فلم تدخل هذه الدويلة في حروب مذهبية مع جيرانها فانتعشت تجارتها وحافظ بنو مدار على مكانتهم السياسية فيها، غير أن هذه المدينة سقطت سنة 296هـ/909م وهي في عز قوتها ونشاطها وذلك لاحتكاكها بل لدخولها في قلب أحداث الدعوة ابتداءا من عام 292هـ/905م، وهي السنة التي نزل فيها عبيد الله المهدي على سجلماسة مستترا بزي التجار[5].

المهدي عبيد الله من سلمية مركز الدعوة إلى سجلماسة أقصى بلاد الإسلام غربا:

لقد كانت سلمية مقرا لحكم الإمامة الإسماعيلية حيث كان إليها يرسل البريد والأخبار وعليها يتردد الدعاة من مختلف الجزر، وطوال فترة إقامة الأئمة بها لم تتعرض إلى الكشف من طرف الولاة العباسية إلى غاية سنة 286هـ/899م، وهي السنة التي انشقت فيها الدعوة وظهرت الحركة القرمطية كأول حركة معارضة داخل الجماعة الإسماعيلية في بيئتها المشرقية، وكان هذا بعد فترة قصيرة من تولي عبيد الله المهدي إمامة الإسماعيلية، حيث يذكر ابن رزام أن" كان قرمط يكاتب من بسلمية من الطواغيت فلما توفي من كان في وقته وجلس ابنه من بعده كتب إلى حمدان قرمط كتابا، فلما ورد عليه الكتاب وقرأه وأنكر ما فيه، وتبين فيه ومنه ألفاظا قد تغيرت، وشيئا ليس

[1]- أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 170.
[2]- ابن عذاري المراكشي، 186.
[3]- نفسه، 189.
[4]- أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 189.
[5]- هالم هاينز، إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين، 132.

هو على النظام الأول..."[1]، واستعظم قادة العراق هذا الأمر كثيرا لدرجة أنهم أرسلوا داعيا للتحقق من التطورات فعلم أن المعلم الأكبر (الحجة) قد مات، وأن ابنه حل محله، وتناقشا واختلفا وأنكر الداعية إمامتهم وعرف بخداعهم وعاد، فانفصلوا عن الدعوة ومالوا عنها.

في الفترة اللاحقة ولما اتسعت دعوة ورقعة القرامطة ودخلها الكثير من بدو العراق في نحلتهم، عمدوا إلى الهجوم على المدن لاسيما الشامية منها وكان على رأسها دمشق والتي حاصرها يحي بن زكرويه والمعروف "بصاحبي الناقة"، غير أنه اكتشف أن المحاصر والثائر كانت له علاقة وطيدة بمن كان في سلمية وأن ظهور الحركة وانبعاثها كان لأجل الساكن والمستتر هناك عندها أرسل الخليفة العباسي جندا وأمر بإلقاء القبض على عامل مدينة سلمية التركي وفي المقابل" كتب الدعاة إلى المهدي بالله صلوات الله عليه من بغداد على أجنحة الطيور ومع الفيوج بما جرى، وسبقت كتب الدعاة إلى سلمية قبل التركي"[2]، حينها تجهز المهدي وأظهر لأعدائه أنه يريد اليمن فلما خرج منها داهم القرمطي صاحب الناقة المدينة وانتهب مابها وروع سكانها وقتل كل من خدم المهدي من عبيده وأقربائه[3].

وتعد قصة هروب المهدي عبيد الله من سلمية ووصوله إلى بلاد المغرب وتأسيسه لخلافة الفواطم عام296هـ/909م أحد أهم الملاحم الكبرى التي عرفها التاريخ الإسلامي خلال العصر الوسيط، والتي تعكس رغبة الأفراد الجامحة في ترجمة معتقداتهم وطموحاتهم إلى واقع، وهي لا تختلف عن قصة الأمير الأموي عبد الرحمان بن معاوية (172هـ/788م)[4]والذي خرج من دمشق شريدا طريدا وانتهى به المقام في الأندلس أميرا ومحييا لدولة وخلافة أجداده.

---

[1]- نقلا عن: النويري شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، دت)، ج25/ 137.

[2]- اليماني محمد بن محمد، 110.

[3]- نفسه، 111.

[4]- عبد الرحمان بن معاوية: هو الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم ابن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان مولده سنة 112هـ/730م، رباه جده الخليفة هشام بن عبد الملك، بعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق سنة 132هـ/750م هرب عبد الرحمن بن معاوية إلى بلاد المغرب عازما على استرجاع ملك أجداده حيث دخل الأندلس وتمكن بعد صراع من تأسيس الإمارة الأموية فيها سنة 138هـ/756م حيث تمكن من كسرة شوكة العرب والبربر، وتوحيد بلاد الأندلس وقمع النصارى والفرنجة في الشمال، عرف عنه حزمه وعزمه، وملكته الشعرية وحبه للعلم وتقريبه العلماء، لقب "بالداخل" ويلقب أيضا " بصقر قريش"، كانت وفاته سنة 172هـ/788م. ينظر: ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله ، تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف، (ط1، تونس/ تونس: دار الغرب الإسلامي، 2008)، مج1/ 32- 33 .مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، 121 – 160.

لقد سار المهدي عبر خط دمشق- طبرية- الرملة- وبعدها نحو مصر، وفي مصر أتى البريد يحذر من هذا الأخير ويستعلم إن كان قد دخل مصر لكن والي مصر انقده وتستر على أمره[1]، حينها شد المهدي رحاله نحو المغرب وكانت تلك الليلة أول ليلة يعلم فيها أتباعه بأن وجهته هي بلاد المغرب فاغتم الجميع ونافقه الداعي فيروز وانفصل عنه وهرب نحو اليمن[2]، وكان الداعية أبا عبد الله الشيعي يرسل الرسل إلى المهدي في سلمية يدعوه إلى المجيء إلى بلاد المغرب الأوسط، وكانت هذه المراسلات بعد أن مهد له النفوس وملئها بحبه، ومهد له في العقول فشغلها به[3]، فشق المهدي طريقه نحو المغرب وفي مكان خارج مصر اعترض موكبه قطاع الطرق" فنهبت القافلة وكتب كانت للمهدي فيها علوم كثيرة، فكان أسفه عليها أشد من أسفه على غيرها مما ضاع له"[4].

ومن خلال مذكرات الحاجب جعفر يتبين لنا أن الوفد الذي كان يسير مع المهدي لم يكن مقتصرا على عبيد المهدي وخدمه في المشرق بل إنه كان يضم جماعة من الكتاميين من الذين أرسلهم الداعية أبو عبد الله الشيعي إلى كتامة، والظاهر أن اختيار المهدي للمغرب كمنطلق لدولته لم يكن هروبا من الموت الذي كان يتخطفه وهو داخل وخارج من كل مدينة مشرقية بل هو بعلمه التام بخلوص الدعوة لشخصه وخلوها من النفاق والارتدادات والحركات الانفصالية التي ظهرت عليه ونالها أقرب الدعاة إليه وهو فيروز، إضافة إلى ذلك فإن المغرب كان بعيدا عن دار خلافة بني العباس وقيام دولة له هناك يجنبه خطر الصراع على شخصه ودولته والتي لاتزال قيد التأسيس.

ولم تكن المهمة في بلاد المغرب أسهل مما كانت عليه ببلاد المشرق رغم أن دعوة المهدي فيها انتشرت وكثر أتباعه وضعف أعداؤه إلا أن توجهه لمعقل أتباعه لم يكن يفصله عنه سوى بلاد إفريقية إحدى مجالات حكم الأغالبة ولاة خلافة بني العباس الذين وصلهم البريد بخبر هروب المهدي وأنه تم إفلاته من مصر وأن مقصده المغرب، وكان من الذين تم القبض عليهم هو أبو العباس أخو أبو عبد الله الداعي وكان دخوله لإفريقية سابقا المهدي بغرض معرفة الأخبار فيها وتوجه نحو بلاد كتامة لإبلاغ أخيه بخبر قدوم المهدي، لكنه أنكر علاقته بالمهدي وقال لهم أنا تاجر، وسلك المهدي طريقا جنوبيا نحو قسطيلية واستقر بتوزر مؤقتا وبالرغم من اقترابه من

---

[1]- اليماني محمد بن محمد، 113.

[2]- السيد أيمن فؤاد، تطور الدعوة الإسماعيلية المبكرة حتى قيام الخلافة الفاطمية في المغرب، (المهدية/ تونس: ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، منشورات الحياة الثقافية،1977)، 52- 53

[3]- الأبياري إبراهيم، نهاية المطاف، (ط2، القاهرة/ مصر: مطبعة الشعب، دت)، 44.

[4]- اليماني محمد بن محمد، 115.

معقل أصحابه في بلاد كتامة إلا أنه قرر التوجه نحو سجلماسة في خطوة لا تزال غريبة[1]، وكانت الأخطار إليها أكثر من قريبة ذلك أن الوجهة الجديدة في أقصى المغرب الأقصى قد جلبت للمهدي السجن، فبعد العلاقة الوطيدة التي جمعت بين المهدي عند وصوله لسجلماسة مع أميرها سرعان ما تحولت إلى نقمة وعذاب، وهذا بسبب أن الكتب التي كانت قد وردت لحواضر المشرق ومصر وإفريقية قد شقت طريقها هذه المرة منذرة اليسع بن مدرار بأن ضيفه هو من يدعو له داعية كتامة فأسرع في القبض عليه وحجزه[2].

ولم يكن الداعية أبو عبد الله الشيعي حينها جاهزا لتخليصه لأنه لم يكمل بعد إخضاع مدن الأغالبة وتأمين مجاله الدعوي غير أن هذا لم يمنعه من التدبير لتخليص المهدي فعمد إلى إرسال مائة رجل من أقوياء وأذكياء كتامة، ولما فتح أبو عبد الله إفريقية و"أقعد قواعد البلد، وأمر الرعية...رحل عنها يريد سجلماسة"[3]، ثم خرج منها في رمضان من سنة296هـ/909م ومعه كتامة وأهل الحرب من رجال إفريقية وأبطالها[4]، فعرج على تيهرت ودخلها على حسب ماذكرناه سابقا وواصل سيره حتى وصل سجلماسة فحاول كسب ود ابن مدرار ومراسلته بالحسنى ليأمن شره ويحفظ المهدي من بطشه غير أنه كان في كل مرة يقتل الرسل ويسجن غيرهم ولما فقد الداعية الأمل في مراسلاته" عبأ عساكره ودنا من المدينة فخرج إليه اليسع بن مدرار فوقع القتال بينهم ساعة وقتل من أصحاب بني مدرار جماعة، واقتحم عليهم العسكر ودخلوا معهم إلى مدينتهم..."[5]، لكن الظلام فصل بينهم فاستغل اليسع الفرصة وهرب في تلك الليلة اليسع وأتباعه وبقي أبي عبد الله وجنده في غم وهم وحالة تخوف وترقب لما قد يحدث للمهدي، ومع الصباح جاءهم أعيان المدينة لإخبارهم بهرب اليسع وبمكان المهدي[6]، واستطاع الأولياء والداعية تخليصه رفقة ابنه ومن صحبه، وقد حفظت المصادر التاريخية أحداث ذلك اللقاء[7]

---

[1]- يذكر الأستاذ إسماعيل سامعي أن اختيار المهدي لسجلماسة كان مبنيا على دراسة دقيقة للمنطقة وأحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية...كما أن موقعها في أقصى ركن من بلاد المغرب بعيدا عن نفوذ الأغالبة ولاة العباسيين، كان في حساب هذه الرحلة لا سيما إذا ما أكتشف أمره، وهو في الطريق إلى بلاد كتامة. ينظر: سامعي إسماعيل، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ/10م، 140.

[2]- ها لم هاينز، إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين، 180.

[3]- اليماني محمد بن محمد، 123.

[4]- الداعي إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 98.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 278.

[6]- الداعي إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 99.

[7]- اليماني محمد بن محمد، 129- 132. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 279- 288. الداعي إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس 100. ابن الأثير عز الدين، 460. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 68.

ودونت الطريقة التي استقبل بها الداعية عبيد الله المهدي وهو يشير إلى جنده بمايلي" هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون"[1].

كتامة تقيم أساس أول خلافة مغربية:

بعد سقوط المدينة وتخليص عبيد الله المهدي من الأسر انتقلت الجماعة من طقوس وترتيبات الدعوة إلى رسميات وأدبيات الخلافة، وكان أول أمر بادر إليه الداعية تقديم فروض الطاعة لسيده وتبعه الأولياء في ذلك، ولإرضاء شغف كتامة قام الخليفة بمكافأتهم نظير خدمتهم فاستعملهم:" على مدن افريقية إلى حيث بلغت طاعته، وقسم عليهم الأعمال، لكل عسكر منهم ناحية، وأمرهم بالتزين والتجمل باللباس، فلبسوا خير الثياب وحلوا سروجهم ولجمهم بالحلي الثقيل، وأظهروا زيا حسنا، واتسعت أموالهم وكثرت نعمهم، وأسبغ عليهم العطاء، وأجرى عليهم الصلات..."[2]، واستمر ولائها إلى غاية حكم الخليفة الرابع المعز لدين الله والذي كان دائما ما يتباهى بولائها وإخلاصها ومن جملة ذلك ما أورده القاضي النعمان في مسايراته" ...فهؤلاء أتونا طائعين وبذلوا لنا أنفسهم راغبين، ومضى على ذلك أسلافهم وثبت عليه أخلافهم للسلف منا وللخلف، قرنا فقرنا وجيلا فجيلا...أجدادهم مع أجدادنا وآباؤهم مع أبائنا وهم معنا..."[3].

وقد بقيت كتامة إلى غاية رحيل الفاطميين إلى القاهرة سنة 362هـ/973م عصبية للدولة وقوتها الضاربة والصدر الحامي لها[4]، غير أنها خلال مرحلة الدولة تراجعت مكانة أصحابها من على رأس المناصب الحساسة لصالح طبقة جديدة هي العبيد الصقالبة والذين تبوؤوا أكثر المناصب حساسية في الولايات والعسكر إلى جانب البيوتات العربية كأمثال عائلة بني حمدون.

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 279.

[2]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 114.

[3]- القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، 246.

[4]- رغم الخدمات التي قدمتها قبيلة كتامة للدعوة والخلافة الفاطمية غير أنها لاقت نوعا من التهميش، بل إن العديد من بطونها وقفت موقفا معارضا للخلافة بعد قيامها خاصة بعد تصفية الداعية أبو عبد الله الشيعي، وحاولوا سد الفراغ الذي خلفه وهذا من خلال خلع طاعة المهدي وتنصيب أحد فتيانهم وهو "كادو بن معارك الماوطي"، وزعموا أنه المهدي المنظر الذي بشر به الداعية أبا عبد الله. ينظر: شاهندة سعيد منصور، الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي في المغربين الأدنى والأوسط منذ عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي(93-362هـ/ 711-972م)، (الإسكندرية/ مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2018)، 306- 308.

الفصل الثالث

الأثر الاجتماعى للجماعة الإسماعيلية فى المجالات الكتامية

أولا: ألقاب مجتمع الدعوة

ثانيا: تنظيمات مجتمع الدعوة

ثالثا: قبائل الدعوة

رابعا: دور العبيد في مجتمع الدعوة

خامسا: دور المرأة في مجتمع الدعوة

سادسا: عادات وتقاليد مجتمع الدعوة

سابعا: الهجرة وأثرها على مجتمع الدعوة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"إنما نحن مؤدبون ومعلمون، فمن استقام لتعليمنا رفعناه وأحييناه، ومن لم يستقم لتعليمنا رفضناه"[1]

من خلال هذه العبارة التي قالها أحد كبار الدعوة الإسماعيلية في بيئتها المغربية تتضح لنا مكانة العلم والتعليم القائم على مبادئ الإسماعيلية ودوره في تكوين الجماعة الإسماعيلية من داخلها، فلا يمكن رد الانتصار الذي حظي به الأولياء سنة 296هـ/909م بقضائهم على الأغالبة ممثلي خلافة بغداد السنية، وعلى الجماعات الصفرية والإباضية على أنه انتصار لجماعة تفوقت عسكريا، بل يجب الأخذ بعين الاعتبار العامل الأكبر والمؤثر وهو **دور الدعاة في التكوين العلمي والتعبئة الدينية والمذهبية لهذه الجماعة الناشئة**، هذا الدافع أكسب الجماعة رضا في صفوفها، وقوة في شكيمتها وميزها عن باقي الجماعات عقيدة وفكرا ومرجعية، وشكل لها دافعا ألهمها القوة وأعطى لأتباعها تفوقا وإحساسا بالشرعية.

أولا: المؤسسات التعليمية

أ: المساجد.

1: المساجد في بلاد كتامة قبيل انتشار الدعوة الإسماعيلية

يرجع الفضل في بناء أول مسجد ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط إلى التابعي الجليل الفاتح أبو المهاجر دينار، حيث قام هذا الصحابي ببناء مسجد في مجالات كتامة بمدينة ميلة ولازال قائما إلى يوم الناس هذا يحمل اسمه وهو مسجد"أبو المهاجر"، وقد كان لهذا المسجد والمساجد التي أسست بعده في المنطقة دور كبير في إسلام بربر المغرب الأوسط، مع العلم أن المساجد لم تكن أماكن مخصصة للعبادة فقط بل كانت بمثابة مؤسسات تعليمية تناط لها مهمة العلم والتعليم وفي هذا الشأن يذكر الونشريسي:" أن المساجد وإن اتخذت للصلاة فإن الخوض فيها في العلم وضروبه جائز من فعل الأئمة... والعلم أكرمك الله أفضل شيء اجتمع لمذاكرته والتكلم فيه بعد كتاب الله عز وجل"[2].

وقد تواجدت في مجال كتامة مساجد عديدة لا سيما في المناطق النائية التي كانت مسرحا لأحداث الدعوة في كل تجمع قبلي، وكان لكل مسجد معلم صبيان يشرف على تعليمهم القرآن الكريم، وقد أشار ابن عذارى المراكشي في أحداث سنة280هـ/893م نقلا عن الوراق إلى معلومات جد هامة حول مساجد بلاد كتامة وهذا

---

[1]- ابن الهيثم، 117.

[2]- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، (بيروت/ لبنان: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، المغرب الأقصى، دار الغرب الإسلامي، 1981)، ج9/ 27.

في إطار تعرضه لرحلة الداعي ودخوله بلاد كتامة حيث ذكر أنه دخل مسجد، به معلم يعلم الصبيان[1]، وعندما توغل أكثر في البلاد قصدا مسجدا آخر ونزل به، وفيه تواجد معلم يعلم الصبيان[2]، مما يدل على الانتشار الواسع للعمارة الدينية بمجالات كتامة، وكان هذا المسجد الأخير يقع في الموطن الذي يسكن فيه صاحب الداعية من رجالات كتامة والذي صحبه في رحلة العودة من الحج(حسب رواية الوراق)، وكان لتلك المساجد معلم صبيان يجمع في وظيفته العديد من المهام كالآذان والتعليم وإمامة المصلين[3]، أما شيوخ القبائل فكانوا يدفعون أبناءهم إلى تلك المساجد مع العلم أن أول عمل قام به الداعي أبو عبد الله الشيعي هو تعليم أبناء المشايخ في المسجد، وربما راجع هذا التفكير إلى الإستراتيجية التي اتبعها بسبب إدراكه المكانة التي سيتبوؤها أبناء المشائخ في المرحلة المقبلة بداية بخلافة آباءهم على رؤوس قبائلهم، ولأنهم سوف يكونون العصبية المذهبية الفتية التي ستعمل على إنجاح أمر الدعوة وقيام الدولة واتساعها.

2: مساجد بلاد كتامة في خدمة المشروع المذهبي

لا تتوفر لدينا نصوص تاريخية ولا شواهد أثرية حول وجود مؤسسات علمية إلى جانب المساجد في البلاد الكتامية قبيل سنة 280هـ/893م، لهذا فإن أي دعوة دينية أو حركة سياسية في المنطقة ما كانت لتنجح دون استغلال هذه المؤسسة(المسجد) باعتباره مركز استقطاب وتجمع للمسلمين إضافة لبعده عن الشبهات، ولهذا فإنه كان محل اهتمام من طرف دعاة الشيعة والبداية مع الدعاة الأوائل(أبو سفيان- الحلواني)، فبعد الاستقرار وشراء عبيد الخدمة كان أول عمل قام به أبوسفيان النازل على حدود أرض إفريقية بنائه للمسجد، وبسبب اعتكافه فيه واشتغاله اليومي **بالتعليم** فإنه نال شهرة كبيرة في المنطقة[4]، وقد كان هذا المسجد منارة للعلم والتعلم ومنبرا لنشر الدعوة ومقصدا لأهل تلك النواحي، ومن بين أهم الدروس التي كان يلقيها ليأخذ عنه رواد المسجد فضائل آل البيت وبث الفقه الجعفري[5].

---

[1]- نقلا عن: ابن عذارى المراكشي، 170.

[2]- ابن عذارى المراكشي، 170.

[3]- نفسه، 170- 171.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 27.

[5]- الطالبي محمد، الأوضاع التي مهدت لقيام دولة الفاطميين في إفريقية، 33.

وبسبب فاعلية نشاطه وتتكاثر طلابه أصبحت "مرماجنة دار شيعة"[1] وامتد نشاطه إلى الأربس وحتى إلى مدينة نفطة، حيث يورد القاضي النعمان احتمالية تشيعهم على يده بسبب أن العديد منهم كانوا يحترفون تجارة التمر مع مرماجنة وسمعوا بخبره وحضروا دروسه في المسجد.

أما المسجد الثاني فهو الذي بناه الداعية الحلواني في نواحي بلاد كتامة من جهتها الشرقية المحادية للمغرب الأدنى، وقد أكدت المصادر على الصفات التي تميز بها الداعية المعلم – باني المسجد– حيث ذكرت أنه كان صواما، قواما، ورعا، زاهدا[2]، "وكان في العبادة والفضل والعلم علما في موضعه"[3] وكان هذا سببا في شهرته حتى" ضرب الناس من القبائل إليه"[4] رغبة في نهل العلم منه، وكانت الدروس التي يقدمها في مسجده سببا في تشيع العديد من قبائل المنطقة على غرار كتامة، ونفزة، وسماتة[5]، ولعل من بين أهم الشخصيات التي تشيعت على يده وعاصرت دعوتة "أبو عبد الله أبو حيون والمعروف بأبي المفتش"، و"حريث الجيملي"، و"موسى بن المكارم" اللذان التقوا به في موسم الحج[6]، وكانت دعوته أكثر فاعلية في البيئة الكتامية لأنه على غرار رفيقه أبو سفيان توغل في البلاد وبشر بقدوم صاحب البذر(يقصد به الداعية الذي سيخلفه ويخلف أبا سفيان).

ومن المحتمل أن الحلواني كان في مهمته يهيئ القوم على أن بلادهم(كتامة) هي التي ستكون مسرحا لأحداث أكبر وأجل وهو ما تم في الحقيقة، لأن الداعية أبا عبد الله الشيعي لم يستقر في مناطق إفريقية التي انتشر التشيع في أوساطها على يد الداعية أبي سفيان بل إنه نزل في المجالات التي تشيعت على يد الحلواني، وتتلمذ على يديه أحد أكبر الدعاة من بيوتات العرب الأندلسية وهو أبو عبد الله الأندلسي والذي أصبح "معلما بالموضع وأوطنه"[7].

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 27.

[2]- القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 414.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 29.

[4]- نفسه، 29.

[5]- نفسه، 29.

[6]- علي محمد شايع القفري، 135.

[7]- نفسه، 42.

وقد نشر الحلواني دعوته في المسجد عن طريق ما كان متعارفا عليه ذلك الوقت بالكلمة الشفوية[1]، بسبب أن الإسماعيلية خلال تلك الفترة لم ينتجوا سوى عددا محدودا من الرسائل ولم تكن متداولة بين أعضاء الجماعة، ولايعرف حتى مؤلفوها بسبب تعمدهم إخفاء هويتهم[2].

ونرجح أن يكون هذا الأخير قد واصل إلقاء الدروس والدعوة إلى التشيع في نفس المسجد الذي بناه الحلواني، ذلك لأن الداعية أبا عبد الله الشيعي لما دخل رفقة وفد حجاج كتامة إلى المغرب بات عند أبي عبد الله الأندلسي، وفي تلك الليلة ظهرت نتائج دعوة الحلواني ودروسه في المسجد إذ أنه وجد عند أبي عبد الله الأندلسي والقوم الذين معه من" المعرفة والفهم أكثر مما رآه لما لمن عاينه ممن صاحبه وأصاب عندهم من علم الشيعة وفضل أهل البيت أصلا قويا..."[3].

ولم يكن تعليم فضائل آل البيت هو المقرر الوحيد لهذه الدروس في المسجد بل كان تعليم القرآن أحد أهم ركائزها وإن لم تشر المصادر صراحة لذلك إلا أننا نجد في ما ذكره القاضي النعمان حول" شأن كتامة إلى اليوم، يعظمون من كان عنده أقل شيء من العلم، ويقدمونه، حتى المعلم الذي يكون عندهم، وإن كان لا يحسن غير قراءة القرآن، فان له عندهم قدرا، وحالا، ومكانا"[4]، ونفس الإستراتيجية اتبعها الداعية أبو عبد الله الشيعي والذي كان يتقصد دخول مساجد كتامة وهو في طريقه إلى إيكجان، ووفي هذا الصدد يذكر ابن عذارى المراكشي نقلا عن الوراق أنه لما استقر في موطن دعوته قصد المسجد، ونزل به وباشر تعليم الصبيان[5]، لأنه كان مدرك أنهم أنهم سيمثلون لاحقا وقودا للدعوة ومجال تجربتها وعصبية للدولة وخزان قوتها، حيث أن تلك الفترة التي أمضاها في تعليمهم وتشييعهم والتي قاربت ستة عشر عاما (280-296هـ/894-909م)كانت كافية لتجعل من هؤلاء الصبيان والشباب أكبر قوة إقليمية في المنطقة أطاحت بثلاث دويلات في سنة واحدة (296هـ/909م)، وكانت تلك الحلقات لا تخلو من مخاطبة المصلين والأتباع بظاهر فضائل علي ابن أبي طالب وبقية الأئمة من ولده.

---

[1]- سامعي إسماعيل، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ/10م، 114.

[2]- دفتري فرهاد، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، تر: سيف الدين القصير، (ط2، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: معهد الدراسات الإسماعيلية- دار الساقي، 2014)، 169- 170.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 41.

[4]- نفسه، 36.

[5]- ابن عذاري المراكشي، 171.

ب: مجالس الحكمة

حسب التقليد والاعتقاد الإسماعيلي فإن العلم والحكمة نعمتان من الله أوحى بهما للبشرية عن طريق أنبيائه(النطقاء) وكان آخرهم هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والذي كان وصيه ابن عمه وصهره علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسلالته هم المعنيون والذين يعلمون المعنى الباطني للتنزيل الإلهي ويقومون بنقله، وبالتالي هم مستودع الرسالة الإلهية وخزنة "العلم" و" الحكمة" الذين يجري نقلهما وبثهما إلى أتباعهم أولياء الله[1].

والتعليم عند الجماعة الإسماعيلية لايتم إلا بعد الدخول(التلقين) والذي عرف بالبلاغ، وهذا بعد أن يقسم المستجيب يمين الولاء المعروف بالعهد أو الميثاق، وبهذا العهد يلزم الملقنون بالمحافظة على سرية الباطن والذي كان يعطى لهم على أيدي هرمية(حدود) من المعلمين المأذونين من الإمام[2]، وقد حفظت لنا المصادر الإسماعيلية تفاصيل عملية البلاغ أو التلقين ولعل أهمها وأقدمها على الإطلاق مؤلف" كتاب العالم والغلام"[3] المنسوب إلى ابن حوشب منصور اليمن أو لولده جعفر.

1: التعليم قبل نشأة مجالس الحكمة

إن الطبيعة الجبلية التي طبعت مجالات كتامة ووعورة مسالكها تسببت في عزلتها عن المراكز العلمية المنتشرة في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 3هـ/9م على غرار كل من القيروان، رقادة، تيهرت، تلمسان، فاس وسجلماسة، فقد أحس الكتاميون بتخلفهم عن ركب الحضارة والمدنية التي سبقها إليها غيرهم وكانوا مدركون لحقيقة العلم والتعلم، لهذا كانوا يحرصون على جلب العلماء ومدرسي القرآن لمعاقل قبائلهم، وكانوا في مصر قد أغرَوُا الداعية وحاولوا جلبه إلى معاقلهم لما أخبرهم أنه يحترف مهنة التعليم فقالوا له:" مانرى أنك تجد بلدا أجدى عليك في التعليم من بلدنا وجعلوا يخبرونه في نفاق ذلك عندهم، وتعظيم أهل بلدهم للمعلمين فيهم"[4]، وكان التعليم يتم في المساجد وفيه يتم تحفيظ الصبية القرآن الكريم، وكان لكل مدينة وقرية وحتى لكل قبيلة مسجد خاص بها ومعلم يشرف على تعليم الصبيان، والتعليم في البلاد لم يكن يقتصر على الصغار فقط بل إن الكثيرين

---

[1]- هالم هاينز، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، تع: سيف الدين القصير- مر: مجيد الراضي، (ط1، دمشق/ سوريا: منشورات دار المدى للثقافة والنشر، 1999)، 37- 38.

[2]- دفتري فرهاد، مختصر تاريخ الإسماعيليين، تر: سيف الدين القصير، (ط3، دار المدى، دمشق، سوريا- بيروت، لبنان- بغداد، العراق، 2010)، 102.

[3]- Jafar b mansur al yaman, kitabe al- alim wa l ghulam -THE MASTER AND THE DISCIPLE-An Early IslAmic spiritual dialogue, by: james W Morris, arabic edition and Englich Translation, the Institute OF Ismaili Studies, london-new york, - USA, 2001

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 39.

منهم كانوا مولوعين بالتعلم بل كانوا يتباهون فيما بينهم ويفتخرون به على بعضهم البعض، وبعد موافقته على طلبهم قالوا له:" عندنا كثير من إخواننا ممن يذهب إلى ما أنت عليه فلو رأوك ورآك الناس ما رضوك إلا لشيوخهم دون صبيانهم، وليس مثلك نجلبه لتعليم صبيان"[1] .

وقد كان المعلمون يأخذون أجورهم، وعرضوا ذلك على الداعي حيث قالوا له:" وما تريده لوجه التعليم فأنت تجد أضعافه في أموالنا"[2] غير أنه امتنع عن أخذ الأموال" فعظم في أعينهم وزادت هيبته في صدورهم"[3].

ونظرا لأهمية ومكانة التعليم والباطن في العقائد الإسماعيلية فإن أئمتها ودعاتها عمدوا إلى ابتكار العديد من التنظيمات والفعاليات لتجنيد الأتباع واستقطاب عوام المسلمين، وكان من بين أهم تلك الإنجازات التي حفلت بها الجماعة الإسماعيلية وعدت مكسبا لها في البيئة المغربية وتطورت بعدها في البيئة المشرقية هي**"مجالس الحكمة"**.

2: التعليم في مجالات كتامة بعد نشوء مجالس الحكمة

أ: مفهوم مجالس الحكمة

تطلق تسمية مجالس الحكمة على تقليد التعليم الذي وضعه الإسماعيليون[4]، والذي ضم مجموعة متنوعة من المحاضرات أو المجالس موزعة على فترات زمنية ومكرسة لمستويات مختلفة من الحضور بما فيهم النساء، ومحاضرات خاصة في العقيدة الإسماعيلية الباطنية المعرفة باسم" مجالس الحكمة"، والتي اختص بها هؤلاء المستجيبين الإسماعيليين الذين أقسموا يمين الولاء (العهد) والحفاظ على السرية[5]، وتعد هذه المجالس أهم نشاط علمي مارسه الفاطميون وأرقى وسيلة لجاءوا إليها، وعكست تطور وسائل التعليم عندهم بشكل يتفوق على ماهو متاح في نظم التعليم السنية المتبعة في القرن4هـ/10م[6].

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 39.

[2]- نفسه، 39.

[3]- نفسه، 40.

[4]- دفتري فرهاد، معجم التاريخ الإسماعيلي، 252.

[5]- دفتري فرهاد، تاريخ الإسلام الشيعي، تر: سيف الدين القصير، (ط1، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: معهد الدراسات الإسماعيلية- دار الساقي، 2017)، 154.

[6]- حافظ حسن أحمد حسن عبد العزيز، الدعوة الإسماعيلية منذ بداياتها حتى سقوط الخلافة الفاطمية من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن السادس الهجريين، (جامعة القاهرة/ مصر: رسالة ماجستار، كلية الآداب، 2014- 2015)، 122.

ب: نشأة مجالس الحكمة

إن أول الإشارات ذكرا في المصادر الإسماعيلية حول نشأة مجالس الحكمة ترجع إلى الإسماعيلية المبكرة في بيئتها المغربية وبالضبط إلى فترة الداعي أبي عبد الله الشيعي، بحيث أنه دعا جماعة من بني سكتان" فأخلوا له مجلسا للسماع"[1] ويؤكد فرهاد دفتري أن هذه المجالس" ابتدأت في شمال إفريقية في وقت مبكر زمن الداعي أبي عبد الله الشيعي"[2] وتعود نشأتها إلى السنوات الثلاثة الأولى من عمر دعوة أبي عبد الله الشيعي، حيث أنه وجد الأرض الخصبة المهيأة التي يبذر فيها بذور مذهبه[3]، وقرر فيها الانتقال بالدعوة ومؤسساتها من موضعها الشكلي والبسيط والعام في المسجد والكتاب، إلى موضع جديد ومتخصص اقترن في البداية بجماعة من السكتانيين[4]، ورغم أن المصادر التي بحوزتنا لم تشر إلى ترتيبات هذا المجلس وموضعه ومعالمه إلا أنه ومن المؤكد كان منفصلا عن المسجد وهذا للتفريق بين ما يقدم للمبتدئين والصبية من دروس وحفظ للقرآن الكريم وتحفيظ متون أحاديث التشيع في بساطتها وعمومياتها إلى تعمق تدريجي بابه الأول الفقه الشيعي، ويذكر القاضي النعمان أن أبا عبد الله الشيعي منذ بداية قدومه على القوم" كان يجلس لهم ويحدثهم بظاهر فضائل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، والأئمة من ولده عليهم السلام"[5]، وتجرد بنفسه لتلك لمجالس[6]، وسحر الناس بعلمه وفهمه وبيانه بسبب أنه امتلك كل المواصفات والمميزات التي يجب توفرها في الداعية الناجح من كفاءات علمية عالية ومواصفات عقلية وأخلاقية مطلوبة، وقدرة على تنظيم الأمور وإلمام بأمور الظاهر والباطن معا، وإطلاع على الحديث والعلوم الدينية الأخرى[7].

تطور مجالس الحكمة في مرحلة الدعوة:

كانت المجالس في شكلها الابتدائي بصفة عامة في جميع الجزر المنوطة بالدعوة حسب التقسيم الإسماعيلي تسمى بمجالس السماع، وفيها يختلط الدعاة مع زعماء القبائل وعامتهم ويعقدون تلك المجالس لبث أفكارهم المذهبية، "وقد جرت العادة في تلك المجالس أن يقوم الدعاة بانتهاج أسلوب دعائي، يقوم على استشارة المشاعر

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 53.

[2]- دفتري فرهاد، مختصر الإسماعيلين، 172.

[3]- بوبة مجاني، دراسات إسماعيلية، 94.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 53.

[5]- مجاني بوبة،دراسات إسماعيلية، 94. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 49.

[6]- القاضي النعمان ، 146.

[7]- دفتري فرهاد، المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام، تر: ناصح ميرزا، (ط1، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: دار الساقي- معهد الدراسات الإسماعيلية، 2004)، 159.

والعواطف الدينية لدى مستمعيهم، وذلك عن طريق طرح مواضيع عامة، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى مواضيع خاصة، ومنها إلى مواضيع أكثر خصوصية، وهدفهم في ذلك التلبيس على من يستمع إلى ذلك النهج الدعائي، فلا يستطيع أن يحدد الصواب من الخطأ، فيقع بذلك تحت تأثير الذي يسلبه لبه"[1] وهذا ما طبقه الداعي مع قبائل كتامة، وكان من بين أهم المواضيع المطروقة في المجالس الإبتدائية وأكثرها تكرار وسماعا "فضائل آل بيت رسول الله"، لكن مع انتشار نطاق الدعوة في شقها الأول ونضج جماعتها تحول الداعي أبو عبد الله الشيعي إلى مستوى أرفع وأعمق من السابق وهو الحكمة(الباطن)، والذي سماه فرهاد دفتري بالمحاضرات الخاصة[2]، وكان المتعلم لا يصل إلى ذلك إلا بعد أن يدرك الداعي أنه تلقن، وأحس فيه مايريده ألقى إليه شيئا بعد شيء حتى يجيبه فيأخذ منه التعمق في الفقه الشيعي وتلقين عقائد الإسماعيلية وعلم الباطن والذي عماده التأويل، وهو ما كان مختصا فيه الداعية أبو عبد الله الشيعي على حسب شهادة القاضي النعمان والتي قال فيها:" وكان أبو عبد الله من خيار المؤمنين وأفضلهم من الدين في نهايته، ومن الورع في غايته، لطيفا عاقلا **عالما بالتأويل، يحسن منه ما يقول**"[3].

يقول"[3].

إضافة إلى التعمق في ميراث آل البيت حسب المعتقد الإسماعيلي علما أنه خلال هذه الفترة كانت المدرسة الإسماعيلية العقدية قد بنت لنفسها صرحا يميزها عن باقي الفرق الأخرى كالموسوية الإثني عشرية والزيدية وكتابات إخوان الصفا التي سبقت الدعوة وكتابات منصور اليمن إلا دليل على ذلك، ونرجح أن تكون كتابات هذا الأخير(منصور اليمن) مقررات وبرامج يلقنها الداعي لأتباعه بحكم أنه تلقى تكوينا عن ذلك في اليمن قبيل توجه نحو بلاد المغرب، ولم يكن رواد هذا المجلس مقتصرون على الإخوان والأولياء المقيمين في إيكجان بل كان من يرتادها من بقية المدن والقبائل المجاورة لها، وقد تكفل الإيكجانيون بضيوفهم رواد تلك المجالس وأنفقوا عليهم، ولم تكن "الحكمة" تقتصر فقط على هذه المجالس ولم تكن فقط محتكرة للنخب كما كان الحال سابقا فإن الداعية كان في وقت الحروب يشد بها أزر أتباعه، وقد ذكر عن القاضي النعمان أن كتامة المعارضة للمشروع الإسماعيلي لما تحالفت وقررت القضاء عليه وهجمت عليه في دار هجرته تازروت قام خطيبا محرضا لأتباعه مرددا " كلاما كثير، يعظهم به، في مجلس عظمت بركته، وأطلعهم على **كثير من الحكمة فيه**..."[4].

---

[1]- عبد المقصود أحمد محمد، الدعاية السياسية والإعلام المذهبي في بلاد المغرب والأندلس، (الإسكندرية/ مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2014)، ج1/ 378.

[2]- دفتري فرهاد، المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام، 160.

[3]- القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 415.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 101- 102. بوبة مجاني، دراسات إسماعيلية، 94.

ولم يكن الداعي أبو عبد الله الشيعي بعد تطور الدعوة هو الداعي الوحيد بل كان هنالك دعاة آخرون توزعوا بعد انتشار رقعة الدعوة ودخول العديد من الحواضر والقبائل في دعوتها، لهذا عمد إلى إرسال الكثير منهم لتلبية المهمة، ورغم أن المصادر لم تذكر وتفصل في سير هؤلاء الدعاة المكونين إلا أنه يرجح أنهم كانوا من أهل الدعوة الأوائل الذين لبوا دعوته وخرجوا عن قبائلهم وعادوا إليها بعد إذعانها وانتصار الداعية عليها، ومن بين هؤلاء أفلح بن هارون الملوسي داعي ملوسة والذي أصبح فيما بعد داعي الدعاة في جزيرة المغرب بعد مقتل أبي عبد الله الشيعي، وذلك لأنه جمع بين القضاء وهو الظاهر وبين الدعوة وهو الباطن، أما عن وقت انعقادها فكانت يوميا " حيث كان يجلس في كل يوم للمؤمنين يحدثهم"[1]، ولم تكن هذه المجالس تقتصر على الرجال بل كانت تشارك فيها النساء ومنهن التي تكونت فيها ووصلت إلى درجة الدعاة أمثال أم موسى ابنة الحلواني[2]، ومن خلال نص أورده ابن الهيثم والذي حضر أحد مجالسه يظهر لنا حجم التكوين والتشيع العقدي الذي وصلت إليه نخبة الجماعة الإسماعيلية من قبيلة كتامة البربرية وفي هذا يذكر صاحب المناظرات:" وما نسيت فلا أنسى داعي ملوسة وشيخ الجماعة وفقيهها، أفلح بن هارون العباني، فقد كان جمع مع الدعوة علوم الفقه ... وسمعت عنده دعوة النساء وما يخاطبهن به من الدلائل التي تقبلها عقولهن ويحفظنه ولقد كان يخاطب المرأة ويقيم لها الدليل من حليها وخاتمها وقرطها وتاجها وخناقها وخلخالها وسوارها وثوبها وعجارها، ثم من المغزل والمنسج واللباس والشعر وغيره مما هو من خلقة النساء، وكان يخاطب الصانع من صناعته ويخاطب الخياط من إبرته وخيطه وخلقته ومقصه، ويخاطب الراعي من عصاه وكسائه وقرنه وكرزيته"[3] .

ولم تقتصر هذه المجالس على أرض المغرب الأوسط بل إنها انتقلت إلى أرض المغرب الأدنى منذ بداية توسع الدعوة في مجالاتها، ففي القيروان وبعد خروج الداعية أبي عبد الله الشيعي إلى سجلماسة لتخليص المهدي عبيد الله انتصب أخاه أبو العباس المخطوم للدعوة وسارع إليه وجوه الناس[4]، ونظرا لعدم إقبال القيروانيين إلى تلك المجالس فإنه اتخذ إجراءات انتقامية لفرض المذهب الجديد ومعاقبة المالكية والعلماء الأحناف حيث" شدد شكيمة المروذي وأمره بإظهار قول آل محمد صلى الله عليه وسلم وأن لا يظهر أحد من كتب مالك وأبي حنيفة شيئا، وأمر بالفتيا حسب ما أمره به أخوه(يقصد أبي عبد الله الشيعي)..."[5].

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 41.

[2]- نفسه، 132.

[3]- ابن الهيثم، 121- 122.

[4]- القاضي النعمان، 269.

[5]- نفسه، 113- 114.

وكان من النتائج الأولى لتلك المجالس في البلاد الكتامية هو البدء في تغير معالم الإسلام الكتامي[1]، حيث لم يتلقى أي ردة فعل سلبية من طرف مؤيديه وهذا ما يؤكد أن الدعوة ومجالسها في المجالات الكتامية لم يكن هدفها تشيع سياسي للمنطقة وأهلها فقط، وإنما مشروع تشيع عقدي وفق المنظور الإسماعيلي وهو الوحيد والكفيل والضامن لنجاح قيام وتوسع خلافة الفواطم، على العكس فإننا نرى في هذا المقام أنه ما من جزيرة حظيت بقدر كبير من التشيع(الإسماعيلي) أكثر من الذي حظيت به مجالات كتامة، وقد لعبت فيها تلك المجالس الدور الأكبر ومن القرائن الدالة على ذلك ضمان ولاء تام وكامل لهذه القبيلة تجاه الخلافة الفاطمية في كامل الفترة المغربية، بل تواصل هذا السند المذهبي حتى في الفترة المصرية، إضافة إلى تكوين وتخريج العديد من الدعاة الذين كانوا وتدا من أوتاد المذهب الإسماعيلي وسيوفا مسلطة ضد أعدائه خاصة في القيروان، لهذا عمد الداعي أبي عبد الله الشيعي والدعاة من بعده وحتى الخلفاء الفاطميين وعلى رأسهم المعز لدين الله، إلى تنظيم وتكثيف عمل هذه المجالس والتي كان هدفها تشييع المنطقة وفق المنظور الإسماعيلي.

تطور مجالس الحكمة بعد مرحلة الدعوة 296هـ/909م:

لم تبق هذه المجالس ثابتة وعلى طبيعة واحدة بل إنها تحولت وتطورت تبعا للتحول الذي طرأ على الجماعة الإسماعيلية، وهذا بانتقالها من مرحلة الإستتار إلى الظهور ومن إتباع الفقه العام الشيعي إلى فقه جديد إسماعيلي، ومن ارتباطها بالدعاة إلى اختصاصها المركزي بالإمام والخليفة ومن الحقبة المغربية إلى الطور المصري، وهذا التطور مس عدة نواحي منها مكان انعقادها والبرامج المدرسة فيها، وقد حققت الغرض منها بعد نشأتها سنة 280هـ/894م ولعبت الدور الأكبر في تشيع وتحول قبائل المجال الكتامي نحو الإسماعيلية، لكن مع قيام الدولة سنة 296هـ/909م أهمل شأن هذه المجالس بسبب صعوبة المرحلة لاسيما في عهد الخليفتين القائم والمنصور وانشغالهما بإخماد الثورات، لكن مع تربع الخليفة الرابع المعز لدين الله على عرش الخلافة سنة 341هـ/952م أعاد تفعيل هذه المجالس من جديد وأصبح الشخص المباشر لها هو القاضي النعمان تحت إشراف الخليفة الرابع المعز

[1]- من بين أهم العقائد التي باشر الداعي أبو عبد الله الشيعي بتغييرها في بلاد كتامة، والتي ترتبط مباشرة بالمذهب الشيعي ويشترك فيها جميع فرقه من إماميه واثني عشرية وغيرها هو إسقاط صلاة التراويح واعتبارها بدعة أحدثها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، وزيادة عبارة "حي على خير العمل" في الآذان وإسقاط عبارة "الصلاة خير من النوم" من صلاة الفجر، ومنع الفقهاء من الإفتاء إلا بمذهب جعفر الصادق بحجة أنه مذهب آل البيت، من إسقاط طلاق البتة وإحاطة البنت بالميراث. ينظر: بكر بن حماد، 50. القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، ظبط- تص: محمد سالم هاشم، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 2012)، ج1/ 121. المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش- مر: محمد العروسي المطوي، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1994)، ج2/ 55.

لدين الله[1] وخصص لذلك قاعة في قصر في المنصورية[2]، ومع تحول وانتقال الخلافة إلى المشرق سنة 362هـ/973م خصص لهذه المجالس قاعة خاصة عرفت باسم "المحول"[3] بالقصر الكبير الشرقي المعروف "بالقصر المعزي"، وكانت هذه المجالس لها طقوس خاصة تتم بين الداعية والمستجيبين ذكرها ابن طوير على النحو التالي:"...فإذا فرغ(داعي الدعاة) من تلاوته(مجالس الحكمة) على المؤمنين والمؤمنات حضروا إليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤوسهم بمكان العلامة-أعني خط الخليفة- وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لاسيما الصعيد، ومبلغهما ثلاثة دراهم وثلث، فيجتمع ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة من يده بينه وبينه وأمانته في ذلك مع الله تعالى..."[4]، وكان داعي الدعاة في هذه المرحلة بالنسبة للتراتبية الهرمية يقع مباشرة تحت إمرة الوزير والقاضي الأعلى أي قاضي القضاة[5]، وتحولت مجالس الدعوة إبتداءا من سنة 365هـ/1005م إلى دار العلم والتي تأسست على يد الخليفة الحاكم بأمر الله(386-411هـ/996-1021م)[6] والذي أصبح في عهده

---

[1]- **سامعي إسماعيل، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ/10م**، ص 69- 70. حافظ حسن أحمد حسن عبد العزيز، 110- 112.

[2]- المنصورية: وتعرف أيضا بصبرة أو صبرة المنصورية، مدينة مستحدثة سنة 334هـ/946م وبانيها هو الخليفة الفاطمي الثالث المنصور بنصر الله والذي انتقل إليها سنة336هـ/948م وهذا بعد قضائه على ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، موقعها في الجنوب الشرقي للقيروان وهو المكان الذي صمدت فيه الجيوش الفاطمية وصبرت حتى انتصرت لهذا اشتق اسم صبرة من صبرهم في المعركة، وقد ذكرها ابن حوقل بأنها" أحسن بلد في أسرع أمد" أما ابن حماد الصنهاجي فقد ذكر أنها" دار ملكهم (الفاطميين) وملك من بعدهم إلى أن أتى عليها الزمان، ونال منها الحدثان، وذهبت كما ذهب الأبدان وغمدان، وبنى سورها بالطوابي وجعل لها أربعة أبواب: باب قبلي، وباب شرقي سماه باب زويلة ، وباب جوفي سماه باب كتامة، وباب غربي سماه باب الفتوح، ومنها كان يخرج للحروب ونصب وعليها أبوابا ملبسة بالحديد، ولم يبن فيها غير ذلك إلا بعد الفراغ من أمر أبي يزيد، ثم بنيت فيها بعد ذلك القصور الشامخات والأبنية الرفيعة، وغرست فيها الغرس البعيدة، وجلبت إليها المياه المنيعة، ابن حوقل النصيبي، 78. بن حماد الصنهاجي أبي عبد الله محمد بن علي، 60-61.

[3]- المحول: قاعة كبرى بالقصر الكبير الشرقي المعروف "بالقصر المعزي"، وهي مجلس الداعي ويدخل إليه من باب الريح، وبابه من باب البحر، ويعرف بقصر البحر، وكان الداعي يجلس بهذا القصر ويفرد للأولياء والمشايخ مجلسا خاصا، وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر خاص يقال له مجلس الحكمة في كل يوم اثنين وخميس. ينظر: المقريزي تقي الدين، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- الخطط المقريزية-، ج2/ 121- 123.

[4]- ابن طوير المرتضى عبد السلام، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، نشر- تح: أيمن فؤاد السيد، (القاهرة/ مصر: دار الكتب والوثائق المصرية، 2015)، 109- 110.

[5]- كليم فيرينا، مذكرات رسالة العالم الإسماعيلي رجل الدولة والشاعر المؤيد في الدين الشيرازي، تر: شارل شهوان، (ط1، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: معهد الدراسات الإسماعيلية، 2005)، 145.

[6]- الحاكم بأمر الله: هو أبو علي المنصور بن نزار و الملقب بالحاكم بأمر الله سادس الخلفاء الفاطميين والإمام الإسماعيلي السادس عشر ولد سنة 375هـ/985م بالقاهرة المعزية، تولى حكم الخلافة الفاطمية مكان أبيه العزيز بالله وعمره لا يتجاوز 11سنة تعد فترة حكمه من اعقد فترات مصر الفاطمية فقد كان " سفاك قتال ...أمر بلعن أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم وكتب في ذلك ألواح وأمر ببنائها على الحيطان" كما كان له دور كبير في تعزيز نشاط الدعوة الإسماعيلية فبعد شهور من إلغائها وإصدار مراسيم بإخلاء بيت الحكمة عاد من جديد وأمر بإقامة الدعوة والهداية، وقراءة مجالس الحكمة، ونشر علوم التأويل لأهل الولاية..وأوامر الدعوة العلوية الفاطمية..." ينظر: ابن ظافر جمال الدين علي، 43- 44. عنان محمد عبد الله ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، (ط2، مكتبة الخانجي- دار الرفاعي، (القاهرة/ مصر- الرياض/ السعودية، 1983). ووكر بول، الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله- حميد الدين الكرماني-، تر: سيف الدين القصير، (ط1، دمشق/ سوريا: دار المدى للثقافة والنشر، 1980)، 13- 44 .

منصب داعي الدعاة منصبا رسميا من وظائف الدولة، وتم فصله عن منصب قاضي القضاة، وأصبحت الدعوة " قائمة لا يخلوا بلد ولا بقعة من بلدان الإسلام إلا ودعاته فيها، يدعون إلى طاعة الله بإمامته، وإلى توحيد الله بواسطته، ظاهرا حيث أمكن وباطنا حيث أعجز"[1] وقد عقدت مجالس الحكمة في العديد من الأصقاع(خارج القاهرة ومصر) كبغداد والبصرة والتي أصبحت مجالسهما تعرف "بالمجالس البغدادية والبصرية"[2]، غير أن هذه المجالس سرعان ما انتكست أحوالها وانطفأت أضوائها وهذا لما بدأ الحاكم في تنكيب أسرة النعمان والتي تولت شؤون تلك المجالس لأكثر من نصف قرن وزادت الأمور سوءا واضطربت اضطرابا خطيرا في عقائد الإسماعيلية وانشقاقها وهذا بعد ادعاء الحاكم الألوهية[3].

ج: دُور الدعاة وزعماء القبائل

لقد كانت بيوتات العلماء والدعاة أحد أهم المراكز التي كانت تعقد فيها الحلقات وتتدارس فيها مختلف العلوم والفنون، وقد برز دورها مع الدعاة الأوائل أبا سفيان والحلواني، وتعاظمت منذ أن وطأت قدما الداعية أبي عبد الله الشيعي أرض المغرب الأوسط وبات في دار الداعية أبي عبد الله الأندلسي، وفيها نزل عند القوم من المعرفة والفهم وأصاب عندهم من علم الشيعة وفضل أهل البيت أصلا قويا فتبسط معهم وتناقشوا وزادهم الكثير مما عنده[4].

وكان منذ نزوله ببلاد كتامة محل ترحيب منقطع النظير من طرف الكتاميين والذين كان الكل منهم يرغب في استضافته، وكانت بيوتهم في حضور الداعي وغيابه مراكز للتعلم وتبادل المعارف وهو الطابع العام الذي عرفه شيعة المغرب الإسلامي خلال القرن 3هـ/9م، وكان من ضمن أهم العلوم والأثار المتداولة فيها" علوم أل البيت وفضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذريته"[5]، وقد أضحى نص المناظرات أحد أهم النصوص التي أبرزت دور بيوت الشيعة في الدعوة وتدارس الفنون والتضلع في مختلف العلوم وتبادل الأخبار.

---

[1]- الكرماني حميد الدين أحمد بن عبد الله ، المصابيح في إثبات الإمامة، تح- تق: مصطفى غالب، (ط1، بيروت/ لبنان: دار المنتظر، 1996)، 107- 108.

[2]- الكرماني حميد الدين أحمد بن عبد الله، كتاب الرياض، تح- تق: عارف تامر، (بيروت/ لبنان: دار الثقافة، دت)، 108.

[3]- لم يكن التصدي لإدعاء الحاكم بالألوهية مقتصرا على فقهاء السنة لمصريين، بل كان من ضمنهم الكثير من دعاة الشيعة في العديد من الأقطار وأشهرهم الداعي حميد الدين الكرماني والذي كان أشهر الدعاة الإسماعيلين على عهد الحكام بأمر الله حيث ألف رسالة أبطل فيها دعاوي الحاكم وأتباعه المتعلقة بالإلوهية. ينظر: الكرماني حميد الدين أحمد بن عبد الله، الرسالة الواعظة في نفي دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله للداعي أحمد حميد الدين الكرماني ، تح: محمد كامل حسين، (القاهرة/ مصر: ، مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1952) مج14، ج1.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 41.

[5]- لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 29- 30.

ثانيا: العلوم النقلية

1 : التأويل والباطن

" التقية ديني ودين أبائي، ولا دين لمن لا تقية له"[1]

إن هذه العبارة المنسوبة للإمام جعفر الصادق[2] تعد أحد أهم العقائد الخاصة بالشيعة بمختلف مذاهبهم، وتبنيها من طرف الأئمة والدعاة والأتباع، والتقية قادت إلى أمرين أساسيين على طول مسار الجماعة الإسماعيلية وهما:

الأول: إخفاء حقيقة الأئمة وهذا الأمر هو الذي كان سببا في اختلاف الناس حول نسبهم[3].

الثاني: العمل بالتأويل وهو الذي ميز هذه الجماعة في تاريخها عن بقية الجماعات الأخرى وحتى الشيعية منها.

والتأويل عند الإسماعيلية هو باطن المعنى ورمزه أو جوهره، وهو حقيقة متسترة وراء لفظة لا تدل عليها، وبالتالي أضحت عقيدة" لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل"[4] ومن أهم عقائدهم التي اختصوا بها وسموا لأجل ذلك بالباطنية، وهو عندهم يقتضي الرجوع إلى الأصل لإدراك معاني الموجودات واستنباط جوهر الحقيقة ومعناها الروحي الذي يوافق المنطق والعقل السليم[5]، وهو أهم موضوع يميز مصنفاتهم عموما ومصنفات القاضي النعمان على وجه الخصوص[6].

وقد وظفت الإسماعيلية على حجيته آيات عديدة من القرآن الكريم نذكر منها بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

---

[1]- القاضي النعمان، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام ، تح: أصف بن علي فيضي، (القاهرة/ مصر: دار المعارف، 1963)، ج1، 110. نبيل الحيدري، التشيع العربي والتشيع الفارسي- دور الفرس التاريخي في انحراف التشيع-، (ط1، لندن/ بريطانيا، دار الحكمة، 2014)، 273.

[2]- لتفاصيل أكثر عن التقية وموقف جعفر من أحداث عصره من وجهة نظر شيعية. ينظر: رسول جعفريان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، (ط1، بيروت/ لبنان: منشورات دار الحق، 1994)، ج1/ 249- 298.

[3]- لتفاصيل أكثر عن قضية نسب الخلفاء الفاطميين. ينظر: القطب محمد علي، بين صحة النسب وتزوير التاريخ، (ط1، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، لبنان، 2002). سعد بن موسى الموسى، موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية نسبا ومعتقدا، (ط1، الرياض/ السعودية: دار القاسم للنشر، 2006). عويس عبد الحليم، قصية نسب الفاطميين- أمام منهج النقد التاريخي-، (ط1، القاهرة/ مصر: دار الصحوة، 1985).

[4]- الشهرستاني أبي الفتح، 201.

[5]- غالب مصطفى، مفاتيح المعرفة، (بيروت/ لبنان: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1982)، 213.

[6]- الطاهري محمد الهادي، عقائد الباطنية في الإمامة والفقه والتأويل عند القاضي النعمان، (ط1، صفاقس/ تونس: مؤسسة الانتشار العربي، 2011)، 209. لتفاصيل أكثر عن التأويل عند الإسماعيلية في المغرب وبعد انتقالهم إلى المشرق. ينظر: القاضي النعمان، تأويل الدعائم، (ط1، (بيروت/ لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، 2006/ ج1- ج2. القاضي النعمان، أساس التأويل، تح: عارف تامر، (بيروت/ لبنان: منشورات دار الثقافة، دت). الشيرازي المؤيد في الدين هبة الله، المجالس المؤيدية- المائة الأولى-، تح: مصطفى غالب، (دمشق/ سوريا: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، دت)، 347- 351. القاضي النعمان، أساس التأويل، تح: عارف تامر، (بيروت/ لبنان: منشورات دار الثقافة، دت).

"وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"[1]

"هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"[2]

"قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا"[3]

"رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ"[4]

وفي العقيدة الإسماعيلية النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب التنزيل وعلي رضي الله عنه والأئمة من بعده أصحاب التأويل[5]، والأئمة لوحدهم من يستطيعون إيداع علم تأويل الباطن لكبار الدعاة بقدر مخصوص، ليتمكنوا من إفادة المؤمنين وإرشادهم إلى الجوهر الحقاني المختفي وراء الأمور الظاهرة للعيان[6].

والتأويل عندهم يرتبط ارتباط وثيقا بعلم الباطن أحد أساسيات الدعوة والتي تنقسم بدورها إلى نوعان: الأول منها يختص بالظاهر ودعوة ثانية سرية وهي المقتصرة بعلم الباطن[7]، وفي هذا أورد الداعي الفاطمي علي بن الوليد الوليد اليماني(ت612هـ/1215م) أن الدعوة الظاهرة كانت" قسط الرسول صلوات الله عليه، والدعوة الباطنة قسط وصيه الذي فاض منه عليه جزيل الإنعام"[8]، ويستدلون على هذه الدعوة وتقسيماتها بمواضع كثيرة وردت في في القرآن الكريم، منها قول سبحانه وتعالى على لسان الرسول نوح عليه السلام:" ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿8﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿9﴾"[9] ولا يكون الداعية داعيا إلا إذا تأول الظواهر ليردها إلى الباطن[10].

وقد استطاع الداعية بهذا العلم جدب عقول الكتاميين واطلاعهم على معان جديدة للكتب والحديث عكس ما سمعوه وتعلموه سابقا، ولم يكن التأويل لوحده هو ضمن العلوم التي اختص بها الداعية أبو عبد الله

---

[1]- سورة يوسف، الآية: 06.

[2]- سورة آل عمران، الآية: 07.

[3]- سورة الكهف، الآية: 78.

[4]- سورة يوسف، الآية: 101.

[5]- من وجهة نظر شيعية: كان النبي محمد صلى الله عليه سلم مسؤولا عن إبلاغ ما كان يوحى إليه بواسطة الملاك جبرائيل، بينما كان علي مسؤولا عن تأويله. وقد عين علي صاحب التأويل، وبذلك أصبح مستودع علم النبي الغير المعلن والمالك الأصيل للتفسير الحقيقي للإسلام بعد النبي، وهذا هو المنصب الذي بقي في حوزة الأئمة العلويين من بعد الإمام علي. دفتري فرهاد، المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام، 145.

[6]- نفسه، 213.

[7]- GUYARD, FRAGMENTS RELATIF A LA DOCTRINE DES ISMAELIS, IMPRIMERIE, NATION ALE, Paris, France, 1874, 32.

[8]- اليماني علي بن الوليد، الذخيرة في الحقيقة، تح: محمد حسن الأعظمي، (بيروت/ لبنان: دار الثقافة، 1971)، 113.

[9]- سورة نوح، الآية: 8- 9.

[10]- البغدادي عبد القاهر بن محمد، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم- عقائد الفرق الإسلامية وأراء كبار أعلامها-، تح: محمد عثمان الخشن، (القاهرة/ مصر: مكتبة ابن سينا، دت)، 259.

الشيعي جماعته في بلاد المغرب الأوسط، حيث كان إلى جانب ذلك "علم الباطن" وهو العلم الذي تميزت به الإسماعيلية عن بقية الفرق الشيعية وأصبح رمزا لها، وإن كانت تعوزنا نصوص ودلائل حول هكذا نوع فإن ذلك يرجع لعدة أسباب منها:

- سرية هذا العلم ولفظ الباطن دلالة عليه.
- السرية بصفة عامة والتي رافقت مرحلة الدعوة في بلاد المغرب الإسلامي باستثناء الشذرات القليلة التي رافقت نص القاضي النعمان والغني بالحراك العسكري.

وقد لقن الداعية الكثير من هذا العلم وبدرجات لأتباعه الكتاميين، وأكدت الباحثة بوبة مجاني أن التأويل الذي كلف الداعي بنشره أو تلقينه للأتباع هو تأويل الشرائع أو التفسير الرمزي الباطني[1]، وأن الذين تلقوا هذا العلم واختصوا به وغاصوا فيه كانوا هم النخبة العلمية التي حصل لها فيما بعد شرف مجالسة الخليفة عبيد الله المهدي ونيل ثقته والإشراف على المناصب الدينية والمذهبية في دولته، كقيادة الدعوة وتولي القضاء ومن بين أهم نماذج ذلك" أفلح بن هارون الملوسي"[2]، وهو أول من تولى منصب قاضي مدينة طرابلس الليبية إثر قيام الخلافة الفاطمية، ثم قاضي قضاة المدينتين الملكيتين رقادة والمهدية"[3]، وإن لم تتوفر لدينا تفاصيل عن موضوعات هذا العلم في مرحلة الدعوة إلا أن هناك إشارة أوردها صاحب مؤلف المناظرات تدل على وجود مؤلفات خاصة كان الداعية أبو عبد الله الشيعي يختص بها خاصته ويلقنها ويطلعها لمقربيه من الكتامين، ومن بين تلك المؤلفات كتاب" المعرفة والإقرار والجحد والإنكار" وكتاب آخر مجلد فيه قصيدة تسمى" ذات الجواهر".

وإن كانا هذان المؤلفان مفقودين فإن ابن الهيثم ذكر أنهما كانا على قدر عظيم واحتويا" علوم توحيد ورموز باطنة وحكمة من حكيم"[4]، وكان من بين الدين تلقوا هذا العلم(الباطن) صراحة على يد أبي عبد الله الشيعي هو هو الداعية المغربي ابن الهيثم، حيث أورد الداعي إدريس أنه" أخذ كثيرا من ظاهر علم الأئمة وباطنه عن أبي عبد الله..."[5].

2: الجفر والتنجيم وعلم الغيب

أ: مفهوم التنجيم والجفر

يعتبر علم التنجيم أحد العلوم العاتية التي عرفتها الحضارات القديمة، ويرجع الفضل في إرساء دعائم هذا العلم إلى سكان بلاد ما بين النهرين القدامى (البابليون، الكلدانيون) والذين رصدوا النجوم بشكل صحيح ومعها

---

[1]- مجاني بوبة، التعليم في بلاد كتامة في المرحلة السرية للدعوة الإسماعيلية، الكاتب العربي، 63.

[2]- بوبة مجاني، المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، (الدار البيضاء/ المغرب: منشورات الزمن، 2005)، 58.

[3]- هالم هاينز، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، 47.

[4]- ابن الهيثم، 84.

[5]- الداعي إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 107.

الشمس والقمر والزهرة وباقي السيارات، وسجلوا الظواهر السماوية كخسوف القمر وكسوف الشمس وربطوا الكواكب بالقوى وشرعوا في تحديد حظوظ الشعوب والدول والأشخاص...[1].

ارتبط هذا العلم بعلم النجوم والذي عرفه التهانوي بأنه" علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية"[2] وأقر الخوارزمي أن تسميته بالعربية هو" التنجيم، وباليونانية أصطرنوميا، وأصطر هو النجم، ونوميا هو العلم"[3] وقد عرفه ابن سينا بأنه:" علم تخميني والغرض فيه الاستدلال من أشكال الكواكب بقياس بعضها إلى بعض وبقياسها إلى درج البروج وبقياس جملة ذلك إلى الأرض على ما يكون من أحوال أدوار العالم والملك والممالك والبلدان والمواليد والتحاويل والتسايير والاختبارات والمسائل"[4].

وربطها أبو سليمان المنطقي السجستاني بالكهانة وعرفها بأنها إمكانية التنبؤ بالغيب، وهي" قوة إلهية توجد في شخص بعد شخص بسهام سماوية وأسباب فلكية، وأقسم علوية، فإذا توسطت صارت في منتصف البشرية والربوبية..."[5].

أما الجفر فقد أورد العلامة عبد الرحمان ابن خلدون معلومات في مقدمته حول" حدثان الدول والأمم وفي الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر" وذكر أن حدثان والجفر هو " علم ما يحدث من حياة وموت وخير وشر، سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة الدول أو تفاوتها..."[6].

وقد روجت المصادر الشيعية الإمامية والإسماعيلية والدعاة على أن الأئمة يعلمون الغيب، وقد كان الإمام جعفر الصادق على حسب زعمهم يقول:" علمنا غابر ومرموز، ونكت في القلوب ونقر في الأسماع، وإن عندنا **الجفر الأحمر** و**الجفر الأبيض** ومصحف فاطمة، وإن عندنا **الجامعة فيها جميع ما يحتاجون إليه**(الناس)"[7]، ولما ولما سئل عن تفسير هذا الكلام قال" أما الغابر فعلم بما يكون، وأما المزبور فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب فهو الإلهام، وأما النقر في الأسماع فحديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى شخصهم، وأما الجفر الأحمر

---

[1]- حناقره عبود، علم التنجيم أسراره وأوهامه، (ط1، دمشق/ سوريا: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2000)، 23.

[2]- التهانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تح: علي دحروج- تر: عبد الله الخالدي- جورج زيناتي- مر: رفيق العجم، (ط1، بيروت/ لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 1996)، ج1/ 56.

[3]- الكاتب الخوارزمي أبي عبد الله محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، درا- تص: عبد الأمير الأعشم، (ط1، بيروت/ لبنان: دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، 2008)، 193.

[4]- ابن سينا الحسين بن عبد الله، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات وفي أخرها قصة سلامان وأبسال ترجمها من اليونان حنين بن إسحاق، (ط2، (القاهرة/ مصر: دار العرب للبستاني، 1989)، 110.

[5]- السجستاني أبو سليمان المنطقي، صوان الحكمة وثلاث رسائل، تح: عبد الرحمن بدوي، (طهران، إيران، 1974)، 67.

[6]- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تح- تخ- تع: عبد الله محمد الدرويش، (ط1، دمشق/ سوريا: دار يعرب، 2004)، 545.

[7]- الطبري عماد الدين الحسن بن علي، أسرار الإمامة، تح: قسم الكلام والحكمة الإسلاميين، (ط2، قم/ إيران: 2013)، 243.

فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت، وأما الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود عليهم السلام وكتب الله المنزلة، وأما مصحف فاطمة ففيه ما يكون من حادث وأسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة وأما الجامعة فكتاب طوله سبعون ذراعا، إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيده، فيه أرس الخدش والجلدة ونصف الجلدة"[1]، وقد ذكر أن جفر جعفر الصادق هو الذي توارثه بنو عبد المؤمن في بلاد المغرب[2].

غير أن علم الجفر والمنسوب للأئمة لاسيما جعفر الصادق[3] لم يكن يحظى بإجماع من طرف بقية الشيعة على وجوده، فقد نقل ابن قتيبة على لسان أحد أعلام الزيدية يبرئ جعفرا من هذا العلم وفي هذا يقول:

ألم ترى أن الرافضين تفرقوا فكلهم في جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا إله ومنهم طوائف سمته النبي المطهرا
فإن كان يرضى ما يقولون جعفر فإني إلى ربي أفارق جعفرا
ومن عجب لم أقصه جلد جفرهم برئت إلى الرحمن ممن **تجفرا**[4]

وقد كان هذين العلمين متواجدين في بلاد المغرب القديم وتواصلا ظهورهما بعد الفتح الإسلامي لاسيما في بلاد المغرب الأوسط، وكان البيت الرستمي مختصا فيه حيث يذكر الدرجيني أنه كان" بيت الرستميين بيت العلوم وجامعا لفنونها، من علم التفسير والحديث، والفرائض، والأصول، والفروع وعلم اللسان، **وعلم النجوم**"[5].

ويذكر أن آخر أمراء الدولة الرستمية بعد سقوط مدينة تاهرت سنة296هـ/909م وخروجه هاربا منها نحو وارجلان وهو في الطريق" نظر نظرة في النجوم فقال لأصحابه: إنكم لا يجتمع منكم ثلاثة نفر إلا كان عليهم الطلب افترقوا فقد انقطعت أيامكم وزال ملككم"[6]، ولم يكن هذا العلم مقتصرا على الخاصة من أفراد البيت الرستمي بل إن أحدهم قال:" معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعرف منزلة القمر"[7].

---

[1]- الطبرسي أبي علي الفضل، إعلام الورى بأعلام الهدى، (ط1، بيروت/ لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2004)، 287- 288.

[2]- القرماني أحمد بن يوسف، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، تح: فهمي سعد- أحمد حطيط، (ط1، بيروت/ لبنان: عالم الكتب، 1996)، مج1/ 334.

[3]- لتفاصيل أكثر عن جعفر الصادق وآل البيت وعلاقتهم بعلم الجفر. ينظر: أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، (القاهرة/ مصر: دار الفكر العربي، دت)، 647- 652.

[4]- الدينوري ابن قتيبة، عيون الأخبار، (بيروت/ لبنان: دار الكتاب العربي، دت)، 145.

[5]- الدرجيني، 56.

[6]- نفسه، 104- 105. الباروني سليمان، 346.

[7]- الدرجيني، 56.

وساهم (علم الجفر والتنجيم) في بث هذا الاعتقاد في نفوس الأتباع تحقق بعض التوقعات المستقبلية[1]، من بينها التنبؤ بأن الدولة (الخلافة الفاطمية) ستقوم في المغرب سنة 296هـ/909م ومن ذلك ما كان يردده ابن حوشب والذي سمعه عن الفهري:

ألا يا شيعة الحق دوي الإيمان والبر
أتتكم نصرة الله على التخويف والزجر
فعند الست والتسعين قطع القول والعذر
لأمر ما يقول الناس بيع الدر بالبعر
يتيم كان خلف الباب فانقض على الوكر[2]

وقد كان في حكام بني الأغلب من يمتهن علم الحدثان ومن بينهم الأمير الأول الذي زامن دعوة أبي عبد الله الشيعي فيذكر صاحب رواية الافتتاح أنه" كان يعنى بعلم الحدثان، وأخبار ما يكون"[3]. كما كان أحد أفراد الأسرة الحاكمة وهو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب أبو العباس" كان عالما باللغة والغريب مع تصرف في كثير من العلم والأدب، **ومهارة في النجامة**"[4].

وقد كان البلاط الأغلبي حافلا بمجموعة من المنجمين من بينهم ابن المعتصم المنجم" والذي بعثه الأمير أحمد بن إبراهيم في سفارة نحو أبي عبد الله الشيعي من أجله ثنيه عن دعوته وترك ما في يده سواء بالترغيب أو الترهيب[5]، بل إن في البلاط الأغلبي تواجد الكثير من الشيعة وكانوا" يدرسون علم الحدثان والإخبار عما يكون"[6].

وبعيدا عن الروايات الإسماعيلية والترويج للمهدوية والوطن الموعود فإن ابن عذاري المراكشي تحدث عن الكهانة والنبؤات وأنه بالبلاد كان" رجل من كتامة كاهن، يقال له فيلق"[7]، وإن لم توضح الرواية مذهبه وما يدعو

[1]- مجاني بوبة، دراسات إسماعيلية، (قسنطينة/ الجزائر: مطبوعات جامعة منتوري، 2002- 2003)، 91.
[2]- القصير سيف الدين، 39.
[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 59.
[4]- ابن الآبار، ج2/ 973- 980.
[5]- القاضي النعمان، 56.
[6]- نفسه، 62.
[7]- ابن عذاري المراكشي، 170.

يدعو إليه إلا أنها تضمنت إشارة إلى ترقبه بالحدث الجلل الذي سيحدث في البلاد ويتقاتل بقوة ودموية لأجله الكتاميون وأن سببهم في ذلك هو صاحب البغلة الشهباء[1].

3: الحديث والفقه وعلم آل البيت

لم يتواجد فقه إسماعيلي قائم بذاته إلا بعد قيام الخلافة الفاطمية عام 296هـ/909م، فالإسماعيليون الأوائل الذين مارسوا التقية عموما وانتموا إلى حركة ثورية طبقوا شريعة البلاد التي عاشوا فيها[2]، وظهر الفقه الإسماعيلي بتقنين وجهود القاضي النعمان بصورة أساسية وكانت أهم كتبه ومؤلفاته كتاب" دعائم الإسلام"[3]، والذي روجع روجع بعناية وتدقيق من طرف الخليفة الرابع المعز لدين الله الفاطمي(ت365هـ/975م).

كان علم وفضائل آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مربط الفرس وأصل كل دعوة يرتجى منه تشيع أو قيام دولة للعلويين، ونفس الأمر مع الحركة الإسماعيلية في بلاد المغرب الإسلامي فالدعاة الأوائل كانوا يلقنون الناس فضائل آل البيت ويبشرون بالمهدي على حسب النموذج الشيعي[4]، ونفس النهج سار عليه الداعية الصنعاني والتزم به وكان ينشر بينهم أحاديث في مناقبهم وعظم الرسالة التي تنتظرهم، وكان من بينها حديث النبوءة وهجرة المهدي وعنه قال:" إن للمهدي هجرة تنبوا عن الأوطان في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار، من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان"[5]، وقال لهم أنتم كتامة وبخروجكم من هذا الفج يسمى فج فج الأخيار[6].

---

[1]- كانت هذه البغلة الشهباء مما أشتهر به أبو عبد الله الشيعي، ويذكر الوراق أنه لم تكن معه في بلاد المشرق وإنما اشتراها لما نزل على إفريقية عائد مع وفد حجاج كتامة المغرب وكانت شهباء، في حين يذكر القاضي النعمان أنها" كانت عنده زمانا طويلا يركبها". ابن عذاري المراكشي، 170. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 52.

[2]- دفتري فرهاد، معجم التاريخ الإسماعيلي، 222. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 222.

[3]- دعائم الإسلام: يعد مصنف" دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام" من أهم كتب القاضي النعمان ابن حيون المغربي، وهو مختصر إسماعيلي شامل في الفقه، وقد قرأه وراجعه الخليفة الرابع المعز لدين الله بعناية، وصادق عليه باعتباره مرجعا رسميا للفقه في الدولة، وهو ينقسم إلى قسمين: قسم يحتوي على العبادات، وقسم يحتوي على المعاملات، وهو لايزال إلى اليوم معتمدا من طرف عند الطوائف الإسماعيلية البهرة في الهند، ولأهمية هذا الكتاب فقد كان المعز لدين الله يشجع الناس على قراءته، ويعقد لهم المجالس في قصره بالمنصورية لحفظه، وانتساخه والتعلم منه والتفقه فيه. ينظر: القاضي النعمان، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، ج1- ج2. سامعي إسماعيل، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ/10م، 354- 362. دفتري فرهاد، معجم تاريخ الإسماعيلية، 144.

[4]- النشار سامي علي، 367.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 48.

[6]- فتشنا عن هذا الحديث في الكتب المعروفة عند جماعة أهل السنة، وحتى كتب الشيعة ولم نعثر عليه.

وكان أبو عبد الله الشيعي في دعوته يحدث القوم بظاهر فضائل علي ابن أبي طالب (صلوات الله عليه وعلى الأئمة من ولده عليهم السلام)[1]، وكانت مجالسه ودروسه حافلة بالأحاديث لا سيما تلك المبشرة بالمهدي، ويؤكد الباحث سهيل زكار أن أبا عبد الله قد جاهر أثناء عمله بأن الإمام الذي يدعو إليه هو المهدي من أبناء إسماعيل بن جعفر الصادق، أو بكلمة أخرى نقل الدعوة من التشيع العام إلى التشيع الإسماعيلي الخاص[2].

وقد جمع القاضي النعمان في مؤلفه شرح الأخبار في فضائل الأطهار أحاديث كثيرة كان الكثير منها متداولا في بلاد كتامة، وكان الأكثر ترويجا فيها وتداولا هو ذلك الذي يخدم قضية الدعوة وآل البيت ويبشر بقدوم المهدي، وقد لاحظنا على غالبية هذه الأحاديث بأنها غير موجودة في كتب الصحاح عند السنة سواء تلك الصحيحة أو الضعيفة، في المقابل اشترك من هذه الأحاديث فئة قليلة مع ميراث أهل السنة والإثني عشري وهي تلك التي كانت مادتها حول أحاديث المهدي المنتظر[3]، ومن المعلوم أن الأحاديث حول المهدي المنتظر هي أحاديث قطعية متواترة عند أهل السنة لا خلاف فيها، أما بين الشيعة فهي كثيرة ومتعددة ومختلفة من بينها أحاديث المهدي الإسماعيلية والتي تقدم المهدي في صورة "الخليفة عبيد الله المهدي"، ويذكر القاضي النعمان أن أهل إفريقية والبلاط الأغلبي " يروون أخبار المهدي عليه السلام وما جاء عن رسول لله صلى الله عليه وآله..."[4]، وآله..."[4]، وقد حاول الدعاة الأوائل(أبو سفيان والحلواني) والداعية أبو عبد الله الشيعي والدعاة والقضاة في مرحلة الدولة تكييف تلك الأحاديث ونسجها وإعادة تركيبها وصياغتها حسب أحداث الحراك الشيعي وربطها بالخليفة عبيد الله المهدي ومن جملة ما كان متداولا آنذاك مايلي:

"عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أله وسلم أنه قال: المهدي من ولد فاطمة، سيدة نساء هذه الأمة طالت أم قصرت، يخرج فيملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما. قيل ومتى يخرج؟ وأين يخرج يا رسول الله؟ قال: إذا كانت زلازل في أطراف الأرض، وارتشى القضاة، وفجرت الأمة، خرج من المغرب في ساقه شامة،

---

[1]- لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 29- 30.

[2]- زكار سهيل، الجامع في أخبار القرامطة- الإحساء العراق الشام اليمن-، (دمشق/ سوريا: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2007)، ج1/ 69.

[3]- لتفاصيل أكثر عن المهدي والمهدوية في فكر وعقيدة الإسماعيلية وبقية الشيعة. ينظر: صديقي محمد الناصر، فكرة المخلص- بحث في الفكر المهدوي-، (ط1، بيروت/ لبنان: جداول للنشر والتوزيع، 2012)، 118- 154. جواد علي، المهدي المنتظر عند الشيعة الإثني عشرية، تر: أبو العيد دودو، (ط1، كولونيا/ ألمانيا: منشورات الجمل، 2005). صيام محمد يوسف محمود ، المهدي المنتظر عند فرق الشيعة(دراسة نقدية مقارنة)، (هولندا: الجامعة الحرة، 2009- 2010).

[4]- القاضي النعمان، شرح الأخبار، 62.

وبين كتفيه شامة فردا غريبا، قيل: وكيف يكون فردا غريبا يا رسول الله؟ قال: لأنه ينفرد عن أهله، ويتغرب عن وطنه"[1].

واحتج القاضي النعمان أن المهدي تغرب في هجرته عن وطنه وانفرد عن أهله وقيل: كانت قبل قيامه زلازل، وكانت فيه البشارة التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

ومن بين الأحاديث كذلك:

"إنا أهل البيت أختار الله لهم الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي تطريدا وتشريدا حتى يقوم رجل من أهل بيتي يملؤها عدلا وقسطا، كما ملئت ظلما وجورا، فمن أدركه فليأته ولو حبوا على الثلج"[3].

"وعنه صلى الله عليه وسلم وأله، أنه قال: لا بد من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب بين الخمسة إلى السبعة يكسر شوكة المبتدعين، ويقتل الضالين"[4].

وقد صاغ الإسماعيلية هذا الحديث بعناية وجعلوا بنيانه يدل على قيام قائم من المغرب وحددوا حتى تاريخ ظهوره وأنه سوف يكون من سجلماسة[5]، وعلق القاضي النعمان على هذا الحديث الذي تداولته الإسماعيلية أن المهدي عليه السلام قام من المغرب، وظهر فيه أمره بعد أن كان مستترا بوصول صاحب دعوته بالمغرب(يقصد أبا عبد الله الشيعي) بجموع عساكر أوليائه المستجيبين لدعوته(يقصد كتامة وبقية قبائل البربر والعرب) إليه في سنة ست وتسعين ومائتين، وصار إلى دار مملكته بالمغرب- بإفريقية- في سنة سبع وتسعين تتلوها[6].

ومن بين تلك الأحاديث التي كانت موجهة للقبائل وأنصار الدعوة تدعوهم لانتظار قدوم المهدي ومناصرة داعيته ماورد عن الداعي إدريس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:" من حبس نفسه لداعينا، وكان منتظرا لقائمنا، كان كال متشحط بدمه بين سيفه وترسه في سبيل الله"[7].

---

[1]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 11- 12. القاضي النعمان، شرح الأخبار، 363.

[2]- القاضي النعمان، 363.

[3]- نفسه، 360.

[4]- نفسه، 363.

[5]- جيلان عبد الرحمان محمد صغير، 157.

[6]- القاضي النعمان، 364.

[7]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 23.

ومن بين الأحاديث كذلك والتي تفرق بين دعوة العباسيين وبين دعوة الإسماعيليين هي الحديث الذي يرويه القاضي النعمان عن جعفر بن محمد بن علي صلوات الله عليه، أنه ذكر المهدي عليه السلام فقال: تطلع الرايات السود، وأومى بيده إلى المشرق، وتطلع رايات المهدي من هاهنا، وأومى بيده إلى المغرب"[1]

والمقصود هنا بالرايات السود هي الرايات التي حملها جيش المسودة تحت قيادة أبا مسلم ومركزها خراسان والتي كانت تابعة لدعاة بني العباس والتي أطاحت بالخلافة الأموية سنة132هـ/749م، ورايات المهدي وهي رايات الفواطم الطالعة من بلاد المغرب والتي قضت على كل من الدولة الأغلبية والدولة الرستمية والدولة المدرارية سنة296هـ/909م.

ومن بين تلك الأحاديث ماروي عن يحي بن سلام –صاحب التفسير– رفعه بإسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال:" تطلع الشمس من مغربها على رأس الثلاثمائة من هجرتي"[2].

وعلق القاضي النعمان أن هذا الحديث مشهور، ولم تطلع الشمس من مغربها في هذا الوقت ولا قبله ولا بعده، وإنما يعني عليه الصلاة والسلام بذلك قيام المهدي بالظهور من المغرب، والمهدي هو المراد بالشمس التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله أنها تطلع من المغرب على رأس الثلاثمائة من هجرته[3].

وقد روي زادان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: لا بد من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب فيكسر شوكة المبتدعين ويقتل الضالين"[4].

ومما رواه زادان عن سلمان الفارسي رحمه الله، ومن ذلك مما أثره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال:" لا بد من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب يقتل الزنادقة، ويملك الترك والخزر، والديلم، والحبش، ويؤتى بملوك الروم مصفدين في الحديد، ولاتقوم راية إلا راية الإيمان"[5].

وبالتالي فإن هذه الأحاديث أو الآثار كلها كانت موجهة لخدمة الشيعة في فرعهم الإسماعيلي وما انتشر في بلاد المغرب كان الغرض منه التأثير على عقول البربر وتهيئتهم لقبول فكرة المهدي الفاطمي، وأحقيته بخلافة الإسلام والمسلمين.

---

[1]– القاضي النعمان، شرح الأخبار، 364.

[2]– نفسه، 418.

[3]– نفسه، 418-419. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 27.

[4]– الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 25.

[5]– نقلا عن: إيفانوف فلاديمير، المنتخب من بعض كتب الإسماعيلية، تق: صباح جمال الدين– مر– تع: عمار المير أحمد، (ط1، بغداد/ العراق: دار الوراق، 2011)، 18.

ثالثا: العلوم العقلية

أ: الشعر

يعد الشعر أحد أهم الأغراض الأدبية التي تمكن صاحبها من إيصال رسائل في شتى المجالات، وقد لعبت الأحداث السياسية والصراعات المذهبية دورا كبيرا في طبع الشعر والنثر بطابع المبالغة المكشوفة والتصنع البارز[1]، وقد مثل الشعر وعاء حوى مبادئ الدعوة الإسماعيلية وأوصل رسالتها وتعاليمها.

الشعر والمهدوية

كان لسياسة ولاة بنو أمية واضطهادهم للقبائل البربرية دور كبير في استياء أهالي المنطقة ودفعهم نحو المعارضة والثورة، وبالرغم من نجاح العديد من الدعوات في تأسيس الدول، غير أنها لم تكن على مستوى تطلعات القبائل والعامة مما جعل الناس تتحرى ظهور شخص المهدي[2] المخلص، ومن بين هؤلاء الدعاة[3] والشعراء الذين بشروا به وتناولوه في قصائدهم والتي كانت دافعا للتشيع ومنهم:

الشاعر الحري(توفي مع نهاية القرن3هـ/9م):

لا تتوفر لدينا معلومات كافية حول نشأة وحياة الشاعر الملقب بالحري، وكلما تعلق به ذكره القاضي النعمان ومنها أنه كان" شيخا ينتمي إلى إحدى قرى تونس(قرية الخربتين) يقال لها: أعرابي، قد خرف، وكان عنده أخبار ما يكون"[4].

ويرجح أن يكون مولده على رأس القرن3هـ/9 بدليل أن القاضي النعمان ذكر أنه هرم وخرف وعاصر الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد الأغلبي وكان عمره 94سنة، وكان الحري هذا يعيش ببلاد كتامة ويبدو أنه كان متشيعا وإقامته في هذه البلاد كانت لغرض طلوع المهدي منها، وكان في هذا يبشر بالأخبار ولما شاعت أخباره طلبه

---

[1]- ندات أحمد، دور الحكام الفاطميين في الحياة الفكرية في المغرب (297-362هـ/90- 972م)، رسالة ماجستير، (الجزائر/ جامعة الجزائر2: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2011- 2012)، 139.

[2]- رغم الأهمية والحساسية التي لعبتها فكرة وعقيدة المهدي والنسب الفاطمي من طرف المؤرخين في الفترة الوسيطة وحتى المعاصرة غير أنه لا تتواجد في المصادر صدى لهذا الموضوع مرحلة الدعوة ببلاد المغرب، وقد يكون هذا بسبب إحجام المصادر الإسماعيلية عن الحديث عنها، أو أن هذا الموضوع لم يثر ويتداول من طرف مجتمع الدعوة بسبب تصديقهم وإيمانهم بما بسر به الداعي، لكن مع قيام الخلافة عام 296هـ/909م وتوسعها وانتقالها إلى المشرق والقاهرة أثير هذا الموضوع بين النخب العلمية والدينية، ومن طرف العامة وأصبح من بين اهتمامات الرأي العام. لتفاصيل أكثر عن الموضوع. ينظر: الطائي نهاد دهام حميد محمود، الرأي العام في الدولة الفاطمية (358-567هـ)، (عمان/ الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2018)، 111-124.

[3]- إسماعيل محمود، فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني، (ط1، القاهرة/ مصر: سينا للنشر1995)، 51.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 63.

الأمير الأغلبي وسأله بشأن الدولة الجديدة المرتقبة وحالها ومدتها ومارس معه الترغيب والترهيب والوعيد، وفي الأخير أسمعه قصيدة تعرف "بقصيدة الحري الطويلة" عرض فيها لخبر مايكون تعريضا دون التصريح مخافة أن يهيج شعره الأمير الأغلبي فيناله بسوء، والملاحظ على هذه القصيدة هو" تأثر صاحبها بمعجم الألفاظ الشيعية في شعرهم وفكرهم حيث قوله (وابن وصيه)..."[1] وقد جاء فيها مايلي:

أقول وأسلمت القريض لأهله وعشت زمانا وهو خير مكاعب
أمن بعد تسعين سنينا أعدها وأربعة من بعد داك رواتب
أزاحم أهل الشعر بالشعر ناجزا أبى الله هذا بعد أن جب غاربي
ولكنني أرجو من الله عفوه بأوبة مأمون السريرة تائب
وأمل غفرانا بفضل تلاوة أرددها ليلي بفكرة أيب
صرفت أمور للذي أنا عبده إلهي رب العرش معطي الرغائب
فلست حياتي سائلا غير دي العلا وإلا قفت من يميني رواجي
ألا يا أمين الله وابن أمينه وعاشر سادات الملوك الأغالب
وجدت كتابا قد تقادم عهده رواية أشياخ كرام المناسب
رواية وهب عن سطيح ودينل مشايخ علم صادق غير كاذب
تتابع رايات من الشرق سبعة إلى الغرب سود خافقات الذوائب
يسير بها خزر العيون تراهم مباسمهم سمط طوال الشوارب
ولاة بني العباس عشرون واليا تدين لهم بالرغم أرض المغارب

ويقول فيها هذه الأبيات:

وفي الست والتسعين تهبط راية من الغرب في جمع كثيف المواكب
يمزق أرض البربرية جمعهم بخيل كأمثال القطا المتسارب
وتطلع شمس الله من غرب أرضه فلا توبة ترجى هناك لتائب
سمي نبي الله وابن وصيه وأكرم مولود وأشرف طالب[2]
فيملأ أرض الله عدلا ورحمة بأيام صدق طيبات المكاسب
وبالأعور الدجال ينهد جمعه سوى عصبة في باذخ الطود راتب
ويقتله من بعد عيسى بن مريم بقدرة رب ماله من مغالب
ومن بعدها موت ابن مريم مفضيا إلى الله في حكم من الله واجب

إبن أعقب:

إن الأخبار حول هذا الشاعر مضطربة وشحيحة والسبب في ذلك راجع إلى أن المصادر المغربية عندما تحدثت عن أخباره وأشعاره لم تفرد بترجمة له، ويزداد الأمر صعوبة عند المصادر المشرقية التي ذكرت الملاحم

[1]- الغزالي عبد الأمير عبد الزهرة عناد، أدب التشيع في الشمال الإفريقي حتى نهاية القرن الثامن الهجري، (ط1، طهران/ إيران: مؤسسة فرهنك منهاج الثقافية، دت)، 324.

[2]- هذا البيت ذكر في نص شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار للقاضي النعمان، ولم يذكر في نفس القصيدة والتي أوردها القاضي النعمان في نص افتتاح الدعوة.

والمتعلقة بشخص ابن العقب إلا أنها تضاربت حول زمانه وحياته، ومن خلال الرجوع إلى المصادر المشرقية وجدنا شخصية مشرقية تحمل نفس الاسم ولها دواوين شعرية في نفس الغرض حول التنبؤات وأخبار المستقبل، وبالتالي هو عبد الله بن بشار بن أبي عقب الشاعر[1]، وقد ذكره محمد بن حبيب أنه " صاحب أشعار الملاحم"، وقد مات مقتولا[2].

وأي كان هذا الشخص مشرقيا أو مغربيا إلا أن أشعاره كانت من بين أهم القصائد التي كانت متداولة في أواخر العهد الأغلبي في المغربين الأدنى والأقصى، وكان الناس عندما تتداول أشعاره لا سيما من أهل إفريقية حول سنة التسعين يروون استحالة تحقيقها، فلما دخل الشيعي برقادة أتاه الشاعر أبو اليسر وانشدها إياه فلما أتمها نطق أحد شيوخ القيروان قائلا:" ما سمعنا بشيء من الحدثان كان أصح من هذا"[3] دلالة على تحقق النبؤة وأحداث القصيدة في زعمه.

وقد ورد في هذه القصيدة ما يلي:

اسمع الحق ودع عنك اللعب وهاك قولا صادقا غير كذب
في الست والتسعين يأتيك العجب بعد كمال المائتين في رجب
ينفض من جيجل جيش ذو لجب أمضى من الجمر إذا الجمر التهب
من بربر يسعون من كل حدب ركبا ورجلا ما يملون التعب
قد ملأوا المشرق خوفا ورهب وأنزلوا بالغرب ذلا ونصب
إذا رأى الكوكب لطويل الذنب فذاك حدث ظاهر قد اقترب
تسعين ألفا بين رأس وذنب سيماهم الحقد وإظهار الغضب[4]
يغرزها الراكب في عذر الركب يقودهم كهل عظيم بالكتب
يأوي إلى الحزم إذا الجبل اضطرب ويأخذ الأمر البعيد من كتب
تنقلب الدولة فيما تنقلب مهدية في نص انتظار الكتب[5]

عن دانيال وسطيح للعرب

---

[1]- أشار إليه الجاحظ "بابن عقب الليثي وذكر أنه اختص بشعر الملاحم". الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، (ط7، القاهرة/ مصر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، دت)، ج2/ 228.

[2]- البغدادي أبي جعفر محمد بن حبيب، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء- نوادر المخطوطات -، تح: عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، (ط1، بيروت/ لبنان: 1991 دار الجيل)، ج2، مج 07/ 190.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 70.

[4]- بعد هذا البيت في مؤلف الافتتاح يذكر بيتا لم يذكره في مؤلفه شرح الأخبار وهو:

وفيهم خلط قريش وعرب بكل سيف قاطع إذا ضرب

[5]- القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 424.

ومما ذكره في المهدي أيضا متنبأ ببنائه مدينته المهدية وبأنها سوف تكون خلاص أتباعه إذا حاصرها أبو يزيد مخلد بن كيداد وفي هذا يقول:

قد قلت لما طار عني الكرى حتى متى ذا الليل لا يصبح
عذبني الحزن وفقد الكرى كلاهما أقسم لا يبرح
وكيف لا يحزن من لا يرى بأنه يبلغ يا مسطح
دهرا يرى فيه إمام الهدى بأسه بالمعروف[1] يستفتح
وبيتني البيضاء في لجة خضراء فيها نونها يسبح
ينجوا من الأهوال سكانها والأرض منها كلها تفتح
لو من عمري إلى عمره لكنت في القرن الذي يفلح
هيهات ماذا العمر مما أرى فيما أرى الموت به يسمح[2]

محمد بن رمضان(توفي مع مطلع القرن 4هـ/10م):

كان محمد بن رمضان رجل من شيعة نفطة وكان في أشعاره وقصائده يبشر بالمهدي ودولته ويذكر مساوئ بني الأغلب وزوال دولتهم، فطلبوه فهرب منهم نحو بلزمة بأرض المغرب الأوسط ولما بلغه إيقاع الأمير الأغلبي بالبلزميين وقتل كبرائهم ومقدميهم، بكاهم وقال فيهم:

جل المصاب لئن كان الذي ذكروا مما أتتنا به الأنباء والخبر
عن ألف أروع كالاساد قد قتلوا في ساعة من سواد الليل إذ غدروا
لو كان من بيت الاساد أيقظهم حلت به منهم الحداث والغير
قل لابن أحمد إبراهيم مالكة عن الخبير بما يأتي ولا يذر
عن المشرد في حب الأئمة من آل النبي وخير الناس إن ذكروا
اعلم بأن شرار الناس أطولهم يدا يمكروهم يوما إذا قدروا
لاسيما الضيف والجار القريب ومن أعطوه ذمتهم من قبل ما خفروا
فما اعتذارك من عار ومنقصة أتيتها عامدا إن قام معتذر
جرعت ضيفك كأسا أنت شاربها عما قليل وأمر الله ينتظر
فدولة القائم المهدي قد أزفت أيامها في الذي أنبا به الأثر
عن النبي وفيها قطع مدتكم يا آل أغلب أهل الغدر فاقتصروا
وقطع أمر بني العباس بعدكم وقطع أمر بني مروان إذا بطروا[3]

ومما قاله في المهدي أيضا متنبأ بحكمه وعدله:

---

[1]- وردت في شرح الأخبار بـ" بأسه بالمعروف" أما في الافتتاح بـ" الله بالمغرب".
[2]- القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 423- 424.
[3]- نفسه، 426.

سل ضبية القناص أين احتلالها فقد هاجني تقتيرها وامتذالها
لعل التي عنها تفرق أهلها فبادت مغانيها وطال اختبالها
أرقت لها من بعد أن نام انسها حناط فما الرام الضباء جمالها
فعد عن الدار التي بان أهلها وعن كيف من بعد البلى صار أهلها
فهذا أوان الحق قد حان حينه ودولة أهل البغي أن زوالها[1]
كأني بشمس الأرض قد طلعت لنا من الغرب مقرونا إليها هلا لها
فيملأ أرض الله قسطا بعدله بما ضم منها سهلها وجبالها
إذ أمن منها ما أخاف وأتقي فأضفر با لزلفى به وأنالها[2]

وامتد عمر هذا الشاعر إلى حقبة حكم عبيد الله المهدي وسمع بأخباره وعينه قاضيا على مدينة ميلة وفيها توفي[3].

سعدون الورجيني:

يعد الشاعر الفقيه المخضرم سعيد الورجيني(ت297هـ/910م)، أحد أبرز شعراء أفريقية وأكثرهم تناقضا، أصله من بلاد الجريد وعاش معظم حياته فقيها سنيا مالكيا، وشاعرا غزير الإنتاج مادحا لبني الأغلب ويلي أعمالهم[4]، غزير الإنتاج حول تراجم العلماء المالكية، غير أنه تشرق واتبع الدعوة الإسماعيلية، هذا وإن لم تذكر المصادر تاريخ تشيعه أو حتى أسبابه، إلا أن أول اتصال له بهم كان في سنة 297هـ/910م كأول شاعر مغربي يمدح الخليفة عبيد الله في بلاطه وكان مما قال فيه:

أعن ابن فاطمة تصدين أمرا بنت النبي وعترة التطهير
كفي عن التخبيط إني زائر من أهل بيت الوحي خير مزور[5]

وواصل إلى أن قال:

هذا أمير المؤمنين تضعضت لقدومه أركان كل أمير
هذا الإمام الفاطمي ومن به أمنت مغاربها من المحذور
والشرق ليس لشامه وعراقه من مهرب من جيشه المنصور
حتى يفوز من الخلافة بالمنى ويفاز منه بعدله المنشور[6]

---

[1]- هذه الأبيات وردت في مؤلف الافتتاح ولم ترد في مؤلف شرح الأخبار أما التي بعدها فوردت في كلتا المؤلفين.
[2]- القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 426.
[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 75.
[4]- خنشالي عبد الله، أثر النزاعات المذهبية والروحية في الشعر المغربي (من القرن الثاني إلى القرن الرابع هجري)- دراسة في بنية الأفكار والمواقف والأساليب الشعرية-، أطروحة دكتوراه، (باتنة/ الجزائر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، 2008- 2009)، 232- 235.
[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 301.
[6]- نفسه، 301.

كما مدح فيه داعية المهدي أبا عبد الله الشيعي وقال فيه:

يا من تخير من خيار دعاته أرجاهم للعسر و الميسور
حتى استمال إليه كل قبيلة ورمى إليه قياد كل عثور
أشبهت موسى وهو حيتك التي تلقى فتلقف كل إفك سحور[1]

الافتخار والحماسة:

الداعية أبو عبد الله الشيعي:

وإن كان المعروف عن أبي عبد الله الشيعي أنه كان داعية متحكما في علوم الشيعة على قدر كبير من الباطن فإنه أيضا كان" عالما، أديبا شاعرا"[2] واسع الاطلاع على أشعار العرب، له القدرة على محاكاتها[3]، وكانت قصائده تجعل الدماء تفور في أجساد أتباعه، وما يلاحظ على موروثه الأدبي أنه مفقود غير تلك المراسلات التي حفظها له القاضي النعمان والتي كانت مع السلطة أو الأغلبية، أو أبيات ذكرها البكري في مسالكه، وصاحب مؤلف الحيلة السيراء، مفتخرا فيها بنفسه وقوة فعاله ومناسبتها يوم هزم بني الأغلب وفيها مايلي:

من كان مغتبطا بلين حشية فحشيتي وأريكتي سرجي
من كان يعجبه ويبهجه نقر الدفوف ورنة الصنج
فأنا الذي لا شيء يعجبني إلا اقتحامي لجة الرهج
سل عن خميسي إذ ا طلعت به يوم الخميس ضحى على الفج[4]

أبو جعفر أحمد بن محمد البغدادي:

يعد الشاعر البغدادي الأصل أبو جعفر أحمد بن محمد من بين الشعراء العرب الذين سايروا الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب آخر أيامها وخدموا الأئمة الفاطميين مرحلة الدولة[5]، وعلى حسب مذكرات جعفر فإن هذا الشاعر" وصل إلى سجلماسة وقت وصولنا إليها، فقصد المهدي ومدحه بقصيدة فوصله على ما مدحه... فكان يختلف إليه ويمدحه إلى أن سأل المهدي عن سبب خروجه من بغداد فعرفه أن علي بن عيسى أراد قتله حسدا له فهرب خوفا منه، فدفعته الأسباب إلى هذا البلد"[6] وكان الخليفة طوال تردده عليه في بيته"

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 302.

[2]- ابن الآبار، الحلة السيراء، 114.

[3]- الغزالي عبد الأمير عبد الزهرة عناد، أدب التشيع في الشمال الإفريقي حتى نهاية القرن الثامن الهجري، (ط1، طهران/ إيران: مؤسسة فرهنك منهاج الثقافية، دت)، 258.

[4]- ابن الآبارج1/ 195. البكري عبيد الله، 138.

[5]- ينظر ترجمته: ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح- ضبط- تع: بشار عواد معروف، (ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2011)، مج2/ 372- 373.

[6]- اليماني محمد بن محمد، 132.

امتحنه حتى عرف عقله وعلمه فوجده كاتبا كاملا حسن الفهم والبيان ثابت العقل يصلح أن يكون وزيرا، فأخذ عليه"[1]، بمعنى أنه قد أدخله في الإسماعيلية وأطلعه على سره، وكان الخليفة المهدي قد أرسله إلى الأندلس بغرض نشر التشيع فيها وإقامة الدعوة واستقطاب الأتباع والتجسس على بني أمية[2]، ويبدو أن هذا الداعي كان على اتصال بالجماعة الإسماعيلية في بلاد كتامة ومتابعا لأخبارها وهو في الأندلس وكانت وصية المهدي له" إذا بلغك أن الداعي ببلد كتامة قد فتح افريقية فلا تقم بالأندلس وأقدم إلى القيروان"[3].

ورغم غياب الإشارات حول أشعاره ومراسلاته إلا أن المصادر حفظت لنا جانبا من نشاطاته بعد قيام الخلافة عام 909/296م، حيث جعله الخليفة عبيد الله المهدي كاتبا له " واستعان به على أمور دعوته، فكان له في ذلك رأي جميل، ونفع عظيم"[4].

ب: الخطب والرسائل

يعد النثر والشعر الفرعين الأساسين المكونين للأدب، ورغم الأهمية التي حظي بها الشعر عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام إلا أنه كان للنثر مكانتة الخاصة وزادت مع تطور الحضارة العربية الإسلامية وظهور الدواوين وانتشارها والنثر ينقسم إلى قسمين:

أولهما نثر فني: ويختص بالخطب والرسائل والوصايا ومختلف المكاتبات الرسمية الصادرة عن الدواوين من طرف الملوك، الأمراء، الوزراء، الحجاب والولاة وغيرهم.

ثانيهما: النثر التأليفي الأدبي والمتمثل في تأليف التآليف الأدبية.

الخطب:

ازدهرت الخطابة ببلاد المغرب الإسلامي قبيل قيام الخلافة الفاطمية وبعدها، وقد كانت العوامل متوافرة لشيوع هذا الفن وازدهاره سواء بتأثيرات سياسية واجتماعية، ولاسيما المذهبية منها[5].

---

[1]- اليماني محمد بن محمد، 132.

[2]- مكي محمود علي، التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، (ط1، القاهرة/ مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 2003)، 26.

[3]- نفسه، 132.

[4]- ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، مج2/ 373.

[5]- السرحان صفاء فرحان سعيد، حركة النثر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي(260-370هـ/873-980م)، (عمان/ الأردن: رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، 2015- 2016)، 47.

خطب التقريع:

وهي الخطب التي تلقى في سبيل التوبيخ والإنكار لحمل المخاطب على الإقلاع، ومن صورها خطبة الداعية أبي عبد الله الشيعي بقاعدته إيكجان وسط أنصاره وقد وجه خطابه لابن المعتصم المنجم، هذا الأخير كان قد نزل بكتامة حاملا رسالة من الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد فيها من الترغيب وغالبها ترهيب فرد عليه أبي عبد الله وسط أتباعه برسالة بليغة قرعه فيها ورد على تهديده وتهديد أتباعه ومن جملة ما ورد فيها مايلي[1]:

"أما ما ذكرته من التهديد والوعيد، فما أنا ممن يروع بالوعيد والإيعاد، ولا ممن يهوله الإبراق والإرعاد، وأما بتخويفك من أنصار دولتك ورجال مملكتك أبناء حطام الدنيا، وذئاب طمعها، الذين يرتاعون لكل بارق، ويجيبون كل داع وناعق، فإني في أنصار الدين وحماة المؤمنين، الذين لا تردعهم كثرة أنصار الظالمين مع قول الله تعالى وهو أصدق القائلين{ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** }[2]، فأما ما أطمع به من دنياه وعرضه من حطامها، فلست من أهل الطمع فأميل إليه، ولا ممن يرغب فيما عنده فأتيه، وإنما بعثت لأمر حم وقرب، وانتجاز وعد من الله عز وجل سبق، والله لا يخلف الميعاد، ولا يظلم إلا من ظلم نفسه من العباد، فإن سولت له نفسه نل توعد به ودعته إليه، فسوف يعلم أن الله من ورائه، ولن تغني عنه فئة وإن كثرت، والله مع المتقين.

فهذا جواب ما جئت به فبلغه! ثم نحمل رسالتي إليه، وأبله عني ما حملتك إياه، وقل له: إني أدعوا إلى الله، وإلى كتابه، وإلى إمام الهدى دعوة محتج عليه وراغب فيما ينجيه. فإن قبل عني رشد، وإن عند، فقد قدمت العذر إليه، ولو كان صاحبي، لعجلت السير نحوه، ولكن له ولمن بعده متاع إلى حين، حتى إذا بلغ الأجل وحان الحين ف{ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** }[3]".

خطب التحريض واستنهاض الهمم:

من المعلوم أن الفترة التي قضاها الداعية أبي عبد الله الشيعي ببلاد كتامة كانت حافلة بالحراك والمواجهات العسكرية بينه وبين كتامة المعارضة لمشروعه من جهة وبين الإمارة الأغلبية من جهة أخرى، فمن الطبيعي أن تنتشر الخطابة التحريضية في تلك الظروف المشحونة لاسيما خلال فترة الحروب والتي استثمر فيها الداعية، وإن لم تحفظ لنا المصادر التاريخية نصوصها فيها غير أنها أوردت ما يدل عليها ومن جملة ذلك خطبة أبي عبد الله لما حاصرته

[1]- الخطبة أوردها القاضي النعمان في مؤلفه افتتاح الدعوة. ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 57- 58.

[2]- سورة البقرة، الآية: 249.

[3]- سورة الشعراء، الآية: 227.

جموع كتامة في دار هجرته الجيدة إيكجان حيث" أسمعهم جميلا، وحظهم على الجهاد والصبر، وتلا عليهم قول الله تعالى{ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }[1]، مع كلام كثير يعظهم به..."[2].

الرسائل:

تعد الرسائل أحد أهم المضان التي تؤرخ للحياة السياسية والاجتماعية والمذهبية عبر العصور، وقد نشط هذا النوع ولعب دورا كبيرا لا سيما في حالات التخاطب بين الأشخاص البعيدين والممالك، كما لعبت دورا كبيرا في الدعوات المذهبية وكانت بمثابة أحد أهم قنوات التواصل بين الدعاة سواء في المركز الواحد أو في عدة مراكز، وتاريخ الإسماعيلية في مرحلة الدعوة سواء في البيئة الأم المشرقية أو في البيئة الجديدة المغربية غني بهكذا مراسلات والتي قد كشفت جوانب عديدة من هذه المرحلة، وأول هذه المراسلات والرسائل هي تلك التي وردت من المغرب الإسلامي نحو مشرقه والتي كانت تطلع القيادة الدعوية في سلمية بشؤون الدعوة وإنجاز الدعاة، وقد كان لهذا النوع بريد خاص ومنظم مبني على السرية ولا يمكنه البقاء في مرحلة الشغور، وحسبنا في هذا أنه بعد وفاة أبي سفيان والحلواني وصل الخبر إلى المشرق بوفاتهما[3]، وهذا ما كان ليتم لولا وجود نظام محكم بين القطرين يضمن التواصل حتى ولو توفي الدعاة، وكانت الأخبار التي تتضمن أخبار الدعوة والدعاة لا تتم إلا من خلال مراسلات سرية مكتوبة، ومن الإشارات الدالة على ذلك ما ذكره القاضي النعمان حول أبو المفتش الذي خرف وضعف بدنه ولم يستطع أن يسافر رفقة الداعية أبي عبد الله وأبي عبد الله الأندلسي وأبي القاسم الوفرجومي ووجوه كتامة من الحجيج فقال لهما: " متى وقفتما منه على أمر كتبتما إلي فحملت إليه"[4].

وكانت الفترة اللاحقة من عمر الدعوة- أي بعد سنة 280هـ/793م- غنية بألوان الأدب بين الطرفين المتصارعين والتي حاولا فيها كل طرف إثبات أحقيته لأنصاره، وبالرغم من أن الأدب الإسماعيلي في هذه الفترة كان يبدو بسيطا وقليلا مقارنة بما هو في بلاد المشرق بسبب أن الدعوة كانت لاتزال جديدة والفاعلين فيها قلائل وغالبيتهم من البربر، إلا أن مضمون ما تواجد منها كان استمرارا لرسالة الجماعة الإسماعيلية الثورية والتي كانت مصممة على قلب أحداث العالم الإسلامي ومبشرة بالمهدي الإسماعيلي، وإن لم تتوفر لدينا نصوص تلك المراسلات خلال الفترة الأولى من الدعوة إلا أن المصادر التاريخية حفظت لنا نصوص الكثير من تلك التي تخص الفترة الأخيرة والتي حملت دلالات على حالة جديدة مشحونة بعبارات مذهبية كلها تؤذن باصطفاف وصراع

[1]- سورة البقرة، الآية: 249.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 101- 102.

[3]- ابن الأثير عز الدين، 450.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 43.

مذهبي طائفي جديد ببلاد المغرب، وأولى تلك المراسلات والرسائل كانت بين الداعية أبو عبد الله الشيعي وهو في مجاله بين أنصاره وبين القيادة الأغلبية في العاصمة رقادة، وعلى رأسها تلك الرسائل التي أرسلها الحاكم الأغلبي إلى عامله في المنطقة يستفسر فيها عن صفة الداعي وأخباره وأحوال جماعته وأنصاره، لكن مراوغة الوالي الأغلبي حول أخبار الداعية ووصول أمرها إليه جعله (الوالي الأغلبي) يرسل برسالة إلى الداعية تحمل في طياتها أسلوب جمع بين الترغيب والترهيب وبين مكامن الحرب النفسية التي سعى من خلالها عزل الداعية عن أنصاره وإيهامه بأنهم ضعفاء وأن الدائرة دارت عليه، فرد عليه الداعية برسالة تعكس قدرا كبيرا من العلم والأدب تمتع به وهذا الرد كان أمام المجلس والملأ.

نص الرسالة:

رسائل أخبار الفتوح والمعارك:

اختصت مواضيع هذه الرسائل بالجوانب العسكرية والتي تضمنت أخبار سير المعارك وأحداثها والترتيبات الخاصة بها، وكانت غالبية هذه الرسائل مكتوبة من طرف الداعية أبي عبد الله الشيعي، وكانت ترسل في البداية نحو مقر الإمامة في سلمية وبعد انتقال الإمام وخروجه من سلمية أصبحت ترسل إلى سجلماسة أين استقر الإمام إلى غاية تخليصه، وإن لم تحفظ لنا المصادر نماذج عن تلك الرسائل في تلك المرحلة إلى غاية سنة 295هـ/908م إلا أنه في السنة الأخيرة من عمر الدعوة وقيام الدولة حفظت لنا البعض من الرسائل التي كان قد أرسلها الداعية أبو عبد الله الشيعي يبشر بها أخاه وأتباعه بخبر الانتصار وكانت ميادين المعارك والحروب مصدرها ومن نماذج تلك الرسائل رسالة نصها كالتالي:

"أما بعد فالحمد لله الهادي إلى توحيده بآثار صنعته والداعي إلى معرفته ببراهين حجته الذي سبقت مشيئته وجرى حكمه بإعزاز أوليائه الذين نصروا دينه وقاموا بحقه وإذلال أعدائه الذين اعتدوا عليه وكفروا نعمته، فلم ينصب لأوليائه ناصب إلا كان طاعنا في الدين الذي نصروا دينه وعدوا للحق الذي أقاموه لأنهم يقدمون الحجة أمام سيوفهم والدعاء قبل مناجزتهم والأناة دون معالجتهم ثقة منهم بأن المحجوج من فارق سبيلهم والمضلول من خرج من جماعتهم، فلأناة تظهر حقهم وتكشف باطل أعداؤهم، فمن عاد إلى الحق تلقوا بالقبول إنابته ومن أقام على باطله ناجزوه بعد إقامة الحجة ولم يجعل الله لمصر إقالة ولا لمعاند مقيم على الذنب توبة، بل يحل بأسه ونقمته به { **وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**}[1].

[1]- سورة النساء، الآية: 48.

وقد كنت قصدت سجلماسة على بعد شقتها وتراخي مزارها ووعر سبيلها لأقضي حق الله عزوجل وأؤدي فريضة من فرائضه وأظهر حجة من حججه في أرضه واستنقذ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أوباش وطغام طلبا لرضوانه وزلفى لديه. فلما دنوت منها قدمت الأمان إلى الخائن اليسع بن مدرار كعادتي في البلدان ونويت أخذ حاجتي منها والانصراف عنها من غير أن أهيج فتنة أو أثير غبارا. وكتبت إليه كتاب الأخ إلى أخيه أستعظمه فيه وأؤمنه وأدعوه إلى عقد الإخاء بيني وبينه في إخراج ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى أله رغبة في الإبقاء عليه وعلى مؤازريه، وحفظا لما ضيعوه، فمنع الخائن جانبه وقطب حاجبه وأظهر الأنفة من دخول رسلي عليه وأمر بقتلهم خلافا منه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرت به العادات في جميع الملل من ترك العرض بالمكروه للرسل.

ثم استظهرت الحجة عليه فأعددت رسلا إليه طمعا في إجابته ورجوعه إلى ما هو أسلم له وأعود عليه، فاعتقل الرسل في المطابق وثقلهم بالحديد وحبس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضيق المحابس ووكل به الحرس ومنع من إدخال الطعام إليه فبقي- بأبي هو وأمي في المحبس أياما مواصلا للصيام لعدم الطعام، ثم استصغر فعل نفسه في حبسه إياه في تلك المحابس فنقله إلى أضيق منه، وتواعده بالقتل طلبا منه لدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت إليه رسلا أعده الإمساك عن الحرب والانصراف عنه من غير أن أشرب ماء من مدينته فكلما ازددت عليه إلحاحا في طلبه زاد إلحاحا في الامتناع مما حاولته منه عتوا على الله وإصرارا على الكبائر واستكبارا وجهلا أو خسارا { خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ }[1] { ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }[2].

فلما رأيت ما عزم عليه الخائن من محاربة الله عز وجل في ولد رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم وأمل فيه أملا كاذبا- ولله فيه وعد صادق وظن فيه ظنا خائبا، - ولله فيه قضاء نافذ- وأبى إلا التسكع في جهالته والتتابع في ضلالته وأثر إطلاق الحرب من عقالها وإثارة غبارها فهززت أنصار الحق على مناجزته فوجدت نيتهم بالله مستحكمة وبصائرهم نافذة في محاربته فدلفت بهم إليه مستنجزا ما وعد الله أوليائه في أعدائه وجالت جولة وعاودت كرة بعد كرة عليهم طعنا بالرماح وضربا بالسيوف، ورشقا بالسهام، فلما مس الفسقة ألم القتل والجراح وأدارت الحرب عليهم رحاها وكلمتهم أنيابها وعلموا أن ليس لهم من الله عاصم ولا من أوليائه موئل ولوا منهزمين على أعقابهم.

[1]- سورة الحج، الآية: 11.

[2]- سورة الزمر، الآية: 15.

فأخرج الفاسق الخائن راغما ما كنت طلبت منه راغبا وحجز الظلام بيننا وبينهم. ثم عاودهم أنصار الحق من غد فأخرجوهم وتحكم الأولياء في مدينتهم فأضرموا نار الحرب فيها وجاسوا ديارها، واتخذ الخائن الليل سجفا فهرب تحت ظلامه على وجهه إلى بلد السودان لا يلوي على أهل ولا ولد، فمنعت حرمته وصنتها وأسدلت ستر العافية عليها احتسابا لثواب الله (جل ذكره).

ثم قفوت إثر الخائن بنفسي في طلبه عشرة أيام حتى أمكن الله منه بلا عقد ولا عهد فأتيت به في وثاق إلى ولي الله ليكون عظة لأهل الشقاق والنفاق وعبرة للعالمين، والحمد لله المعز لدينه والمكرم لأهل حقه الذي وصل أسباب السعادة بطاعته وجعل عاجل الفلح والظفر وأجل الثواب والفوز لأوليائه، فإن جادلوا كانت الحجة لهم، وإن حاربوا كان النصر معهم حمدا قاضيا لحقه موجبا لمزيده، وأمير المؤمنين ولي الله وابن رسوله على أفضل ماجرت به عادة الله الجميلة عنده في نفسه، وولده، وأنصار دولته، وهو قادم على بركة الله وسعادته ونصره وتأييده والسلام"[1].

كما بعث الداعية أبي عبد الله الشيعي رسالة من ايكجان عام 297هـ/909م يبشر فيه أنصار الدعوة والرعية بالمغرب الأدنى بان الخليفة متواجد بايكجان والتي دخلها بعد انتصار جيوشه وتدويخه للبلدان وقد جاء فيها ما يلي:

" بسم الله الرحمن الرحيم، فالحمد لله ناصر دينه ومعز وليه، الذي أظهر دينه على سائر الأديان، ووليه على من ناصبه من أهل الظلم والعدوان، وكتابي هذا إليك من **إيكجان، دار الهجرة ومستقر الإيمان**، وقد وصل مولانا وسيدنا المهدي بالله صلوات الله عليه وأله وولده، بلغ الله به أفضل أماله إليه في جميع أوليائه الذين كانوا معه من المؤمنين، أحسن وصول وأهنأه، وأسره وأرضاه، فأضاءت لقدومه دار الهجرة، وسر المؤمنون والمؤمنات الذين خلفهم العذر عن الجهاد، ومن كنا أقمناه لضبط المكان به، وأقبلوا من كل حذب ينسلون إليه، ومن كل أفق يسعون نحوه، يتباركون بالنظر إليه ويستشفون برؤيته، ويحمدون الله تعالى على أن بلغهم إنجاز وعده، وظهور أمره، وبادروا بأمانات الله التي كانت في أيديهم وخرجوا من حقوق الله عليهم، ووضعت الحرب بحمد الله أوزارها، وأطفأ الله نارها وأهلك الله من أثارها، وفرق الله أنصارها، وأمير المؤمنين على النهوض إلى إفريقية، ويقدر بتقدير الله وتوفيقه، وعونه وتيسيره، أن يكون وصوله يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخرة سنة سبع وتسعين

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 102- 105.

ومائتين. فاعلم ذلك وكن على أهبة منه ومن قبلك واحمدوا الله على ما أولاكم من ذلك، وأن فسح لكم في آجالكم إلى أن بلغتموه، وارغبوا إليه في تمام ذلك بالنظر إلى مولاكم ورضاه عنكم والسلام"[1]

رسالة إعلان الخلافة:

وبعد وصول الخليفة المهدي إلى رقادة" أخرج توقيعا أمر أن يدعى به على المنابر وأنفذه إلى خطيبي رقادة والقيروان بالدعاء بعد الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وعلى الأئمة من ولده الذي كان أمر أبو عبد الله به"[2]، وكان هذا التوقيع في يوم الجمعة بعد يوم من وصوله وجاء فيه مايلي:

نص التوقيع:

اللهم فصل على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين كما صليت على أبائه خلفائك الراشدين المهديين الذين كانوا يقضون بالحق وبه يعدلون، اللهم وكما اصطفيته ولولايتك واخترته لخلافتك وجعلته لدينك عصمة وعمادا ولبريتك موئلا وملا، فانصره على أعدائك المارقين واشف به صدور المؤمنين، وافتح به مشارق الأرض ومغاربها كما وعدته وأيدته على العصاة الظالمين إله الخلق رب العالمين"[3].

ولم تكن هذه الرسالة هي الوحيدة بل إنه" بكتاب آخر، فكتب وقرئ على المنبر بالقيروان، ووجه به نسخا إلى البلدان، وقرئ على المنابر نسخته".

نص الخطبة:

"بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين إلى أشياعه من المؤمنين وجميع المسلمين سلام عليكم. فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أله.

أما بعد فالحمد لله الذي رفع علم الحق وأوعز أهله، ونكس ألوية الباطل وأذل حزبه، القادر فلا يعارض في قدرته، العزيز فلا يغالب في أمره، الناصر لدينه الذي رضيه لنفسه، وشرفه بأكرم أنبيائه عليه وأعلاهم درجة عنده، وأشرفهم منزلة، وأقربهم وسيلة لديه، محمد صلى الله عليه وسلم حامل حكمته ومستودع غيبه وما يكون بعده من

---

[1]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 106-107.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 293.

[3]- نفسه، 293- 294.

كيد الكائدين وخيانة الخائنين وظلم الظالمين لأهل بيته، إلى ماسبق من وعده له فيهم بالنصر والتأييد والعز والتمكين كما قال: في محكم كتابه وتنزيله{ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ۖ }[1]{ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ** }[2]

وقال: { **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ** }[3].

وأنجز جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وعده لرسوله صلى الله عليه وعلى أله برد إرث النبوة ومقاليد الإمامة إلى عترة نبيه، وأعز الدين والمؤمنين، وأنقذهم من الهلكة، في كل سكون وحركة، بعبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، وأظهر بهجة الإسلام وجماله بقيامه، وأخذ تراث جده النبي وأبيه الوصي صلوات الله عليهما، وجعل أولياؤه وأنصار حقه أولي البصائر النافذة من سادات العرب وأنجاد كتامة، فألقت الإمامة عصاها في دارها، وقرت عينها، وأنست وحشتها، واستقر قرارها، وصار أمير المؤمنين طودا منيفا وجبلا راسيا على الأرض، وظلا ظليلا لأهلها، فثبتت به وطأة الهدى وسكن إليه نفور التقوى، وتقوم به ما كان متأودا من عودها وتوطد ما كان به متخلخلا من قواعدها، وانبرم ما كان سحيلا من حبلها، واجتمع ما كان متفرقا من شملها وتلائم ما كان متشعثا منها ببركة أمير المؤمنين ويمن نقيبته، وسعد نجمه وهبوب ريحه، فداوى الإسلام من الداء العضال ورتق من فتوقه ماكان منخرقا، وجبر من كسره ماكان لا يجبر، ولاءم من صدعه ما كان لا يلاءم، فهو مفتاح الرحمة ودليل الخير، ذبا عن الحق وحياطة للدين وعناية بأمر المسلمين وبعد نظر فيما يقطع به أماني المبطلين، والحمد لله رب العالمين.

فلم يحاول أمير المؤمنين بحمد الله كثيرا عسيرا إلا يسره الله، ولا صعبا إلا ذلله، ولا وعرا إلا سهله، فأصبحت الكلمة به مجتمعة والألفة متصلة، والدهماء ساكنة، وقواصي الأرض وأدانيها منه أمنة ووليه غزيرا ممنوعا، وعدوه ذليلا مقموعا، فكل من قدح بزنده واحتطب في حبله فمحكوم له بالنصر ومقضي له بالظفر، وكل من نكث عليه وخان أمانته ونقض عهده وخفر ذمته فقد باء بغضب من الله في الخلاف عليه واطلاق الفتنة من عقالها، وكل من أوقد عليه نار الحرب أحرقته بنارها، وكلمته بأظفارها، وكل من تمسك بالعروة الوثقى، وفاز في الآخرة، والأولى وكل من التمس وليجة غيرها فقد{ **خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ** ۚ **ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** }[4]

---

[1]- سورة فصلت، الآية: 42.

[2]- سورة القصص، الآية: 5-6.

[3]- سورة الأنبياء، الآية: 105-106.

[4]- سورة الحج، الآية: 11.

فاحمدوا الله الذي بلغكم زمان أمير المؤمنين واختصكم ببركة أيامه وسعادة دولته، فلتنبسط أعمالكم، ويكقر بالثقة بعدله استبشاركم ولينفسح للمعرفة بحسن نظره رجاؤكم، ويشتد تمسككم بحبل طاعته وأسباب ولايته، فإنه لا يتصل بين الله وبين عباده سبب إلا بمحبتكم لأل محمد صلى الله عليه وسلم قال الله جل ذكر{ **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ۗ }[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم{ مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق}. وجددوا الشكر لله على ما منحكم من رأفة أمير المؤمنين ورحمته، وتعاهده لأموركم وتغمده لكم فإن الشكر أحرس حفيظة لملابس نعمه وأحفظ مؤتمن لفواضل مننه وأبعث مستمد لمؤتنف صنعه ومواد مزيده.

وأمير المؤمنين يسأل الله ولي الإحسان والنعم، والإفضال والمنن أن يصلي على محمد مفتاح رحمته، والمبلغ لرسالته الذي حباه بجميع فواضله ومزيد كرامته، وأن يشعره خشيته ومراقبته، وأن ينفد بالتوفيق عزائمه وأن يلهمه فيما استرعاه، وناط به من أمر عباده، أفضل ما ألهم راشدا من خلفائه، وأن يعينه على صالح نيته، وأن يبتليه أحسن بلائه، ويوفقه للعمل بطاعته والقيام بحقه حتى يقمع الكفر والإلحاد، ويدوخ أطراف البلاد، وأن يجعله خير إمام أحسن إلى رعيته، ورعيته خير رعية أدت حق إمامها، فإن التوفيق به والمزيد من عنده والسلام"[2].

رابعا: حركة التأليف

إن الحديث عن حركة التأليف بمجالات كتامة خلال مرحلة الدعوة وقيام الدولة من المسائل التي ضرب عنها الباحثين صفحا بسبب سكوت المصادر عنها، لكن هذا لا ينفي انعدامها فمن المتعارف عليه أن الجماعة الإسماعيلية هي أكثر الجماعات الشيعية إنتاجا وذلك لما عرف عن علمائها ودعاتها تقديسهم للعلم والتأليف في الباطن، وقد شهد النصف الثاني من القرن 3هـ/9م نقلة نوعية في حركة التصنيف وظهرت العديد من المؤلفات من بينها رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا[3]، وخلال مرحلة الدعوة ببلاد المغرب وأثناء رحلة الخليفة عبيد الله المهدي حمل معه" كتب وملاحم كانت لآبائه"[4]، غير أنها سلبت منه بمكان يعرف بالطاحونة من الأراضي

---

[1]- سورة الشورى، الآية: 23.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 293-299.

[3]- لتفاصيل أكثر هذه الرسائل ومكانتها عند علماء ومفكري الإسلام ينظر: خير الله سعيد، النظام الداخلي لحركة إخوان الصفا، بيروت، لبنان، ط1، دار كنعان، 1993. معصوم فؤاد، إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، (ط1، دمشق/ سوريا- بيروت/ لبنان: دار المدى للثقافة والنشر، 1998). إسماعيل محمود، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، (ط1، المنصورة/ مصر: دار عامر للطباعة والنشر، 1996). الهمداني حسين فيض الله، بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا وعقائد الإسماعيلية فيها، (ط2، اليمن: الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، 2010). فراس السواح، طريق إخوان الصفا- المدخل إلى الغنوصية في الإسلام-، (ط1، دمشق/ سوريا: دار علاء الدين، 2008).

[4]- المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 63.

المصرية، وإن تعذر العثور على مؤلفات تعود زمن تأليفها إلى مرحلة الدعوة فإن هذا لا ينفي قطعا أن هذه المرحلة بصفة عامة خالية من التأليف، فالداعية عبيد الله الشيعي يبدو أنه كان جماعا للكتب مولعا بالمطالعة لاسيما تلك التي تتعلق بالتنجيم فعند دخوله لتاهرت" وجد صومعة مملؤة كتبا، فاستخرجها كلها واقتنى منها كل ما يصلح للملك والحساب، وأضرم النار في بقيتها"[1].

ولم يكن الاهتمام بالكتب وتجميعها أو حتى التأليف فيها مقتصرا على الداعي لوحده بل نجد أن داعي دعاة كتامة وقاضي دولة الخلافة فيما بعد أفلح بن هارون الملوسي كان ناسخا للكتب متتبعا لها، وقد نزل عند ابن الهيثم "مرارا كثيرة ونسخ كثيرا من كتب الفقه والآثار والفضائل وخطب مولانا وسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى الأئمة من ولده"[2]، ويبدو أن هذه الكتب كانت لها مكتبات خاصة بالدعاة والفقهاء ولم يكن مخزونها موجه للعامة باستثناء ما ظهر منه كالمؤلفات التي تتحدث عن علي وفضائله وآل بيته والتي كان يرويها الداعي في مجالسه، أما تلك التي تختص بالباطن فقد كانت موجهة فقط لمن بلغ درجة كبيرة من التشيع والتعمق في الباطن.

لقد كان ابن الهيثم أحد الفاعلين في الدعوة منذ أن سكن إفريقية وحل ببلاد المغرب الأوسط وبمجالات كتامة، وكانت له صحبة مع الداعي أبي عبد الله الشيعي وأخوه المخطوم إضافة إلى ذلك نال حظوة عند الخليفة عبيد الله المهدي، وقد ألف كتابا حول المجالس التي عقدت بينه وبين الداعي سماه المناظرات وهو غني بمادة هامة حول الدعوة، كما أن مؤلفه كان شاهدا على الحراك العلمي في المجال الكتامي والتقى بأحد أفراده الفاعلين وهو أفلح بن هارون الملوسي الذي يعتبر عالم المدرسة الإسماعيلية في مرحلتها المبكرة في بلاد المغرب الإسلامي، ذلك أن هذا الرجل تدرج في مراتب الدعوة لدرجة أنه أصبح داعي الدعاة وتولى قضاء الخلافة للمهدي مع العلم أن هذه المناصب لا يتولاها إلى من بلغ درجة جد عالية من التفقه في المذهب الاسماعيلي وتعمق هائل في التأويل، كما أن صاحب هذه المهمة هو نائب الإمام وحجته وبالتالي فإن هذا الإنجاز ماكان ليتم دون أن تكون مدرسة حقيقة في البلاد الكتامية وحركة كبيرة في المؤلفات سواء المتسللة إلى المغرب أو المدونة في أرض الدعوة الجديدة ونرشح أن يكون أفلح أحد أعلامها، ونزداد بصيرة في هذا الشأن عندما أكد ابن الهيثم أن افلح بن هارون

[1]- أبي زكريا يحي بن أبي بكر، 170. الدرجيني، 94- 95.

[2]- ابن الهيثم، 122.

الملوسي "نزل عنده مرارا كثيرة ونسخ كثيرا من كتب الفقه والآثار والفضائل وخطب مولانا وسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى الأئمة من ولده"[1].

كما لا يستبعد أن يكون أبو عبد الله الداعي وهو في بلاد كتامة قد ألف كتبا تجمع في طياتها بين علم وفقه آل البيت وهو ماكان متعارف عليه عند الدعاة في كل الجزر من تأليف كتب تكون موجهة للأتباع، كما أنه امتلك مؤلفات ذات ثقل مذهبي كان يلقنها لأتباعه في المجالات الكتامية، كما أنه لقنها للداعي ابن الهيثم في الفترة التي سبقت توجهه نحو سجلماسة وهذه المؤلفات تتلخص في مؤلفين هامين هما:" المعرفة والإقرار والجحد والإنكار" وكتابا مجلدا فيه قصيدة تسمى"ذات الجواهر" فيها علوم وتوحيد ورموز باطنة وحكمة من حكيم"[2].

خامسا: المناظرات

المناظرة في بلاد المغرب الأوسط: دعوى الحضور ومقتضيات الغياب

تعد المناظرة أو كما تعرف بالجدال والنقاش والمذاكرة أحد أهم الأساليب الهامة في التدريس وهذا لأهميتها في عرض مختلف الآراء وتوضيح أصوبها، وكانت المناظرة من أقدم الطرق التي انتهجتها الجماعات والفرق الإسلامية في الدفاع عن عقيدتها وآراءها السياسية منذ صدر الإسلام، وكانت أحد أهم وأبرز وسائل الصراع بالنسبة لأطراف الصراع المذهبي ببلاد المغرب الأوسط منذ سنة 280هـ/793م، فقدوم الداعية أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب وجلوسه للتعليم وإقصائه للمعلمين السابقين له في الساحة، وتزايد عدد البطون المؤيدة له إضافة إلى اعتماده ظاهريا لعلم آل البيت ودعوته سرا لأمر كان مكتوم يجهله خصومه[3]، جعل المناظرة معه من أبرز الأمور المطروحة من طرف خصومه، والذين كانوا يرون أنها قد تكشف معدنه وحقيقة ما يدعو إليه، والانتصار فيها قد يعزله عن أنصاره وأتباعه، وأول إرهاصاتها على أرض المغرب الأوسط كانت من طرف الجبهة المعارضة للجماعة الإسماعيلية، حيث أرسل موسى بن العباس صاحب مدينة ميلة إلى بني سكتان في بدايات الدعوة يطلب منهم إرسال أبي عبد الله الشيعي إلى قصره" ليستخبر أمره، ويجمع بينه وبين العلماء عنده"[4]، غير أن أنصاره منعوه من ذلك لعلمهم بأن الوالي العربي كان " يضمر له المكر ويروم به الغدر"[5]، وبعد محاولات فاشلة كانت الأخبار قد وصلت إلى الأمير الأغلبي في أفريقية وبأن واليه على ميلة كان يحاول تهوين أمر الداعية وهذا بسبب تعذر الوصول

---

[1]- ابن الهيثم، 122.

[2]- نفسه، 84.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 52.

[4]- نفسه، 54.

[5]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 50.

إليه فقام بإرسال أحد المنجمين بقصره وهو ابن المعتصم، غير أنه لم يرسله للمناظرة بل أرسل معه رسالة تهديد ووعيد ومعها يستقصي أحوال الداعية وجماعته، لكن الولاة الأغالبة لما علموا تزايد أمر الداعية وكثرة أنصاره راسلوا زعيم بني سكتان وكان لازال لم يدخل في الدعوة بيان بن صقلاب وطلبوا منه تسليم الداعية غير أنه رفض طلبهم وأشار عليهم بجمع العلماء وإخراجهم للداعية من أجل المناظرة، لكن القوم رفضوها لعلمهم وخوفهم" أن تقوم حجته، فيستحكم أمره، وتزول رئاستهم من أيديهم بسببه..."[1]، وخرجوا إليه لكن ليس بالعلماء إنما بعسكر متخفين ونشب القتال ونجا الداعية من بطشهم، وعاود المعارضون نفس الفكرة لما استقر الداعية في تازروت مقترحين المناظرة ومبطنين البطش والدماء وباء تخطيطهم بالفشل[2]، وكانت هذه المرة الأخيرة التي تورد فيها المصادر إشارات حول طلب أعداء الداعية أبي عبد الله الشيعي الاحتكام للمناظرة.

المناظرات في بلاد المغرب الأدنى واندلاع الحرب المذهبية

بعد دخول قوات الداعية إلى إفريقية وانتصاره في الأربس وإجهازه على من تبقى من فلول الأغالبة عمد إلى سياسة مذهبية[3] اتصفت بالتسامح حيث أعطى" الأمان التام للعامة ورجوع من كان تنحى عن وطنه إليه"[4] واستقبل شيوخ القيروان" فاستصحبهم، وحدثهم وأمنهم في أنفسهم وأموالهم"[5]، ويبدو لنا أن الداعية كان من وراء هذه السياسة يريد تحصيل العديد من المكاسب منها:

- مكافأة القيروانيين على فتح أبواب مدينتهم دون قتال.
- تكذيب الدعاية الأغلبية والتي ظلت طوال عشر سنوات تصنع وتروج عنه وجماعته صورة رهيبة من التطرف والإرهاب.
- محاولة تقريب الفقهاء لاسيما المالكية منهم لعلمه بأثرهم ودورهم في المجتمع.
- محاولة تأمين الجماعة الإسماعيلية في المجال الجديد وحماية ظهره ذلك لأنه كان خارج في حملة كبرى كانت أهميتها تعادل الحراك الذي قام بها طوال تلك السنوات وهي معركة سجلماسة وتخليص عبيد الله المهدي، والتي كان يحتاج فيها إلى كل قواته فمن غير المعقول أن يخرج لتلك الأصقاع البعيدة ويترك البلاد هائجة ومائجة ضده وضد أتباعه وأنصاره، لهذا فإنه ابتدر إلى" طلب أهل الدعارة والفساد فأنكاهم عقوبة فسكنت الدهماء وأمنت السبل ومشت

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 82- 83.

[2]- نفسه، 9- 94.

[3]- لتفاصيل أكثر عن هذه السياسة المذهبية. ينظر: ويلفرد ماديلونغ، 65- 72.

[4]- نفسه، 246.

[5]- القاضي النعمان، 244.

السيارة وخاف أهل الأذى والدعارة وقتلوا حيث ما ثقفوا وطلبوا أين توجهوا وأمر بقطع شرب المسكر وكل ما ظهر من المنكر ونشر العدل وأذاعه، واستوت الأمور واعتدلت، وامن كل خائف..."[1]

غير أن سياسة الاعتدال هذه سرعان ما ضربت عرض الحائط بعد مغادرته إفريقية نحو سجلماسة في المهمة الأخيرة لإنقاذ المهدي[2]، حيث تولى أخاه أبو العباس المخطوم الأمور من بعده ويبدو أن هذا الأخير هو المسؤول المباشر عن ميلاد فصل جديد من المذهبية والطائفية والتي ظلت تنخر المنطقة طوال القرن 4هـ/10م وكانت من بين تلك الوسائل **المناظرات**.

وإن كانت المناظرات قد حدثت بين الفريقين لكن في الفترة اللاحقة مابين انتقال الداعية نحو إفريقية وعودته من سجلماسة مارا بأرض المغرب الأوسط كانت المناظرات قد بدأت في الانعقاد على يد الداعية المرافق للمهدي والذي كان قد سجن في القيروان وهو "محمد أبو العباس بن أحمد" والمعروف "بأبي العباس المخطوم" أخو الداعية، وقد تضاربت الآراء حول قدرته على المناظرة من عدمها[3]، فالمصادر الإسماعيلية تقدمه لنا في أحسن صورة من أنه" أسن من أخيه وأنفذ، وأحد دهنا، وأكثر تفننا في العلوم"[4] و" أقدم سابقة وأقرب بالإمام عهدا وأحد دهنا" [5]، أما المصادر السنية فتذهب إلى انه:" كان عجولا، كثير الكلام، ضعيف العقل..."[6]، ويبدو أن أن هذا الأخير كان كما وصفته المصادر عجولا وأكثر حقدا على السنة والمالكية فهو قد حاول نفي مالكية القيروان غير أن أخاه قد منعه[7]، كما أنه قام بقتل" بعض فقهاء القيروان وصلحائها"[8] وهذا بسبب أنهم لم يكونوا يكونوا يروون بتقديم علي رضي الله عنه عن الشيخين أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وقد حفلت الكثير من مصادر أهل السنة بالعديد من تفاصيل حركة المناظرات التي تزامنت مرحلة نهاية الدعوة وقيام الدولة والتي كان طرفها علماء وفقهاء السنة المالكية من وجوه القيروان ضد الداعية أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبو العباس المخطوم والقاضي المروزي والخليفة عبيد الله المهدي.

---

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 246- 247.

[2]- محمود إسماعيل، المالكية والشيعة بإفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، 68.

[3]- موسى هيصام، التمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنين الرابع والسادس الهجريين(10-12م)، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، (الجزائر: 2013)، ج2/ 494.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 269.

[5]-.الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، 88.

[6]- ابن عذاري المراكشي، 185.

[7]- نفسه، 185.

[8]- نفسه، 187.

المناظرات أعلامها ووقائعها من خلال نصوص أهل السنة:

على الرغم من خضوع مدينة القيروان سلميا لجيش الداعية أبي عبد الله الشيعي سنة 296هـ/909م، إلا أن هذا لا يدل على أن أهلها دخلوا في الدعوة الجديدة فالمدينة كانت حصنا حصينا ومعقلا منيعا لجماعة أهل السنة لا سيما المالكية منهم، والذين قاوموا أصحاب المذاهب وتصدوا حتى لسياسة الأغالبة وولاتهم، وقد أبدى نخبة من علمائها موقفا معارضا للجماعة الإسماعيلية منذ بدء الدعوة سواء الشكل السلبي السلمي أو العملي الثوري[1] متخذين من منابرهم ومجالس السلطان موقفا لذلك، ومع دخول قوات الداعية طلب العديد منهم الأمان، أما أكثرهم فقد سلكوا مسلك المقاومة والمقاطعة واعتزال الجماعة وأنكروا ذلك ومن بين هؤلاء: جبلة بن حمود الصدفي(299هـ/912م)[2] والذي لما بلغه نبأ" بعض أهل القيروان خرجوا يتلقون أبا عبد الله الشيعي تقية من شره ومداراة له فقال جبلة: اللهم لا تسلم من خرج يسلم عليه. واغتم لذلك غما شديدا..."[3]، وكان له فعل فعل مشهود يوم انعقاد أول جمعة للجماعة الإسماعيلية في مدينة القيروان أصبح فيما بعد منهجا لمن كان يبتغي محاربتهم بحيث أنه لما سمع" مالا يجوز سماعه قام قائما وكشف عن رأسه حتى رأه الناس ومشى من المنبر إلى أخر باب في الجامع – جامع القيروان– والناس ينظرون إليه حتى خرج من الباب وهو يقول: قطعوها قطعهم الله. فمن حينئذ ترك العلماء حضور جمعتهم وهو أول من نبه على ذلك رضي الله تعالى عنه..."[4].

وقد كان بينه وبين الجماعة الإسماعيلية العديد من المناظرات أولها مع أخو الداعية أبو عبد الله الشيعي والذي كان مقربا أكثر من الخليفة عبيد الله المهدي أثناء رحلته من بلاد المشرق نحو بلاد المغرب، وقد وصفت هذه المصادر الداعية هذا بأنه كان" عجولا، كثير الكلام، ضعيف العقل"[5] وقد كان مبغضا للمالكية حاقدا عليهم لدرجة أنه أرد نفيهم فلم يجبه أخوه إلى ذلك[6].

---

[1]– دغفوس رضا، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2005)، 271.

[2]– جبلة بن حمود: هو أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصدفي من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان، أسلم جده على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان مولده سنة210هـ/825م تلقى العلم على مجموعة من العلماء أبرزهم سحنون الذي سمع عنه المدونة، وعون، وأبي إسحاق البرقي، وداوود بن يحي وغيرهم، سكن بقصر الطوب ثم انتقل الى القيروان وكان صالحا ثقة، شديدا على أهل البدع لا يداري فيهم أحدا، ولم يكن أحد أكثر مجاهدة منه للروافض وشيعهم، وكان يحرض الناس على ترك الخروج لسوسة والرباط ويأمرهم بلزوم القيروان، وكان هو أول عالم قيرواني قاطع جمع الفاطميين وبه احتذى بقية الفقهاء والطلبة، توفي سنة 299هـ/912م. ينظر: القاضي عياض، 513-517.

[3]– المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، وأوصافهم، تح: بشير البكوش، مرا: محمد العروسي المطوي، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1994)، ج 2/ 42.

[4]– المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد، 42– 43.

[5]– ابن عذاري المراكشي، 185.

[6]– نفسه، 185.

أما من جماعة المالكية فقد كان شخصين أولهما أبي عثمان سعيد بن محمد بن الحداد والذي كان يلقب "بلسان أهل السنة" "وابن حنبل المغرب" وقد قال عنه المالكي أنه كانت له" مقامات في الدين مع الكفرة المارقين أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس وعبيد الله المهدي أبان فيه كفرهم وزندقتهم وتعطيلهم"[1].

أما الخشني فقد قال أن:" مقامات كريمة ومواقف محمودة في الدفع عن الإسلام والذب عن السنة"[2].

كما أنه كان لا يهاب من مجالس الدعوة الإسماعيلية ولا يهاب مناظروه بل إنه كان:" منى نفسه، مناظرة القرن المساوي، بل مناظرة المتعزز المتعالي، لم يتلعثم لفظاعة المقام، ولا أحجم لهيبة السلطان ولا خاف ما خيف عليه من سطوة الحدثان..."[3].

وقد ذكر صاحب طبقات علماء أفريقية تفاصيل عن المناظرات التي كان أبي عثمان سعيد بن محمد بن الحداد طرفا فيها والتي كانت تتمحور حول النقاط الأربع التالية:

مسألة القياس، السنة، مكانة الصحابي علي رضي الله عنه المفاضلة بينه وبين بقية الصحابة رضوان الله عليهم لاسيما الخلفاء الثلاثة، مسألة الظاهر والباطن، الألوهية والربوبية[4].

أما جبلة بن حمود فإنه " لم يكن في وقته أكثر اجتهادا منه في مجاهدة عبيد الله وشيعته كان لا يدار في ذلك أحدا من الخلق..."[5]، حتى أنه أبى الخروج للقاء الداعي أبي عبد الله وقال:" اللهم لا تسلم من خرج يسلم عليه"واغتم لذلك غما شديدا[6].

المناظرات: أعلامها ووقائعها من خلال نصوص الجماعة الإسماعيلية

لقد ارتبطت وإلى وقت قريب مصادر دراسة هذه المناظرات بما كتبه مالكية المغرب ودونوه والتي كانت في الغالب تظهر تفوق هؤلاء العلماء في مناظراتهم اتجاه الشيعة، غير أن ظهور مصدر المناظرات لصاحبه ابن الهيثم قد قدم لنا مادة جديدة عن حال تلك المناظرات ولازم الأخبار حولها وهذا من خلال إقراره أن تلك المناظرات قد انتهت لصالح فقهاء الشيعة.

---

[1]- المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد، 75.

[2]- الخشني، طبقات علماء إفريقية، 62.

[3]- نفسه، 62.

[4]- ذكر المناظرة كاملة: المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد، 58- 59. ينظر: الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأسيدي الأنصاري، معالم الإيمان الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تح: محمد الأحمد أبو النور ومحمد ماضور،(تونس: المكتبة العتيقة، 1972)، ج2/ 298- 299.

[5]- المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد، 38.

[6]- نفسه، 42.

غير أن تلك المناظرات لم تكن فقط بين فقهاء وأعيان المذهبين بل كانت من داخل المذهب الجديد المنتصر سياسيا، فمؤلف المناظرات قد وضع مؤلفه حول ذلك وذكر أن تلك المناظرات كان طرفا منها مع أبي عبد الله الشيعي وكانت أولى حلقاتها في اليوم الثالث بعد دخول الجماعة الإسماعيلية مدينة رقادة منتصرين.

كان وإلى وقت قريب موضوع المناظرات بين فقهاء السنة والداعية أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس المخطوم يقتصر على ماورد في نصوص أهل السنة لكن مع ظهور مؤلف المناظرات لصاحبه ابن الهيثم أتيحت لنا معلومات جديدة وتفاصيل مهمة حول أحداث تلك المناظرات وأطرافها وحتى خبر من انتصر فيها، وكانت أولى المناظرات بين فقهاء المالكية والجماعة الإسماعيلية القادمة من أرض المغرب الأوسط خلال سنة 296هـ/909م هي تلك التي كانت مشتعلة بين أبي العباس المخطوم والذي تركت له مسألة تنظيم القيروان وشؤونها لغاية وصوله أخيه أبي عبد الله الشيعي والخليفة عبيد الله المهدي، وقد دخل أبو العباس تلك المناظرات ويبدو أنه كان منذ البداية يتقصد فيه تنكيب علماء المالكية خصوصا وأنه قد طلب من أخيه سابقا نفيهم عن العاصمة غير أن أخاه قد قدر خطر ذلك الفعل فنهاه عن ذلك، لكن بعد رحيل الداعية أبي عبد الله نحو سجلماسة أصبح المجال خاليا لأبي العباس على الأقل لينتقم من سجنه وتعذيبه من طرف آخر حاكم للأغالبة وكان نظيره في تلك المجالس هو سعيد بن الحداد، وموسى القطان، ومن جانب الإسماعيلية فهي كانت مضطربة غير أنها ضمت مجالس عديدة تناوب عليها كل من أبي العباس المخطوم وأبي عبد الله الشيعي وابن الهيثم، وعلى حسب رواية هذا الأخير فإن مواضيع المناظرات كانت تدور حول" مجالس الإمامة وتقديم المفضول وفي السنة ماهي وفي الصيام والإحصان"[1]، وقد تحدث ابن الهيثم على أن الطرف الفاعل والكبير في هذه المناظرات كان أبو العباس المخطوم لدرجة أن أحد رواد مجالسه كان يقول لجماعة الإسماعيلية وهي مجتمعة" هذا فيكم عصا موسى، تلقف ما يأفكون"[2].

مناظرة أبي عبد الله الشيعي مع ابن الحداد:

ذكر ابن الهيثم العديد من المناظرات التي انعقدت بين أبي عبد الله الشيعي وسعيد بن الحداد[3] وغيره من علماء أهل السنة وكان طرفا في إحدى تلك المناظرات وهذا بعد طلب الإذن من أبي عبد الله الشيعي، وكانت المناظرة تدور حول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي تأول فيه ابن الحداد وهو" من كنت مولاه فعلي

[1]- ابن الهيثم، 114.
[2]- نفسه، 115.
[3]- نفسه، 69- 71.

مولاه"، وفيه على حسب رواية صاحب المناظرات انه ظهر في الحجة لدرجة أن سعيد بن الحداد" تعافى من المناظرة وقال: أيها السيد قد دخلت مدائن غير مدينتنا هذه وتركت أهلها على ما كانوا عليه"[1].

في المقابل تواصل انعقاد حلقات المناظرات بين أبي العباس المخطوم وفقهاء المالكية وأخذ هذه المرة طابعا دمويا[2] ومنعرجا فاصلا وأذن بميلاد مرحلة جديدة طبعت باضطهاد مذهبي سيلقي بظله لعقود طويلة على أرضي المغرب الأدنى والأوسط، وكانت البداية بالفقيهين أبو بكر ابن هذيل وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الظبي والمعروف بابن البرذون، الذي كان" فقيها بارعا في العلم لم يكن في شباب عصره أقوى منه على الجدل، والمناظرة، وإقامة الحجة على المخالفين منهم"[3]، فبعد وصول الأخبار لمسمع أبي العباس والتي تزعم أن الفقيهين" نطقا بفضل معاوية على سيد البشر وأن عليا صلوات الله عليه خرج إلى حرب معاوية وطلب الإمامة وأن طالب الإمارة لا حق له على المطلوب"[4] اتخذ إجراءات صارمة ضدهما" فأمر بقتلهما وربطهما إلى أذناب البغال بغلين يجران بالقيروان، فقتلا وفعل بهما ذلك ونودي عليهما..."[5].

مناظرة ابن الهيثم مع ابن الحداد:

تبدو من خلال نصوص المناظرات ملامح واضحة حول تعصب مذهبي شديد تجاه علماء وفقهاء المالكية، وقد دخل ابن الهيثم كطرف في هذه المناظرات بعد أخذ الإذن من أبي عبد الله الشيعي، وأول تداخلاته المباشرة فيه كان بسبب أن ابن سعيد الحداد" **ألف كتابا لطيفا ذكر فيه مناظراته لأبي عبد الله وأبي العباس وبثه في الأفاق**"[6] وعلى حسب رواية ابن الهيثم فإن ابن الحداد زاد في هذا الكتاب وكذب في تأليفه، فقام له ابن الهيثم في مجلس

---

[1]- ابن الهيثم، 70.

[2]- ويلفرد ماديلونغ، 70.

[3]- الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري- أبو القاسم بن عيسى بن الناجي التنوخي، 261- 262.

[4]- ابن الهيثم، المصدر السابق، ص: 118. أما المصادر السنية فإنها ذكرت روايتين مختلفتين حول قتلهما فالأولى ورد فيها أن ابن البرذون قال:" كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقيم الحدود بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويعينه على أموره، فلو لم يكن عنه إمام هدى، مستحقا للتقدمة ما فعل مافعل" فبلغ هذا القول مسامع أبي العباس المخطوم الشيعي فأمر بقتله ومعه ابن هذيل. أما الثانية فتذكر أنه: لما وصل عبد الله إلى رقادة أرسل إلى القيروان من أتاه بابن البرذون وابن هذيل، فلما وصلا إليه وجداه على سرير ملكه جالسا، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعي، وعن يساره أبو العباس أخوه، فلما وقفا بين يديه قال لهما أبو عبد الله وأبو العباس: أشهد أن هذا رسول الله- وأشارا إلى عبيد الله المهدي- فقالا جميعا وبلفظ واحد: والله الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه، والقمر عن يساره، يقولان إنه رسول الله ماقلنا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم" فأمر عبيد الله بذبحهما حينئذ جميعا، وأمر بربطهما إلى أذناب البغال. ينظر: الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري- التنوخي أبو القاسم بن عيسى بن الناجي، 262- 263.

[5]- ابن الهيثم، 118.

[6]- نفسه، 70.

حضره الداعيين" ونقضه عليه وتابعه فيه بكلام جامع لإبطال مقالته"[1] ولم يكن هذا التدخل هو الوحيد لابن الهيثم بل إنه كانت له مجالس أخرى حاول فيها التحرش بالفقيه المالكي ابن الحداد لدرجة أن تلك المناظرات انتقلت إلى دار ابن الحداد حيث اقتحم بيته من طرف ابن الهيثم ومعه كل من" أحمد بن المروزي وابن حيون ومعنا يونس بن دنقس فوجدناه في سقيفته جالسا وحده..." ويبدو أن ابن الحداد قد ناله من مناظريه الذين اقتحموا عليه بيته الأذى الكثير حيث صرح ابن الهيثم انه قال له" **أنت شيخ أحمق ...فما أنسى جزعه منا وذلته لنا خوفا أن نبطش به، وخرجنا عنه...**"[2].

وكانت الفترة اللاحقة بعد قتل الداعية وأخيه أكثر دموية ذلك لأن فيها عبيد الله تخلص من خصومه السياسين والذين كانوا لهم سابقة بناء الدولة وتفرغ بعدها للعلماء مدشنا بذلك عصر محنة فقهاء المالكية خلال العصر الفاطمي، أو كما سماه أحد المستشرقين" بعصر سجل الاستشهاد المالكي"[3].

[1]- ابن الهيثم، 70.

[2]- نفسه، 70-71.

[3]- ويلفرد ماديلونغ، 73.

الفصل الرابع

الدور الثقافي للجماعة الإسماعيلية في المجالات الكتاميــة

أولا: المؤسسات التعليمية

ثانيا: العلوم العقلية

ثالثا: العلوم النقلية

رابعا: المناظرات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: ألقاب مجتمع الدعوة

في إطار حركة الصراع الذي كان محتدما بين الجماعة الإسماعيلية وخصومها بين القبائل المحلية والسلطة الأغلبية، من الطبيعي لجوء الأطراف إلى ابتداع ألقاب، بغرض الترغيب، الترهيب، والإشهار، والتشهير، وكان للجماعة الإسماعيلية نصيب أكبر من هذه الألقاب، حيث أطلقت عليها العديد من التسميات بغرض تشويه سمعة الداعية وسمعة أتباعه وأخص منها عددا أثبته في الجدول التالي:

أ :ألقاب الجماعة من طرف أعدائها

اللقب	دلالته
الشيعة	دينية
المشارقة	جغرافية
البرابر	اجتماعية
الخوارج	دينية
الكفار	دينية
الروافض	دينية
الباطنية	دينية

الألقاب الدينية :

كان الغرض من إطلاقها هو إظهار العقيدة الشاذة التي تتبناها الجماعة الإسماعيلية وتدعو لها، ومن بين تلك الألقاب الدالة على ذلك مايلي:

الشيعة:

من المعلوم أن السلطة الأغلبية في إفريقية والعديد من مدن ومجالات المغرب الأوسط كانت سنية ونصوصها العقدية تختلف تماما عن العقائد الشيعية[1]، لهذا حرص الأغالبة وولاتهم التشهير بالجماعة المنضوية تحت لواء الداعية بالتشيع والشيعة وما لهذا المصطلح من حمولة معادية للسنة، وقد حفظت المصادر العديد من الخطب للأمراء الأغالبة وهم يحرصون على الداعية وأتباعه ويتهمونهم بأنهم يظهرون "لعنة أبي بكر وعمر صاحبي رسول

[1]- حرص أخر أمراء الأغالبة في رسائله التي كان يبعث بها وتقرأ على المنابر أو على الجيوش السائرة لقتال أبي عبد الله الشيعي بأن يظهر بمظهر الزاهد المتعبد الملتزم بحدود الله. كما وصلته العديد من الرسائل من خليفة بغداد تزكيه في عمله ودينه وتكفر كل من عاداه. ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 186- 198.

الله صلى الله عليه وصهريه وخليفتيه وعثمان ذي النورين، زوج ابنتيه، وطلحة والزبير حواريه، وجماعة من أخيار صحابته رحمة الله عليه، ويزعم أن عليا رضي الله عنه كان يرى ذلك فيهم ويذهب إليه من أمرهم..."[1].

ولم يكن هذا المصطلح هو الخطير بل كانت هنالك مصطلحات أخطر منه لدلالتها ومصدر إطلاقها وهي كالتالي:

الكفار:

من أحد أخطر الألقاب التي أطلقت على جماعة أبي عبد الله الشيعي، والذي أخرج سكان تلك المجالات الكتامية من دائرة الإسلام وتكمن خطورته أنه صادر عن شخص الخليفة العباسي المكتفي بالله والذي كان رمزا روحيا ودينيا للعديد من قوميات الإسلام آنذاك حيث قام بإرسال رسالة تليت على المنابر في إفريقية وحتى مدن وحواضر كتامة، وفيها دعم وزكى الأمير الأغلبي وكفر مخالفيه وقد جاء فيها مايلي ":ورأى أمير المؤمنين أن يكتب إليكم لتعلموا حال زيادة الله عنده وموقعه من رأيه..وتؤثروا بالتمسك بطاعته .وترك الخلاف عليه والتصرف مع أمره ونهيه ومكاتمته على محاربة **أعداء الله الكفرة ومجاهدتهم**..."[2].

الخوارج:

كان لقب الخوارج من ضمن الألقاب الدينية التي أطلقت على الجماعة الإسماعيلية، وهو انعكاس لخروج تلك القبائل ومحيطها عن سلطة دولة الأغالبة وخلافة العباسيين، كما أطلق على الداعية أبو عبد الله الشيعي لقب الخارجي والذي كان دوما يرد في خطب ورسائل الأمراء الأغالبة بالمغرب، أو من الكتب القادمة عليهم من دار الخلافة ببلاد المشرق[3].

الباطنية :

ومن بين تلك الأسماء كذلك والتي أطلقت على مجتمع الدعوة مصطلح "الباطنية"[4]، وهو أحد الأسماء المميزة للإسماعيلية ليس عن الجماعات السنية فقط بل حتى عن الجماعات الشيعية نفسها.

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 188.

[2]- نفسه، 197.

[3]- 194.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 40.

البرابرة:

كما أطلق على الجماعة لقب امتزج بين الدلالة الاجتماعية والدينية، وهو لقب قصدوا به خروج الجماعة عن الفطرة من استحلالهم للأموال والدماء والفروج وتبديل الشرائع[1].

الألقاب الجغرافية :

وفي المقابل توجد ألقابا تحمل دلالات جغرافية نذكر منها:

المشارقة:

ومفردها **المشرقي** أطلقت في بداية الأمر على الداعية أبي عبد الله الشيعي، ولقب بالمشرقي دلالة على أنه طارئ قادم من المشرق وليس إبنا للمنطقة، وصارت كلمة المشارقة بعد هذا الوقت تعني الشيعة[2]، ولما تكاثر أتباعه نسبوا إليه كل من بايعه ودخل في دعوته فسموا بالمشارقة[3]، وإذا دخل الواحد منهم في ذلك قيل تشرق[4]، وقد أطلق العديد من علماء مالكية القيروان وأفردوا فصولا من مؤلفاتهم حول الذين تشيعوا[5].

و الملاحظ على غالبية هذه الأسماء أنها أسماء جغرافية دينية ذات حمولة مذهبية تعكس طبيعة الصراع الدائر الذي كان بين جماعة ناشئة، ودولة حاولت العزف على خيط المذهبية، بابتداعها العديد من الألقاب بهدف تشويه خصومها.

ب: جدول يوضح ألقاب الجماعة من داخلها

ألقاب الجماعة الإسماعيلية من داخلها	دلالة اللقب
الإخوان	اجتماعية دينية
الأولياء	دينية
المؤمنين	دينية

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 186- 187.

[2]- لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 24.

[3]- القاضي النعمان، 52.

[4]- نفسه، 79.

[5]- الخشني محمد بن حارث بن أسد، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، نش- تص- مر: عزت العطار الحسيني، (ط2، القاهرة/ مصر: مكتبة الخانجي، 1994)، 291- 295.

من البديهي أن تتسمى الجماعة الناشئة من داخلها بأسماء تعكس خصوصيتها وتميزها عن باقي الجماعات المحيطة بها، وهذه الألقاب كانت غالبيتها ذات دلالة دينية تعكس المهمة الحقيقية التي جاء لأجلها الدعاة إلى بلاد المغرب وتعكس طبيعة تكوينهم لهذه الجماعة، وقد قرر أبو عبد الله ومن سبقه أن يكون فيها الدين والمذهب هو عماد السياسة والمعاملات والعلاقات والخصومات والتحالفات، ومن بين هذه الأسماء:

الأولياء:

اختص أفراد كتامة الموالين لدعوة أبي عبد بهذا الاسم في مرحلة الدعوة، وتواصل إلى مرحلة الدولة، وقد أفرد القاضي النعمان في مؤلفه" المجالس والمسايرات "فصولا حول المعز وعلاقته برجال كتامة، الذين كان يصر على مناداتهم بالأولياء اعترافا منه بالدور الذي قدموه في مرحلة الدعوة وكبير فعالهم في مرحلة الدولة[1]، وقد وردت لفظة الأولياء في القرآن الكريم بمعان عديدة منها التي تم إقرانها بالشرك وأعداء الله، ومنها التي خصت بالزهاد والعباد والمتقين ونذكر منها:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[3].

المؤمنون :

وهو دلالة على الذين اعتنقوا الدعوة وآمنوا بها ونصروا دعاتها، وهذه الفئة على حسب ما أورده القاضي النعمان هي التي نفذ أمره فيها، وجرى حكمه عليها[4].

الإخوان:

يحمل هذا اللقب دلالة اجتماعية تعكس الإستراتيجية التي اتبعها الداعي لتوحيد جبهته الداخلية قولا وفعلا، وقد كان أبوعبد الله الداعي ينادي كل من دخل الدعوة بعبارة"يا أخانا"[5]، وعنه أخذ الكتاميون بذلك، وبآدابه تأدبوا[6]، وأصبحوا يدعون بعضهم بالإخوان[1]، وهو دلالة وانعكاس للوضع الإجتماعي والديني الذي

---

[1]- القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، 248.

[2]- سورة يونس، الآية 62.

[3]- سورة الأنفال، الآية 72.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 116.

[5]- لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 30.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 123.

وصلت إليه الجماعة، وفي هذا يقول القاضي النعمان:" وتحامى الناس المصائب وتركوا الاختلاف في المذهب وصاروا على أمر واحد يسمون إخوانا"[2]، وقد اقتفى الداعية في هذا العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دخل المدينة المنورة وآخا بين المهاجرين والأنصار.

وقد عرفت هذه التسمية ببلاد المغرب ولازالت، كما عرف بها في المشرق إخوان الصفا، واستخدمت لاحقا في فترات متأخرة وفي الفترة الحديثة في الزوايا[3].

ج: الألقاب المتعلقة بالوظائف والمهام

لقد وردت ضمن مؤلف" افتتاح الدعوة "لصاحبه القاضي النعمان، ومؤلف" عيون الأخبار" لصاحبه "الداعي إدريس القرشي" العديد من الألقاب الخاصة بالوظائف والمهام التي كانت من اختصاص الجماعة الإسماعيلية الناشئة بالبلاد الكتامية، ويلاحظ على هذه الألقاب أنها كانت تحمل العديد من الدلالات كلها تصب في خدمة الدعوة ومشروعها، وهذه الألقاب نوضحها فيما يلي:

ألقاب الوظائف	دلالة اللقب
الدعاة	دينية
المقدمين	اجتماعية
المشايخ	اجتماعية – دينية
الرسل	دبلوماسية – عسكرية

جدول يوضح الألقاب المتعلقة بالوظائف التي اختصت بها الجماعة الإسماعيلية

1: الدعاة

اعتنى الفاطميون بشؤون الدعوة أشد الاعتناء وخصصوا لها جميع جهودهم المبذولة قبل قيام دولتهم، وأثنائها، ثم بعدها[4]، وقد كانت الدعوة الإسماعيلية في البيئة المغربية من اختصاص **دعاة عرب مشارقة وأندلسيين**

---

[1]- يذكر موسى لقبال:" كان كل مستجيب للدعوة، يعتبر أخا، لبقية إخوانه المستجيبين، لا يخاطب بغير يا(أخانا). أما الأخ الأكبر، فهو الداعي نفسه. والتحية بين الإخوان ليست مصافحة، وإنما تكون بالمعانقة، كمبالغة في التقريب بين المستجيبين للدعوة، وتمييزا لهم عن المعارضين أو المترددين". ينظر: لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 30- 31.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 123

[3]- سامعي إسماعيل، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ/10م، 116.

[4]- نجم الدين يوسف، الأئمة الفاطميون، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، (المهدية/ تونس: منشورات الحياة الثقافية، 1977)، 271.

أشرفوا على بلاد المغرب سواء بتكليف من القيادة الإسماعيلية في سلمية أو اليمن (أبو سفيان –الحلواني –أبو عبد الله الشيعي)، أو من خلال وصاية دعاة المغرب – أبو عبد الله الأندلسي– [1]، أما الجهود الدعوية فقد كانت في مرحلتها الأولى تتسم بطابع السلمية والعمومية وكلها تبشر بصاحب البذر، غير أنه في سنة280 هـ/893م ومع وصول أبي عبد الله الشيعي رفقة وفد الحج الكتامي وانتشار دعوته على نطاق واسع في المجال الكتامي تكون جيل جديد من دعاة البربر والذين تشبعوا بتعاليم الدعوة، وأصبحوا الحجر الأساس ضمن مشروع تشييع قبائل المنطقة، وقد كان لهؤلاء الدعاة مكانة عظيمة وعناية خاصة من طرف الداعية وأخيه ولاسيما من الكتاميين المستقرين الجدد على أرض المغرب الأدنى، فقد أورد صاحب المناظرات على أن أبا العباس المخطوم كان يكرم أهل دعوته ويأمر عماله وقضاته بتقريبهم وحفظهم[2].

ولم تنته مهمة الدعاة الكتاميين في بلاد المغرب الأوسط فقط بل إنهم كانوا في بلاد إفريقية في مرحلة تكوين دائم، حيث كانوا يجتمعون في بيوت خاصة بالدعوة والتي من بينها دار ابن الهيثم وبها كانوا يسمعون "كتب الفقه وفضائل أل محمد صلى الله عليه وأله[3] "، ويعتبر الداعي أفلح بن هارون الملوسي أبرز وأكبر داع أنجبته قبيلة كتامة، وقد قام بدور كبيرفي مؤازرة الجماعة الإسماعيلية سواء في مرحلة الدعوة في البيئة الكتامية أو في مرحلة الدولة، وفيها شغل منصب قاضي القضاة وهو أعلى منصب في الخلافة الفاطمية، يجمع فيه صاحبه بين خطة القضاء وشؤون الدعوة.

2: المقدمون

لقب اجتماعي خاص ببياض القوم ونخبهم، والذين كانت كلمتهم مسموعة بين أهاليهم وقبائلهم وفي الأرياف[4]، وكان الداعية أبو عبد الله الشيعي دائم الاهتمام بهم لأنه في بداية الدعوة كانت القبائل لا تأتمر إلا بأمرهم لهذا حرص على استمالتهم وكسب ودهم وولائهم، وكان هؤلاء المقدمون يشملون الشباب والشيوخ، وكانوا هم المشرفون على الجيش بعد تقسيمه إلى أسباع[5].

3: المشايخ

[1]– سامعي إسماعيل– محمد بن عربة، البيوتات العربية في المغرب الأوسط، 181.

[2]– ابن الهيثم، 115.

[3]– نفسه، 115

[4]– موسى لقبال، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 31.

[5]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 124.

يحتل شيخ القبيلة في التركيبة الاجتماعية للقبائل المغربية دورا كبيرا ومحوريا، فهو قائدها العام والمشرف على نواحي حياتها، وأثناء رحلة الداعية من الحج نحو بلاد المغرب أدرك القيمة والمكانة التي يحتلها المشايخ في القبائل الكتامية وهذا من خلال ما أطلعه به وفد الحج المغربي وأبلغوه بأن لهم " أكابر في كل قبيلة"[1]، وقد انقسم هؤلاء المشايخ إلى قسمين: قسم منهم احتضن الدعوة وحمى الداعية أبا عبد الله، أما القسم الآخر فقاموا بمعادات الداعية وحاربوه[2]، وأتبعهم في ذلك قبائلهم حتى قاربت بعض بطونهم الهلاك نظير الحروب التي خاضتها ومن بين هؤلاء المعادين للدعوة: تميم بن فحل شيخ لطاية، وفتح بن يحي أمير وشيخ مسالتة، ولم يكن هؤلاء المشايخ فقط أصحاب مكانة اجتماعية بل أصبحت لهم مكانة دينية بسبب أن الداعية اصطفاهم ولقنهم الحكمة وكلف البعض منهم بالإشراف على المدن وتولي القضاء فيها، وظلوا في المرحلة اللاحقة محل احتفال وتكريم من طرف الخلفاء الذين أدركوا مكانته، وحتى خطورتهم وهذا منذ أن حاول الكثير منهم الانقلاب على الخليفة عبيد الله المهدي[3].

4: الرسل

مفردها رسول وهو الشخص الحامل للرسائل وقد كانت هذه المهمة من ضمن أخطر المهام وأكثرها سرية في تنظيم الدعوة الإسماعيلية بسبب:

– بعد المسافة مابين بلاد المغرب ومركز القيادة في سلمية.

– اكتشاف شخصية عبيد الله المهدي ومطاردته من طرف العباسيين الذين كانوا يتتبعون كل من هو قادم من المغرب محاولة منهم الوصول إليه[4].

– اتساع مجال وصلاحيات عملهم حتى أنهم كلفوا بتخليص المهدي لثقة الداعية فيهم، وهذا أثناء وقوع الخليفة عبيد الله تحت أسر بني مدرار.

وقد كان الداعية طوال تأديته لمهمته في بلاد المغرب دائم التواصل مع القيادة الإسماعيلية في سلمية، ومع الخليفة عبيد الله المهدي سواء أثناء انتقاله نحو المغرب أو حتى استقراره في سجلماسة وسجنه، ومن هؤلاء من هم من

---

[1]– نفسه، 37.

[2] –يفسر موسى لقبال سبب معاداة فئة كبيرة سكنت مجالات كتامة للدعوة بأنها كانت من ساكنة المدن وصاحبة ثراء وكانت متخوفة من فقدان امتيازاتها ومكانتها. لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 31.

[3]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 306– 318. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 117– 122. تقي الدين المقريزي، اتعاظ الحنفا، 70– 71.

[4]– محمد بن محمد اليماني،109– 111. هاينز هالم، إمبراطورية المهدي، 105– 106.

يعول عليهم في مسألة التواصل، وعندما يختار لذلك من يختاره، يطلب منه أن لا يطلع أحدا عليه من أهل ولا ولد، ولا يعرف أحد منهم حيث يسير ولا أين يتوجه، فلا يزال مفقودا عنهم حتى يأتيه[1]، وهؤلاء الرسل في بعثاتهمكان يرسل معهم الداعية "الأموال العظيمة، فيحملونها، فيسترون ويمشون في حال الضعفاء وحجيج أطراف المغرب في الأطمار والأخلاق، حتى يوصلوا مايبعث معهم إلى الإمام ثم يرجعون كذلك على مثل حالهم " .[2] ومن بين هؤلاء الرسل المبعوثين إلى بلاد المشرق الإسلامي علي بن حمدون الأندلسي والذي "نفق عند عبيد الله بذكاء كان فيه، وأرسل به إلى المشرق في بعض ماترسل الملوك فيه، فأحكم له شأنه..."[3].

ولم تكن تقتصر مهام هؤلاء الرسل على نقل الأخبار والرسائل والأموال فحسب بل أسندت إليهم مهام أخرى، ولعل أهمها تلك التي ارتبطت بتخليص المهدي غير أنها فشلت، وكان هؤلاء الرسل أحيانا يتعرضون للقتل من طرف أعداؤهم، ومن أمثلة ذلك الوفد الذي أرسله الداعية إلى حاكم سجلماسة يأمره بإطلاق سراح المهدي بحيث إنه "لما وصلت الرسل بكتابه رمى به بعد أن علم مافيه وأمر بقتلهم فقتلوا[4]."

ج :الألقاب المتعلقة بالأشخاص

الداعية	اللقب الخاص به	دلالات اللقب
أبو عبد الله الشيعي	السيد	دلالة اجتماعية
	المشرقي	دلالة جغرافية
	الصنعاني	دلالة جغرافية
	صاحب البدر	دلالة وظيفية
	الشيعي	دلالة مذهبية
	المعلم	دلالة علمية لاحترافه مهنة التعليم
	الإيكجاني	دلالة جغرافية
	الحجاني	-
	الأهوازي	دلالة جغرافية

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 126- 127.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 127.

[3]- ابن حيان الأندلسي، 23. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 107. سامعي إسماعيل- بن عربة محمد، البيوتات العربية في المغرب الأوسط وإسهاماتها في الدعوة الإسماعيلية قبيل 296هـ/909م البيت الحمدوني أنموذجا، 186.

[4]- القاضي النعمان، 278. ابن عذاري المراكشي، 171.

	صاحب البغلة الشهباء	صفة لاصقة به لامتطائه بغلة شهباء أثناء تنقله
	الداعي	دلالة مذهبية
	المحتسب	دلالة دينية
	الصوفي	دلالة دينية
أبو عبد الله الأندلسي	الأندلسي	جغرافية

كان لقدوم الداعية أبا عبد الله الشيعي ومباشرته لدعوته بشقيها السلمي والعسكري الأثر الكبير والفعال في تغيير معالم المنطقة وإسقاط دولها وتغيير مجتمعاتها، ويبدو أن الأغالبة منذ البداية كانوا على علم بخطورة مايدعو إليه وسط العديد من القبائل الممتنعة بعددها وجغرافيتها، لذلك فإن هذا الأخير نسبت إليه العديد من الألقاب، عملت له دعاية غير مباشرة من تعظيم وتهويل أمره، ومن بين هذه الألقاب مايلي:

ألقاب الداعية أبي عبد الله الجغرافية:

هي ألقاب كلها كانت توحي بأن هذا الشخص غريب عن المنطقة والتي من بينها:

المشرقي:

كان يسمى في بلاد المغرب باسم"عبد الله المشرقي"، نظرا لقدومه من بلاد المشرق[1].

الصنعاني:

نسبة إلى الموطن الأخير الذي مكث فيه وهو صنعاء كبرى حواضر اليمن [2] قبيل التوجه نحو البقاع المقدسة ومنها نحو بلاد المغرب[3]، وقد كان يدعى عليه من منابر إفريقية بذلك ويقولون "اللهم إن كان هذا الكافر **الصنعاني** قد استشرى شره، واستمرى مرتعه، كافرا لنعمتك، مبدلا لدينك، مخالفا لكتابك ! اللهم فالعنه لعنا وبيلا.."[4].

الكوفي:

[1]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 52. ابن عذارى المراكشي، 171. المقريزي تقي الدين، المقفى الكبير، 27. لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 24.

[2]- المقريزي تقي الدين، المقفى الكبير، 25.

[3]- ابن عذارى المراكشي، 168. ابن الأثير عز الدين، 450.

[4]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 33. القاضي النعمان، شرح الأخبار، 413. لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 24.

بحكم أن العديد من المصادر تذكر أن أصله ونشأته كان بالكوفة ثاني كبرى حواضر العراق خلال العصر العباسي، والتي كانت رمزا ومعقلا للشيعة[1].

الأهوازي:

نسبة إلى بلاد الأهواز والتي كانت أنذاك جزء من أجزاء العراق واليوم تابعة لإيران، وكانت معروفة بتعدد مذاهبها وعرقياتها ومخالفتها دار الخلافة العباسية[2].

الإيكجاني:

نسبة إلى إيكجان وهي الموطن الذي نزل فيه الداعية ومنه باشر دعوت، وهو موجود حاليا ضمن ولاية سطيف في منطقة تدعى "ببني عزيز" والتي تبعد عن سطيف بحوالي 50كلم، ولقب الإيكجاني أطلق عليه بكثرة من طرف المصادر الإباضية، مع وجود تحريف حيث كان اللقب "الحجاني"[3].

ألقاب الداعية أبي عبد الله الوظيفية

المعلم:

إن لقب المعلم[4] هو من بين الألقاب التي تلقب بها الداعية أبو عبد الله الشيعي، علما أن الإسماعيليين عرفوا بالتعليمية، ومعظم دعاتهم الناشطون في جزرهم بدأوا التسلل إلى المجتمعات من باب وزاوية التعليم، ونفس الأمر وقع مع داعية المغرب والذي أخبر وفد حجاج كتامة بأنه يبتغي التعليم، وبعد نزوله في إيكجان من كتامة كان مشهورا عنه بأنه كان "يعلم الصبيان، واجتهد في تعليم الأولاد[5]"، ولقب المعلم هو من بين أهم الألقاب

---

[1]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 30. الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، 92. الذهبي شمس الدين ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 936. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 51.

[2]- المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 51. لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 232- 233. لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 24.

[3]- يذكر الدرجيني" ... فصاحبهم حتى أنزلوه قلعة إيكجان بنظر ميلة، من بلاد كتامة، فلذلك قيل له الإيكجاني...". الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، 92. الباروني سليمان، 345.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 41. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 51.

[5]- ابن عذارى المراكشي، 171.

التي أطلقها مؤرخوا الإسماعيلية المعاصرون للداعية أبي عبد الله، ولعل من بينهم" جعفر بن منصور اليمن"[1] صاحب مؤلف " أسرار النطقاء "والذي وصفه قائلا:... وقويت دعوته، وعلا أمره وسار **المعلم** من تحت يده إلى المغرب..."[2]

صاحب البذر:

لقب نفسه ولقب بذلك بسبب الوظيفة التي تولاها، وهو بذر الدعوة الإسماعيلية في أرض كتامة ومجتمعها عن طريق التعليم بعد مرحلة الحرث والتي مهد له فيها أبو سفيان والحلواني[3].

الداعي:

نسبة إلى المهمة التي تكون لأجلها، والتي أوكلت له بنشرها، وقد ذكر صاحب مؤلف "زهر المعاني "بأن أبا عبد الله الشيعي هو "**داعية** المهدي **وصاحب الدعوة** ببلاد المغرب[4].

المحتسب:

أطلق عليه لقب المحتسب بسبب اشتغاله على خطة الحسبة لما كان مقيما بالبصرة بالعراق، فكان يطلق عليه لقب" المحتسب"[5]، أو " المحتسب لله"[6].

السيد:

هذا اللقب يحمل دلالة اجتماعية، وقد كان يطلق على علية القوم وكبرائهم، وأطلقته العرب على حسب ماورد عند القاضي النعمان على "صاحب أمرها –والشريف فيها هو السيد"–، وهو ما انطبق على أبي عبد الله،

---

[1]– جعفر بن منصور اليمن: هو جعفر بن منصور اليمن الحسن بن فرج بن حوشب بن زدان الكوفي، ولد وعاش في اليمن وتلقى علوم الدعوة من أبيه، بعد وفاة والده وتخاصمه مع أخيه الحسن والذي انشق عن الخلافة، هاجر إلى بلاد المغرب لخدمة الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي سنة 322هـ/933م غير أنه وجده توفي، فقدم خدماته للخلفاء الذين عاصرهم، وحارب سنة 335هـ/947م في جيش المنصور صد ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد، وترقى في مراتب الدعوة حتى بلغ أعلى رجاتها، كما أنه أنتج بكثرة من بين عناوينه: كتاب الكشف، سرائر وأسرار النطقاء، تأويل الحروف، خزائن الأدلة...، أثنى على خدماته الداعي إدريس القرشي وقال عنه:" وانتهى إلى أن بلغ مبلغا عظيما عند الأئمة... وبلغ مرتبة الأبواب الفائزين بعلو الدرجات..."، توفي بعد سنة 347هـ/957م. ينظر: دفتري فرهاد، معجم تاريخ الإسماعيلية، 115.

[2]– جعفر بن منصور اليمن، سرائر وأسرار النطقاء، تح– تق: مصطفى غالب، (ط1، دمشق، سوريا، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1984)، 263.

[3]– المقريزي تقي الدين، المقفى الكبير، 28.

[4]– الداعي إدريس القرشي، زهر المعاني، 218.

[5]– محمد بن علي بن حماد، 37. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 51. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 41.

[6]– الأصفهاني عماد الدين، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام التدمري، (ط1، صيدا– بيروت/ لبنان: المكتبة العصرية، العصرية، 2002)، 211. لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 24.

الذي كان من دهاة العرب وصاحب أمر كتامة[1]، ويبدو أن هذا اللقب قد حمله العديد من هؤلاء الذين جاءوا مع الداعية أبي عبد الله أو من الذين تبعوه إلى بلاد المغرب بعد نزوله فيها، ومنهم شخصية لا تزال غامضة والمعلومات عنها منعدمة، عدا ما أشار إليه القاضي النعمان وهذه الشخصية هو" إبراهيم "الذي لقب" بالسيد الصغير "كما أنه لقب بالهواري، وذلك أن الداعية أبا عبد الله أنزله معه قبل قبيل ظهور أمره عند بعض شيوخ كتامة، فسأله بعضهم: من هذا الرجل ؟ قال :هواري فلزمه هذا الإسم.[2] والمعلومات عن هذا الشخص قليلة وربما يرجع السبب في ذلك إلى كونه " لم يكن بمحمود الفعل[3]"، لكن ابن عذاري المراكشي يقدم لنا معلومة في غاية الأهمية تذكر أنه إلى غاية سنة296هـ/909م كان لايزال حيا، وأنه تولى إدارة مدينة تاهرت وفي هذا يقول": ثم ولي أبو عبد الله على تيهرت دواس بن صولات اللهيصي، وإبراهيم بن محمد الهواري"[4].

الصوفي:

لقب ديني وحتى اجتماعي أطلق على الداعية أبي عبد الله الشيعي وبه عرف(أبي عبد الله الصوفي)[5]، دلالة على تدينه الكبير وارتدائه الصوف الخشن، والأردية الغلاظ، والمرقع والذي هو وسم الصوفية[6].

ثانيا :تنظيمات مجتمع الدعوة

تنظيم الدعوة:

البنية السباعية

لم يكن الداعية أبو عبد الله الشيعي وهو يشرف على الجوانب الدعوية في البيئة الكتامية يتصرف في التنظيم بمنأى عن التقاليد الإسماعيلية، فبالإضافة إلى تمكنه وتفقهه في الفقه الشيعي حظي بدورة تكوينية على مدار سنتين في اليمن، وفيها عاين وتلقى تفاصيل التنظيم وبنيته وهيكلته وفق النموذج الإسماعيلي، ومن ذلك عمد إلى النظام والبنية السباعية حيث قام بتقسيم كتامة إلى أسباع ويرجح أن يكون هذا التقسيم مرده إلى تقديس الشيعة

---

[1]- لقبال موسى، ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، 24.

[2]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 32.

[3]- نفسه، 32.

[4]- ابن عذاري المراكشي، 186.

[5]- ابن خوندشاه محمد، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلف- تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وأل بويه والإسماعيلية والملاحدة- تر- تع: أحمد عبد القادر الشادلي- مر- تق: السباعي محمد السباعي، (ط1، القاهرة/ مصر: الدار المصرية للكتاب والنشر والتوزيع، 1988)، 219.

[6]- النشار علي سامي، 368. لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 232.

الإسماعيلية للرقم سبعة[1]، إذ أن الأئمة نظموا دعوتهم وفق نظام دورة الفلك "وقالوا إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبع[2]"، وهذا في إطار بحثهم عن فلسفة دينية خاصة بهدف التفرد عن غيرها من الجماعات والفرق[3]، وعلى حسبهم أن النظام كله يقوم على الرقم سبعة "فالأدوار سبعة، والنطقاء سبعة، والأئمة سبعة، والسموات سبع والأرضون سبع، وأيام الأسبوع سبعة، وفي الجسد سبع قوى فعالة جسمانية هي :الجاذبة، والماسكة، والهاضمة، والدافعة، والغازية، والنامية، والمصورة، وسبع قوى روحانية هي : الباصرة، والسامعة، والذائقة، والشامة، واللامسة، والناطقة، والعاقلة[4]."

وعن هذا التقسيم وإسقاطه على دعوة المغرب يذكر القاضي النعمان أنه كان ... " أسباعا، وجعل لكل سبع منها عسكرا، وقدم عليه مقدما، وأطلق بكل موضع داعيا، وسمى المقدمين والدعاة المشايخ"[5].

أصناف الدعاة:

1: الداعي المطلق

ويسمى أيضا بداعي الدعاة ويسمى بالحجة، وهو في التنظيم الإسماعيلي المسؤول عن الجزيرة، وهو الرئيس الإداري لتنظيم الدعوة، وهو أعلى مرتبة بعد الإمام، وقد انحصرت مهمته في "تعليم العبادة العلمية ونشر التأويل وتعريف الحدود[6]"، وكان يتفرع عنه ثلاثون داعيا نقيبا، ولكل داعية نقيب أربعة وعشرون داعيا، وكان الداعية أبو أبو عبد الله الشيعي هو المسؤول عن جزيرة بلاد المغرب في التقسيم الإسماعيلي، ولم يكن إسناد جزيرة المغرب في

---

[1]- النوبختي الحسن بن موسى(ت أواخر ق3هـ/9م)، فرق الشيعة، تح: دكتور عبد المنعم الحفني، (ط1، بيروت/ لبنان: منشورات الرضا، 2012)، 122.

اليماني علي بن الوليد (ت612هـ/1215م)، الذخيرة في الحقيقة، تح: محمد حسن الأعظمي، (بيروت/ لبنان: دار الثقافة، 1971)، 116. السجستاني أبو يعقوب إسحاق بن أحمد(توفي بعد سنة386هـ/996م)، كتاب الافتخار، تح- تق: إسماعيل قربان- حسين بوناوالا، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2000)، 143- 144. دفتري فرهاد، تاريخ الإسلام الشيعي، تر: سيف الدين القصير، (ط1، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: معهد الدراسات الإسماعيلية- دار الساقي، 2017)، 150.

[2]- الشهرستاني أبي الفتح، 200.

[3]- نوح علي، الخطاب الإسماعيلي في التجديد الفكري الإسلامي المعاصر، إشراف: علي زيعور، (دمشق/ سوريا: دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، 1994)، 75.

[4]- سامعي إسماعيل، القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب القرن4هـ/10م، 280-282.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 124- 125.

[6]- الكرماني أحمد حميد الدين الداعي، راحة العقل، تق-تح: مصطفى غالب، (ط2، دمشق/ سوريا: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1983)، 252.

التقسيم الإسماعيلي إلى شخصه مجرد صدفة بل إنه بالمقارنة مع دعاة عصره إذ كان يمتلك العديد من الصفات والمهارات التي أهلته لتولي جزيرة المغرب والتي كانت تبعد عن مركز الإمامة في سلمية، كما أنها تميزت بتركيبة اجتماعية خاصة بغالبية من العنصر البربري وبفسيفساء مذهبية جمعت بين الخارجية والمالكية والأحناف[1] وحتى بعض الأقليات كالزيدية وغيرها من مذاهب شاذة كالبجلية، ومن بين تلك الصفات التي أهلته لذلك أنه كان " لطيفا عاقلا عالما بالتأويل[2] "وكان لهذا العلم أثره في سحر ألباب الكتاميين الذين اعتادوا على مشاهدة أمور ظاهرية بسيطة من طرف المعلمين المدرسين عندهم في حين أن الداعية بسحر بيانه وثقل حجته وغوصه في علم الباطن استطاع سحرهم، يضاف إلى ذلك عامل الزهد والتصوف فطوال الفترة التي كان يحارب فيها لم تظهر عليه إشارات ملك وتملك أو استبداد بل على العكس من ذلك كان دائم التواضع في شخصه وملبسه، بالإضافة لخبرته العسكرية التي إكتسبها خلال دورته التكوينية في اليمن، وعلى الرغم من تقدمه في السن وخوف الكتاميين عليه إلا أنه كان يشرف على الحروب ويخوضها مقتحما رفقة أتباعه وكانت جميع معارك المدن الكبرى يخوضها بنفسه مخططا لها وشجاعته هي التي جعلت الكتاميين يتبعونه في السراء والضراء .

الدعاة النقباء:

يأتون في الدرجة الثانية بعد الداعي المطلق وتقسيمهم في التنظير الإسماعيلي يبلغ ثلاثين داعيا غير أن المعلومات حول هؤلاء في مجتمع الدعوة الكتامي فهي شبه منعدمة، والجدير بالذكر أن وجودهم لم يكن مقتصرا على مجال كتامة فقط لأن المغرب كان جزيرة ويجمع بين المغربين الأدنى والأوسط، غير أن ابن الهيثم في مناظراته أشار إلى دعاة كتاميين التقى بهم واستضافهم في بيته ونهل من علومهم وفي هذا يقول:" واجتنيت من ثمارهم ظاهرة وباطنة، وما منهم أحد إلا وقد نزل عندي ودخل داري..."[3]

لا تتوفر لدينا المعلومات الدقيقة والكافية للقول أن عدد النقباء في بلاد المغرب كان يساوي 30 نقيبا، غير أننا نرجح أن هذا التقسيم لم يكن حاصلا بجزيرة المغرب بسبب اتساعها (مغرب أدنى ومغرب أوسط) واشتمالها على العديد من العرقيات(العرب والبربر)، ولكن من غير المستبعد أن يكون عدد النقباء هو سبعة، ويساعدهم في الدعوة عدد من" الدعاة والمقدمين والمشايخ "والذي حظوا بدرجة عالية من التكوين، وعلى ما يبدو أن عددهم

[1]- لتفاصيل أكثر عن الأحناف في بلاد المغرب الإسلامي وأدوارهم ينظر: إسماعيل سامعي، دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري(8-11م)، (عين مليلة/ الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2006).

[2]- القاضي النعمان، شرح الأخبار، 415.

[3]- ابن الهيثم، 121.

ليس بالقليل ونستدل على ذلك من خلال الإشارة التي قدمها جعفر الحاجب حول دخول جيش الداعية أبو عبد الله الشيعي سجلماسة وتخليص الإمام من قبضة المدراريين، حيث وضح أنه في مراسيم البيعة بدأ الداعية ينادي " بأسماء الدعاة والقواد يقدمهم عشرة عشرة..."[1].

المشايخ:

يعتبر نظام المشيخة هو النظام القبلي المتأصل ببلاد المغرب، فقد كان لكل قبيلة شيخ خاص بها يسير أمورها رفقة العديد من المشايخ والذين هم بدورهم رؤساء لأفخاذها وبطونها وتفرعاتها، وقد كان هؤلاء المشايخ جزءا هاما ومحوريا في تنظيم بنية الدعوة الإسماعيلية وهذا باحتلالهم المرتبة الثالثة في التنظيم الهرمي الدعوي بدءا بالداعي الأكبر ثم النقباء ثم المشايخ، غير أن هذه الطبقة في الدعوة لم تكن تقتصر على كبار السن بل وعلى حسب ما أورده صاحب مؤلف الافتتاح "كان فيهم من لم يبلغ السن"[2].

أثر المنظومة العسكرية على مجتمع الدعوة

لم تكن المنطقة التي نزل بها الداعية أبو عبد الله الشيعي مجالا ذا طابع وثقل مدني وحضاري، كتلك المجالات التي ضمت المدن الكبرى في بلاد المغرب كالقيروان، وتاهرت، وفاس، أو حتى تلك المدن الصغرى التي كان يضمها المجال الكتامي والتي خضعت لحكم الأغالبة كمدينتي سطيف، وميلة وغيرهما، وبالتالي فإن المنطقة كانت خارجة عن مجال الحاميات والحصون العسكرية وكغيرها من قبائل المغرب كان يمتاز سكانها بالفروسية والنجدة وغير منظمين إلى صفوف العسكرية، والشائع عنهم أنهم كانوا يحاربون بعضهم بعضا ويصطلحون بعد كل قتال، وهذا ما لاحظه الداعية أبو عبد الله الشيعي وهو في طريقه نحو بلاد المغرب[3]، لكن مع استقرار هذا الأخير حاول استثمار ذالك العامل البشري والمتمثل في عدد السكان، والعامل الجغرافي والمرتبط بالحصانة والموارد، والعامل الإجتماعي والمتمثل في طبائع تلك القبائل التي كانت تجري في دمائها الفروسية والحروب، وبالفعل تمكن من إخراج كتامة من الجبال والمنحدرات إلى السهول والمناطق المفتوحة، ومن الفضاءات الضيقة إلى المدن والمجالات

[1]- اليماني محمد بن محمد، 130.
[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 125.
[3]- نفسه، 37- 38.

الواسعة، ومن المغرب الأوسط إلى افريقية وبلاد المغرب الإسلامي، بل إنها(كتامة) انتشرت لاحقا وأصبحت مكونا هاما من مكونات مجتمع مصر وبلاد المشرق الإسلامي إلى غاية سقوط الخلافة الفاطمية.

لقد كان الداعية أبو عبد الله الشيعي يهدف إلى بناء جيش عقائدي يضمن استمرار الدعوة وانتصاراها دون التعرض لخطر الانقسام بسبب الصراعات القبلية، وقد كان هذا الجيش في بدايات تكوينه جيشا بدائيا يعتمد في التجنيد على فئة المتطوعين من أبناء كتامة الذين كانوا جد متحمسين لدعوة أبي عبد الله الشيعي، وقد كانت نواته تضم فئة صغيرة من قبائل مختلفة من مجتمع كتامة السباقة إلى الدعوة والمحتضنة لها، وكانت مهمتها الحرص على أمن وسلامة الداعية أبي عبد الله والتي يمكن لنا أن نشبهها **بجيش حرص خاص** كان يحميه من قبائل كتامة المعارضة للمشروع الإسماعيلي وجند الأغالبة وعيونهم المتربصة بالداعية.

ورغم تطور الجيش في السنوات اللاحقة غير أن الداعية احتفظ بنوع من تنظيم مصغر إلى جانبه(الحرس الخاص) وحسبنا في هذا ما شاهده ابن الهيثم في القيروان حيث قال: كان" يتولى باب أبي عبد الله خمسون رجلا من أهل الذين والبصائر واليقين..."[1]، وهكذا مع انتشار الدعوة وتغلغلها داخل مختلف قبائل كتامة استطاع الداعية أن يكسب قوة ديمغرافية كبيرة حريصة على تقديم الولاء للعقيدة ولشخص الداعية.

والجدير بالذكر أن الداعية أبا عبد الله كان يحشد جيشه من خلال مراسلة" رؤساء القبائل، فيحشدون من إليهم، طاعة له ورغبة فيه، وكان لايزيدهم في كتابه إليهم على أن يقول: إن الوعد يوم كذا في موضع كذا، ويصرخ صارخ بين يديه: حرام على من تخلف، فلا يتخلف أحد من كتامة..."[2] .

وقد كانت هذه المنظومة مع مرور الزمن واتساع المجال وسقوط المدن وازدياد عدد الأتباع محل تطوير وتقنين وتنظيم، حيث عمد الداعية إلى إنشاء "ديوان الجند" بتنظيم خاص يرتكز على الفلسفة الإسماعيلية السبعية، وهذا بتقسيمه لكتامة القبيلة والأرض إلى سبعة جيوش، وفي هذا يذكر القاضي النعمان: " وقسم كتامة أسباعا، وجعل لكل سبع منها عسكرا، وقدم عليه مقدما"[3]، وكان لهذه التقسيمات وتنظيمها أثر كبير على مجتمع الدعوة، حيث أن الدعوة كانت تتوافق مع تنظيم العسكر، ولم يقتصر هذا التوافق على طبقة واحدة بل كانت الجندية تشمل الجماعة بأكملها من شيوخ، وعامة، ورجال بل وحتى النساء.

أثر النظام القضائي على مجتمع الدعوة:

[1]- ابن الهيثم، 04.

[2]- ابن عذاري المراكشي، 181.

[3]- القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، 124- 125.

إن تعيين الداعية أبا عبد الله الشيعي على رأس جزيرة بلاد المغرب يعني أنه يتولى جميع الصلاحيات المخولة له من طرف الإمام كنائب عنه يشرف ويقرر على مجموعة من التنظيمات أهمها: المنظومة القضائية.

لقد كانت المنظومة القضائية في بلاد كتامة منقسمة إلى قسمين رئيسيين، ففي المدن الكبرى كمدينة ميلة أو حتى في الواحات المتواجدة في بلاد الزاب كان يشرف عليها قضاة عرب يعينون من طرف الحاكم الأغلبي، وكانت التشريعات القضائية عندهم تطبق غالبا وفقا للمذهب الحنفي كونة السباق في الانتشار ومحمي بشوكة السلطان الأغلبي[1]، أما في البوادي فالقبائل التي كانت بعيدة عن الحاميات العسكرية فإن القضاء فيها كان تحت تصرف مشايخ القبائل، حيث كانوا يتحاكمون إليهم فيما يكون بينهم " فمن حكموا عليه لزم نفسه ما ألزموه، وإن عند ذلك قامت الجماعة عليه..."[2].

ومما لا ريب فيه أن دعوة أبا عبد الله الشيعي كانت تهدف ومنذ الوهلة الأولى إلى تشييع الناس وتطويعهم والتحكم في تصرفاتهم وفق ما يذهب إليه المذهب الإسماعيلي، وقد جهد الداعي في هذا إجهادا كبيرا وذلك من خلال إحلال تعاليمه محل عادات وتقاليد المجتمع الكتامي، كما عمد إلى إجراءات ردعية لكل من شذ عن الجماعة وخرج عن مسارها وفي هذا يذكر القاضي النعمان:" فوزن الناس أعمالهم، وحاسبوا أنفسهم، وعلموا أنه لا يغفل عنهم، وصلحت أحوالهم، ثم غلظ في العقوبات لمن يستحق التغليظ منهم ..."[3]، وقد كان الغرض من هذه السياسة تطهير هذا المجتمع تطهيرا كاملا، والتحكم فيه، بل إننا نجده استعمل في تأديب ومعاقبة المخطئين من أتباعه أصنافا عديدة وشديدة من العقوبات، ومن جملتها أنه" أدبهم بالسيف، وعاقبهم بالخوف، وجعل ذلك بأيديهم، ولم يكله إلى غيرهم، ولا سلط عليه به سواهم..."[4]، وكان نتيجة هذه السياسة القضائية على المجتمع الكتامي أنه كان" صلاح من وجوه، فاقتصر عن الذنوب وتحامى عن فضائح العيوب عامة الناس خوفا ورغبة، وتقية ورهبة، وأيقنوا أنه لا رخصة فيه، ولا صفح عنها، فانحسمت أطماعهم منها، وانقطع الفساد والخيانة، وفشا الورع في الدين والأمانة"[5]، وأصبح المجال النازلين فيه أمنا لغيرهم لدرجة أن " التجار يسافرون بالأموال الصامتة، والنعم الظاهرة، يمر بها الواحد والاثنان في الجبال، والشعاب، والفلوات، والبراري، وموضع الخلاء، فيبيت حيث

---

[1]- علاوة عمارة، إنتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) قراءة سوسيولوجية، (ع56، مجلة أفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ديسمبر، 2007)، 26- 27.

[2]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 37.

[3]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 121.

[4]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 121.

[5]- نفسه، 121.

أمسى ويسير حيث أحب واشتهى كأنما هو في بيته، أو سوقه، يبيت أمنا، ويصبح سالما"[1]، بل الأكثر من ذلك فإن:" الضالة لتضل كالغنم من رعائها والدواب بسروجها ولجمها، فتجول في البراري والعمران، وبين الرجال والنساء والولدان، لا يلتفت منهم إليها ملتفت، ولا يطمع فيها طامع، ولا يرغب فيها راغب، تقيم كذلك الأيام والليالي حتى يأتي طالبها ويحضر صاحبها، وكذلك تسقط اللقيطة، فتقيم بموضعها المدة الطويلة، والأيام والليالي الكثيرة، حتى يأتي أهلها، أو من أضلها فيأخذها"[2]، وقد استمر الداعية في تطبيق منظومته وتشديد الحرص على تطبيق تعاليمه حتى مع دخوله إلى افريقية بحيث انه اتبع العديد من الإجراءات ضد الخمر والمنكرات الظاهرة[3].

ثالثا: قبائل الدعوة

كانت الدعوة الإسماعيلية في المجالات الكتامية وبلاد إفريقية تضم خليطا من الأعراق والقبائل، إختلفت في مواقفها بين من أيد دعوة أبي عبد الله وبين من رفضها، وبين من تحفظ عليها، غير أنها في النهاية كلها قد أذعنت له سلما وحربا وهذا بعد انتشار دعوته، وتزايد قوته، وامتداد حملاته والتي أطاحت سنة 296هـ/909م بكل من: بني رستم، وبني الأغلب، وبني مدرار ومن بين هذه القبائل نذكر مايلي:

أ: القبائل البربرية

1: كتامة

كانت قبيلة كتامة من أكثر القبائل التي شغلت حيزا جغرافيا كبيرا من أرض المغرب الأوسط، والذي امتد من بونة شرقا إلى حدود بجاية غربا، ولم يكن في بلاد المغرب" أكثر عددا ولا أشد شوكة، ولا أصعب مراما على السلطان، من كتامة"[4]، وقد ظلت هذه القبيلة في مختلف أطوار وجود الحركة الإسماعيلية في البيئة المغربية وحتى المشرقية بعد سنة 362هـ/972م مدافعة عن الدعوة والخليفة، وقد كان أفراد هذه القبيلة يشغلون الوظائف من دعوة، وقضاء، وسفارة، وقيادة العسكر، وإدارة الأقاليم والكور[5]، وقد كانت على حسب النسابة عبد الرحمان ابن ابن خلدون تنقسم إلى قسمين[6]، ومنهما تفرعت كامل القبيلة، وقد تشاركت بطونها في المجال والعادات والتقاليد،

---

[1]- نفسه، 122.

[2]- نفسه، 122- 123.

[3]- كوك مايكل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، تر: عبد الرحمن السالمي- عمار الجلاصي، (ط2، بيروت/ لبنان: الشبكة العربية للأبحاث، 2013، 443.

[4]- ابن عذارى المراكشي، 169.

[5]- بن عربة محمد، بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والإمارة الأغلبية، المرجع السابق، 87- 88.

[6]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج6/ 195- 196

والتقاليد، ومع تقدم الدعوة قرر الداعي تقسيمها إلى سبعة قبائل كبرى قلد لها مهام الدعوة والعسكر ونعتقد أن هذا كان بسبب:

- الثقل الديمغرافي لها.
- السبق في الدعوة.

ومن بين تلك القبائل الكتامية والتي شملتها الدعوة مايلي:

جيملة:

تعد قبيلة جيملة البربرية الكتامية أول وأهم قبيلة احتضنت الدعوة الشيعية الإسماعيلية وعلى أكتافها قامت الخلافة الفاطمية، وكانت مضارب هذه القبيلة تقع في المنطقة المسماة جيملة والبعيدة عن جيجل والقريبة من سطيف[1]، وعدت ضمن القبائل ذات البأس والشدة والعدد والأموال[2]، وقد كان لهذه القبيلة صلة وثيقة بالدعوة الإسماعيلية قد تكون قبل سنة 280هـ/893م، وكان أفرادها من أوائل الذين تواصلوا مع الداعية أبي عبد الله قبيل انطلاقه لبلاد المغرب وذلك في موسم الحج لعام280هـ/893م[3]، ومن بين هؤلاء حريث **الجيملي** الذي كان من بين الذين تشيعوا على يد الداعية الحلواني[4]، كما أن الداعية أبا عبد الله لما حل بمجالات كتامة استقبله أبو عبد الله الأندلسي والذي كانت زوجته جيملية[5].

ويرجع سبب اهتمام القيادة الإسماعيلية بقبيلة جيملة وربط المشروع الإسماعيلي الفاطمي بها للنقاط التالية:

- ثقلها الديمغرافي الهام.
- احتلالها موقعا استراتيجيا هاما يتوسط كل من مجالات جيجل، سطيف، ميلة.
- حصانة المنطقة الواقعة فيها من طرف الجيوش النظامية.
- ارتباطها بالأشعار والملاحم لاسيما مجال جيجل الجنوبي الحاضن لهذه القبيلة، والتي كانت الدعاية الشيعية تبشر بأن الجيش الخارج منها هو الذي يقيم خلافة المهدي ويزلزل أركان كل الدول وفي هذا يقول القاضي النعمان:

في الست والتسعين يأتيك العجب بعد كمال المائتين في رجب

---

[1]- خنوف علي، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، (الجزائر: منشورات الأنيس، 2011)، 87- 88.

[2]- بوبة مجاني، الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي، 163.

[3]- لواتي دلال، عامة القيروان في عصر الأغالبة، (ط1، القاهرة/ مصر: دار رؤية للنشر والتوزيع، 2015)، 593.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 34.

[5]- بوبة مجاني، الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي، 163.

ينفض من جيجل جيش ذو لجب أمضى من الجمر إذا الجمر التهب
من بربر يسعون من كل حدب ركبا ورجلا ما يملون التعب
قد ملأوا المشرق خوفا ورهب وأنزلوا بالغرب ذلا ونصب[1]

وقد كان لهذه القبيلة بطون عديدة تشاركت فيما بينها في نصرة الدعوة والداعية ومن بين أهم هذه البطون :

بنو سكتان:

يعد بنو سكتان من أهم فروع قبيلة جيملة التابعة لقبيلة كتامة، وقد عرف عن السكتانيون بأنهم أشد مناصرة للداعية أبي عبد الله الشيعي، وكان أول استقراره ببلاد كتامة في بلادهم وذلك سنة 280هـ/893م رفقة أبي عبد الله الأندلسي وبعض الذين اصطحبوه في رحلته من وفد حجاج كتامة وبلاد سماتة[2]، ولما بدأت أخبار حراكه في الانتشار تدافع عليه الأتباع وكان السكتانيون يتكفلون بضيافة من يأتيه-أبا عبد الله الشيعي- ويرد عليه ويحملون إليه نفقة الوفود[3]، ولما تحالفت قبائل كتامة ومعها أمراء المدن الأغلبية للإيقاع بأبي عبد الله علموا أنهم لا" يقدرون على أخده عنوة من أيدي بني سكتان، لأنهم لم يشكون بأنهم يمنعونه..."[4]، إضافة إلى الدعم الكبير الذي ستحظى به هذه القبيلة، حيث أنهم "إذا منعوه احتمى إليهم جميع جيملة ومن تقرب منها من قبيلة كتامة..."[5]، كتامة..."[5]، وكان أمير هذه القبيلة هو بيان بن صقلاب[6]، وبالرغم من أن هذا الأخير لم يكن بعد قد تشيع ودخل في حلف وجماعة أبي عبد الله إلا أنه كان أشد القوم دفاعا عنه ولعل ذلك راجع للأسباب التالية:

- اعتباره ضيفه بحكم أنه نزل عنده.

- إتباع أبي عبد الله مجموعة من كبار وجوه بني سكتان وتجنبه لإغضابهم وتفريق صف جماعته وقبيلته لو أنه أذى أبا عبد الله أوطرده.

- محاولة الإبقاء على أبي عبد الله لأنه قد يعزز من قيمة القبيلة وموطنها إيكجان، لأن مكانتها ونظرا لتواجده بها أصبحت من الناحية السياسية والإستراتيجية تفوق الحواضر الكتامية لدرجة أن الأمير الأغلبي أرسل من رقادة

[1]- القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 424.- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 68- 69.
[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 48.
[3]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 49. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 53.
[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 81.
[5]- نفسه، 81.
[6]- نفسه، 81.

بسفير يقابل أبا عبد الله ويدعوه لترك القبيلة والبلاد[1]، وعلى الرغم من الضغوطات الذي تعرض لها أمير بني سكتان بشتى الطرق وحتى التدخل العسكري غير أنه لم تسول له نفسه بتسليم الداعي، بيد أنه وبعد اشتداد الضغوطات قرر الداعية الخروج من حمى قبيلة بني سكتان ومركزها إيكجان والتوجه نحو تازروت مقر قبيلة غشمان، "وانتقل معه من استطاع النقلة من بني سكتان"[2].

وكان من بين القادة السكتانيين أبو جعفر السكتاني أحمد بن سليمان الذي يعد أول قائد عسكري كتامي وطئت قدماه أرض إفريقية، وهذا في إطار الإنتقام لقبيلة كرناية الزناتية التي قدم أحد أفرادها إلى أبي عبد الله يطلب منه الإنتقام من قصر أهل الإفريقي الذين اعتدوا عليهم[3]، أيضا من بين القادة والعسكريين الذين أنجبتهم القبيلة مكتداس الجيملي الذي ساهم بقوة في ضم مناطق كتامة في جهتها الشرقية على غرار تيجيس، وصولات بن القاسم السكتاني الذي أخضع مدينة تيفاش[4]، وأبو مكدول الجيملي الذي خرج في العديد من الحملات الصغيرة لإخضاع وإرهاب القبائل التي كانت تحادي مجالات كتامة في أقصى إفريقية وكان ذلك خلال سنة قبيل إسقاط دولة الاغالبة[5].

جدول يوضح أعلام قبيلة جيملة وبنو سكتان المنضوين تحت دعوة أبي عبد الله الشيعي

اسم المتشيع	القبيلة	زمن التشيع	الوظيفة
حريث الجيملي	جيملة	على يد الحلواني وحضر زمن الداعي	داعية
موسى بن مكارم	بني سكتان	على يد الحلواني وحضر زمن الداعي	أتباع
بيان بن صقلان	بني سكتان	على يد أبي عبد الله الشيعي	داعية
أبو جعفر أحمد بن سليم(الجرارة)	سكتان	على يد أبي عبد الله الشيعي	داعية
ابن مكتداس	جيملة	على يد أبي عبد الله الشيعي	قائد عسكري
أبا جعفر أحمد بن سليمان	بني سكتان	على يد أبي عبد الله الشيعي	قائد عسكري
الحكم بن تماست	بني سكتان	على يد أبي عبد الله الشيعي	أتباع
أبا مكدول الجيملي	جيملة	على يد أبي عبد الله الشيعي	قائد عسكري

[1]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 50- 52.
[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 87.
[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 210- 211.
[4]- نفسه، 212.
[5]- نفسه، 219- 222.

مسالته:

تعد قبيلة مسالتة[1] من أهم قبائل كتامة وقد استوطنت هذه القبيلة بالقرب من مدينة سطيف ومن بين بطونها من يعتنق المذهب الإباضي وهم بني عفيت، وقد ذكر القاضي النعمان أنه" ليس في جميع كتامة من يذهب إلى ذلك غيرهم، وهم نجد من مسالتة"[2]، وعن علاقة هذه القبيلة بالدعوة الإسماعيلية والخلافة الفاطمية فقد كانت – القبيلة– منقسمة إلى قسمين فإذا كان قد ظهر فيها شخصية هارون بن يونس بن موسى والمعروف بشيخ المشايخ[3] وهو من أوائل المناصرين لأبي عبد الله الشيعي فإنه في المقابل كان من بين أهلها من يكن العداء للجماعة وعلى رأسهم فتح بن يحي المسالتي والذي كان من أشد أعداء الدعوة وكان يدعى بالأمير[4] وقد " كان مطاع في قومه، وشديد في نفسه، ونجد بيده، وفارس مشهور في قومه"[5]، وكان من بين فروع مسالتة "أزاية"[6]، وكان لأبي عبد الله معه حروب وانتصر عليه في مواقع عديدة، وبعد التحاق غالبية قبيلة أزاية بالدعوة هرب إلى سطيف " وكاتب أبا عبد الله يسأله الأمان والدخول في أمره بعد أن أسلمت مسالتة كلها لأبي عبد الله، " فقبله أبو عبد الله وطلب من هارون بن يونس" أن يأخذ عليه العهد ويدعوه"[7] غير أن هذا الأخير ماطل في ذلك وبدأ وبدأ في امتحانه والإغلاظ عليه وقال له: " قتلت جماعة من الأولياء، فجيء بديتهم"[8]. وكان السبب في ذلك أن هارون كان متخوفا على منصبه في قبيلته وفي جهاز الدعوة وأن فتح بن يحي سيكون مستقبلا منافسا له، ولما علم فتح بن يحي بحقد وتدبير هارون بن يونس هرب من جديد" وصار إلى عجيسة، وجمع جمعا كثيرا حوله، منهم ومن غيرهم"[9] وتحصن في قلعة منيعة يقال لها "توبر" وتسمى كذلك "وشنوك"، وكانت هذه القلعة حصينة في مرتفع ولما حاصرها الداعية فقد العديد من قواته لأن فلول المعارضين كانوا " يطرحون الصخرة العظيمة من فوقها،

---

[1]– ذكر موسى لقبال أن قبيلة مسالتة متواجدة حاليا يوجد بقاياها بهذا الاسم في قبيلة الساحل القبلي في دوار" تالا ايفاسين" والواقع بين سطيف وأقبوا. ينظر: لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 107.

[2]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 111.

[3]– نفسه، 49. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 48.

[4]– الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار– السبع الخامس–، 53. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 80. لقبال موسى، دور كتامة، 283.

[5]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 112.

[6]– وهي القبيلة التي ينتمي إليها هارون بن يونس المسالتي.

[7]– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 112.

[8]– نفسه، 112.

[9]– نفسه، 112.

فتقبل لها دوي كدوي الرعد"، غير أن الداعية في الأخير اقتحمها وقتل أكثر من بها وعلى رأسهم تصولا بن يحي أخو فتح بن يحي، لكن هذا الأخير تمكن هذه المرة كذلك من الهروب، وكان من بين نتائج هذه المعركة التي كانت مواجهة للإجهاز على فلول مسالتة نتائج عديدة ولعل أهمها انقياد كل من" عجيسة وزواوة لأبي عبد الله وجميع كتامة ومجرس"[1]، وكان لهذا الهروب دور خطير على الدعوة والداعية وذلك أن فتح بن يحي " قدم على أبي العباس أحمد بن إبراهيم – وهو يومئذ بتونس بعد خروج أبيه إلى صقلية – فوصله، وأدناه، وأنزله، وأكرمه..."[2] كما أنه حرضه على إنزال عسكر لأخذ الداعية وقواته، وكان هذا التحريض لنزوح بقايا المعارضة المنهزمين بعد سقوط قلعة ميلة سببا في توجه أول حملة أغلبية رسمية تجاه بلاد كتامة للقضاء على الداعية أبي عبد الله ومن تبعه من كتامة.

غشمان:

كانت قبيلة غشمان تنقسم إلى قسمين على أساس جغرافي وهما: **"غشمان تازروت"**، و**"غشمان سجا"**، كانت الأولى (غشمان تازروت) والتي كانت تحت إشراف الحسن بن هارون[3]، وقد ناصرت قبيلته الداعية وآوته بتازروت، بينما الثانية(غشما سجا) رفضته وأعلنت الحرب عليه وعلى أتباعه وكانت مواجهتها له يوم حصار تازروت، وبعد نهاية هذه المعركة التي دارت أحداثها في قلب مجالات تازروت إتحدت القبيلتان تحت لواء الدعوة، وقد أنجبت هذه القبيلة العديد من القادة من بينهم يوسف بن سكلب الغشمي والذي أخضع مدينة تيجيس.

اسم المتشيع	القبيلة	زمن التشيع	الوظيفة
الحسن بن هارون	غشمان	أبي عبد الله الشيعي	داعية
محمود بن هارون	غشمان	أبي عبد الله	زعيم قبيلة ومن أتباع الداعية
يوسف بن سكلب	غشمان	أبي عبد الله الشيعي	قائد عسكري

أجانة:

تعتبر قبيلة أجانة من كبريات قبائل كتامة التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ الدعوة الإسماعيلية في البلاد المغربية، ورغم عدم وضوح المصادر إلا أن علي خنوف ذكر أنها على هوامش الحد الإداري بين مدينتي الميلية والطاهير

[1]- نفسه، 112.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 114.

[3]- كان شابا عاقلا وسيما،كريم الأخلاق من أهل الجدة واليسار. ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 49- 50.

وبين جبال سدات والمسيد بقرب أولاد عسكر، وتعرف في هذه الجهة مع التحريف الشعبي يرجانة (إرجانة)[1]، نرى برأيه إذ أن رواية الافتتاح لما تحدثت عن هذه القبيلة أبرزت دائما تعاظم دورها بحمم أنها كانت قريبة دائما من مجالات الدعوة ويبدو أنها كانت قريبة من ميلة، وكان كبير القبيلة فرح بن جيران من المعادين لأبي عبد الله ومن المشاركين في حبك جميع المؤامرات للإيقاع به غير أن محاولاته للإطاحة بالداعية باءت بالفشل، وكان موعده معه وجيشه في معركة بتاريخ يوم سقوط مدينة ميلة، إذ كان العديد من عناصر قبيلته ووجوه من المعتصمين بها، وبعد دخول قوات الداعية انتقمت من الأجانيين وعلى رأسهم" فرح بن جيران، ويوسف بن محمود، ووزرة بن نصر"[2]، وكان من بين أهم المواطن التي تنزل فيها هذه القبيلة هي منطقة "كينونة" أو "وكبونة"، وفيها جرت معركة كينونة التي انهزمت فيها الحملة الأغلبية الثالثة هزيمة منكرة، وفر منها قائد الحملة ابن الحبشي وفلول جيشه مخلفين وراءهم الأثقال والأموال[3]، ولم تكن هذه القبيلة على قلب رجل واحد في معارضة المشروع الإسماعيلي بل إنه من بين صلبها خرج أوائل المساندين للداعية ومشروعه، وهؤلاء كانوا من الشخصيات ذات الثقل السياسي والعسكري والذين لعبوا أدوارا محورية في الدعوة وبعد قيام الخلافة والدولة وعلى رأسهم أبو يوسف مكنون بن ضبارة، وابن أخيه تمام بن معارك بن زاكي، وكان هذا الأخير حدث السن فرأى منه الداعي" حركة ونباهة ونشاطا في حوائجه، وخفة، ورغبة في ذلك، وحرصا عليه"[4] ولازم الداعي" يخدمه بين يديه لا يفارقه واشتهر أمره في ذلك وهو ظاهر"[5].

جدول يوضح أعلام قبيلة أجانة المنضوين تحت دعوة أبي عبد الله الشيعي

اسم المتشيع	القبيلة	زمن التشيع	الوظيفة
أبو يوسف ماكنون بن ضبارة	أجانة	أبو عبد الله الشيعي	قائد عسكري
أبو زاكي تمام بن معارك	أجانة	أبو عبد الله الشيعي	قائد عسكري
يسين بن يوسف اخو ابن الأصم	أجانة	أبو عبد الله الشيعي	أتباع
إمرأة يحي بن يوسف	أجانة	حلواني – أبو عبد الله الشيعي	داعية
يحي بن يوسف ابن الأصم	أجانة	الحلواني – أبو عبد الله الشيعي	داعية

لهيصة:

[1]- حنوف علي، 88.
[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 137.
[3]- نفسه، 170- 171.
[4]- نفسه، 50.
[5]- نفسه، 50.

امتدت مضارب هذه القبيلة في المنطقة الممتدة مابين أحواز ميلة إلى غاية أحواز تازروت[1]، وقد كانت في بداية الدعوة ضمن القبائل التي تأمرت على الداعية أبي عبد الله وأميرها مهدي بن كناوة من أشد الكتاميين حقدا على الدعوة والداعية[2]، غير أن هذا لا ينفي أن القبيلة لم تنظم إلى الدعوة بل على العكس من ذلك، فإن أخ أمير القبيلة وهو أبو مديني " قد دخل الدعوة، وصار إلى أبي عبد الله مهاجرا، وكانت له بصيرة ونية ونجدة..."[3]، وكان لعمق تشيعه ووفائه لجماعته أنه هو الذي دبر قتل أخيه وقتل رفقة أحد أفراد القبيلة، ولا ينكر أحد أن هذه القبيلة قد أنجبت العديد من الشخصيات والتي تولت مناصب إدارية في ظل حكم الخلافة الفاطمية نذكر منهم: دواس بن صولات اللهيصي والذي كان" كان فارسا عاقلا من وجوه قومه"[4]، وانضم للدعوة وحسنت حاله[5]، وأصبح" داعيا من الدعاة"[6]، وتولى حكم مدينة سطيف[7]، كما أنه تولى حكم مدينة تاهرت[8] سنة296هـ/909م ودام حكمه لها حوالي ستة أشهر[9]، ثم وليها من نفس قبيلة لهيصة أبو مالك بن يغمراسن بن بن أبي شحمة اللهيصي الذي امتد حكمه لها ابتداء من سنة 319هـ/ 921م إلى غاية سنة 323هـ/ 924م[10]، ومن بين الشخصيات كذلك أبو مديني بن كناية اللهيصي القائد العسكري الذي تولى مهام عديدة في صدر الخلافة، ومن بين مهامه ولايته على طرابلس وهذا بعد ثورة أهلها وطردهم لعاملها ماكنون بن ضبارة وقاضيها أفلح ابن هارون[11].

جدول يوضح أعلام قبيلة لهيصة المنضوين تحت دعوة أبي عبد الله الشيعي

اسم المتشيع	القبيلة	زمن التشيع	الوظيفة
أبومديني بن فروخ	لهيصة	أبو عبد الله الداعي	ولاية برقة

[1]- لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 108.

[2]- القاضي النعمان، 80.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 95.

[4]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 69.

[5]- وصفه القاضي النعمان بأنه:" كان من فرسان لهيصة وخيارهم ووجوههم، وكان جميلا عفيفا ذهنا، فأل أمره بعد ذلك إلى أن كان داعيا من الدعاة". ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 167.

[6]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 69.

[7]- نفسه، 69.

[8]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 48.

[9]- ابن عذاري المراكشي، 209.

[10]- نفسه، 209.

[11]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 125.

لاوة بن صوحان	لهيصة	أبو عبد الله الداعي	-
كويرت بن قيس	لهيصة	أبو عبد الله الداعي	فارس
أبو حميد دواس بن صولات	لهيصة	أبو عبد الله الداعي	داعية – قائد عسكري- ووال على كل من: سطيف- تيهرت.
أبو مالك بن يغمراسن بن أبي شحمة	لهيصة	أبو عبد الله الداعي	قائد عسكري ووالي تولى حكم مدينة تيهرت

لطاية:

كانت هذه القبيلة بدايات الدعوة من ضمن القبائل التي تأمرت على أبي عبد الله الشيعي وأتباعه، وكان من بين أهم مدن توطينها هي كجارمة[1](قرب ميلة)، والتي لعبت دورا كبيرا في هزيمة الحملة الأغلبية الأولى على بلاد كتامة كتامة بسبب الاشتباك الأول الذي وقع فيها وقتل على إثره أبو عقال بن إبراهيم بن موسى بن العباس، وهزم فيها جيش أبي حوال وفرت قواته[2]. وكان تميم بن فحل أمير هذه القبيلة وأحد أكبر الحاقدين على الداعية أبي عبد الله[3].

متوسة:

إن المعلومات عن مجال قبيلة متوسة[4] وتعداد سكانها غير متوفر في المصادر التاريخية، غير أن الشريف الإدريسي وهو يتحدث في جغرافيته عن الساحل الغربي لجيجل وعلى مقربة من حصن المنصورية على البحر

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 143.

[2]- نفسه، 143- 144.

[3]- نفسه، 80.

[4]- ذكر بوزياني الدراجي أن بقايا هذه القبيلة معروفون الآن وهم ومتواجدون بمدينة عين البيضاء، وهم مندمجون ضمن قبيلة الحراكتة، ويوجد بطن منهم يدعى متوسين، اندرج أبناؤه ضمن قبيلة جيملة، كما يتواجد بالقرب من بجاية قرية تدعى متوسة. الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية- أدوراها- ومواطنها- وأعيانها-، (ط4، ج2/ 211- 212. لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 111.

ذكرمتوسة، ووصف " أنها قرية عامرة، وبها معادن الجص، ومنها يحمل إلى بجاية، وبينهما اثنا عشر ميلا..."[1]، ونرجح أن تكون هذه القرية تحمل نفس اسم القبيلة البربرية الكتامية وهي أقصى مدى لاتساع مجال كتامة في الجهة الغربية، والجدير بالذكر أنها كانت في عداد القبائل التي تأمرت على الداعية أبا عبد الله، وكان من أشد حكامها تأمرا زياد المتوسي[2].

نفزة[3]:

تعد قبيلة نفزة البربرية والتي تنتمي إلى يطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر من بين قبائل البربر التي استوطنت المغرب الأوسط وأقدمهم في اعتناق الدعوة الشيعية، حيث أن دعوة الحلواني انتشرت في مضاربهم ولهذه القبيلة بطون عديدة منها:

سماتة

كانت قبيلة سماتة[4](سوماتة) من بين أول القبائل احتضانا للدعوة الشيعية، وفي مضارب هذه القبيلة نزل الداعية الحلواني وتكاثر أتباعه[5]، وكان أفرادها أول من رحبوا بالداعية صاحب البذر أبا عبد الله الشيعي حيث أنه رفقة وفد الحج الكتامي نزل أراضيهم والتقى بالعديد من وجوهم وعلى رأسهم أبو المفتش السماتي(أبا حيون)، وكان شيخ كبير وقد تلقى الدعوة والتشيع على يد الحلواني وهو من أوائل الذين استقبلوا الداعية ووفد الحجاج الكتامي، غير أنه لم يتجه مع الداعية إلى إيكجان رغم رغبته في ذلك، بسبب كونه شيخ كبير لا يقوى على الترحال[6]، وقد وقد كان لهذه القبيلة مراكز عديدة تنتشر فيها ومن بينها: قسنطينة[7]، وسوجمار[8].

ورفجومة من نفزة

---

[1]- الإدريسي الشريف، 169.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 80.

[3]- نفسه، 29.

[4]- بقايا هذه القبيلة متواجدة في جهات القيروان، واستقرت فرقة منهم قرب مليانة وبومدفع بالبليدة، وتوجد قرية تسمى "يسوماتن" بجبال بني جناد بجبال زواوة. ينظر: عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، (الرباط/ المغرب: المطبعة الملكية، 1968)، ج1/ 307.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 29.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 40- 43.

[7]- البكري عبيد الله، 156.

[8]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 40.

وكان أكثر بطونها وأشدهم قوة هم ورفجومة الذين ذكرهم عبد الرحمان ابن خلدون قائلا:" أوسم بطون نفزازوة وأشدهم بأسا وقوة"[1]، وقد لعب هذا الفرع دورا كبيرا في مرحلة عصر الولاة وداروا في فلك الخارجية ثم انقسموا وتوزعوا بين القبائل، وكان ضمن هذا البطن العديد من الذين اعتنقوا الدعوة الشيعية الإسماعيلية من زمن الحلواني، ومنهم من التقى أبا عبد الله الشيعي وهو أبو القاسم الورفجومي، وكان أبو القاسم هذا من الذين استوطنوا سوجمار وتلقوا التشيع علي يد الحلواني وكانوا في استقبال الداعية وركب حجاج كتامة[2]، وهاجروا مع أبي عبد الله إلى ايكجان[3].

جدول يوضح أعلام قبيلة ورفجومة المنضوين تحت دعوة أبي عبد الله الشيعي

اسم المتشيع	القبيلة	زمن التشيع	الوظيفة
موسى بن تكاد	ورفجومة	الحلواني وحضر زمن الداعي	أتباع
علي أبو القاسم	ورفجومة	الحلواني وحضر زمن الداعي	أتباع

ملزوزة من نفزة:

وكان من بين فروع هذه القبيلة "ملزوزة" التي كانت متوطنة في مجانة أو بالقرب منها[4]، وكان قد تشيع العديد العديد من سكانها ومن بينهم حمزة الملزي الذي تشيع رفقة وفد بني معاد وذهب عند الداعية أبي عبد الله الشيعي وكان "فارسا جلدا جسورا"[5]، وكانت المنطقة الممتدة من باغاية إلى تيجيس مسرحا لعملياته التي كان يقتنص فيها فيها رسل الاغالبة ويرهب قواتهم[6]، أما فلول القبيلة التي لم تخضع فإن الداعية قضى عليها في تلك الحملة التي أرسل إليها أبا مديني لإعادة إخضاع مجانة من جديد[7].

ملوسة:

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 150.

[2]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 46- 47. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/41- 42. الطالبي محمد، الدولة الأغلبية، 666.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 40- 43.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 209.

[5]- نفسه، 182.

[6]- نفسه، 182- 183

[7]- محمد بن عربة، بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والإمارة الأغلبية، 243.

إن قبيلة ملوسة من بين قبائل كتامة التي ناصرت الدعوة وجاورتها، وبعد معركة تازروت انضمت هذه القبيلة كليا للداعية أبي عبد الله[1]، وقد برز من هذه القبيلة العديد من الشخصيات التي آزرت الدعوة وعلى رأسهم أفلح بن هارون الملوسي أحد أبرز الشخصيات العلمية التي أنجبتها الخلافة الفاطمية، باعتباره تقلد العديد من مناصب الدعوة وتدرج فيها وعرف بالتأويل، وقد تولى منصب القاضي وأصبح داعي الدعاة والداعي المطلق لملوسة، وشيخا للجماعة[2]، وكان مصدر إعجاب من طرف العرب والبربر وحضي بمكانة هامة من طرف المهدي الذي كان يأمر " البوابين بدخوله راكبا إليه..."[3]، كما أن المهدي بعد استتباب الأمر له"... أقام للنظر في القضاء بالمهدية ورقادة وغيرها من الأعمال أفلح بن هارون الملوسي، وهو أحد دعاة المهدي بالله..."[4]، وكان أفلح من بين المخلصين للخلافة أثناء محاولة الكثير من القبائل التي ناصرتها الانقلاب عليها، وقد وكله عبيد الله قضاء العديد من المدن ومن بينها طرابلس[5].

ومن بين الشخصيات كذلك حباسة بن يوسف الملوسي الذي فض ثورة سكان طرابلس وحكم المدينة رفقة أبا مديني بن كناوة اللهيصي، أما غزوية بن يوسف الملوسي فكان هو الأخر أحد القادة الكبار الذين أبلوا بلاء عظيما، وكان من الرجالة[6] ولعب دورا كبيرا في حسم معركة تازروت بفضل شجاعته وإقدامه.

دنهاجة:

إن المعلومات حول هذه القبيلة ومكانتها خلال عصر الدعوة الإسماعيلية تكاد تكون منعدمة، غير ان هذا لا ينفي لعبها ادوارا في مرحلة الدعوة او حتى الدولة، بحيث أنها أنجبت العديد من الشخصيات الإدارية وحتى الدعوية ونستدل في هذا المقام بما ذكره تقي الدين المقريزي في أحداث سنة 363هـ/973م حين قال:" جلس يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن الدنهاجي لعقد الضياع التي توفرت الأموال، وزيد في الضياع، وتكاشف الناس"[7].

أوربة:

---

[1]- نفسه، 110.

[2]- ابن الهيثم، 121.

[3]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 138.

[4]- نفسه، 137.

[5]- نفسه، 125.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 107- 108.

[7]- المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 167.

كانت هذه القبيلة " من أكثر القبائل عددا وأشد بأسا وقوة"[1] وقد أسلمت في العهد الأول من الفتوحات الإسلامية لما كانت تحت إمرة كسيله بن ملزم الأوربي، الذي زحف في جموع القبيلة إلى غاية تلمسان وفيها أسلم على يد الصحابي أبو المهاجر دينار زمن الداعية أبي عبد الله الشيعي وتمركزت بكثرة في نواحي بونة، وقد دام تواجدها هناك إلى غاية القرن5هـ/10م حيث يذكر البكري:" وحول بونة قبائل كثيرة من بربر مصمودة **وأوربة** وغيرهما"[2]، وكان يشرف على أمورها بنو أبي الخليل أحد أكثر بطونها، وهم الذين استمر تواجدهم على حسب مارواه البكري إلى غاية القرن5هـ/11م، وكان مقدمهم نهاية القرن3هـ/9م هو خليل الأورابي الذي كان" قد دعي قبل وقدم عليهم"[3] غير أن قومه انقلبوا عليه وقتلوه، فلجأ ابنه منصور بن خليل إلى إيكجان وأعلمه بارتداد القوم القوم وبأنهم" قتلوا أباه، ونافقوا"[4]، وهذه قرينة دالة على ارتداد القبيلة بعد تشيعها ولعل ذلك راجع إلى حصانتها حصانتها بإشرافها على إحدى المنافذ البحرية وبعدها عن مراكز الدعوة.

وقد عاد ابن خليل الأورابي إلى قومه لكن مع عسكر كبير قدم الداعية فيه على كل قبيلة رجلا، فخرجوا مع منصور حتى أتوا بونة ونازلوها من ثلاث نواحي مقسمين العسكر على ثلاثة أثلاث" وشنوا الغارات على أوربة فقتلوا كل من مروا به، وغنموا أموالهم، واجتمعوا بباب زانة، وانصرفوا بالغنائم إلى إيكجان"[5]، هذا ولم يذكر صاحب رواية افتتاح الدعوة" دخول القوات الإسماعيلية إلى بونة مايعني أن قبيلة أوربة بعد ارتدادها لم ترجع إلى التشيع وإن كانت القوات قد قتلت ونهبت غير أنها لم تخضع وتحصنت في المدينة.

جدول يوضح أعلام قبيلة أوربة المنضوين تحت دعوة أبي عبد الله الشيعي

اسم المتشيع	القبيلة	زمن التشيع	الوظيفة
منصور الاورابي	أوربة	أبو عبد الله الشيعي	رئيس قبيلة ومن أتباع الدعوة
أبو عبد الله خليل بن منصور الأورابي	أوربة	أبو عبد الله الشيعي	من أتباع الدعوة

هوارة:

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج192/7. لتفاصيل أكثر عن هذه القبيلة وتفرعاتها ينظر: بن منصور عبد الوهاب، ج1/ 313- 314.

[2]- البكري عبيد الله، 143.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 215.

[4]- نفسه، 215.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 219.

تعد قبيلة هوارة من أكبر قبائل المغرب الإسلامي وأعتاها أقبلت على الإسلام واعتنقته على خلاف بقية القبائل الحضرية البرنسية[1]وقد اختلف المؤرخون حول نسبها[2] إلا أن أغلبيتهم يرى أنها من أصل بربري نسبة إلى هوار بن أريغ بن برنس[3]، وقد كانت هذه القبائل زمن الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب متمركزة ببلاد أياس (طرابلس حاليا) ثم هاجر الكثير منها وتمددت أطرافها لتصل إلى بلاد السودان الغربي، وقد لعبت قبيلة هوارة دورا كبيرا بدءا بالحياة السياسية و" كان لهم في الردة وحروبها أثار ومقامات"[4] ثم في الحياة المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي بتبنيها للمذهب الخارجي بشكليه الصفري والإباضي (الوهبي والنكاري) ومشاركتها في جميع حركاته منذ انتفاضة الصفريين عكاشة وعبد الواحد سنة 124هـ/ 742م إلى ثورة أبي يزيد النكاري سنة 331هـ/ 943م، يضاف إلى ذلك أنها من بين أهم القبائل والعصبيات المكونة للدولة الرستمية، والملاحظ أن مجالاتها كانت محددة وقارة مابين جبل الأوراس وجبل هوارة، غير أن هذه القبيلة وبطونها لم تعتنق المذهب الإباضي لوحده بل كانت في عداد القبائل التي اعتنقت مذهب الشيعة وقد انتشر بينهم تحت تأثير نشاط الحلواني، ويذكر القاضي النعمان أنه قد صار إلى أبي عبد الله جماعة من هوارة وبني معاد والذين " كان فيهم تشيع قديم"[5]، ومن بين هؤلاء هؤلاء إسماعيل بن نصر المعادي الذي تشيع على يد الحلواني وقدم إلى أبي عبد الله الشيعي وجماعة من أهل بيته، وكانوا يشتركون مع حمزة الملزي في شن الغارات على الأغالبة ومن والاهم من القبائل وكان لهم دور كبير في إخضاع المنطقة[6] .

جدول يوضح أعلام قبيلة هوارة وبطونها المنضوين تحت دعوة أبي عبد الله الشيعي

اسم المتشيع	القبيلة	زمن التشيع	الوظيفة
إسماعيل بن نصر	بني معاد – هوارة	الحلواني وحضر زمن الداعي	أتباع
جابر بن موسى	بني وردم	أبو عبد الله الشيعي	أتباع
فرح بن حية	بني وردم	أبو عبد الله الشيعي	أتباع

[1]- تابليت عمر، هوارة ودورها في تاريخ المغرب منذ بداية حركة الخوارج أواخر القرن 1هـ/ 7م حتى انتهاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد 335هـ/ 946م، (قسنطينة/ الجزائر: دار الألمعية، 2011)، 13.

[2]- لقد رأى بعضهم أنها من أصل عربي، وهؤلاء بدورهم ينقسمون على أنفسهم ويختلفون حول نسبها العربي، فأحيانا يرجعونها إلى أصل يمني حميري، وأحيانا أخرى يقولون أنها من إحدى بطون قضاعة أو من كندة من السكاسك. ينظر: تابليت عمر، 13.

[3]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج7/ 182.

[4]- نفسه، 185.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 182.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 182- 183.

يوسف بن ايوب	بني وردم	أبو عبد الله الشيعي	أتباع
صولات بن نازل	بني هراش	أبو عبد الله الشيعي	أتباع
عذي بن ذكر	بني هراش	أبو عبد الله الشيعي	أتباع
حبيب بن بكر	بني هراش	أبو عبد الله الشيعي	أتباع
حمود بن حفص	بني هراش	أبو عبد الله الشيعي	أتباع

جدول يوضح أعلام قبيلة هوارة وبطونها المنضوين تحت دعوة أبي عبد الله الشيعي

اسم المتشيع	القبيلة	زمن التشيع	الوظيفة
جابر بن موسى	بني وردم	أبو عبد الله الشيعي	أتباع
فرح بن حية	بني وردم	أبو عبد الله الشيعي	أتباع
يوسف بن ايوب	بني وردم	أبو عبد الله الشيعي	أتباع

مزاتة:

كان أمير هذه القبيلة هو يوسف العطاشي[1] وكان صاحبا للأمير الاغلبي إبراهيم بن أحمد الذي حباه، ووصله، وكساه، وحمله، وأعطاه جارية نفيسة..."[2] وهو في الطريق نحو مضارب قبيلته قام جيش الجماعة الإسماعيلية بالهجوم على قبيلته وسلبوا ماله وحتى الجارية التي كانت معه، " ولم ينج إلا بنفسه في مطمورة تغيب فيها، وكان هذا الفعل من الأولياء هو الذي دفع القبيلة ورئيسها إلى التحالف مع كتامة المعارضة للجماعة الإسماعيلية، غير أن هذه القبيلة انهزمت في اليوم الرابع من القتال هزيمة منكرة واقتحم جيش الداعية معسكرهم، وغنموا أموالهم، وما كان لهم بعد ان قتلوهم وتتبعوا وطاردوا فلولهم[3].

عجيسة:

تواجدت مضارب هذه القبيلة البربرية في أقصى حد كتامة من الجهة الغربية وكانت قريبة من مدينة تازروت على سفوح جبال البابور، ورغم أنها لم تدخل في أحداث الصراع بين كتامة المؤيدة والمعارضة غير أنها في آخر المطاف انضمت إلى المعسكر المعارض[4]، ومن الراجح أن تكون قد لعبت هذه القبيلة أدورا كبيرة في خضم الدعوة الدعوة رغم سكوت المصادر إلا أنه خلال مرحلة الدولة عثرنا على شخصيات أنيطت بها مهام سياسية وإدارية

[1]- نفسه، 98.

[2]- نفسه، 98. بن عربة محمد، بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والإمارة الأغلبية، 232.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 108- 109.

[4]- نفسه، 112- 113.

على غرار تلك التي أسندت إلى داوود بن إبراهيم العجيسي الذي كلف بالإشراف على مدينة تاهرت خلال الفترة الممتدة مابين(324-333هـ/963-944م)[1].

ب: العرب

قد شهد المغرب بعد الفتح توطينا كبيرا للعرب سواء من طرف الفاتحين أو أولئك الذين جاءوا من بعدها وكانت غالبيتهم الساحقة يتبع للجيوش القادمة الموفدة من طرف الخلافة سواء من دمشق أو من بغداد[2]، وخلال العهد الأغلبي أسندت إليها مهمة الاشراف على المدن وإدارتها، لاسيما في إقليمي الزاب وكتامة، ومن بين تلك القبائل العربية المتوطنة والتي عاصرت الدعوة الإسماعيلية وتفاعلت مع أحداثها بالتجاذب والتنافر وانصهرت فيها أخيرا مايلي:

بنو سليم

تعد قبيلة ربيعة من أقدم القبائل العربية التي استوطنت بلاد المغرب مع بدء الفتوحات الإسلامية، وكانت لهذه القبيلة فروع عديدة وكثيرة أهمها بنو سليم الذين ساندوا الخلافة العباسية في المغرب وتحالفوا مع الدولة الأغلبية فقوبلوا بالعطاء وتم منحهم الإقطاعات وأسندت لهم ولاية إحدى كبريات مدن بلاد كتامة وهي مدينة ميلة[3].

وقد كان آخر ولاة هذه المدينة قبيل خضوعها للدعوة والداعية هو موسى بن العباس بن عبد الصمد[4]، ويبدو أنه كان أحد أعمدة الحكم الأغلبي في المنطقة ويحظى بكامل القوة والتأييد، وقد ساهم هذا الوالي بقوة في المشاريع السياسية للدولة الأغلبية وكان آخرها إرسال نصف جيشه إلى جزيرة صقلية سنة289هـ/901م لفتح جزيرة طرمين والتي استعصت على الجيوش المسلمة خلال السنوات 265هـ/ 878م، و271هـ/ 884م، و276هـ/ 889م، لكن الحملة الأخيرة تمكنت جيوشه من دخولها وإخضاع كامل صقلية وهذا في شعبان من سنة 289هـ/901م[5]، وتوغل أمير الحملة إبراهيم بن أحمد الأغلبي وسط إيطاليا رفقة الجيش القادم من بلاد كتامة لكنه أستشهد في ذي القعدة سنة 289هـ/901م، وفي المقابل على الضفة الجنوبية من المتوسط وفي

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، 209.

[2]- لتفاصيل أكبر عن القبائل العربية وأدوارها في بلاد المغرب ينظر: مجاني بوبة، أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، (ط1، إربد/ الأردن: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، (قسنطينة/ الجزائر: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2010).

[3]- اليعقوبي، 190.

[4]- اليعقوبي، 190.

[5]- فيلالي عبد العزيز- بحاز ابراهيم بكير، مدينة ميلة في العصر الوسيط، 34.

شطرها الغربي (كتامة) كان الداعية يراقب بحذر تحركات الحملة واستغلها في صالحه وهذا بمهاجمة مدينة ميلة التي قد أفرغت من قواتها سواء من جنود بني سليم أو الجنود الكتاميين الخادمين للوالي، وتوجهت القوة نحو ميلة وقد دافع عنها أهلها من بني سليم وحتى من الكتاميين الذين لجأؤا إليها وعلى رأسهم فحل بن نوح كبير وجاء لطاية، ولما يئست الحامية العربية من الصمود والانتصار هرَب أمير المدينة ابنه أبو إبراهيم موسى بن العباس" ومعه وجهاء بني سليم إلى الحاضرة الأغلبية لإبلاغ السلطة أخبار الحراك الشيعي وخبر سقوط المدينة ولم يمس أمير المدينة بعد دخول أبي عبد الله إليها بسوء، ولم تتوفر لدينا المعلومات التي تبلغنا حول مصير الجنود العرب من بني سليم المتواجدين بالمدينة، وفي فترة لاحقة غدر بأمير ميلة موسى بن العباس حيث"قتل صبرا في بني جلامة وألقي في مطمورة بها"[1]، ولم يكن هو الأخير الذي قتل من هذه العائلة في تلك السنة بل قتل حفيده أبوعقال بن أبي إبراهيم بن موسى بن العباس في تلك المعركة(معركة كجارمة) " وكان فارسا شديدا"[2].

ربيعة:

يعد عرب ربيعة من بين أهم القبائل التي استوطنت بلاد المغرب الإسلامي وقد سكن أحد فروعها وهم السناجرة وأهم بطونهم بنو خنزير مدينة ميلة[3]، وكانوا يشكلون فيها إلى جانب بني سليم فصيلا لا بأس به مع قبيلة كتامة، غير أن السناجرة دخلوا في صراع مع وال المدينة وقبيلة بني سليم، ومع اتساع الدعوة وقرب الداعية من مجالاتهم أكثر إرتموا في أحضان الدعوة الشيعية القريبة منهم وتواصل أميرهم آنداك وهو الحسن بن أحمد والمدعو أبي الخنزير مع الداعية سرا وأشرك قبيلته في القتال إلى جانب كتامة.

بنو تميم:

إن بنو تميم من بين أكبر قبائل العرب إنتشارا في ديار الإسلام حتى قال عنهم ابن حزم الأندلسي أنهم" قاعدة من أكبر قواعد العرب"[4]، وانتشرت بطونهم في أرض مصر والمغرب والأندلس، ولعل أهم فروعهم وأسرهم

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 139.

[2]- نفسه، 144.

[3]- لقبال موسى، دور كتامة، 258.

[4]- ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب، 207.

في بلاد المغرب الإسلامي الأغالبة، والذين تمكنوا من إنشاء أول دويلة مستقلة على أرض الخلافة ببلاد المغرب الأدنى والذين ينتمون إلى بني إلياس بن مضر، وقد لعب جدهم الأكبر "الأغلب" دورا كبيرا في قيام الخلافة العباسية ويذكر ابن الآبار أنه " كان ممن سعى في القيام بدعوة بني العباس مع أبي مسلم، وحارب معه عبد الله بن علي، وكان مع أبي جعفر المنصور في حصار ابن هبيرة، وفي مقتل أبي مسلم، ويقال انه الذي ضربه، فأطار يده، ثم تولى حز رأسه، ووجهه أبو جعفر النصور مع محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي إلى قتال البربر"[1].

ومؤسس الدولة الأغلبية ببلاد المغرب هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم ابن عقال ابن خفاجة التميمي سنة (184-196هـ/800-812م) وقد كان قبل تأسيسه للدولة واليا على إقليم الزاب أحد أكبر التجمعات للقبائل العربية وعلى رأسهم بنو تميم، وقد كان لهذه القبيلة فروع كثيرة تستوطن حصون عديدة وكانت أهم مدينة يحكمونها هي مدينة بلزمة وعنها يقول اليعقوبي:" ومدينة بلزمة أهلها قوم من بني تميم وموالي لبني تميم" أما ابن حوقل النصيبي فقد ذكر أن " بلزمة بلد محدث للعرب وفيهم بقاياهم إلى الآن"[2]، بمعنى أن تواجد هؤلاء العرب فيها ولا سيما من بني تميم تواصل إلى غاية زيارته للمنطقة منتصف القرن4هـ/10م، وعن هذه القبيلة وسكان بلزمة ذكر بأن بها" رجال جلد"[3] وأهلها يعرف عنهم القوة والممانعة، ورغم ما ذكرته المصادر من أن هذه المدينة ورجالاتها من بني تميم كانوا وأميرهم من بين المؤيدين لمشروع القضاء على الداعية وشيعته إلا أن هذا لاينفي أن التميميين الساكنين في أرض المغرب الأوسط كانوا على وفاق دائم مع بني عمومتهم الأغالبة، وفي هذا الصدد ذكرت المصادر أنه في سنة 280هـ/893م أبيد أكثر من سبعمائة فارس وكان هؤلاء من العرب وغالبيتهم من التميميين، واعتبرت هذه المجزرة" من أسباب انقطاع دولة بني الأغلب ونهايتها، إذ كان أهل بلزمة في نحو ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها وبعده، وكان أكثرهم من قيس وكانوا يذلون كتامة[4]، ولم يكن هؤلاء هم الوحيدون من بني تميم المتواجدون على أرض المغرب الأوسط في جهته الشرقية بل إن اليعقوبي يتحدث عن حصون قريبة من مقرة كان بها" قوم من بني تميم من بني سعد يقال لهم بنو الصماصمة خالفوا على ابن الأغلب وظفر ابن الأغلب ببعضهم فحبسهم"[5].

---

[1]- ابن الآبار، الحلة السيراء، 47.

[2]- ابن حوقل النصيبي، 95.

[3]- نفسه، 95.

[4]- ابن عذاري المراكشي، 167.

[5]- اليعقوبي، 191.

وإن كبير هذه القبيلة حي بن تميم قد استطاع الصمود هو ومدينته تجاه الحملات الشيعية لمدة ثلاث سنوات وصمد القوم مع انقطاع مصادر رزقهم وحرق الداعي لغلاتهم، حتى توفي حي في الحصار، وبعد دخول قوات الداعية أمر بقتل المقاتلين منهم لعلمه بخطرهم على دعوته.

ومع هذا لم تكن كل بطون القبيلة ضد مشاريع أبي عبد الله لأن أكبر فروعها وهم بنو مالك كانوا في صراع دائم مع الأغالبة الذين غدروا بهم، بل إننا نجد منهم من كان متشيعا قبل ظهور دعوة أبي عبد الله سنة 280هـ/893م ومن بينهم الشاعر محمد بن رمضان الذي لما سمع بمقتل البلزميين على يد أمير رقادة قال هذه القصيدة:

جل المصاب لئن كان الذي ذكروا ... مما أتتنا به الأنباء والخبر
عن ألف أروع كالاساد قد قتلوا ... في ساعة من سواد الليل إذ غدروا
لو كان من بيت الاساد أيقظهم ... حلت به منهم الحداث والغير
قل لابن أحمد إبراهيم مالكة ... عن الخبير بما يأتي ولا يذر
عن المشرد في حب الأئمة من ... آل النبي وخير الناس إن ذكروا[1]

كما أن له قصائد عديدة كان يتنبأ فيها بظهور المهدي ويبشر به ومن بين تلك القصائد التي قال فيها:

كأني بشمس الأرض قد طلعت لنا ... من الغرب مقرونا إليها هلا لها
فيملأ أرض الله قسطا بعدله ... بما ضم منها سهلها وجبالها
إذ أمن منها ما أخاف وأتقي ... فأضفر با لزلفى به وأنالها[2]

وقد التحق بالدعوة ونال حظوة عند الجماعة الإسماعيلية " وأدرك أيام المهدي واستقضاه على ميلة، وكان بها ومات وهو قاض عليها"[3] .

بنو خزيمة:

[1]- القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 426.
[2]- نفسه، 426.
[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 75 .

تعد قبيلة بنو خزيمة من القبائل التي نزحت إلى بلاد المغرب وقد ذكر اليعقوبي أن مدينة "سطيف بها قوم من بني أسد بن خزيمة عمال من قبل ابن الأغلب"[1]، وكان حاكم هذه المدينة هوعلي بن حفص المعروف بابن عسلوجة[2]، ورغم ماعرف عنه واليها بدوره في وأد المشروع الإسماعيلي ومشاركته في الحروب على الداعية وأهمها مساندته لأول حملة أغلبية على المنطقة وكانت تحت قيادة أبي حوال[3]، إلا أنه تمتع بصفات أخرى تجمع بين القوة والقيادة والتي من بينها" أنه كان من الأبطال المعدودين، ولم يكن له بالناحية كلها نظير في النجدة والذكر" إضافة لكونه وقبيلته ومن تبعه من العرب والبربر" قام وقعد في أمر أبي عبد الله، وأدار الحيلة في أخده، وزحف مع أبي حوال مرتين إليه ولم يبق شيئا قدر عليه إلا استفرغ جهده فيه"[4].

ومع سقوط مدينة ميلة سنة 289هـ/901م أدرك ابن عسلوجة الخطأ الذي ارتكبه وارتكبه أمراء بقية الحصون والمدن في عدم إنقاد أهلها(ميلة)، وكان أثناء توجه أبي عبد الله وجيشه لا يستكين للتحصن في المدينة المنيعة بل كان يخرج مع قبيلته ومن معه من العرب و" كثيرا من رجال كتامة ممن يقرب إليه"[5] وقد كانت شجاعة هذا الأمير العربي أثناء حصار كتامة له محل إعجاب الناس، ونقل ذلك القاضي النعمان في روايته قائلا: و" كان يخرج بهم وبأهل سطيف إليه، ويقاتله، ويكون منه البلاء في ذلك مالم يشهده من أحد غيره مثله، فقيل: إنه قتل في يوم واحد ثلاثة عشر فارسا، في القتال، لا يزيد الواحد منهم على ضربة واحدة"[6]، ولما رأى الداعية أبي عبد الله ضربه وصنيعه وقتله لفرسان كتامة قال:" هذا الملعون ! ممن قال الله تعالى[7]: {وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ}[8] جَبَّارِينَ}[8] وقد خرج هذا الأمير مدة أربعين يوما إلى معسكر أبي عبد الله لقتاله، ولما أدرك أبي عبد الله قوته ومن معه عاد إلى إيكجان وارتاح بها شهرا وجمع كل من يستطيع جمعه وعاد إليه، غير أن الأمير العربي" خرج بجمعه، فقاتله كما كان يقاتله في المرة الأولى خارجا من المدينة"[9] وفي الأخير غلب من طرق قوات الداعية وحصر في

---

[1]- اليعقوبي، 190.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 79 . ذكره عبد الرحمان بن خلدون علي بن جعفر ابن عسلوجة وأخوه أبو حبيب. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 45.

[3]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 140.

[4]- نفسه، 166.

[5]- نفسه، 166.

[6]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 68. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 166.

[7]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 166.

[8]- سورة الشعراء، الآية 130.

[9]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 167.

المدينة وانتهت ملحمته ومقاومته بالموت رفقة أخيه، هذا ولم توضح المصادر سبب الموت غير أننا نرجح أنه اغتيل وأخيه أو حدث انقلاب داخلي بزعامة داوود بن حباسة والذي كان في صفه، وذكرته المصادر الإسماعيلية أنه هو الذي خرج إلى أبي عبد الله يطلب أمان البلد كلهم" وأمنه وهذا ما يتعارض مع السياسة التي يتبعها دوما أبي عبد الله بعد فتح المدن في إعدام الكتاميين الذين ناصبوه العداء، بل إن هذا المعارض قد أضحى من خاصة أبي عبد الله ولقب بداعي الدعاة، وقد قامت عشيرة علي بن عسلوجة وأهله بدفن جثتهما وإخفاء مكانهما[1]، كما قام أبي أبي عبد الله بقتل من استحق القتل بها" وأمر بهدم أسوار المدينة خوفا من تحصن العرب فيها من جديد.

وبهذا تنتهي حسب ظننا مقاومة أقوى عصبة عربية ضد المشروع الشيعي ذلك لأن المدن التي صمدت وقاومت فيما بعد ولم يكن أمراؤها بمثل قوة وصلابة علي بن عسلوجة وقومه، ودخلت القبيلة والمدينة في نطاق الدعوة لكن ليس للجماعة باكملها بسبب أن العديد من عناصر قبيلة بنو خزيمة وعشيرة ابن عسلوجة نزحوا نحو إفريقية بدليل أن القاضي النعمان لما تحدث عن حملة إبراهيم بن حبشي التي توجهت لبلاد كتامة ذكر أنه كان من بين قواته "ممن نزع إليه من أهل كتامة وأهل الزاب"[2].

وفي المقابل تواجدت العديد من البيوتات العربية والتي هاجرت من المشرق والأندلس وحتى من إفريقية نحو المغرب الأوسط وانضمت إلى الجماعة الإسماعيلية ومن بينها أسرة علي بن حمدون الأندلسية، والتي تنتمي إلى قبيلة جذام العربية، كذلك تواجد على أرض المغرب الأوسط أفراد من الفرع الهاشمي من قبيلة قريش، وقد كان لقاء أحدهم بالمهدي عبيد الله في سجلماسة وهو من أرسله إلى أرض المغرب الأوسط، ولم يكن هذا هو الوحيد ممن دخلوا بلاد المغرب بل كان هناك الكثير من بطون قريش والذين استوطنوا في الحواضر الكبرى ومنها "مدينة الزاب العظمى طبنة وهي التي ينزلها الولاة وبها أخلاط من قريش والعرب..."[3].

والذي نقر به في هذا الشأن أنه من الممكن أن تكون لتلك القبائل العربية التي كانت مكونا أساسيا وطبيعيا إندمج مع المغاربة منذ الفتح الإسلامي أن تلعب دورا كبيرا في إيقاف الحراك الكتامي وحركة المشروع الشيعي

[1]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 168.
[2]- نفسه، 169.
[3]- اليعقوبي، 190.

الإسماعيلي في المنطقة، إلا أن القيادة الأغلبية منذ منتصف القرن 3هـ/9م حاربتهم وأطاحت بالعديد من قياداتهم وإبادة قبائلهم وبطونهم[1].

في المقابل رغم وجود العديد من الإمارات العلوية السليمانية على أرض المغرب الأوسط وتمركز العديد منها بأقصى بلاد الزاب والذي شهدت أراضيه حراكا شيعيا إلا أن المصادر التاريخية لم تطلعنا على موقف هذه الحركات من الدعوة الإسماعيلية والتشيع لدعوة المهدي وما هو مصير هذه الإمارات، ما عدا رواية سيرة الحاجب جعفر الذي جاء فيها أن شخصية من بني هاشم كان قد التقى بعبيد الله المهدي في سجلماسة وأرسله إلى الداعية في ايكجان وفي رقادة وكان ضمن جيش كتامة الذي خرج لتخليص المهدي[2].

والشواهد على وجود القبائل العربية كثيرة وعديدة غير أن المصادر لم تفصل في أصولها ومن أشارت إليها إنما تناولتها في سياق الأدوار التي لعبتها في إطار الحروب المذهبية، ومن بين تلك المدن لاسيما في مجالات كتامة والتي عمرت من طرف القبائل العربية مجانةالتي كانت تعرف "بمجانة العرب..." وهذه المدينة للعرب وحولها لواتة"[3].

رابعا: دور العبيد في مجتمع الدعوة

يعتبر العبيد بمختلف أصنافهم أحد أهم الفئات الفاعلة في مجتمعات المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط[4]، وقد لعبت هذه الشريحة دورا كبيرا في الحياة السياسية والعسكرية ببلاد المغرب خلال القرون الثلاثة الأولى، وإذا استثنينا الأندلس ومكانة الرقيق لاسيما الصقلبي في بلاط أمويها فإنه يمكن بحق أن نؤكد أن ذروة توظيف

[1]- في هذا المقام يذكر ابن عذاري المراكشي في أحداث سنة 268هـ حيث كان" فتك إبراهيم بن الأغلب بأهل الزاب، فقتلهم وقتل أطفالهم، وحملوا على العجل إلى الحفر، فألقوا فيها". ابن عذاري المراكشي، 162.

[2]- اليماني محمد بن محمد، 119- 123.

[3]- البكري عبيد الله، 260.

[4]- لتفاصيل أكثر عن العبيد في بلاد المغرب الأوسط حلال العصر الوسيط. ينظر: بن عربة محمد، تجارة الرقيق في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط: الأصناف- المراكز، ضمن الكتاب الجماعي: دراسات إفريقية، جمع وتقديم: حنيفي هلايلي، (ط1/ سيدي بلعباس/ الجزائر: منشورات مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، 2020)، 55-84. بن عربة محمد- بوسالم أحلام، دور مدينة وارجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، (مج04، ع01/ تيارت، الجزائر، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة تيارت، جانفي2021) 80- 98.

الرقيق لا سيما في الحياة السياسة والعسكرية في بلاد المغرب الإسلامي كان خلال العصر الفاطمي[1] وساير تقدم الدعوة الإسماعيلية فيها، وقد كان حضورهم بداية الدعوة لاسيما مع الداعية الأول أبي سفيان الذي بعد نزوله على تالا "اشترى أمة وعبدا، ويقال أنه كان يعمل مع عبده، ويأمر امرأته فتعمل مع أمتها"[2] ونفس الأمر مع داعية المغرب الأوسط الحلواني الذي نزل الناظور واشترى عبدا وأمة[3]، وقد كان العبدان بعد تدريبهما عينا على رجال المنطقة أما النساء فقد كلفن بالتجسس على نساء المنطقة[4]، وبالنسبة للداعية أبي عبد الله الشيعي فلم تكن له زوجة يوم قدومه إلى بلاد المغرب وظل على هذا الحال إلى أن اصطفى لنفسه جارية كانت هي أم ولده ولم يكن له غيرها[5]، وقد أهدى هذه الجارية صاحب إفريقية إبراهيم بن أحمد إلى يوسف العطاشي أمير مزاتة، وكان

---

[1]- أدرك الفاطميون منذ قيام دولتهم حجم المخاطر التي ستواجههم سواء من الجماعات المذهبية المعارضة لهم كالمالكية والخارجية، أو من طرف القبائل التي تسكن ضمن مجالهم كزناتة وحتى القبائل الموالية لهم، أو من طرف خلافة بنو أمية في الأندلس المتربصة بهم، لهذا عمدوا إلى اصطناع فئة جديدة يكون ولائها فقط للخليفة وهذه الفئة هي فئة الرقيق فيذكر لسان الدين ابن الخطيب أن الخليفة الأول عبيد الله المهدي "اتخذ من العبيد اثني عشرة ألف مملوك بين رومي وحبشي" وزادت أهميتهم في فترة الخليفة القائم بأمر اله والخليفة المنصور بنصر الله حيث ظهرت وتوسعت ثورة أبي يزيد وأخضع المغرب الأوسط وقبائله، فكان الرقيق من الذين ثبتوا مع أسيادهم الفاطميين وابلوا بلاء حسنا في الدفاع عنهم وكان لهم دور كبير في مطاردة وحصار أبي يزيد إلا أن اسر وقتل، وفي خلافة المعز لدين الله أصبح العبيد هم من يتولون الوظائف الإدارية ويشرفون على العديد من المدن وكان أبرزهم هو جوهر الصقلبي والذي قاد أكبر جيش فاطمي وخرج به من المغرب نحو مصر حيث فتحها وبنى مدينة القاهرة فيها. ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، 51. حسن علي إبراهيم، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، (ط2، القاهرة/ مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1963). حاجي حامد، مملوك صقلبي بارز من الفترة الفاطمية الأولى: الأستاذ جوذر- ضمن مؤلف: قلاع القلاع- دراسات إسماعيلية وإسلامية تكريما لفرهاد دفتري-،تحر: عمر علي- دي- أونثاغا- تر: سيف الدين القصير، (ط1، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: دار الساقي- معهد الدراسات الإسماعيلية، 2014)، 271- 285.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 27.

[3]- نفسه، 29.

[4]- لقبال موسى، دور كتامة، 216-217. بن عميرة بشاري لطيفة، الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين(ق.1-4هـ/7-10م)، (جامعة الجزائر/ الجزائر: أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 200- 2008)، 280.

[5]- القاضي النعمان، 98

الأولياء من الكتاميين أنصار الدعوة يشنون الغارات على حمى المزاتيين فانتصروا عليهم وغنموا ما عندهم، وكان من بين الغنائم تلك السبية فأهدوها له[1].

ويظهر دور العبيد بقوة في فصول المرحلة الأولى من دعوة أبي عبد الله الصنعاني وكان سبب نجاته من أول وأخطر مؤامرة تعرض لها في مدينة ميلة عندما كان بعيدا عن أنصاره هو أحد العبيد، فبعد وصول الداعية إلى ميلة ونزوله بأحد فنادقها والذي كان مملوكا من طرف واليها وصل لهذا الأخير خبر بأن المشرقي نزل عنده فأرسل أحد عبيده المشرفين على الفندق وأمره بجلب الداعي، إلا أن هذا العبد واسمه "فرجون" تردد في الأمر واعتبر المجيء بالداعية إلى سيده الوالي منقصة له كما اعتبره ضيفه وتخوف من تعرضه لأي مكروه" فدس إليه من أنذره، وأمره بالخروج، وتثاقل إلى أن علم أنه قد خرج متظاهرا بأنه يطلبه ورجع إلى سيده وأعلمه أنه ضيع أثره[2] .

وكان الداعية أبو عبد الله يمتلك جملة من العبيد الصقالبة منهم عبدا يسمى شفيعا وهو الذي أرسله الداعية عند محاصرة سجلماسة على رأس وفد في سفارة لإطلاق سراح المهدي غير أنه تم قتله هو والوفد المرافق له[3]، ويبدو لنا أن سبب اختيار الداعية لعبد على رأس سفارة مهمة نحو أمير سجلماسة وما لهذه السفارة من أهمية في تخليص المهدي قد تكون دلالة على التكوين الذي حصل عليه العبيد والغلمان في مجتمع الدعوة، ولا يستبعد أن يكون الداعية أبي عبد الله قد نصب أحد عبيده الصقالبة على رأس فرق جيشه، وحسبنا في هذا ما ذكره صاحب" سيرة الحاجب جعفر" في أحداث دخول سجلماسة وتخليص المهدي أنه كان للداعية خادما صقلبيا يدعى بشرى الإيكجاني وكان الداعية قد اشتراه غداة دخوله لإيكجان عام280هـ/883م، وكان لهذا الخادم شأن عظيم عند الكتاميين بحيث كانوا يجلونه ويأتمرون له[4]، وكان هو أول من دخل على الخليفة عبيد الله المهدي بعد اقتحام سجلماسة وأصبح مملوكا له بعد أن أهداه له الداعية أبي عبد الله[5].

وعند دخول الداعية أبي عبد الله الشيعي القيروان ورقادة أصبحت تركة الأغالبة ميراثا له بحكم أنه المتغلب، يتصرف فيها حيث يشاء حتى يأتي صاحب الأمر(الخليفة عبيد الله المهدي)، ومن بين الغنائم التي حصل عليها

---

[1]- نفسه، 98.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 51- 52.

[3]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الأثار- السبع الخامس-، 99.

[4]- اليماني محمد بن محمد، 128.

[5]- نفسه، 128- 129.

آلاف من عبيد القصور والخدمة بعضهم من الصقالبة والبعض الآخر من السودانيين، كان منهم"...جواري ...لهن جمال ومقدار..."[1].

وقد قام العبيد بدور كبير في رحلة الإمام عبيد الله المهدي من سلمية إلى غاية وصوله لسجلماسة مرورا بأرض المغرب الأوسط، وإلى غاية تخليصه من طرف جيش كتامة ودخوله لرقادة، والبداية مع "طيب الحاضن" الذي مهد له الطريق في مرحلته الأولى وكان" يختلف من سلمية إلى الرملة يعرفه الأخبار"[2].

كما كان لأبي الفضل جعفر بن علي دور كبير في تخليص عبيد الله المهدي من أسره بسجلماسة، حيث نصبه كحاجب بينه وبين الجيش الكتامي والوفود التي جاءت لتهنئه بسلامته وانتصار جيشه وإخراجه من السجن[3]، وفي هذا يقول جعفر: " فمن ذلك اليوم سميت حاجبا، فكنت أقدمهم عشرة عشرة وكنت أول من خدم المهدي لما أفضت الخلافة إليه"[4]. وكان هذا الأخير بعد قيام الدولة هو أول من تولى خطة الحجابة للخلفاء الفاطميين في الحقبة المغربية[5].

أما بالنسبة للجواري اللواتي امتلأت بهن قصور الأغالبة سابقا فبعد دخول الخليفة عبيد الله المهدي رقادة واستلامه كل الذخائر والتحف التي حفظت له من طرف الداعية بما فيها الجواري" اصطفى بعضهن، وأعطى القائم منهن وفرق أكثرهن على وجوه رجال كتامة"[6].

خامسا: دور المرأة في مجتمع الدعوة

قامت المرأة في بلاد المغرب الإسلامي بدور مهم وحيوي امتدت أثاره إلى جميع المجالات، وقد أجبرتها الظروف السياسية على خوض غمار السياسة والحروب، ولم تكن الفترة التي انتشرت فيها الدعوة الإسماعيلية بالمغرب الأوسط ومجالات كتامة فقيرة بالنسبة لمشاركاتها، بل إن المرأة في هذه الفترة خرجت من حيز بيتها،

---

[1]- القاضي النعمان، 248.

[2]- النيسابوري إبراهيم أحمد، استتار الإمام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه- مذكرات في حركة المهدي الفاطمي-، تح-نش: إيفانوف، (القاهرة/ مصر: مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، 1936)، مج4، ج2/ 101.

[3]- اليماني محمد بن محمد، 130- 131.

[4]- نفسه، 131.

[5]- مجاني بوبة، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي، 145- 146.

[6]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 302.

وأصبحت إحدى المكونات الأساسية لمجتمع الدعوة والتي شاركت فيها من خلال زوايا متعددة منها الإنفاق، التعليم والحروب.

أ: المرأة بين التعليم والدعوة:

إن الدعوة وأخذ التشيع والحكمة والمشاركة في الحروب والجلوس بين يدي الداعية أبي عبد الله الشيعي لم يقتصر على الرجال من كتامة والعرب فحسب، بل حتى النساء كن يشهدن المجالس، ويسمعن الحكمة"[1] ومن أقدم النساء ذكرا في المصادر الإسماعيلية اللاتي شاركن في الدعوة الإسماعيلية وارتقين إلى درجة داعية هي" أم موسى بنت الحلواني"، والتي تلقت العلم والتشيع على يد أبيها الحلواني وكانت تسمع عليه وعلى الداعية أبي عبد الله الشيعي باعتبار أنها كانت عجوز وعاصرت دعوة هذا الأخير، ولم تكن هي الوحيدة التي تلقت التشيع سواء في فترة أبيها أو فترة الداعية بل كانت هناك الكثيرات "من عجائز كتامة كن... على نيات وبصائر لما كن يسمعن من الذكر والحكمة، وقومن عليه من الأدب والسياسة"[2]، ومن بين النساء اللواتي ارتقين إلى طور الداعية زوجة يحي بن الأصم الإجاني، وكان زوجها قد تلقى التشيع على يد الحلواني وعمل على تأديب زوجته التي كانت حديثة السن وعلمها التشيع والولاية[3]، وبقيت مخلصة لعقيدتها التي اعتنقتها على يد زوجها وراعت أمانته حتى زمن قدوم أبي عبد الله الشيعي فدفعته إليه "ودعيت، وحسنت حالها"[4].

ب: المرأة في الحروب والمشاركة الاجتماعية

إن المعلومات حول دور نساء مجتمع الدعوة الإسماعيلية في المصادر التاريخية هي شحيحة وما وجد منها لا يعدوا أن يكون إشارات متفرقة ذكر جلها القاضي النعمان في مؤلفه افتتاح الدعوة، وبالرغم من قلتها غير أن لها من الأهمية لتعكس المكانة الكبيرة التي تبوأتها، لا سيما في الأيام الحالكات من الحروب فزوجة يحي بن يوسف ابن الأصم الإجاني والذي كان من أصحاب الحلواني، قام بتعليم زوجته وأدبها بآداب التشيع والولاية[5]، ولما احتضر أخرج إليها مالا كثيرا وأخبرها أنه احتفظ به لأجل ما كان يبشر به الحلواني حول نزول المهدي عليه السلام بديارنا وأن هذا المال نفقة للمجاهدين وقال لها:" فليكن عندك بأمانة الله فأخرجيه، فأنفقيه، ومات" فتزوجها بعده أخوه

---

[1]- نفسه، 132. ابن الهيثم، 122.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 132

[3]- نفسه، 131.

[4]- لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، 246. القاضي النعمان، 132.

[5]- القاضي النعمان، 131

ياسين بن يوسف وعاشت إلى أن دخل الداعية" ودعيت وحسنت حالها، وأخرجت إليه المال ودفعته إليه"[1] وأخبرت الداعية بوصية زوجها، كما أنها أنفقت من مالها الخاص[2]، وكانت تصنع الطعام بيديها للمجاهدين، وضعفاء المؤمنين، ولمن ينزل بأهلها منهم، حتى أن يديها كانت تدميان من الطحن وعلاج الطعام لهم"[3]، ولعبت كتاميات مجتمع الدعوة أدوارا عديدة وكانت منهن من أنجبت أولادا لعبوا دورا كبيرا في تاريخ الخلافة الفاطمية والغرب الإسلامي ومن أمثال ذلك ميمونة بنت علاهم الجيملي والتي تزوجت من علي بن حمدون وأنجبت له يحي وجعفرا[4].

ويبدوا لنا أن كويرت بن قيس اللهيصي وعائلته كانوا يمتهنون مهنة التمريض والتطبيب وقد عرف عنهم دعمهم وتفانيهم الاجتماعي ودعم النشاط العسكري والإشراف على المرضى والمعطوبين وكفالتهم لدرجة أن كويرت " أنفق ماله كله في مؤاساة إخوانه، وإطعامهم، وسد خللهم..."[5]، ويؤثر عنه أنه كان" يخرق ما عنده من من الثياب لتعصيب جراح الجرحى حتى لم يبقى له ثوب ..."[6] فاستعان بزوجته والتي قدمت ثيابها للمرضى لألبساهم وصنع خرق لتضميد جروحهم[7]، ونفس الفعل أقدم عليه ابنه مع" امرأة له، وهي عروس وعليها ثياب، ثياب، فسألها فيها وعوضها مالا منها، وانتزعها عنها، فشقها عصائب، وشد بها جراحات إخوانه؟"[8].

ولم تكن نسوة كتامة يتبرعن بما لديهن فقط بل كن يشاركن في إطعام الضعفاء والمرضى ويسهرن على راحتهن وإن لم تفصح المصادر بمعلومات وتفاصيل عن ذلك غير أن هذا لا ينفي وجود مشاركات كثيرة لهن خصوصا إذا علمنا أن النشاط العسكري لهذه الجماعة امتد لفترة قربت16عاما ظلت فيها الجماعة محافظة على تنظيمها ومبادئها ولحمتها.

جدول يوضح أعلام من النساء اللواتي انضممن لدعوة أبي عبد الله الشيعي

الداعية	الأصل	موطن النزول	وضعية النزول

[1]- نفسه، 132

[2]- عبد الشكور نبيلة، إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع للهجرة الثاني عشر- الخامس عشر الميلاديين، (جامعة الجزائر/ الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، أطروحة دكتوراه، 2007- 2008)، 37.

[3]- القاضي النعمان، 132. عبد الشكور نبيلة، 37.

[4]- ابن حيان الأندلسي، 23.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 130.

[6]- نفسه، 130.

[7]- نفسه، 130- 131.

[8]- نفسه، 131.

أم موسى	عربية من جهة الأب	الناظور	استقرار دائم منذ الولادة
ميمونة بنت علاهم	بربرية من قبيلة جيملة	مواطن جيملة	استقرار دائم منذ الولادة
زوجة يحي بن يوسف الإجاني	بربرية من قبيلة إجانة	مواطن إجانة	استقرار دائم منذ الولادة

سادسا: عادات وتقاليد مجتمع الدعوة

أ: الكرم

إن الكرم ظاهرة متأصلة في القبائل البربرية زادت بعد اعتناقهم الإسلام وتشير النصوص التاريخية في مواضع كثيرة ومتعددة عن حالات الكرم التي نالت العديد من الأفراد النازلين على المجال الكتامي أو المتقربين من قبائله وفي مقدمتهم الداعية أبي عبد الله الشيعي، فأثناء مصاحبته للركب المغاربي الكتامي العائد من الحج كانوا عند أول موضع نزلوا وارتاحوا فيه" اشتروا له شاة، فذبحوها، وهيئوا له طعاما، ونزلوا معه، فأتوه بالطعام "[1] ولما استفسر عن فعلهم قالوا له هذه عادتنا في الضيف، وأنت ضيف نازل عندنا[2]، وغداة وصولهم إلى بلاد سماتة والتقائهم بسكان الموضع، أنزلوه عندهم ورغب كل واحد منهم أن يكون نزوله عنده[3] لدرجة أنهم احتكموا إلى السهام، ونفس المعاملة حدث مع بقية الركب حيث نزل" كل واحد... عند رجل منهم بحسب ما **يفعلونه بالأضياف الجماعة** إذا حلوا بالقوم"[4].

وكان من مظاهر احتفال الكتاميين بضيوفهم أن يقوم كل واحد منهم بذبح شاة لضيفه مع بره وإكرامه[5]، وبالغ السماتيون في الكرم لدرجة أنه في صبح تلك الليلة قام أبو عبد الله الأندلسي" فذبح غنما كثيرا ومشى إلى الكتاميين وقد أخذوا في الرحيل فأقسم عليهم أن يقيموا عنده يومهم...فقام بضيافتهم..."[6].

ونفس الأمر حدث لما دخل الداعية عمق بلاد كتامة ووصل الحجاج إلى مضاربهم حيث تنازع " أبو عبد الله كل واحد من الكتاميين بغرض أخذه حرصا ورغبة في الكرم، حتى صار أمرهم في ذلك إلى التشاح والمنابذة[7]، والمنابذة[7]، ولم يقتصر كرم الكتاميين ومن تبعهم من العرب على كرم الداعية فقط بل إنهم احتفلوا بنزول الأفراد

---

[1]- نفسه، 35.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 35.

[3]- نفسه، 40- 41.

[4]- نفسه 41.

[5]- نفسه، 41.

[6]- نفسه، 42- 43.

[7]- نفسه، 47.

والجماعات النازلة عنده من القبائل الأخرى والتي كانت تريد لقاء الداعية ومبايعته والانضمام لدعوته فأكرموهم وأنفقوا عليهم وفي هذا يذكر صاحب مؤلف "افتتاح الدعوة":" وكانوا يقيمون بضيافة من يأتيه، ويرد عليه، ويحمل المؤمنون به، وينفقون في ذلك، رغبة في الثواب، وتقربا إلى الله عز وجل بعمل الخير، وكان ذلك أول ما حظهم به من النفقة عليه، ونذبهم إليه"[1].

الصلاح:

لم تمضي فترة طويلة على قدوم دعوة الداعي الشيعي الصنعاني حتى تحولت المجالات التي نزل فيها إلى وضع جديد قوامه أجواء روحانية وصلاح وكان الكثير منهم" كالنجوم في أفعال الخير، يشار إليهم بالأصابع"[2]، لدرجة أن عامة الناس بقيت تقارن وضعهم الجديد وحالتهم قبيل الدعوة بنوع من التعجب، ومع تقدم الدعوة وثباتها في نفوس الكتاميين زالت الطبقية بينهم وتصافى الناس ومن جملة حالهم ماذكره القاضي النعمان من أنه كان إذا" تلاقا الرجلان منهما تصافحا، وتعانقا، وقبل كل واحد يد صاحبه لا يأنف في ذلك شريفهم عن مشروفهم، ولا يرغب بنفسه فيه قويهم عن ضعيفهم"[3].

الحمية والفروسية:

وهي عادة متأصلة في البربر بمختلف فروعهم سواء كانت كتامة أو صنهاجة أو زناته، وتجلت مظاهرها في حماية الضيف وتأمينه وعدم تسليمه لخصومه وانتشرت هذه العادة لما بدأت تظهر نتائج الدعوة وتميز أصحابها عن بقية الناس ووصلت الأخبار على التوالي إلى والي مدينة ميلة فأرسل إلى رؤوس قبيلة بني سكتان يطلب منهم أن يرسلوا أبا عبد الله ليرى حاله ويستخبر أمره ويجمع بينه وبين العلماء عنده للمناظرة غير أن القوم" أنفوا ذلك وردوا إليه وقالوا: ما كنا بمن يسلم ضيفنا إليك"[4]، غير أنه عاود مراسلتهم بالترغيب وحتى بالترهيب مخوفا إياهم في حالة إن إن سمع الحاكم الأغلبي بخبره وبموضعه فإنه سيغرق ويهلك الناس بجنوده لكنهم هذه المرة رفضوا وزادوا عليه بأن قالوا " ماكنا بمن يسلمه، ولا يخذله، ولا ندع أحدا تمتد يده إليه، وهو ضيفنا وبين أظهرنا"[5].

---

[1]- نفسه، 53.

[2]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 52. القاضي النعمان ، 53.

[3]- القاضي النعمان افتتاح الدعوة، 123.

[4]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 50. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 54.

[5]- القاضي النعمان، 54.

وقد كانت الفروسية والشجاعة وسرعة الحركة والشدة من بين أهم الصفات التي اكتسبها البربر خلال العصر الوسيط، وقد كانت قبيلة كتامة البربرية في عداد القبائل المشهورة بتلك الخصال ولم يكن في بلاد المغرب وفي قبائل إفريقية" أكثر عددا ولا أشد شوكة، ولا أصعب مراما على السلطان، من كتامة"[1]، وقد قال عنهم عبد الرحمان ابن خلدون أن هذا " القبيل من قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأسا وقوة"[2] وقد كان عبد الرحمان خلال القرن 8هـ/ 14م شاهدا على أحد فروعهم وذكر أن لهم" جمع وقوة وعدد وعدة... يمتطون الخيل ويسكنون الخيام ويظعنون على الإبل والبقر..."[3]بل إن أهلها كانوا مجبولون على الفروسية وتربية الخيول وكان في الكثير من مناطقهم" قل من بها تفوته الخيل السائمة"[4]، وقد أصبحت تلك الخيول وتربيتها مصدر فخرهم فيما بينهم وقد ورد عن أحد حجيجهم سنة280هـ/893م والذي كان مرافقا للداعية أبي عبد الله الشيعي في رحلة العودة نحو المغرب حديث يبين الأهمية التي تحتلها الفروسية والخيل في المجتمع الكتامي حيث ذكر بأنها" أكثر كسبنا(الخيول)، وبه نفخر وإياه نفتدي لحاجتنا إليه لما بيننا من حروب ..."[5]، وقد كان الكتاميين مشهورين باكتساب خيول لم ير الناس مثلها فيما رأوه من ناحية الجودة والفراهة، وسلاحهم ليس فيه ساقط ولا منه ضعيف[6].

وقد تحسنت أحوالهم على نطاق واسع وهذا إكراما من المهدي الذي" أمرهم بالتزين والتجمل فلبسوا خير الثياب وحلوا سروجهم ولجمهم وأظهروا زيا حسنا"[7].

وقد كان لتلك الفروسية والشجاعة والإقدام في الحرب نصيبها بين الفرقاء الكتاميين المتخاصمين وتجلت أكثر لما اعتنقت كتامة الدعوة الإسماعيلية وآمنت بها حيث أنها لم تخف مواجهة السلطة الأغلبية وولاتها رغم كثرة عددهم ووفرة سلاحهم، وكان الداعية أبي عبد الله بعد توالي انتصارات جيشه كثيرا ما يخرجهم في للإستعراض وهذا لإظهار قوتهم ومهاراتهم.

عادة تقبيل اليد:

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، 169.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج7/ 195.

[3]- نفسه، 197.

[4]- ابن حوقل النصيبي، 81. الإدريسي الشريف، 192.

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 38.

[6]- نفسه، 252.

[7]- نفسه، 303.

إن عادة تقبيل اليد وطأطأة الرأس من العادات التي كانت منتشرة ببلاد كتامة خلال العصر الوسيط ودلالتها التقدير والاحترام، ولسنا ندري إن كانت عادة تقبيل الأيدي في المجال الكتامي متواجدة قبل الدعوة إلا أنها بعد مجيء الداعية أبي عبد الله الشيعي أصبحت تقليدا من تقاليد الدعوة، حيث أن الداعية كان إذا دخل عليه أحد من أتباعه قبل يده[1] وكان هذا التقليد مقاما طول مدة إقامته في كتامة، كما كان مختصا بهذه المنطقة فقط وقد أنكره أبو المقارع على أبي عبد الله وقال له: إذا دخلت إفريقية وتملكتها فعليك بقطع هذه العادة، فإن أهل إفريقية لم يعرفوها ولم يتعاملوا بها مع أمراؤهم[2]، غير أن الداعية بعد دخوله لإفريقية لم يترك وأتباعه عادة تقليد اليد ويبدو أن الداعية كان يرمي من وراء تعميمها إلى جعلها طقسا خاصا من طقوس الخلافة وهو ماتم فعلا فقد تجاوز تقبيل اليد إلى تقبيل الأرض من تحت أرجل الخليفة وتقبيل الدابة التي يركبها، وهو ماتم بعد دخول قواته مدينة سجلماسة وهروب المدراريين ورؤيته لعبيد الله "فقبل الأرض، وقبل الناس معه وغدا وغدا الناس خلفه يقبل الأرض والناس يقبلون خلفه حتى انكب على حوافر فرس المهدي بالله صلوات الله عليه، ثم رفع رأسه فقبل ركاب المهدي عليه السلام "[3].

وقد بقيت عادة تقبيل اليد في بلاد المغرب الفاطمي تمارس على أنها أحد طقوس العبادة وأثيرت حولها العديد من السجالات بين الجماعة الإسماعيلية وفقهائها ومنظريها وبين مختلف الجماعات الأخرى، والتي رأت فيها أنها شرك وكفروا من فعلها وفعل له بها، ودافع القاضي النعمان عن سجوده للخلفاء الفاطميين وسجود الكتاميين وغيرهم من العرب والعبيد ومن بين الأمور التي احتج بها قصة سيدنا يوسف عليه السلام[4]" أنهم سجدوا ليوسف ليوسف عليه السلام إذ دخلوا عليه وهو نبي وأن ذلك كان بتأويل رؤياه... فهل كفر هؤلاء الأنبياء عندهم بهذا السجود؟..."[5]، وحسم النعمان القول بأن" ...لا نقول نحن إنا نسجد لأحد من دون الله، تعالى الله عن ذلك، ذلك، ولكنا نقبل الأرض تعظيما لأولياء الله..."[6]، وأكد هذا الطرح والعقيدة في مؤلفه "الهمة في آداب إتباع

[1]- القاضي النعمان، 252.
[2]- نفسه، 252.
[3]- جعفر بن علي الحاجب، سيرة الحاجب جعفر، 125- 126.
[4]- سورة يوسف، الآية: 100.
[5]- القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، 59.
[6]- نفسه، 59

الأئمة" حيث يقول:" فينبغي لمن واجه الإمام أن يبدأ بالسلام عليه، ثم يقبل الأرض بين يديه، ويعتقد ذلك تعظيما له وتقربا إلى الله عزوجل..."[1].

سابعا: الهجرة وأثرها على مجتمع الدعوة

تعد فكرة الهجرة فكرة مقدسة لدى الشيعة الإسماعيلية وهي جزء من ميراثهم وقد ذكر فيه العديد من الأحاديث التي تشرع لها ولعل أهمها الحديث أو المختص بهجرة المهدي " إن للمهدي هجرة تنبوا عن الأوطان في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار، من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان"[2].

أما بالنسبة لحركة الهجرة داخل بلاد كتامة فهي كانت تتأثر بحكم عامل: السلم والحرب، القوة والضعف، الحركة داخليا وخارجيا.

حركة الهجرة داخل بلاد كتامة:

إن أول حركة هجرة داخل مجالات كتامة كانت متزامنة مع أول دخول لأبي عبد الله الشيعي لهذه المجالات، وكانت هذه الهجرة تضم دعاة انتقلوا من منطقة سوجمار إلى منطقة إيكجان، فبعد الليلة التي قضاها الداعية غداة دخوله أرض المغرب الأوسط في بيت أبي عبد الله الأندلسي، واطلاعه على أسرار الداعية ومهمته، نتج عن هذا اللقاء عزم كل من أبا عبد الله الأندلسي وأبي القاسم الورفجومي الهجرة مع الداعية أينما حل وارتحل، **ويعد هذين الشخصين أول المهاجرين في مجالات كتامة بغرض الدعوة وإتباع الداعية.**

بعد دخول الداعية عمق مجالات كتامة وانتهاء رحلته إلى إيكجان والتي أصبحت تعرف "بموطن الدعوة والإيمان" استقر الداعية بين أظهر ثلة من الأتباع الذين اعتنقوا الدعوة على الحلواني ومن اللذين التقى بهم في ركب الحجاج الكتامي، بحيث أخبروا من قدموا عليه من أصحابهم بأخباره، ووصفوا لهم علمه وحلمه[3] لتتحول إيكجان بعدها وفي مدة قصيرة إلى مركز جذب للكتاميين المتشيعين سابقا أو هؤلاء الذين يبحثون عن العلم والجديد عند الداعية حيث أقبلوا إليه من كل ناحية، وتسامعوا به[4]، وإن لم توفر لنا المصادر أعداد هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى

---

[1]- القاضي النعمان، الهمة في آداب إتباع الأئمة، تح: مصطفى غالب، (بيروت/ لبنان: منشورات ودار مكتبة الهلال، 1985)، 149- 150.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 48. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 57- 58. الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 48.

[3] -كان من بين أهم تقاليد الدعوة الإسماعيلية وجوب توفر العديد من المميزات في صاحب الدعوة من بينها أن يكون:" عارفا بمذاهب أهلها وبعلومهم وطباعهم وما يميلون إليه ويرغبون فيه من العمل وبأفهامهم، حتى يمكنه المناظرة معهم ويقبلون منه العلم". ينظر: أحمد بن إبراهيم النيسابوري، استتار الإمام عليه السلام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه، نشر: إيفانوف، (ع4، القاهرة/ مصر: مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، 1936)، 153.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 49.

إيكجان من عام 280هـ/ 893م ولا أسماءهم ولا حتى طريقة استقرارهم فيها(بين الدائم أو المؤقت الطارئ)، إلا أن خلال الفترة اللاحقة والقريبة كانت المصادر الإسماعيلية حافلة بمعلومات وتفاصيل عن هؤلاء الأشخاص المهاجرين من قبائلهم ومواضع استقرارهم إلى إيكجان، وكان من بينهم أشخاص ذوي ثقل قبلي كبير على غرار هارون بن يونس بن يونس بن موسى كبير مسالتة والذي أصبح يلقب بشيخ المشايخ[1]، كما كان الحسن بن هارون الغشمي كبير قبيلة غشمان المستقرة بتازروت[2]، إضافة لأبي يوسف مكنون بن ضبارة الإجاني وابن أخيه الذي كان حدث السن أبو زاكي تمام بن معارك[3].

وكان هؤلاء المهاجرين الأوائل هم نواة الدعوة وخاصتها وكثير منهم سيضطلع بمهام إدارية وعسكرية كبرى في هذه المرحلة والمرحلة الأولى من صدر الخلافة، وهجرتهم كانت عاملا وحافزا لهجرة أتباعهم وأسرهم وعناصر عديدة من قبائلهم نحو إيكجان ومن قبائل أخرى" أقبلوا إليه من كل ناحية"[4] .

وقد أتخذ أبو عبد الله الداعية إجراءات كانت كلها تعزز من صف الجماعة الناشئة وتستقطب هؤلاء المهاجرين بحيث أنه آخى بينهم" وسماهم إخوانا، وكان إذا دعاهم قال: يا أخانا ! وكانوا يتداعون بينهم كذلك"[5]، غير أننا لا نجزم بأن كل أولئك الأفراد أو الجماعات الذين قدموا إلى إيكجان في هذه المرحلة كانت هجرات بغرض الاستقرار الدائم، لأن الكثير منهم كانوا يرجعون إلى قبائلهم بحكم الأشغال والمناصب التي هم متقدميها، إضافة إلى أن العديد منهم رجع بغرض استقطاب العديد من الناس وعمل الدعاية للداعية وموطن هجرته، وكان السكتانيون حماة الدعوة الأوائل وأصحاب أرض إيكجان على قدر كبير من الإكرام والترحيب المنقطع النظير للمهاجرين، حيث كانوا" يقيمون ضيافة من يأتيهم، ويرد عليهم، ويحمل المؤمنون إليه، وينفقون في ذلك، رغبة في الثواب، وتقربا إلى الله عز وجل بعمل الخير"[6].

وكان لانتشار الدعوة في نواحي إيكجان وهجرات القبائل نحوها ندير بتحول ديمغرافي وسياسي كبير في المنطقة مما استدعى تحالفا بين قبائل كتامة المعارضة للمشروع الشيعي الإسماعيلي والمتخوفة من ذهاب مكانتها القبلية وبين

---

[1]- نفسه، 49.

[2]- نفسه، 49- 50.

[3]- نفسه، 50.

[4]- نفسه، 52

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 52.

[6]- نفسه، 53

رؤساء وأمراء المدن الكتامية الخاضعة للسلطة الأغلبية، والتي كان لحد تلك السنوات الأولى لا هم لها غير الإثبات لكبيرهم في رقادة أن المنطقة وقبائلها تابعة لهم، هذا الأمر أخذ الأوضاع إلى المواجهة العسكرية.

ورغم أن أعداء الدعوة من المتربصين بها لم يتمكنوا من أخذ الداعية أو الإيقاع بجماعته بسبب وجود دعم من قبيلة مسالتة وقبيلة جيملة غير أن إيكجان لم تعد موطنا أمنا لهم، هذا الأمر إضطرهم للهجرة منها إلى موطن آخر قد يكون أكثر أمانا وأبعد شقة عن مراكز الأعداء، فكانت الوجهة مدينة تازروت حيث" خرج أبو عبد الله الداعي، وخرج معه من المؤمنين من استطاع النقلة من بني سكتان"[1] إضافة إلى ذلك فقد" هاجر إليه جماعة من المؤمنين"[2]، ويبدو أن هذه الهجرة من غير من كان معه في إيكجان هي بسبب أن الموضع الجديد الذي هاجر إليه كان يقع بالقرب من" بلد أجانة، وملوسة، ولهيصة، ولطاية، وجيملة"[3]، وإن كان الموضع الجديد بعيدا نسبيا عن مراكز العدو إلا أنه لم يكن بالمستحيل الوصول إليه فقد تحالف كل من لم ينضم لهذه الدعوة وحشدوا وقرروا مهاجمة الداعية وأتباعه وفي المقابل حشد الداعية أتباعه والذين وصلوا في " عدتهم سبعمائة فارس لا يزيدون ولا ينقصون. وبلغت رجالاتهم نحو ألفي راجل "، وهذا الجيش الصغير كان غالبيته من المهاجرين إلى تازروت وهم على حسب وصف القاضي النعمان كانوا كلهم" من أهل الشدة والنجدة"[4] وخلفوا الكثير من الضعفاء الغير قادرين على الحرب ومن النساء والأطفال، وهو ما يعكس الثقل الديمغرافي المتزايد لهذه الجماعة لاسيما بعد هجرتها نحو تازروت وهجرة العديد الأفراد والجماعات نحوها، وبعد الانتصار في المعركة وبدء الجماعة في شن الغارات حدث أول تحول ديمغرافي في المنطقة بزاوية أخرى وبتأثير آخر وهو هجرة العديد من القبائل المنهزمة نحو ميلة وبقية مدن كتامة بل حتى إلى بلاد المغرب الأدنى لتحريض الأغالبة وكان من بين هؤلاء " جماعة من رؤساء أجانة"[5] وفي المقابل هاجر العديد من بطون كتامة نحو تازروت و" أسلم أكثر الناس إليهم، وأقبلوا يسألون الدخول في الدعوة رغبة ورهبة"[6] وشهدت الفترة اللاحقة هجرات العديد من القبائل لا سيما تلك التي كانت في في حدود إفريقية وقريبة من بلاد الأغالبة ذلك أن وفودها بدأت تتجه نحو الداعية في إيكجان وبقية المدن التابعة له وأذعنت واستقرت فيها خوفا من انتقام الأغالبة.

---

[1]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الأثار- السبع الخامس-، 55.

[2]- نفسه، 55.

[3]- القاضي النعمان، 88.

[4]- نفسه، 103

[5]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 110.

[6]- نفسه، 110.

الهجرة الخارجية:

نقصد بالهجرة الخارجية هي هجرة قبائل المغرب الأوسط من تلك التي احتضنت الدعوة أو اعتنقتها لاحقا وتنقلها وهجرتها نحو المغرب الأدنى وكان هذا بعد الانتصار الكبير الذي حققه الداعية بعد معركة الأربس، وقد وظفت لنا المصادر التاريخية لاسيما الإسماعيلية منها إشارات على هجرة كبيرة للقبائل الكتامية نحو إفريقية وتوطينهم لها وهذا بتشجيع من أبي عبد الله الشيعي والخليفة عبيد الله المهدي، وقد قام أبو عبد الله بعد دخوله القيروان بأن فرق قصورها ودورها على كتامة[1]، " فنزل بها جميع كتامة، ونزلوا أيضا بالقصر القديم في دور الهاربين مع زيادة الله وفيما حوله من الأرباض وحول رقادة"[2] وكانوا من الكثرة لدرجة أن القاضي النعمان شبههم " بالجراد المنشر"[3]، ولما دخل عبيد الله المهدي إفريقية وتمت مبايعته من خاصتها وعامتها عمد إلى توطين كتامة في أرض إفريقية وباقي المدن التي وصلتها بيعته، وعلى حسب ما جاء عند القاصي النعمان فان الداعية أبي عبد الله الشيعي اتبع العديد من السياسات لتوطينهم منها:

تقسيم أعمال إفريقية عليهم عليهم.

توطين كل عسكر من عساكرهم السبعة على نواحي كبرى وغيرها من البلدان التي امتد إليها نفوذهم.

استعمال وجوه كتامة ومقدميها في تسيير المدن والحواضر الكبرى.[4].

كما عززت هذه الإجراءات بإجراءات أخرى شجعتهم على التوطين في البيئة الجديدة ومن بينها أنه" أجرى عليهم الصلات، وأصبغ عليهم العطاء"[5] فا" اتسعت أموالهم وكثرت نعمهم، لما أصابوا من الأعمال، وملكوا من من البلدان..."[6] وقد انعكست تلك الهجرات وتفرقت كتامة على مدن وحواضر المغرب الإسلامي بأن استنزفوا ديمغرافيا ونال كثيرهم القتل.

وفي المقابل لم تكن هجرة قبائل كتامة مقتصرة على المغرب الأدنى فقط بل كانت مستوطنة في أقاصي المغرب وهذا لظروف سياسية وإدارية تتطلب الإشراف على المدن ومراقبتها ومن جملتها استقرار قرابة 500 عنصر منهم بسجلماسة.

---

[1]- الداعي إدريس القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 86.

[2]- القاضي النعمان، 245- 246.

[3]- نفسه، 246.

[4]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 302- 303.

[5]- نفسه، 303.

[6]- نفسه، 303.

ولم تكن أعداد الكتاميين المهاجرين والمقتولين فقط بسيوف أعدائهم من القبائل الأخرى التي رفضت الانصياع لهم بل إن عددا من الكتامين فرادى وجماعات قد نالهم التقتيل والتشريد حتى من قبل الخليفة الأول عبيد الله المهدي وهذا بسبب أن العديد منهم لاسيما من أولي السابقة في الدعوة أنكروا خلافة عبيد الله المهدي وقرروا التخلص منه بتدبير من الداعية أبي عبد الله وأخيه أبي العباس المخطوم[1]، غير أن المهدي تفطن لذلك وكانت أول إجراءاته لتكسير صفهم هو أن قام بإبعاد العديد منهم إلى مواطن بعيدة اتقاء لشرهم ومن ثمة أمر أتباعه المخلصين بقتلهم ومن بينهم تمام بن معارك أبرز القادة الكتاميين حيث أرسله إلى طرابلس" وبعث إلى عاملها ماكنون بقتله، فقتله عند وصوله"[2]، وكان جزاء البقية كذلك حيث أن المهدي عبيد الله" أخرج من وجوههم إلى نواحي من البلدان ليفرق جمعهم"[3] وكان مصيرهم القتل.

واستمرت هذه الهجرات إلى غاية رحيل الخلافة الفاطمية فقد اتجه الكتاميون في حشود كبيرة نحو مصر، وكانت غالبيتهم من الشباب لدرجة أن المعز اندهش من كثرة أعدادهم[4].

وكان الجيل الأول من كتامة لاسيما من طبقة مشايخها وفرسانها أبيد غالبيتهم سواء بسيوف أعدائهم أو حتى من طرف الخلافة الفاطمية مع العلم أنهم بدلوا الغالي والنفيس وفارقوا لأجلها مواطن الآباء والأجداد، وكان هذا الإجراء براغماتيا من طرف الخلافة والتي سعت إلى تطهير كل قوة محيطة بها وعلى رأسها تلك التي أقامت صرحها لأنها هي الوحيدة التي يمكن أن تقوضه.

جدول يوضح أعداد القتلى من قبيلة كتامة في حروبها ضد معارضي الخلافة الفاطمية

السنة	المدينة	عدد القتلى من الكتاميين	المصدر
299هـ/911م	تاهرت القديمة	حوالي ألف فارس	ابن عذارى المراكشي، 191.
299هـ/911م	القيروان	ألف رجل	ابن عذارى المراكشي، 191.
298هـ/910م	القيروان	سبعمائة رجل	القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 323.

[1]- القاضي النعمان، 306- 319. المقريزي تقي الدين، اتعاظ الحنفا، 70- 71. ابن عذارى المراكشي، 189- 190. الداعي إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار- السبع الخامس-، 117-121. ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 48.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 48.

[3]- القاضي النعمان، 315.

[4]- مجاني بوبة، الإدريسي ووصفه لبلاد كتامة، (البرتغال: الملتقى الدولي: المسالك والممالك واختراق أفاق المعمور، 2- 5ماي، 2008)، 96.

302هـ/914م	الفيوم	سبعة ألاف	ابن خلدون عبد الرحمن، ج4/ 49. المقريزي ، اتعاظ الحنفا، 73

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال ما تم التطرق إليه في هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النقاط التالية:

- أصبحت بلاد المغرب مع نهاية الفتح الإسلامي لها وجهة للعديد من مشاريع الحركات السياسية والدعوات المذهبية، والتي حاولت أن تنشئ بها دويلات وتستقطب جماعات، مستغلة بذلك بعد المنطقة عن مركز الخلافة، وكان أول الدويلات هو الرستمية ذات النحلة الإباضية، وتلتها بعد ذلك الإمارات السليمانية ذات الأصول العلوية.
- شكلت مجالات كتامة أحد أهم المجالات الحيوية والإستراتيجية لبلاد المغرب الأوسط خلال القرن3هـ/9م، وهذا لتوفره على إمكانيات اقتصادية هائلة، إضافة لاحتوائها على قوة ديمغرافية معتبرة، لهذا حاول الأغالبة منذ تأسيس دولتهم عام 184هـ/800م أن يبسطوا هيمنتهم عليها، وهذا من خلال تسهيل تنقل حركة القبائل العربية إليها، إضافة إلى تنصيب أمراء عرب مواليين على كبرى مدنها وحواضرها على غرار مدينتي سطيف، وميلة...
- كانت بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط ومجالات كتامة على وجه الخصوص أواسط القرن3هـ/9م على موعد لانبعاث أكبر دعوة مذهبية شيعية بنحلة إسماعيلية ستغير من تاريخ المنطقة لأكثر من قرنين، ولا زالت مسألة تسرب هذه الدعوة(الشيعية الإسماعيلية) من بلاد المشرق إلى المغرب من بين القضايا التاريخية الشائكة، وذلك نظرا لعدم وجود وثائق ومخطوطات تساعد في تقديم تاريخ محدد لهذا الحدث.
- إن الرواية التاريخية الإسماعيلية الفاطمية الرسمية التي روج لها القاضي النعمان ابن حيون المغربي حول إيفاد أول بعثة بتوجيه من الإمام جعفر الصادق سنة145هـ/762م هي من أكثر الروايات انتشارا بسبب أنها الرواية الرسمية لأنصار هذه الجماعة(الإسماعيلية)، إضافة لانتقالها في النصوص التاريخية التي جاءت من بعدها. وقد حاول فيها القاضي النعمان التأريخ للدعوة الإسماعيلية في أحد أكبر المؤلفات التاريخية الإسلامية الملحمية " إفتتاح الدعوة" وهذا من خلال تسليطه الضوء على شخصيتين أساسيتين غيرا من قدر المنطقة وهما: الداعية أبو عبد الله الشيعي والذي استطاع بعد سنوات من نشر دعوته واستقطاب قبائل المنطقة وتجنيدها من أن يسقط ثلاث دويلات في سنة واحدة، والشخصية الثانية لا تكاد ملحمته وتاريخه أقل جاذبية عن سابقه وهو الإمام الخليفة عبيد الله المهدي والذي قدم من المشرق إلى المغرب شريدا طريدا واستطاع التخفي والنجاة من أيدي أعداؤه حتى قامت دولته، وامتد حكم سلالته إلى بلاد المشرق.
- لا يمكن للباحث في موضوع الدعوة الإسماعيلية التسليم برواية القاضي النعمان حول البعثة الجعفرية، وهذا بسبب التجاذبات حول شخصية" جعفر الصادق" والتي كان ولا يزال يتنازعها السنة والشيعة إلى يوم الناس هذا

على سواء، إضافة إلى استحالة وجود تنظيم سري بتلك الأفكار والمعتقدات في زمانه، أو تبني الشيعة الثوار في المشرق مشروع بعث الدعوة ونشر الدعاة في بلاد المغرب. إضافة إلى أن هذه الرواية وفي ذلك التاريخ 145هـ/762م تحمل العديد من التناقضات والمفارقات ما يجعل الباحث عن الموضوعية قد يشكك فيها.

- تعد الرواية الإباضية من أهم الروايات التاريخية التي اهتمت بالتأريخ للدعوة الإسماعيلية وقيام خلافة الفواطم ببلاد المغرب، إذ أنها تؤرخ لرحلة الخليفة الأول عبيد الله المهدي ودخوله مجالات الإباضية، وتوجهه نحو سجلماسة وتخليص الداعية له، وتوجه هذا الأخير بقواته لحصار وارجلان، ورغم قيمتها غير أنها كافية لمسألة معرفة بداية انتشار الدعوة، وهذا بسبب إغفالها لنشاط أبي سفيان والحلواني، كما أنها كتابة مذهبية متحاملة، فهي أهملت نشاط أبي عبد الله الشيعي والذي كان سببا في سقوط بني رستم وتهريب جماعات الإباضية من من مجالاتها، إضافة لأنها تطرح مسألة قيام خلافة الفواطم على أنه كان محل الصدفة.
- لقد أسهمت النصوص السنية المالكية المتأخرة في تدوين أحداث الدعوة في بلاد المغرب، ولعل من بين أهم تلك النصوص كتابات المدرسة التاريخية والفقهية والقيروانية والتي تزامنت مع حدث الدعوة وقيام الدولة، وتعد مصدرا أدبيا وفقهيا وهذا من خلال عرضها لأحداث الصراع الشيعي المالكي وترجمتها للعديد من العلماء والفقهاء الذين ناظروا دعاة الإسماعيلية وخليفتهم الأول عبيد الله المهدي.
- تعد رواية الوراق والمحفوظة في مؤلف "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب" لصاحبه لابن عذارى المراكشي من بين أهم الروايات التاريخية المغربية التي أرخت للدعوة الإسماعيلية وقيام الخلافة الفاطمية، وعلى الرغم من أنها لم تتعرض للدعوة في حراكها الأول إلا أنها زودتنا بمعلومات قيمة ونادرة حول وضعية المجال الكتامي المذهبية والعلمية نهاية ق3هـ/9م.
- لقد كان للرواية المشرقية نصيب في حفظ تواريخ الدعوة الإسماعيلية، خصوصا وأنها تمتلك دقائق الأمور المتعلقة بالدعوة في مرحلتها الأولى ونشاط الأئمة في سلمية، ولعل أهم نصين فيها:

- نص المؤرخ:"عز الدين ابن الأثير" وتكمن أهميته في اعتماده على نصوص تاريخية مغربية مفقودة لعل أهمها: رواية الأمير الصنهاجي " **ابن شداد** " صاحب مؤلف " **الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان** "، والنص المتعلق به يعد من بين أهم النصوص التي قد عولنا عليها في مسألة حسم تحقيب الدعوة الإسماعيلية وفي بعض تفاصيله يتعارض مع رواية القاضي النعمان، وهو يوحي بأن الدعوة في بلاد المغرب ارتبطت بمنتصف القرن 3هـ/9م وكانت على علاقة بالإمام الإسماعيلي **"الحسين بن أحمد"(ت حوالي268هـ/881م)**.

– نص المؤرخ:" تقي الدين المقريزي" وتكمن أهميته في كون صاحبه يعد أهم من أرخ للفاطميين في حقبتيهم المشرقية والمغربية، كما أنه استفاد من العديد من وثائق التي كانت متواجدة في القاهرة، وحفظ في مؤلفاته العديد من النصوص والتي هي اليوم في عداد المفقودات. وروايته توحي كذلك بنشاط هائل للدعوة الاسماعيلية في البيئة المغربية يرجع الى زمن منتصف ق3هـ/9م ويتحدث عن مراسلات كثيفة بين الدعاة في المغرب والقيادة في سلمية التي يشرف عليها الإمام **"الحسين بن أحمد"**.

- وعليه فإننا قد رجحنا أن زمن إرسال أول دعوة شيعية إلى بلاد المغرب من طرف الجماعة الإسماعيلية كان منتصف القرن3هـ/9م، وهذه البعثة المتمثلة في شخصي الداعيتين أبي سفيان والحلواني قد تمت من طرف الإمام المستقر والمستتر بسلمية آنذاك وهو **"الحسين بن أحمد"**.
- حققت الدعوة الأولى نجاحا في البيئة المغربية وقد أثمر نشاط الداعيين أبا سفيان والحلواني في تشييع العديد من قبائل جنوب المغرب الأدنى وشرق مجالات كتامة، ويرجع هذا إلى السيرة الحسنة التي تميز بها، وتوظيفهما لعقيدة التقية، إضافة لاستغلالهما حب المغاربة لأل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- أصبحت بلاد كتامة بعد نزول الداعية الحلواني بأرضها من أهم مراكز نشر التشييع في بلاد المغرب، وقد أثمرت دعوته على تكوين قيادات احتلت الصفوف الأولى عند قدوم الداعية أبو عبد الله الشيعي ولعل أهم تلك الشخصيات أبو عبد الله الأندلسي، والذي يرجح أنه أصبح خليفة أبي سفيان والحلواني بعد وفاتهما في أمور الدعوة، وهو من اتصل بالقيادة الإسماعيلية في بلاد المشرق واليمن وأعلمهم بوفاة الداعيتين.
- يعد تاريخ 280هـ/893م حدثا مفصليا بالنسبة لدعوة بلاد المغرب أو لدعوة **"جزيرة المغرب"** حسب التقسيم الإسماعيلي، وهذا بقدوم الداعي أبو عبد الله الشيعي الصنعاني المحتسب وانطلاق دعوته، والذي يعرف في أدبيات التاريخ الإسماعيلي "بصاحب البذر" بسبب أنه يعد الحلقة الأخيرة في عمر الدعوة الإسماعيلية والمهمة التي عجلت بقيام دولة الفواطم على أرض المغرب. وكان لنزوله في بلاد كتامة ومباشرته للدعوة إيذان بالمرحلة النهائية والتي مهدت لقيام خلافة الفواطم.
- عمد الداعية أول ما نزل بأرض كتامة إلى التعليم وهذا من خلال إشرافه على المسجد وتدريسه للفتية، كما كان شديد الحرص على نشر دعوته سرا مقتصرا في بداية الأمر على الأقربون الذين سبق لهم التواصل بالداعية الحلواني. ثم أسس بعدها مجالس الحكمة والتي تعد في التاريخ الاسماعيلي أكبر مؤسسة دعوية وتعليمية مهمتها استقطاب الأتباع وتخريج الدعاة أفرز النشاط الدعوي على تحول وتطور كبير في الحياة الثقافية في البلاد الكتامية والتي بدأت تتحول وتتمركز بمظهر الشيعة.

- أفرز النشاط المتزايد للداعية أبي عبد الشيعي قلقا في صفوف قبائل المتوطنة في المجال الكتامي بلغ صداه إلى مركز السلطة الأغلبية، مما حتم المواجهة بين الجماعة المؤيدة للمشروع الشيعي الاسماعيلي والجماعة المعارضة له، ومابين الإمارة الأغلبية وقبائل كتامة المعارضة، وقد توسعت هذه المواجهة وشملت مختلف القبائل البربرية العربية، وانتقلت من مجالات كتامة نحو بلاد الزاب، وعمت بلاد افريقية عام 296هـ/909م وانتهت في الأخير بسقوط الإمارة الأغلبية.
- كان لشخصية الداعي ودعوته الأثر الأكبر في تغيير معالم الحياة الاجتماعية واليومية لمجالات كتامة، بحيث أصبح مجتمع الدعوة متميزا أكثر عن بقية المجتمعات وهذا من خلال اللحمة المذهبية التي أصبحت تربط أفراده عوض العرقية، وأثار الصلاح والتعبد، كما انه اتصف بالانضباط والعسكرية.
- لعبت المرأة وخاصة الكتامية دورا كبيرا في مجتمع الدعوة، حيث انخرطت في المجتمع من خلال فعالياتها بدءا بالمساهمة في مساندة الدعوة ماديا وعسكريا، بحيث تبرعت بمالها وحليها ورافقت الرجال في الحملات واشتغلت بالعلاج وتطبيب المرضى، كما كان للنسوة نصيب في الحياة العلمية والثقافية حيث اهتم الداعي بتعليمهن وأفردت لهن مجالس خاصة تدرجن فيها عبر مراحل، حتى وصلت الكثير منهن إلى مرتبة الداعيات.
- كان للدعوة الإسماعيلية ومشروع الخلافة الفاطمية دورا كبيرا لانبعاث ما يسمى بالفئات الهامشية وعلى رأسها العبيد، ومن المتعارف عليه أن العبيد خلال هذه الفترة لا سيما من فئة الصقالبة كان يمثل عصبية الدولة، وقد كان لهؤلاء نصيب في مرحلة الدعوة ويمكن أن نتلمس ذلك من خلال توظيفهم في السفارة والدبلوماسية، كما أنهم لعبوا دورا كبيرا في حماية ومرافقة الخليفة عبيد الله المهدي في رحلته من الشرق إلى المغرب.
- أفرزت الدعوة ونشاطها حراكا اجتماعيا كبيرا كانت إيكجان وتازروت أهم مراكزه، حيث مثلت كل منهما دارا للهجرة ضمن لهما تدفقا ديمغرافيا وماليا هائلا، لكن مع تحول الحراك العسكري من المغرب الأوسط نحو المغرب الأدنى وسقوط الأغالبة ودخول الداعية رقادة شهدت قبائل كتامة وما جاورها أكبر هجرة جماعية واستقر الكثير منها في رقادة والقيروان.
- صاحب التوسع العسكري للجماعة الإسماعيلية نشاطا كبيرا في الحياة الأدبية، وكانت الرسائل والخطب والأشعار من بين أهم الوسائط التي ميزت الجماعة الإسماعيلية عن غيرها وأوصلت رسالتها.
- حلت المنظومة الفقهية الشيعية محل المنظومات والأعراف السابقة في البيئة الكتامية وأصبح علم وفقه أل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهة المنظور الإسماعيلي هو المهيمن على معاملات الجماعة، وقد عمد الداعية في إطار حشده لجماعته الجديدة بنشر أحاديث كلها كانت تصب في نهر المشروع المذهبي، ولعل أهم

العقائد المركز عليها هي: **"عقيدة المهدي"** (**المهدي الاسماعيلي**) كما حظيت جماعة كتامة بنصيب من تلك الأحاديث والتي كانت تركز على دور قوم جماعة الكتمان والناصرة لإمام الزمان.

- استفاد الداعية أبا عبد الله الشيعي والدعاة المكونون من طرفه من علوم لم تكن متداولة بين العامة ومن بينها علم الجفر وعلم الملاحم والغيبيات، والتي كانت محل إجلال وتعظيم من طرف العامة والبسطاء، وقد تداولوا منها أشعارا وأحاديث كلها كانت تبشر بالحدث الجلل الذي ستقبل عليه بلاد المغرب من تحول جدري في الأوضاع وقدوم إمام الزمان الذي يملا الأرض عدلا مثلما ملئت جورا.
- بعد تقدم الجماعة الإسماعيلية وخروجها من البيئة المغربية ودخولها بلاد أفريقية لا سيما القيروان ورقادة ظهر نوع جديد من الحراك العلمي والمذهبي والمتمثل أساسا في فن المناظرة، وانعقاد أولى المناظرات كانت بدعوة من طرف أبو العباس أخ الداعية أبي عبد الله الشيعي والذي أراد من خلالها إبطال ومواجهة حجج وعقائد مالكية القيروان، ورغم تضارب المصادر حول الغالب فيها والمغلوب إلا أن المواضيع المطروحة من خلالها كلها تؤكد على حجم وعظم المسائل الإختلافية بين الجماعتين كما أنها تصور مدى نسبة التحكم والإلمام لكل طرف في مذهبه وعقيدته واكتسابه للحجج والبراهين التي تؤكد ذلك.
- أسهمت الدعوة في عملية تطوير وتحديث البنية العمرانية للعديد من الحواضر التي آوت الدعوة وعلى رأسها إيكجان وتازروت، وفي المقابل أسهم الحراك الخاص بالجماعة الإسماعيلية في إلحاق الضرر على عمران الجماعات المعارضة للدعوة الإسماعيلية ومثال ذلك مدينة سطيف التي خربت أسوارها.
- في ختام هذه الدراسة يجب أن ننبه إلى أن النتائج المتحصل عليها وان تحرينا أخبارها من مصادرها المتوفرة وحللناها، غير أنها تبقى نسبية، ذلك لأن هذه الجماعة (الإسماعيلية) لا يزال الكثير من ميراثها مخطوطا وسريا والكشف عنه وإعادة نشره وتحقيقه قد يؤدي إلى أخبار وحقائق جديدة، كما أن البحث في هذا الموضوع لايزال مفتوحا وجديدا، وما حاولنا دراسته في هذه الأطروحة هو أحد الجزئيات والمتعلقة بالحراك الثقافي والاجتماعي في مقابل جوانب أخرى لا تزال خام.

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق يوضح الأمراء الأغالبة المعاصرين لدعوة أبي عبد الله الشيعي مابين 280- 296هـ/909م

الداعية	الأمير الأغلبي	تاريخ الحكم
أبو عبد الله الشيعي	إبراهيم الثاني	261-289هـ/274-901م
أبو عبد الله الشيعي	أبو العباس عبد الله بن إبراهيم	289-290هـ/901-902م
أبو عبد الله الشيعي	زيادة الله الثالث	290-296هـ/902-909م

ملحق يوضح أمراء وولاة مدن المغرب الأوسط الخاضعين لحكم الأغالبة زمن دعوة أبي عبد الله الشيعي

المدينة	أمير المدينة	تاريخ نهاية توليه عليها
ميلة	موسى بن العباس	289هـ/901م
سطيف	علي بن عسلوجة	291هـ/903م
طبنة	حسن بن أحمد بن نافد والمعروف"بأبي المقارع"	293هـ/905م
بلزمة	حي بن تميم	293هـ/906م
باغاية	-	294هـ/907م
مجانة	خفاجة العبسي	294هـ/907م
تيفاش	إسحاق بن سلاس	294هـ/907م
قالمة	خلفون بن مهدي	294هـ/907م
بونة	خليل الأورابي	295هـ/907م

ملحق من مخطوط يتحدث عن تسرب العلويين والسليمانيين إلى أرض المغرب الأوسط

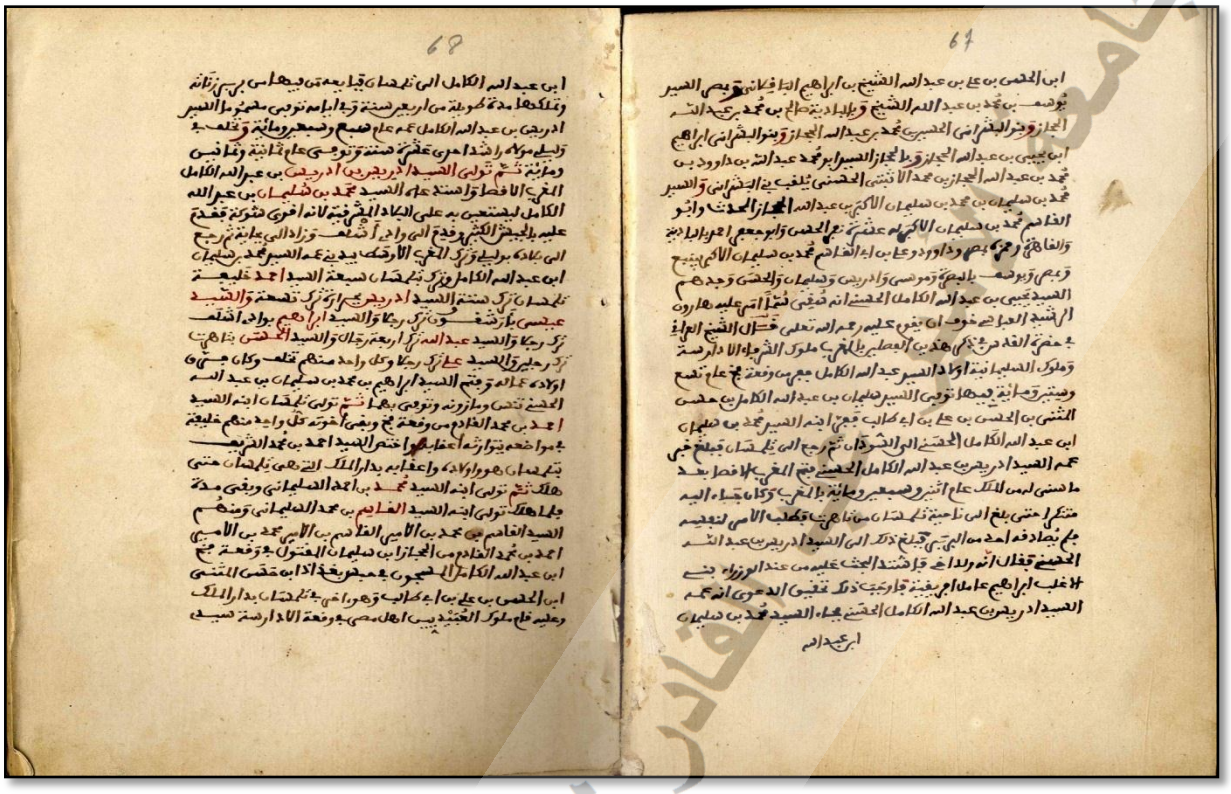

المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1631م)، الروض المعطار وكتاب الأنوار في نسب أل النبي المختار، مخطوط الخزانة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، رقم: 11328، ص: 67– 68.

خريطة توضح أقصى امتداد للمجال السياسي لنفوذ الجماعة الإسماعيلية عام296هـ/909م[1]

[1]– من إنجاز الطالب

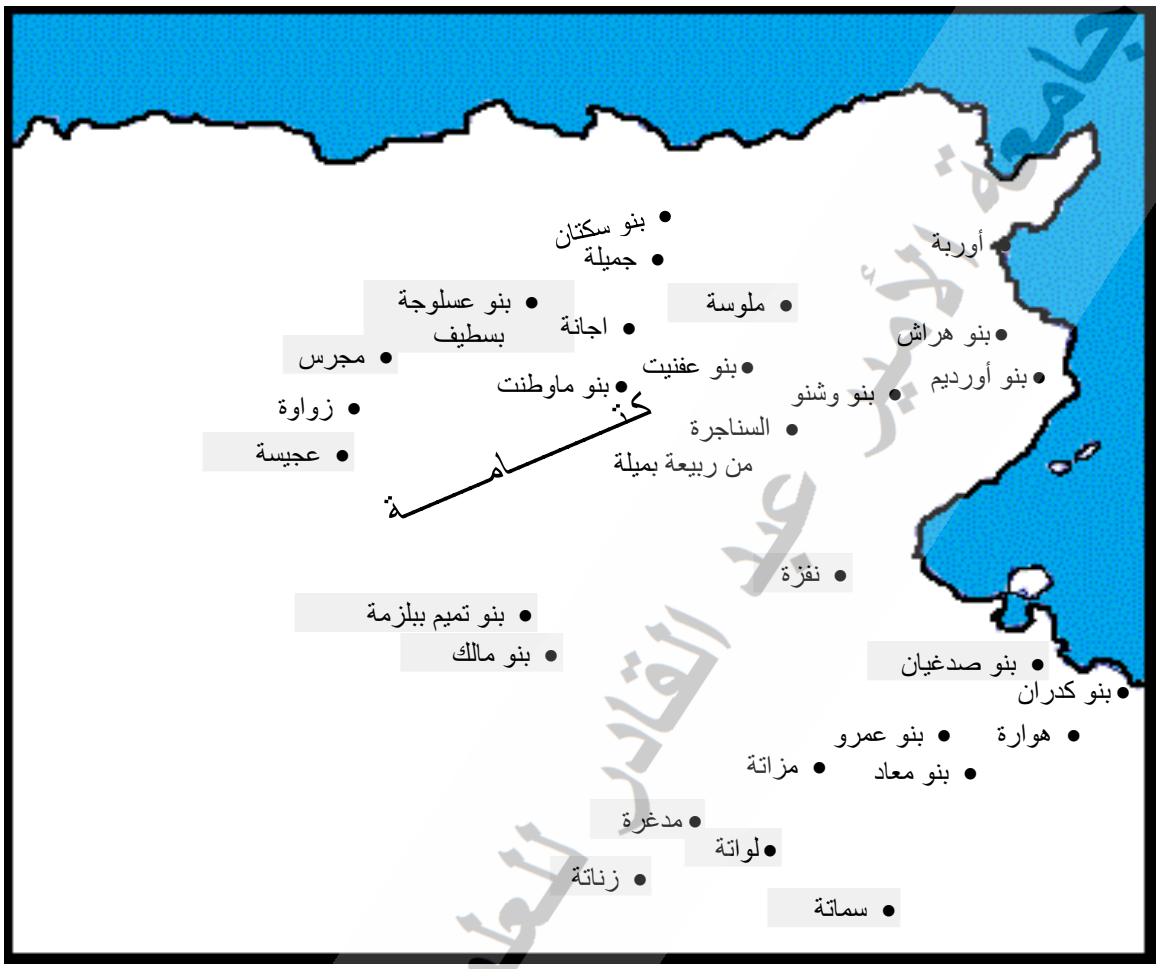

خريطة توضح القبائل المنضوية لنفوذ الجماعة الإسماعيلية إلى غاية عام296هـ/909م[1]

[1]- من إنجاز الطالب

ملحق يوضح الدعاة المشارقة الموفدين لبلاد المغرب الأوسط والناشطين على أرضه

اسم الداعية	الموطن الجغرافي	المجال النازل فيه	وضعية النزول	المصدر
الحلواني	بلاد المشرق	الناظور	نزيل بشكل دائم	القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، 29- 30. القاضي النعمان، شرح الأخبار، المصدر السابق، 414.
أبو عبد الله الشيعي	الكوفة :العراق	إيكجان –تازررت	مقيم بشكل مؤقت إلى غاية296 هـ/ 909م	تقي الدين المقريزي، المقفى الكبير، المصدر السابق، 25- 35.
عبد الله بن الملاحف	مشرقي	إيكجان	طارئ	تقي الدين المقريزي، المقفى الكبير، المصدر السابق، 23.
إبراهيم بن محمد اليماني(السيد الصغير)	اليمن	إيكجان –تيهرت	طارئ	القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، 32.
ابن الهيثم	إفريقية	كتامة	طارئ. نزل بالمغرب الأوسط سنة297هـ/910م لاستقبال عبيد الله المهدي بعد تخليصه ورجعته من سجلماسة. كما يحتمل انه دخل المغرب الأوسط بعد قيام الخلافة وهذا في إطار حملات إخضاع العصاة ونشر الدعوة	ابن الهيثم، المناظرات، المصدر السابق، 119.
أبو عبد الله الأندلسي	الأندلس	سوجمار	مؤقت لأنه انتقل إلى إيكجان –تازروت	القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 42.
مخطوم	الكوفة :العراق	رقادة – القيروان	طارئ لأنه كان مسجونا، ثم نزل على القيروان بعد دخول أخيه أبي عبد الله إليها، ولا يستبعد زيارته للمغرب الأوسط سواء للدعوة أو في حملة عسكرية مع أخيه	تقي الدين المقريزي، المقفى الكبير، المصدر السابق، 36- 38.

ملحق يوضح أعلام الدعاة البربر الناشطين بمجالات كتامة وحتى إفريقية

الداعية	القبيلة المنتمي لها	انضمامه للدعوة	السن ومجال التأثير والخصائص	المصدر
داوود بن حبوسة اللهيصي	لهيصة	بعد سقوط سطيف	كان عفيفا مقدما في أهله مكن الداعية من دخول سطيف بعد تأمين أهلها	القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 167.
أفلح بن هارون الملوسي	ملوسة	منذ حقبة الداعية أبي سفيان والحلواني	داعية –فقيه – قاضي القضاة	ابن الهيثم، المناظرات، المصدر السابق، 121- 124.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بيبليوغرافيا الدراسة

أولا – المخطوطات

ثانيا – المصادر

ثالثا – المراجع

رابعا – المجلات

خامسا – الأطاريح

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: القران الكريم برواية ورش

ثانيا: المخطوطات

التلمساني القشري الكلبي أحمد بن محمد بن عبد الله، كنوز الأسرار ومعدن الأنوار في آل النبي المختار، (القاهرة/مصر: مخطوط دار الكتب القومية، رقم: 251).

المعز لدين الله الفاطمي(ت سنة 365هـ/975م)، تأويل الشريعة وحقائقها وأسرارها، (القاهرة/ مصر: مخطوط دار الكتب القومية، رقم: 11328).

المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1631م)، الروض المعطار ومتاب الأنوار في نسب آل النبي المختار، (الرباط/ المملكة المغربية: مخطوط الخزانة الملكية، رقم: 11328).

ثالثا: المصادر

ابن الأبار أبي بكر القضاعي البلنسي(ت658هـ/1260).

– الحلة السيراء في تراجم الشعراء ومن أعيان الأندلس والمغرب من المائة الأولى للهجرة إلى المائة السابعة، تع: على إبراهيم محمود، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 2008).

– التكملة لكتاب الصلة، تح– ظبط– تع: بشار عواد معروف، (ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2011)، مج2.

ابن أبي زرع الفاسي(ت726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط/ المغرب: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972).

أبي زكريا(ت 471هـ/1078م)، يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، (ط3، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984).

ابن الأثير عز الدين(ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، (ط4، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 2003)، مج6.

الأجيني إسماعيل بن عبد الرسول(عاش خلال القرن 12هـ/18م)، فهرسة الكتب والرسائل ولمن هي من العلماء والأئمة والحدود والأفاضل، تح – تع: علينقي منزوي، (طهران/ إيران: 1966).

الإدريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي الحسني(ت560هـ/1165م)، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس– مقتبس من كتاب نزهة المشتاق–، تح –تق – تع: إسماعيل العربي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983).

الأربلي بهاء الدين بن أبي الفتح(ت 692هـ/1293م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، (بيروت/ لبنان: دار الأضواء، دت)، ج2.

الأصفهاني أبو الفرج(ت284هـ/897م)، مقاتل الطالبيين، تح – شرح: السيد أحمد صقر، (ط2، قم/ إيران: منشورات الشريف الرضي، دت).

الأصفهاني عماد الدين(ت597هـ/1201م)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام التدمري، (ط1، صيدا- بيروت/ لبنان: المكتبة العصرية، 2002).

البغدادي أبي جعفر محمد بن حبيب(ت 245هـ/859م)، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء- نوادر المخطوطات –، تح: عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، (ط1، بيروت/ لبنان: 1991 دار الجيل،)، مج2، مج 07.

البغدادي عبد القاهر بن محمد(ت429هـ/1037م)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم- عقائد الفرق الإسلامية وأراء كبار أعلامها-، تح: محمد عثمان الخشن، (القاهرة/ مصر: مكتبة ابن سينا، دت).

التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد(ت717هـ/1317م)، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، (تونس – ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1981).

التنسي محمد بن عبد الله(ت899هـ/1493م)، تاريخ دولة الأدارسة – من كتاب نظم الدر والعقيان-، تح- تق: عبد الحميد حاجيات، (الجزائر، موفم للنشر، 2011).

ابن تيمية تقي الدين الحراني(ت728هـ1328م).

– منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد سالم، (ط1، المملكة العربية السعودية: منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1986)، ج2.

– مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جم – تر: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- محمد بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة/ المملكة العربية السعودية: منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 2004)، مج11.

الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255هـ/868م)، البيان والتبيين، (ط7، القاهرة/ مصر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، دت)، ج2.

الجزنائي أبو الحسن علي(عاش خلال القرن 9هـ/ 15م)، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، (ط2، الرباط/ المملكة المغربية: المطبعة الملكية، 1991).

الجوذري أبو علي منصور العزيزي(توفي أواخر القرن 4هـ/10م)، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تح- تع: محمد كامل حسين- محمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة/ مصر: مطبعة الاعتماد، 1954).

ابن الجوزي عبد الرحمن(ت597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، دت)، ج13.

ابن الجوزي عبد الرحمن، القرامطة، تح: محمد الصباغ، (ط5، بيروت/ لبنان: المكتبة الإسلامية، 1981).

الحاجب جعفر بن منصور اليمن(توفي أواخر القرن4هـ/10م).

- سرائر وأسرار النطقاء، تح - تق: مصطفى غالب، (ط1، دمشق، سوريا، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1984).

ابن حبان محمد الخراساني(ت354هـ/965م)، تقريب الثقات، تح: خليل بن مأمون شيخا، (ط1، بيروت/ لبنان: دار المعرفة، 2007).

ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ/1063م).

- جمهرة أنساب العرب، تح - تع: ليفي بروفنسال، (القاهرة/ مصر: دار المعارف، 1948).

- جمهرة أنساب العرب، تح - تع: عبد السلام محمد هارون، (ط5، القاهرة/ مصر: دار المعارف، 1982)، ج2/.

- رسائل إبن حزم، تح: إحسان عباس، (ط1، بيروت/ لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981)، ج2.

ابن حماد الصنهاجي محمد بن علي(ت628هـ/1230م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح- در: التهامي نقرة- عبد الحليم عويس، (القاهرة/ مصر: دار الصحوة للنشر والتوزيع، دت).

الحمادي اليماني محمد بن مالك بن أبي الفضائل((470هـ/1077م)، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم، در- تح: محمد عثمان الخشن، (الرياض/ المملكة العربية السعودية: مكتبة الساعي. دت).

الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، (بيروت/ لبنان: دار صادر، 1977)، مج5.

الحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله(488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح - تع: بشار عواد معروف - محمد بشار عواد، (ط1، تونس/ تونس: دار الغرب الإسلامي، 2008).

ابن حوقل النصيبي أبي القاسم(ت367هـ/ 990م)، صورة الأرض، (ط1، القاهرة/ مصر: شركة نوابغ الفكر، 2009).

ابن حيان مروان ابن خلف(ت496هـ/1079م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح: صلاح الدين الهواري، (ط1، بيروت/ لبنان: المكتبة العصرية، 2006).

الخشني محمد بن حارث بن أسد(ت361هـ/ 971م).

– أصول الفتيا في الفقه على مذهب الإمام مالك، تح – تع: الشيخ محمد المجذوب– محمد أبو الأجفان– عثمان بطيخ، (الدار العربية للكتاب – المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985).

– قضاة قرطبة، تح: إبراهيم الأبياري، (ط2، بيروت/ لبنان– القاهرة/ مصر: دار الكتاب المصري، – دار الكتاب اللبناني، 1989).

– أخبار الفقهاء والمحدثين، تح: ماريا لويسا أبيلا– لويس مولاينا، (مدريد/إسبانيا: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، 1991).

– طبقات علماء إفريقية، تق – تح – تع: محمد زينهم محمد عزب، (ط1، القاهرة/ مصر: مكتبة مدبولي، 1993).

– قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، نش– تص – مر: عزت العطار الحسيني، (ط2، القاهرة/ مصر: مكتبة الخانجي، 1994).

ابن الخطيب أبي عبد الله محمد لسان الدين(ت (ت676هـ/1335م).

– الإحاطة في أخبار غرناطة، تق – مرا – تع: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج1/ 171-181.

– إعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: أحمد مختار العبادي – محمد إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء/ المغرب: دار الكتاب، 1964)، ج3.

– إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام– تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط–، تح: أحمد مختار العبادي– محمد إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء/ المغرب: دار الكتاب، 1964).

ابن خلدون أبو يحي زكريا يحي(ت780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح، بوزياني الدراجي، (الجزائر: دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، 2008).

ابن خلدون عبد الرحمن(ت 808هـ/1406م).

– ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط: خليل شحادة– مر: سهيل زكار، (بيروت/ لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000)، ج6.

– مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح – تخ – تع: عبد الله محمد الدرويش، (ط1، دمشق/ سوريا: دار يعرب، 2004).

ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، (بيروت/ لبنان: دار صادر، دت)، مج 1/ مج05.

الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد الكاتب(ت 387هـ/997م)، مفاتيح العلوم، درا – تص: عبد الأمير الأعشم، (ط1، بيروت/ لبنان: دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، 2008).

ابن خوندشاه محمد(ت903هـ/1497م)، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلف- تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة- تر- تع: أحمد عبد القادر الشادلي – مر- تق: السباعي محمد السباعي، (ط1، القاهرة/ مصر: الدار المصرية للكتاب والنشر والتوزيع، 1988).

الداعي إدريس عماد الدين القرشي(ت872هـ/1488م).

_ تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار-، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1985).

– كتاب زهر المعاني، تح: مصطفى غالب، (ط1، بيروت/ لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1991).

– عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار- السبع السادس-، تح: مصطفى غالب، (ط1، بيروت، لبنان، دار الأندلس للطباعة والنشر، دت).

الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأسيدي الأنصاري(ت696هـ/1296م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تح: محمد الأحمد أبو النور ومحمد ماضور، (تونس: المكتبة العتيقة، 1972)، ج2.

الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد(ت670هـ/ 1271م)، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، (قسنطينة/ الجزائر: مطبعة البعث، دت)، ج1.

الدواداري عبد الله بن أيبك (ت منتصف ق8هـ/13م)، كنز الدرر وجامع الغرر- الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية-، تح: صلاح الدين المنجد، (القاهرة/ مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1961)، ج6.

الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت276هـ/ 889م)، عيون الأخبار، (بيروت/ لبنان: دار الكتاب العربي، دت).

الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ/1374م.

– سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط- حسين الأسد، (ط2، بيروت/ لبنان: مؤسسة الرسالة، 1982)، ج6.

– تذكرة الحفاظ، (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 1985)، ج1.

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تق - تع: محمد عوامة، تخ: أحمد محمد نمر الخطيب، (ط1، جدة/ المملكة العربية السعودية: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، 1992)، ج1.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2003).

- مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، تح: محمد زاهد الكوثري- أبو الوفا الأفغاني، (حيدر أباد/ الهند: لجنة إحياء المعارف النعمانية، دت).

الرازي فخر الدين(ت606هـ/1209م)، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تح: السيد مهدي الرجائي، (ط2، قم/ إيران: مكتبة أية الله المرعشي النجفي، 1998).

الرازي أحمد بن سهل(توفي في الربع الأول من القرن 4هـ/ 10م)، أخبار فخ وخير يحي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، تح: ماهر جرار، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1995).

ابن رزام الكوفي الطائي أبو عبد الله محمد بن علي(كان حيا سنة 347هـ/ 958م)، الرد على الإسماعيلية القرامطة وشرح مذاهبهم في الصد عن شرائع الرسل والدعاء إلى إفساد الممالك والدول والرد على سائر الملحدين، تح: فواز بن عبد الله بن معيوض الثبيتي، (المدينة المنورة/المملكة العربية السعودية: رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، 2014- 2015).

ابن رسته أحمد بن عمر (ت مابعد300هـ/912م)، الأعلاق النفيسة، (ج7، مطبة بريل، ليدن، 1891).

الرقيق القيرواني(ت417هـ/1026م)، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله العلي الزيدان- عز الدين عمر موسى، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1990).

السجستاني أبو يعقوب إسحاق بن أحمد (توفي بعد سنة386هـ/996م)، كتاب الافتخار، تح- تق: إسماعيل قربان- حسين بوناوالا، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2000).

السجستاني أبو سليمان المنطقي(ت380هـ/990م)، صوان الحكمة وثلاث رسائل، تح: عبد الرحمن بدوي، (طهران، إيران، 1974).

ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى(ت685هـ/1286م)، المغرب في حلى المغرب، تح - تع: شوقي ضيف، (ط4، القاهرة/ مصر: دار المعارف، 1995).

ابن سينا الحسين بن عبد الله(ت429هـ/ 137م)، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات وفي أخرها قصة سلامان وأبسال، ترجمها من اليونان حنين بن إسحاق، (ط2، (القاهرة/ مصر: دار العرب للبستاني، 1989).

الشيرازي المؤيد في الدين هبة الله(ت470هـ/1029م)، المجالس المؤيدية- المائة الأولى-، تح: مصطفى غالب، (دمشق/ سوريا: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، دت).

الصادق جعفر بن محمد(ت148هـ/765م)، مناظرة جعفر بن محمد الصادق مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، تح: علي بن عبد العزيز العلي أل شبل، (الرياض/ المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد ناشرون، دت).

الصالحي أبو عبد الله ابن عبد الهادي الدمشقي(ت 744هـ/1343م)، طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي- إبراهيم الزيبق، (ط2، بيروت/ لبنان: مؤسسة الرسالة، 1996)، ج1.

الطبرسي أبو علي الفضل(ت548هـ/1153م)، إعلام الورى بأعلام الهدى، (ط1، بيروت/ لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2004).

الطبري عماد الدين الحسن بن علي(كان حيا سنة 698هـ/1298م)، أسرار الإمامة، تح: قسم الكلام والحكمة الإسلاميين، (ط2، قم/ إيران: 2013).

الطوسي عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي(ت460هـ/1067م)، الثاقب في المناقب، تح: نبيل رضا علوان، (ط3، صدر – قم/ إيران: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، دت).

ابن طوير أبو محمد المرتضى عبد السلام(ت617هـ/1220م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، نشر – تح: أيمن فؤاد السيد، (القاهرة/ مصر: دار الكتب والوثائق المصرية، 2015).

ابن ظافر جمال الدين علي(ت613هـ/1216م)، أخبار الدولة المنقطعة- القسم الخاص بالفاطميين-، تق – تع: أندريه فريه، (القاهرة/ مصر: مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1972)، مج12.

ابن عبد الحكم عبد الرحمن(ت 257هـ/ 871م)، فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد صبيح، (القاهرة/ مصر: مكتبة مدبولي، دت).

ابن عذارى المراكشي(ت بعد سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح – ظبط- تع: بشار عواد معروف- محمود بشار عواد، (ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2013)، مج1.

ابن عماد الحنبلي شهاب الدين(ت482هـ/1089م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، (ط1، دمشق/ سوريا: دار ابن كثير، 1988)، مج2.

ابن عنبة جمال الدين(ت828هـ/ 1424م)، عمدة الطالب الصغرى في نسب آل أبي طالب، تح: السيد مهدي الرجاني، (ط1، قم/ إيران: مكتبة سماحة أية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، 2009).

الغبريني أبو العباس أحمد بن عبد الله(ت714هـ/1314م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح – تع: عادل نويهض، (ط2، بيروت/ لبنان: منشورات دار الأفاق، 1979).

ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله، تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف، (ط1، تونس/ تونس: دار الغرب الإسلامي، 2008)، مج1.

القاضي عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي(ت544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، ظبط – تص: محمد سالم هاشم، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 2012)، ج1.

القاضي النعمان أبو حنيفة محمد بن محمد بن حيون التميمي المغربي(ت363هـ/973م).

– دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، تح: أصف بن علي فيضي، (القاهرة/ مصر: دار المعارف، 1963)، ج1.

– الأرجوزة المختارة، تح: إسماعيل حسين قربان بونوالا، (ط1، مونتريال/ كندا: منشورات معهد الدراسات الإسلامية، جامعة مجيل، 1970).

– رسالة افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، (تونس/ الجزائر: الشركة التونسية للتوزيع– ديوان المطبوعات الجامعية، 1986).

– الهمة في آداب إتباع الأئمة، تح: مصطفى غالب، (بيروت/ لبنان: منشورات ودار مكتبة الهلال، 1985).

– المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي– إبراهيم شبوح– محمد اليعلاوي، (بيروت/ لبنان: دار المنتظر، 1996).

– المناقب والمثالب، (ط1، بيروت/ لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2002).

– تأويل الدعائم، (ط1، (بيروت/ لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، 2006/ ج1– ج2.

– شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، (بيروت/ لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2006)، ج3.

– أساس التأويل، تح: عارف تامر، (بيروت/ لبنان: منشورات دار الثقافة، دت).

القرماني أحمد بن يوسف(ت1019هـ/1610م)، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، تح: فهمي سعد– أحمد حطيط، (ط1، بيروت/ لبنان: عالم الكتب، 1996)، مج1.

القزويني محمد كاظم(ت 1348هـ/1930م) الإمام الصادق من المهد إلى اللحد، (ط1، قم/ إيران: دار العلوم، 2008).

الحلي العاملي الحسن بن سليمان(كان حيا سنة 802هـ/1399م)، تفضيل الأئمة على الأنبياء والملائكة، تح: مشتاق صالح المظفر، (ط1، قم/ إيران: منشورات مكتبة العلامة المجلسي، 1912).

الكرماني حميد الدين أحمد بن عبد الله(ت412هـ/1021م).

– الرسالة الواعظة في نفي دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله للداعي أحمد حميد الدين الكرماني، تح: محمد كامل حسين، (القاهرة/ مصر: مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1952) مج14/ج1.

- الرسالة الوصية في معالم الدين وأصوله، تح: محمد عيسى الحريري، (ط1، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1987).

- المصابيح في إثبات الإمامة، تح: مصطفى غالب، (ط1، بيروت/ لبنان: دار المنتظر، 1996).

- راحة العقل، تق-تح: مصطفى غالب، (ط2، دمشق/ سوريا: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1983).

-كتاب الرياض، تح - تق: عارف تامر، (بيروت/ لبنان: دار الثقافة، دت).

المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد(ت453هـ/1061م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش - مر: محمد العروسي المطوي، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1994)، ج2.

مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تح - تع: إسماعيل العربي، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983).

مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده لمؤلف من القرن الثالث الهجري (عن مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة-بغداد)، تح: عبد العزيز الدوري- عبد الجبار المطلبي، (بيروت/ لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر-دار صادر، 1971).

مجهول(كان حيا 587هـ/1191م)، الاستبصار في عجائب الأمصار- وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب- تح: سعد زغلول عبد الحميد، (الرباط/ المغرب: دار النشر المغربية، 1985).

مجهول، مفاخر البربر، در- تح: عبد القادر بوباية، (ط1، الرباط/ المغرب: دار أبي الرقراق للطباعة والنشر والتوزيع، 2005).

مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تح: بوزياني الدراجي، (الجزائر: مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، 2013)، ج2.

مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، (الجزائر: مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، 2013).

المراكشي عبد الواحد بن علي(ت647هـ/1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شر- اعتناء: صلاح الدين الهواري، (ط1، صيدا/ بيروت: لبنان، المكتبة العصرية، 2006).

ابن مريم التلمساني محمد(ت1014- 1605م)، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تح: عبد القادر بوباية، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، 2014).

المزي أبو الحجاج يوسف(742هـ/1341م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، (ط2، بيروت/ لبنان: مؤسسة الرسالة، 1985)، مج5.

المعز لدين الله الفاطمي(ت365هـ/975م)، أدعية الأيام السبعة للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي، تح: إسماعيل قربان حسين بوناوالا، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2006).

المقريزي تقي الدين(ت 845هـ/ 1441م).

- المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، (بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1987).

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- الخطط المقريزية-، تح: محمد زينهم- مديحة شرقاوي، (ط1، القاهرة/ مصر: مكتبة مدبولي، 1997)، ج2.

- جني الأزهار من الروض المعطار، تح: محمد زينهم، (القاهرة/ مصر: الدار الثقافية للنشر، 2006).

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، تح: أيمن فؤاد السيد، (القاهرة/ مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2016). مج1.

المكناسي أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي(ت1025هـ/1616م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، (الرباط/ المغرب: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973)، ج2.

الموصلي محمد بن عبد الواحد(ت657هـ/1258م)، النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم- مناقب آل محمد-، تح: العلامة السيد علي عاشور، (ط1، بيروت/ لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2003).

النوبختي الحسن بن موسى(توفي أواخر القرن 3هـ/9م)، فرق الشيعة، تح: دكتور عبد المنعم الحفني، (ط1، بيروت/ لبنان: منشورات الرضا، 2012).

النويري شهاب الدين (ت 732هـ/ 1321م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، دت)، ج25.

النيسابوري أحمد بن إبراهيم (ت منتصف ق5هـ/10م)

- استتار الإمام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه- مذكرات في حركة المهدي الفاطمي-، تح-نش: إيفانوف، (القاهرة/ مصر: مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، 1936)، مج4، ج2.

الوزان الحسن(ت944هـ/1537م)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي - محمد الأخضر، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1983).

الونشريسي أحمد بن يحي(ت 914هـ/ 1508م).

- وفيات الونشريسي، تح: محمد بن يوسف القاضي، (ط1، القاهرة/ مصر: شركة النوابغ للنشر والتوزيع، 2009).

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، (بيروت/ لبنان: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، المغرب الأقصى، دار الغرب الإسلامي، 1981)، ج9.

اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت284هـ/897م)، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، دت).

اليماني علي بن الوليد (ت612هـ/1215م)، الذخيرة في الحقيقة، تح: محمد حسن الأعظمي، (بيروت/ لبنان: دار الثقافة، 1971).

اليماني محمد بن محمد (ت نهايةق4هـ/10م)، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي صلوات الله عليه وآله الطاهرين من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة رواية محمد بن محمد اليماني رحمة الله عليه، (القاهرة/ مصر: مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، 1936)، مج4- ج2.

رابعا: المراجع العربية والمعربة

الأبياري إبراهيم، نهاية المطاف، (ط2، القاهرة/ مصر: مطبعة الشعب، دت).

إسماعيل محمود، فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني، (ط1، القاهرة/ مصر: سينا للنشر1995).

إسماعيل سلمى محمود، ابن حيون المغربي مؤرخا من التأطير المذهبي إلى التنظير الفلسفي، (القاهرة، مصر، رؤية للنشر والتوزيع، 2017).

إسماعيل محمود، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، (ط1، المنصورة/ مصر: دار عامر للطباعة والنشر، 1996).

آل علي نور الدين ، الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، (ط1، بيروت/ لبنان: دار القارئ، 2007).

إيفانوف فلاديمير، المنتخب من بعض كتب الإسماعيلية، تق: صباح جمال الدين- مر- تع: عمار المير أحمد، (ط1، بغداد/ العراق: دار الوراق، 2011).

الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، تق - تح- تع: محمد زينهم محمد عزب، (ط1، القاهرة/ مصر: دار الأفاق العربية، 2013).

الباروني سليمان، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مر: محمد علي الصليبي، (ط1، لندن، بريطانيا، دار الحكمة، 2005).

برنارد لويس، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، تق: خليل أحمد خليل، (ط1، دار الحداثة، 1980).

بن سلامة عبد الرحيم وآخرون، الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية، (ط4، الرباط/ المغرب: مؤسسة عبد الله كنون- الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، 2017).

بهلولي سليمان، الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (173-342هـ/789-954م)، تق: غازي الشمري، (الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011).

بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية- أدوارها- ومواطنها- وأعيانها-، (ط4، الجزائر، دار الكتاب العربي للطباعة النشر التوزيع الترجمة، 2007)، ج2.

بيضون إبراهيم، الفاطميون قراءة مختلفة في تاريخ ملتبس، (ط1، بيروت/ لبنان: دار المؤرخ العربي، 2013).

تابليت عمر، هوارة ودورها في تاريخ المغرب منذ بداية حركة الخوارج أواخر القرن 1هـ/ 7م حتى انتهاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد 335هـ/ 946م، (قسنطينة/ الجزائر: دار الألمعية، 2011).

التهانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تح: علي دحروج – تر: عبد الله الخالدي – جورج زيناتي – مر: رفيق العجم، (ط1، بيروت/ لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 1996)، ج1.

جعفريان رسول، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، (ط1، بيروت/ لبنان: منشورات دار الحق، 1994)، ج1.

جواد علي، المهدي المنتظر عند الشيعة الإثني عشرية، تر: أبو العيد دودو، (ط1، كولونيا/ ألمانيا: منشورات الجمل، 2005).

جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984).

حاجي حامد، مملوك صقلبي بارز من الفترة الفاطمية الأولى: الأستاذ جوذر– ضمن مؤلف: قلاع القلاع– دراسات إسماعيلية وإسلامية تكريما لفرهاد دفتري–، تحر: عمر علي – دي– أونثاغا– تر: سيف الدين القصير، (ط1، بيروت/ لبنان– لندن/ بريطانيا: دار الساقي– معهد الدراسات الإسماعيلية، 2014).

حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، (ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982).

حسن موسى علي حسن، الستر والتقية في تاريخ الإسماعيلية، (ط1، بغداد/ العراق: دار نينوى، 2009).

حسن إبراهيم حسن – طه أحمد شرف، المعز لدين الله– إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر، (القاهرة/ مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1948).

حسن إبراهيم حسن – طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الخلافة الفاطمية، (القاهرة/ مصر: مكتبة النهضة المصرية، دت).

حسن علي حسن علي إبراهيم، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، (ط2، القاهرة/ مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1963).

حمودة عبد الحميد حسين، ثورة الدراهم في عهد إبراهيم بن الأحمد الأغلبي– دراسة تحليلية لنص ابن عذارى المراكشي: الثورة والتغيير في الوطن العربي عبر العصور، تحرير: عبادة كحيلة، (ط1، الجيزة/ مصر: أعمال ندور الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 2005).

حناقره عبود، علم التنجيم أسراره وأوهامه، (ط1، دمشق/ سوريا: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2000).

حوى أحمد سعيد، المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى، (ط1، جدة/ السعودية: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، 2002).

الحيدري نبيل، التشيع العربي والتشيع الفارسي- دور الفرس التاريخي في انحراف التشيع-، (ط1، لندن/ بريطانيا، دار الحكمة، 2014).

الخربوطلي علي حسني.

- أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، (مصر/ القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، 1972).

- عماد الدين إدريس الداعي والمؤرخ الفاطمي، (القاهرة/ مصر: دار العلوم للطباعة، 1973).

خضور حسام، المذهب الإسماعيلي الإسلامي- المذهب الشيعي الإسماعيلي وجهة نظر معاصرة-، (ط4، سلمية/ سوريا: دار الغدير، 2000).

خنوف علي، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، (الجزائر: منشورات الأنيس، 2011).

خير الله سعيد، النظام الداخلي لحركة إخوان الصفا، (ط1، بيروت، لبنان، دار كنعان، 1993).

الدشراوي فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب- التاريخ السياسي والمؤسسات-(296-365هـ/909-975م)، تر: حمادي الساحلي، (بيروت/لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1994).

دغفوس رضا، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2005).

دفتري فرهاد.

- المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام، تر: ناصح ميرزا، (ط1، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: دار الساقي- معهد الدراسات الإسماعيلية، 2004).

- مختصر تاريخ الإسماعيليين، تر: سيف الدين القصير، (ط3، دار المدى، دمشق، سوريا- بيروت، لبنان- بغداد، العراق، 2010).

- تاريخ الإسماعيلين الحديث الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، تر: سيف الدين القصير، (ط1، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: دار الساقي- معهد الدراسات الإسماعيلية، 2013).

- الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، تر: سيف الدين القصير، (ط2، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: معهد الدراسات الإسماعيلية- دار الساقي، 2014).

- معجم التاريخ الإسماعيلي، تر: سيف الدين القصير، (ط1، بيروت/ لبنان – لندن/ بريطانيا: دار الساقي - معهد الدراسات الإسماعيلية، 2016).

- تاريخ الإسلام الشيعي، تر: سيف الدين القصير، (ط1، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: معهد الدراسات الإسماعيلية- دار الساقي، 2017).

دي خوية ميكال يان، القرامطة- نشأتهم، دولتهم، وعلاقتهم بالفاطميين، - تر- تح: حسني زينة، (ط1، بيروت/ لبنان: دار ابن خلدون، 1978).

زغروت فتحي، العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي (300- 350هـ)، (ط1، القاهرة/ مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2006).

الزركلي خير الدين، الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين-، (ط15، بيروت/ لبنان: دار العلم للملايين، 2002)، ج1.

زكار سهيل، الجامع في أخبار القرامطة- الإحساء العراق الشام اليمن-، (دمشق/ سوريا: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2007)، ج1.

أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، (القاهرة/ مصر: دار الفكر العربي، دت).

سامعي إسماعيل.

- دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري(8-11م)، (عين مليلة/ الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2006).

- قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2012).

- الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ(ط2، عمان/ الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي، 2014).

سرور محمد جمال الدين، تاريخ الدولة الفاطمية، (مدينة نصر/ مصر: دار الفكر العربي، دت).

سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي- السلسلة الأولى" من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري"-، (ط1، الجزائر: عالم المعرفة، 2015)، ج1.

سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي- تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين-، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1999).

سمار سعد عبود، ابن حوقل- دراسة تاريخية في كتابه" صورة الأرض"-، (ط1، دمشق/ سوريا: دار تموز، 2016).

سنوسي يوسف إبراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، (ط1، القاهرة/ مصر: شركة سعيد رأفت للطباعة، 1986).

فراس السواح، طريق إخوان الصفا: المدخل إلى الغنوصية الإسلامية، (ط3، دمشق/ سوريا: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، **2016**).

فراس السواح، طريق إخوان الصفا- المدخل إلى الغنوصية في الإسلام-، (ط1، دمشق/ سوريا: دار علاء الدين، 2009).

السيد أيمن فؤاد.

– تطور الدعوة الإسماعيلية المبكرة حتى قيام الخلافة الفاطمية في المغرب، (المهدية/ تونس: ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، منشورات الحياة الثقافية، 1977).

– الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين، (ط1، القاهرة/ مصر: الدار المصرية اللبنانية، 2017).

شاهندة سعيد منصور، الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي في المغربين الأدنى والأوسط منذ عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي (93-362هـ/ 711-972م)، (الإسكندرية/ مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2018).

الشرقاوي عوض، العيون(الجواسيس) في المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى سقوط دولة الموحدين، (ط1، القاهرة/ مصر: دار العالم العربي، 2019).

شنقارو عواطف العربي، فتنة السلطة- الصراع ودوره في نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري-، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2001).

شهاب نهلة أحمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2009).

صائب عبد الحميد، معجم مؤرخي الشيعة- الإمامية- الزيدية- الإسماعيلية-، (ط1، قم/ إيران: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، 2004)، ج1.

صديقي محمد الناصر، القرمطية في مرجعيتها الإسماعيلية، (ط1، تونس: منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، 2016).

– فكرة المخلص- بحث في الفكر المهدوي-، (ط1، بيروت/ لبنان: جداول للنشر والتوزيع، 2012).

صيام محمد يوسف محمود، المهدي المنتظر عند فرق الشيعة(دراسة نقدية مقارنة)، (هولندا: الجامعة الحرة، 2009- 2010).

ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، (الجزائر- تونس: الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976)، ج1.

الطالبي محمد، في تاريخ إفريقية – دائرة المعارف الإسلامية- عدد خاص، (ط1، قرطاج/ تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- بيت الحكمة-، 1994).

الطاهري محمد الهادي، عقائد الباطنية في الإمامة والفقه والتأويل عند القاضي النعمان، (ط1، صفاقس/ تونس: مؤسسة الانتشار العربي، 2011).

الطائي نهاد دهام حميد محمود، الرأي العام في الدولة الفاطمية (358-567هـ)، (عمان/ الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2018).

طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، -297-567هـ/910-1171م)، (ط2، بيروت/ لبنان: دار النفائس، 2007).

الطيب محمد سليمان، الإنصاف في تاريخ الأشراف في المغرب الأقصى(الأدارسة)، (ط1، القاهرة/ مصر: دار الفكر العربي، 1994).

عارف تامر، المعز لدين الله الفاطمي- واضع أسس الوحدة العربية الكبرى-، (ط1، بيروت/ لبنان: منشورات دار الأفاق الجديدة، 1982).

عبد المقصود أحمد محمد، الدعاية السياسية والإعلام المذهبي في بلاد المغرب والأندلس، (الإسكندرية/ مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2014)، ج1.

العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، (ط2، بيروت/ لبنان: المركز الثقافي العربي، 2000).

عز الدين محمد كمال الدين، المقريزي مؤرخا، (ط1، بيروت/ لبنان: عالم الكتب، 1990).

عطاردي قوجاني عزيز الله، مسند الإمام الصادق، (ط1، إيران: المجمع العالمي لأهل البيت، 1963).

علي علبي أحمد، العهد السري للدعوة العباسية أو من الأمويين إلى العباسيين، (ط2، بيروت/ لبنان: دار الفارابي، 2010).

عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008).

العمايرة محمد عبد الله سالم، الجيش الفاطمي(297-567هـ/909-1171م)، (ط1، عمان/ الأردن: در كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، 2010).

العمري حسين عبد الله– مطهر علي الإرياني- يوسف محمد عبد الله-، في صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، (ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، 1990).

عنان محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، (ط2، مكتبة الخانجي- دار الرفاعي، (القاهرة/ مصر- الرياض/ السعودية، 1983).

عويس عبد الحليم، قصية نسب الفاطميين- أمام منهج النقد التاريخي-، (ط1، القاهرة/ مصر: دار الصحوة، 1985).

عيبش يوسف وآخرون، الخريطة التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف- الملف التاريخي-، (ط1، قسنطينة/ الجزائر: منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2011).

العيدروس محمد حسن، المغرب العربي وحكم الدولة الفاطمية- نصوص وثائقية تاريخية-، (ط2، القاهرة/ مصر: دار الكتاب الحديث، 2011).

غالب مصطفى.

- مفاتيح المعرفة، (بيروت/ لبنان: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1982).
- تاريخ الدعوة الإسماعيلية، (بيروت/ لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، دت).
- القرامطة بين المد والجزر، (بيروت/ لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، دت).

الغزالي عبد الأمير عبد الزهرة عناد، أدب التشيع في الشمال الإفريقي حتى نهاية القرن الثامن الهجري، (ط1، طهران/ إيران: مؤسسة فرهنك منهاج الثقافية، دت).

غوتييه أميل فيليكس، ماضي شمال إفريقيا، تر: هاشم الحسيني، (مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010).

فيلالي عبد العزيز، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، (قسنطينة/ الجزائر: دار البعث، 2002).

فيلالي عبد العزيز – بحاز إبراهيم بكير، مدينة ميلة في العصر الوسيط، (عين مليلة/ الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2017).

القصير سيف الدين، ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، (دمشق/ سوريا: دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دت).

القطب محمد علي، بين صحة النسب وتزوير التاريخ، (ط1، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، لبنان، 2002).

القفري علي محمد شايع، دور البربر في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى قيم دولة بني زيري الصنهاجية(22هـ-643م/362هـ-973م)، (ط1، القاهرة/ مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 2017).

قيطوني حسني، بلاد قبائل الحضرة عبر التاريخ- موطن كتامة والحرب الاستعمارية-، تر: عز الدين بوكحيل، (الجزائر: دار القصبة للنشر، 2015.

الكاتب أحمد، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، (ط1، بيروت/ لبنان: دار الجديد، 1998).

كامب غابرييل، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، (الدار البيضاء/ المغرب: إفريقيا الشرق، 2014).

كليم فيرينا، مذكرات رسالة العالم الإسماعيلي رجل الدولة والشاعر المؤيد في الدين الشيرازي، تر: شارل شهوان، (ط1، بيروت/ لبنان- لندن/ بريطانيا: معهد الدراسات الإسماعيلية، 2005).

كوك مايكل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، تر: عبد الرحمن السالمي- عمار الجلاصي، (ط2، بيروت/ لبنان: الشبكة العربية للأبحاث، 2013).

لقبال موسى.

- دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979).

- المغرب الإسلامي، (ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981).

ليفيتسكي ليفيتسكي تادايوش، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، تر: ماهر جرار - ريما جرار، (مؤسسة تاوالت الثقافية، 2007).

مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، (الإسكندرية/ مصر: منشأة المعارف، 1991).

مجاني بوبة.

- دراسات إسماعيلية، (قسنطينة/ الجزائر: مطبوعات جامعة منتوري، 2002- 2003).

- المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، (الدار البيضاء/ المغرب: منشورات الزمن، 2005).

- أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، (ط1، إربد/ الأردن: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، (قسنطينة/ الجزائر: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2010).

- النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي:296-362هـ/909-973م (الجزائر- ليبيا- تونس- المغرب)، (إربد/ الأردن- قسنطينة/ الجزائر: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع- دار بهاء الدين، 2010).

- الإسماعيليون في المغرب العربي الفكر والمؤسسات والعمران، (ط1، رؤية للنشر والتوزيع، 2014).

مجاني بوبة وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، (ط1، قسنطينة/ الجزائر، : دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2007).

مرغي جاسم عثمان، الشيعة في شمال إفريقيا- موسوعة الشيعة في العالم الشيعة في قارة إفريقيا-، (ط1، بيروت/ لبنان: مؤسسة البلاغ، 2004).

بن مساعد الياسين عبد العزيز، أعلام بجيلة وخثعم: كتاب أعلام بجيلة وخثعم وسير بعض الصحابة البجليين، (الكويت: دار العروبة للنشر والتوزيع، 2008).

المظفر محمد الحسين، الإمام الصادق، (قم/ إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، دت)، ج2.

معصوم فؤاد، إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، (ط1، دمشق/ سوريا- بيروت/ لبنان: دار المدى للثقافة والنشر، 1998).

مغنية محمد جواد، فقه الإمام جعفر الصادق- عرض واستدلال-، (ط2، قم/ إيران: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، 2009).

مكي محمود علي، التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، (ط1، القاهرة/ مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 2003).

بن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، (الرباط/ المغرب: المطبعة الملكية، 1968)، ج.1

المهداوي، حياة الأئمة في كتب أهل السنة، (ط1، قم/ إيران: دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، 2004).

الموسى سعد، موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية نسبا ومعتقدا، (ط1، الرياض/ السعودية: دار القاسم للنشر، 2006).

نزار الحسن، أهل البيت عليهم السلام في تفاسير أهل السنة، (ط1، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، 2008).

النشار علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام- نشأة التشيع وتطوره-، (ط8، القاهرة/ مصر: دار المعارف، دت) ج2.

نوح علي، الخطاب الإسماعيلي في التجديد الفكري الإسلامي المعاصر، إشراف: علي زيعور، (دمشق/ سوريا: دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، 1994).

هالم هاينس.

- الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، تع: سيف الدين القصير- مر: مجيد الراضي، (ط1، دمشق/ سوريا: منشورات دار المدى للثقافة والنشر، 1999).

- الغنوصية في الإسلام، تر: رائد الباش- مرا: سالمة صالح - رائد الباش، (ط2، بيروت/ لبنان: بغداد- العراق، منشورات الجمل، 2010).

- الشيعة، تر: محمود كبيبو، (ط1، بيروت/ لبنان- بغداد/ العراق: بيت الوراق للنشر للطباعة والنشر والتوزيع، 2011).

- إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين (875-973م)، تر: محمد كبيبو، (ط1، بغداد/ العراق: دار الوراق، 2013).

الهمداني حسين فيض الله، بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا وعقائد الإسماعيلية فيها، (ط2، اليمن: الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، 2010).

الهمذاني معد يكرب حسين وآخرون، الحق في المواطنة المتساوية- الإسماعيليون في اليمن أنموذج-، (ط1، صنعاء، اليمن، الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، 2012).

هيصام موسى، التمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنين الرابع والسادس الهجريين(10-12م)، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، (الجزائر: 2013)، ج2.

ووكر بول، الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله – حميد الدين الكرماني–، تر: سيف الدين القصير، (ط1، دمشق/ سوريا: دار المدى للثقافة والنشر، 1980).

خامسا: المراجع باللغة الأجنبية

-B . mansur Jafar, al yaman, kitabs al- alim wa l Ghulam -THE MASTER AND THE DISCIPLE-An Early Islamic spiritual dialogue, by: James W Morris, Arabic edition and English Translation, the Institute OF Ismaili Studies, (London-New York, - USA, 2001)

-DE LACY OLEARY, A SHORT HISTORY OF THE FATIMID KHALIFATE, KEGAN PAUL, (LONDON- NEW YORK, 1923)

-GUYARD , FRAGMENTS RELATIF A LA DOCTRINE DES ISMAELIS, IMPRIMERIE, NATION ALE,(Paris, France, 1874) .

- Madelung Wilferd and Paul E. Walker, The Advent of the Fatimids Contemporary Shi'I Witness,(London, New York, I.B. Tauris,2000).

سادسا: المقالات

أ: باللغة العربية

بن عربة محمد.

– بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والسلطة الأغلبية(280-296هـ/893-909م)، (سيدي بلعباس/ الجزائر: جامعة جيلالي اليابس، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، سبتمبر، 2018)، مج9، ع2.

– تجارة الرقيق في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط: الأصناف- المراكز، ضمن الكتاب الجماعي: دراسات إفريقية، جمع وتقديم: حنيفي هلايلي، (ط1/ سيدي بلعباس/ الجزائر: منشورات مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، 2020).

بن عربة محمد– بوسالم أحلام، دور مدينة وارجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، (تيارت/ الجزائر: جامعة تيارت، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جانفي2021) مج04، ع01.

بوبيدي حسين، الداعيان الشيعيان: أبو سفيان والحلواني ببلاد المغرب دراسة في النصوص، ومقاربات حول مجالات النشاط والتأثير، (قالمة/ الجزائر: مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، 2015) ع19، .

حسن علي حسن، قبائل البرانس ودورها في تأسيس دول المغرب العربي في العصور الوسطى، (جامعة القاهرة/ مصر: مجلة كلية دار العلوم، 1976)ع6.

سامعي إسماعيل.

– الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي4هـ، قراءة وعرض: علاوة عمارة، (قسنطينة، الجزائر:جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 2011)، ع12.

– الحركة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال صورة الأرض لابن حوقل القرن4هـ/10م، (قسنطينة/ الجزائر: مجلة جامعة الأمير عبد القادر، 2006)، ع21/ج1.

سامعي إسماعيل – بن عربة محمد، البيوتات العربية في المغرب الأوسط وإسهاماتها في الدعوة الإسماعيلية قبيل 296هـ/909م "البيت الحمدوني أنموذجا"، (الوادي/ الجزائر: جامعة الشهيد حمة لخضر، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، 2018)، ع18.

الطالبي محمد، الأوضاع التي مهدت لقيام دولة الفاطميين في إفريقية، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، (المهدية/ تونس: منشورات الحياة الثقافية، 1977).

عمارة علاوة.

– ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط، (مجلة التاريخ العربي، 2002)، ع21.

– انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) قراءة سوسيولوجية، (مجلة أفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ديسمبر، 2007)، ع56

عمارة علاوة، سامعي إسماعيل: الدولة الفاطمية وجهود القاصي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي، قراءة وعرض: علاوة عمارة، (قسنطينة/ الجزائر: مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2011)، ع12.

لقبال موسى.

– المعز لدين الله وجيل جديد من كتامة، ((بغداد/ العراق: مجلة المؤرخ العربي، 1975)، ع03.

– قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في بلاد المغرب الإسلامي، (حوليات جامعة الجزائر، 1990)، ع1/ مج5.

ماديلونغ ويلفرد، السياسة الدينية للفاطميين تجاه رعاياهم السنة في المغرب، (مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، 2010)، ع01، مج11.

مجاني بوبة.

– التعليم في بلاد كتامة في المرحلة السرية للدعوة الإسماعيلية، الكاتب العربي.

- الاتجاهات الفكرية للمدرسة الاسماعيلية في مرحلتها المغربية، (جامعة عين شمس، القاهرة، مصر: حولية التاريخ، مصر العربية للنشر والتوزيع الإسلامي والوسيط، 2000-2001)، مج1/ج1.

- الإدريسي ووصفه لبلاد كتامة، (البرتغال: الملتقى الدولي: المسالك والممالك واختراق أفاق المعمور، 2- 5ماي، 2008).

اليعلاوي محمد، بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هاني الأندلسي، (قسنطينة/ الجزائر: مجلة الأصالة، مطبعة البعث، ، 1984)، ع24.

يوسف نجم الدين، الأئمة الفاطميون، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، (المهدية/ تونس: منشورات الحياة الثقافية، 1977).

ب: باللغة الأجنبية

Amara Allaoua:

- Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval : l'exemple du pays des Kutama, (alboran Poblamiento e intercambios en las zonas costeras de al-Andalus y el Magreb, GRANADA, 2018), 270- 285. - La - structuration des ibadites-wahbites au Maghreb,(Xle- XVe), anisl: 42, annales islamologiques institut français d'archéologie oriental, le Caire, 2008).

- Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des communautés ibâdites du Zâb (VIII^{e} XIV^{e} siècle), décembre 2012, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, Edite d by Cyrille Aillet

- Les Fatimides et le Maghreb central: littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires, Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, 139, 2016.

سادسا: الأطاريح الجامعية

أبوسنينة زياد سلمان نعمان، القرامطة في السواد وبلاد الشام في القرنيين الثالث والرابع الهجريين، رسالة دكتوراه، (عمان/ الأردن: كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية1997- 1998).

بشاري لطيفة حرم بن عميرة، الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين(ق.1-4هـ/7-10م)، (جامعة الجزائر/ الجزائر: أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 200- 2008).

جيلان عبد الرحمن محمد صغير، موقف أهل المغرب والأندلس من الإسماعيلية قبل تحولها إلى مصر(270-361هـ/883-972م)، (جامعة صنعاء/ اليمن: 2004 رسالة دكتوراه، كلية الآداب، - 2005).

حافظ حسن أحمد حسن عبد العزيز، الدعوة الإسماعيلية منذ بداياتها حتى سقوط الخلافة الفاطمية من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن السادس الهجريين، (جامعة القاهرة/ مصر: رسالة ماجستار، كلية الآداب، 2014- 2015).

خنشالي عبد الله، أثر النزاعات المذهبية والروحية في الشعر المغربي (من القرن الثاني إلى القرن الرابع هجري) – دراسة في بنية الأفكار والمواقف والأساليب الشعرية–، أطروحة دكتوراه، (باتنة/ الجزائر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، 2008- 2009).

السرحان صفاء فرحان سعيد، حركة النثر العربي في العهد الفاطمي في المغرب العربي(260-370هـ/873-980م)، (عمان/ الأردن: رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، 2015-2016).

عبد الشكور نبيلة، إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع للهجرة الثاني عشر- الخامس عشر الميلاديين، (جامعة الجزائر/ الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، أطروحة دكتوراه، 2007- 2008).

عبد اللطيف شمس الدين محمد، أبو حنيفة النعمان وآراؤه الكلامية، رسالة ماجستير، (جامعة الإسكندرية/ مصر، كلية الآداب، 1999).

غفران محمد عزيز، مدينة المهدية (300-543هـ/912-1148م) – دراسة تاريخية، (جامعة الكوفة/ العراق، 2009 رسالة ماجستير، كلية الآداب، 2010).

لطيفة إبراهيم القاسم الهادي، مرويات الإمام جعفر الصادق في السنة النبوية وأحوال الرواة عنه ونماذج مما نسب إليه، رسالة ماجستار، كلية الدعوة وأصول الدين، (جامعة أم القرى، مكة المكرمة/ المملكة العربية السعودية)، 2001- 2002، ج1/ج2.

ندات ندات أحمد، دور الحكام الفاطميين في الحياة الفكرية في المغرب (297-362هـ/90- 972م)، رسالة ماجستير، (الجزائر/ جامعة الجزائر2: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2011- 2012).

الفهارس

أولا – فهرس الأعلام

ثانيا – فهرس المذاهب

ثالثا – فهرس الجماعات والقبائل

رابعا – فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

أ

أبا بكر الصديق: 41.

أبا سفيان240, 201, 192, 96, 90, 89, 85, 76, 75, 74, 72, 71, 70, 69, 68, 54, 52, 44, 27 .

أبا عبد الله جعفر بن محمد: 44, 39.

إبراهيم بن أحمد: 220, 213, 176, 170, 168, 110, 107, 32.

إبراهيم بن أحمد بن الأغلب: 32.

إبراهيم بن الأغلب: 208, 175, 171, 31, 29, 18, 17.

إبراهيم بن حبشي: 174, 114.

إبراهيم بن عيسى الأرشقولي: 23.

إبراهيم بن محمد اليماني)السيد الصغير: 149.

إبۡرَٰهِيمَ: 203.

إبن أعقب: 214.

ابن الآبار: 219, 218, 208, 171, 116, 111, 65, 17.

ابن الأثير: 239, 135, 101, 99, 98, 90, 89, 87, 86, 74, 72, 71, 70 .

ابن الأغلب: 173, 172, 130, 129, 128, 127, 126, 125, 30, 19.

ابن الركاب: 117.

ابن الصغير المالكي: 57, 15.

ابن اللباد: 63.

ابن المعتصم المنجم: 208.

ابن الهيثم: ,هـ, 38, 50, 51, 52, 53, 60, 102, 142, 149, 150, 151, 153, 165, 178, 190, 198, 205, 228, 229, 234, 235, 236, 237, 240.

ابن تيمية: 41, 40 .

ابن جريج: 41 .

ابن حبان: 42.

ابن حزم الأندلسي: 171, 88, 81, 28, 23.

ابن حوشب: 207, 194, 98, 97, 94, 90, 75, 74, 73, 72, 71, 68, 20.

ابن حوقل: ,ز, 24, 54, 55, 66, 84, 85, 86, 171, 182, 200.

إبن حوقل النصيبي: ز, 54, 55, 84, 85, 86, 171, 182, 200.

ابن حيان: 179, 144, 92, 91, 24, 23, 22.

ابن خلكان: 111, 98, 71, 67, 40, 38, 20.

ابن رزام: 132.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إبن رسته: 16, 19, 30.

ابن سينا: 14, 204, 205 .

ابن شداد الصنهاجي: ز, 67, 74, 239

ابن عذارى المراكشي: 14, 15, 17, 18, 28, 29, 31, 32, 65, 81, 101, 102, 115, 121, 145, 146, 155, 169, 182, 187, 188, 191, 193.

ابن هبيرة: 171.

أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: 61.

أبو العباس السفاح: 60 .

أبو القاسم الوفرجومي: 45.

أبو القاسم سعد الله79

أبو المهاجر دينار: 29, 123, 166, 190.

أبو اليسر: 215.

أبو بكر ابن هذيل: 236.

أبو جعفر أحمد بن سليم الجرارة: 158 .

أبو جعفر أحمد بن محمد البغدادي: 218 ,

أبو حبيب: 31, 113, 173 ,

أبو حميد دواس بن صولات: 162.

أبو حنيفة النعمان: 40, 43 .

أبو حيون المعروف بأبي المفتش: 45 .

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي المعروف بالدباغ: و

أبو عبد الله,: ط, 20, 22, 23, 24, 40, 45, 48, 50, 51, 55, 66, 68, 69, 74, 75, 81, 83, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 98, 99, 101, 105, 107, 108, 109, 110, 112, 113, 115, 116, 117, 118, 121, 123, 125, 126, 127, 129, 130, 134, 135, 136, 140, 142, 143, 144, 145, 146, 148, 149, 150, 151, 152, 153, 156, 159, 161, 162, 167, 168, 180, 185, 186, 187, 191, 192, 193, 196, 197, 198, 199, 204, 205, 208, 209, 210, 218, 222, 223, 225, 229, 230, 233, 236, 240, 249

أبو عبد الله الأندلسي249, 240, 192, 180, 156, 150, 145, 142, 108, 95, 91, 45 .

أبو عبد الله التنسي81, 24, 22 .

أبو عنان المريني: 83.

أبو مالك بن يغمراسن بن أبي شحمة: 162 .

أبو مديني: 107, 119, 127, 161, 162 .

أبو مديني بن فروخ اللهيصي: 119 .

أبوسليمان المنطقي السجستاني: 206 .

أبوعبد الله منصور بن خليل الأوربي: 123.

أبي الخنزير: 171 111

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبي العباس المخطوم: 236 ,235 ,187 ,98 ,53 ,51 ,38 .

أبي المهاجر دينار: 29 ,19 .

أبي بكار: 70.

أبي جعفر أحمد بن سليمان السكتاني: 123 .

أبي جعفر المنصور: 171.

أبي حمو موسى الزياني الثاني: 83 .

أبي حوال: 173 ,163 ,114 ,113 ,112 ,111 ,31.

أبي زكريا يحي بن أبي بكر: 228 ,132 ,131 ,95 ,85 ,61 ,60 ,59 ,58 ,27 .

أبي عبد الله الشيعي: و, 19, 33, 34, 45, 46, 48, 52, 57, 60, 61, 65, 70, 72, 84, 88, 90, 93, 94, 95, 96, 101, 103, 106, 107, 109, 110, 114, 115, 117, 118, 122, 138, 139, 140, 142, 145, 148, 153, 154, 156, 158, 160, 161, 162, 164, 165, 166, 167, 168, 176, 177, 178, 180, 182, 187, 183, , 196, 198, 199, 201, 205, 208, 218, 220, 221, 222, 225, 229, 230, 231, 232, 233, 235, 236, 239, 240, 241, 244, 245.

أبي عبد الله محمد بن علي بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي: 68.

أبي عثمان سعيد بن محمد بن الحداد234 ,233 .

أبي مسلم: 171.

أبي مكدول: 127 .

أبي يزيد مخلد بن كيداد: 200 ,167 ,55 ,51 ,15.

أحمد بن زياد: 63 .

أحمد بن عبادة: 63.

أحمد بن محمد بن عبد الله التلمساني القشيري الكلبي: د.

أحمد بن نصر: 63 .

إدريس الأكب: ر123 ,81 ,79 ,46 ,21 .

إسحاق بن سلاس: 245 ,121.

إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي: 79.

إسماعيل بن نصر المعادي: 167 ,46.

إسماعيل سامعي: ,أ, ب, ح, 34, 50, 55, 80, 91, 108, 134, 141, 144, 149, 151, 193, 200, 209.

أعلول: 80

أفلح بن هارون الملوسي: 229 ,228 ,204 ,198 ,165 ,150 ,142 ,102 ,52.

التهانوي: .205 .

الحاكم بأمر الله: 201 .

الحجاني: 144 ,85 ,61 ,60 ,59 .

الحري: 214 ,213 .

الحسن بن أحمد بن نافد والمعروف"بأبي المقارع: 116 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحسن بن سعد: 63.

الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: 21.

الحسن بن عيسى بن أبي العيش: 23 ,22.

الحسن بن هارون الغشمي: 185 ,105 .

الحسين بن علي رضي الله عنهما: 80 ,37 ,20 .

الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي: 62

الحكم المستنصر بالله: 65 ,64 ,23.

الحكم بن تماست: 158 .

الحلواني,100 ,99 ,94 ,93 ,90 ,89 ,88 ,87 ,76 ,75 ,74 ,73 ,72 ,70 ,56 ,52 ,49 ,48 ,47 ,46 ,45 ,44 ,
102, 117, 142, 149, 156, 158, 161, 163, 164, 167, 168, 176, 178, 179, 184, 191, 192, 193,
198, 240, 241.

الخوارزمي: 205.

الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي: هـ.

الذهبي: 202 ,146 ,101 ,99 ,41 ,40.

الرشيد: 29 ,21 ,17

الشريف أبا عبد الله: 83 .

العالية: 80.

القاضي النعمان: ,ب, هـ, و, ح, 16, 20, 26, 27, 31, 32, 33, 37, 38, 39, 42, 43, 44, 45, 47, 48, 49, 51,
55, 56, 59, 60, 62, 64, 65, 66, 70, 74, 80, 85, 86, 87, 88, 89, 92, 93, 95, 96, 97, 98, 99,
100, 101, 102, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 117, ا,
118, 119, 120, 121, 122, 123, 124, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 134, 135, 136, 138,
139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153, 154, 155, 156,
157, 158, 159, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 166, 167, 168, 169, 170, 171, 172, 173, 174,
176, 177, 178, 179, 180, 181, 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 191, 192, 193, 194, 195,
196, 197, 198, 200, 202, 203, 204, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 214, 215, 216, 217, 218,
220, 221, 222, 224, 225, 226, 228, 230, 231, 232, 238, 239

القائم بأمر الله: و.

المروذي: 199.

المعز لدين الله: ,د, 37, 38, 39, 51, 136, 175, 199, 200, 209.

المنصور بنصر الله,: 15, 38, 51, 175, 200 .

المهدي عليه السلام: 48, 179, 183, 210, 211 .

الهيثم بن عبد الرحمن: 50.

الونشريسي: 83, 190.

اليسع بن مدرار: 135, 223.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اليعقوبي: ز, 15, 18, 19, 21, 24, 25, 30, 81, 82, 110, 113, 170, 171, 172, 173, 174
امرأة يحي بن يوسف: 45, 161, 178.

ب

بشرى الإيكجاني: 177 .
بني برنيان: 82 .
بوبة مجاني: ,ب, ح, 57, 91, 95, 101, 103, 108, 156, 177, 188, 196, 197, 204, 207
بيان بن صقلان: 103, 158 .

ت

تصولا بن يحي: 159 .
تقي الدين المقريزي: ز, 20, 26, 37, 51, 59, 60, 67, 68, 71, 72, 82, 85, 89, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 128, 135, 145, 146, 147, 149, 150, 166, 184, 187, 188, 200, 228
تميم بن فحل: 103, 143, 163.

ج

جابر بن موسى: 168.
جبلة بن حمود الصدفي: 233.
جعفر بن علي: و, 52, 53, 60, 133, 177.
جعفر بن محمد الصادق: 39, 41, 43 .
جوهر الصقلي: 26, 175 .

ح

حاتم بن إسماعيل: 41.
حارث المدغري: 127.
حباسة بن يوسف الملوسي: 165.
حبيب بن بكر: 168.
حبيب بن ليفة: 122.
حريث الجيملي: 45, 99, 156, 158, 192.
حسام خضور: 76, 89 .
حسن إبراهيم حسن: 37, 38, 75. .
حفص بن غياث: 41.
حمزة الملزي: 118, 165, 168.
حمود بن حفص: 168.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حيدرة بن محمد بن إبراهيم الكتامي: 26 .

خ

خفاجة العبسي: 119, 245 .
خلفون بن مهدي: 122, 245
خليل الأوربي: 123.

د

داوود بن إبراهيم العجيسي: 169 .
داوود بن حباسة اللهيصي: 113
دواس بن صولات اللهيصي: 148, 162 .
دوسرا: 131.

ر

رسول الله صلى الله عليه وسلم: 20, 39, 40, 41, 44, 62, 78, 79, 80, 81, 141, 206, 209, 210, 211, 212 , 223, 224, 227, 235, 236, 238, 240, 241.
روح بن حاتم: 50.

ز

زياد المتوسي: 103, 163.
زيري بن مناد الصنهاجي: 21.

س

سعدون الورجيني: 217.
سفيان الثوري: 41, 48.
سفيان بن عيينة: 41.

ش

شفيعا: 176 .
شيب بن أبي الشداد: 114.

ص

صلاح الدين الأيوبي: 73 .
صولات بن القاسم السكتاني: 122.
صولات بن نازل: 168.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ط

طه أحمد شرف: 75 ,38 ,37.
طيب الحاضن: 177 .

ع

عارف تامر: 203 ,201 ,75 ,38 ,
عبد الرحمان ابن خلدون: 123 ,102 ,96 ,93 ,87 ,86 ,85 ,81 ,73 ,70 ,65 ,60 ,59 ,31 ,29 ,28 ,27 ,26 ,25 ,
206 ,188 ,187 ,182 ,173 ,167 ,166 ,164 ,162 ,155 ,147 ,146 ,144 ,139 ,128.
عبد الرحمان بن رستم: 15 ,14 .
عبد الرحمن بن معاوية: 133 ,80 ,23 ,
عبد الله الحسن بن أبي الملاحف: 89 ,
عبد الله الرضي: 74 ,
عبد الله القداح: 75 ,67 ,
عبد الله بن الملاحف: 149 ,
عبد الله بن كليب: 122 ,
عبد الواحد: 81 ,41 ,15 ,
عبد الوهاب: 166 ,164 ,88 ,83 ,59 ,16 ,15 ,
عبلوا: 123
عبيد الله البكري: ,164 ,127 ,122 ,119 ,91 ,88 ,87 ,86 ,84 ,82 ,81 ,79 ,66 ,23 ,22 ,21 ,18 ,16 ,15 ,
166, 218
عبيد الله المهدي: ,و ,20 ,37 ,51 ,53 ,54 ,55 ,60 ,61 ,63 ,64 ,68 ,69 ,72 ,73 ,82 ,116 ,132 ,135 ,143,
144, 146, 149, 175, 177, 187, 204, 210, 217, 219, 228, 229, 231, 232, 233, 235, 236, 239,
242, 247
عبيد الله بن عمر بن إدريس: 81 ,
عذي بن ذكر: 168 ,
عز الدين ابن الأثير,: ز ,20 ,67 ,71 ,72 ,87 ,89 ,90 ,96 ,99 ,101 ,110 ,111 ,116 ,117 ,118 ,120 ,145,
221
عقبة بن نافع: 190 ,47 ,29 ,17 ,
عكاشة: 167 ,
علال: 80 ,
علاوة: 154 ,80 ,68 ,67 ,57 ,50 ,44 ,
علول: 80 ,
علولة: 80 ,

علي: 72, 69, 68, 67, 56, 55, 50, 49, 46, 43, 42, 41, 39, 38, 37, 31, 28, 24, 23, 22, 21, 20, 19, ,
73, 74, 75, 78, 80, 81, 82, 83, 84, 87, 89, 91, 92, 93, 95, 96, 97, 99, 100, 101, 103, 107,
110, 113, 115, 128, 144, 147, 148, 156, 160, 164, 171, 173, 174, 175, 179, 192, 193, 194,
196, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 209, 210, 211, 219, 225, 228, 229, 232, 234, 236,
245, 249
علي بن الحسين: 42, 41, 39, 21, :,
علي بن حفص والمعروف بابن عسلوجة: 31 ,
علي بن حفص والمعروف" بابن عسلوجة: 113 ,"
علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي: 91 ,
علي حسن موسى: 74, 49 ,
علي سامي النشار: 148, 101, 75 ,
علياء: 80 ,
عليوة: 80 ,
عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي الطوسي: 43 ,
عماد الدين إدريس القرشي: 118, 70, 65, 60, 56 .
عمر بن الخطاب: 236, 199, 102, 41.

غ

غزوية بن يوسف: 165, 126, 108.

ف

فتح بن يحي المسالتي: 159, 109, 103, 33 .

ف

فرجون: 176 ,
فرح بن جيران: 160, 103 ,
فرح بن حية: 168 ,
فرهاد دفتري: 209, 208, 203, 197, 196, 195, 194, 193, 147, 97, 50, 37, 20 ,
فطومة: 80 ,
فطيمة: 80 ,
فوناس: 123 ,:
فيروز: 134, 133, 96.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ق

قاسم بن أصبغ63 ,:
قرمط: 132 ,94 ,49 ,

ك

كسيلة بن ملزم الأوربي: 29 ,
كسيله بن ملزم الأوربي: 166 ,
كنزة : 81 .
كويرت بن قيس: 179 ,162.

ل

لاوة بن صوحان: 162 ,107.
لسان الدين ابن الخطيب: 175 ,128 ,111 ,92 ,51 ,23.

م

ماكنون بن ضبارة الأجاني: 119.
مالك بن أنس: 40.
محمد الحبيب: 96 ,70.
محمد النفس الزكية: 78 ,42.
محمد بن أحمد: 205 ,96 ,83 ,59 ,22.
محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي: 171.
محمد بن الحارث الخشني: و.
محمد بن حارث بن أسد الخشني: 140 ,63.
محمد بن حمدون بن سماك الأندلسي: 93 ,70.
محمد بن رمضان: 216 ,172.
محمد بن سليمان: 82 ,81 ,24 ,23 ,22.
محمد بن غزوية: 127 ,
محمد بن ورسند: 84 ,
محمد بن يوسف الوراق: 65 ,64 ,
محمد جمال الدين سرور: 76 ,
محمد حسن العيدروس: 100 ,75 ,
محمود: 231 ,228 ,219 ,213 ,210 ,160 ,130 ,111 ,107 ,106 ,65 ,47 ,42 ,38 ,31 ,14 ,
مصطفى غالب: 203 ,201 ,184 ,151 ,147 ,94 ,88 ,82 ,75 ,74 ,56 ,51 ,50 ,42 ,38 ,33 ,

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مهدي بن كناوة: 161 ,106 ,103 ,

موسى أبي المفتش: 93 ,

موسى بن أبي العافية: 23 ,22 ,

موسى بن العباس بن عبد الصمد: 170 ,110 ,30 ,19 ,

موسى بن جعفر: 84 ,

موسى بن مكارم: 158 ,45 ,

موسى عليه السلام: 43 ,

موسى لقبال: ح, 25, 44, 46, 47, 60, 75, 79, 115, 116, 119, 122, 124, 125, 146, 148, 158, 161, 163, 176, 178.

ن

نوح عليه السلام: 204.

و

وافطما: 80 .

وافطيمة: 80.

وليفرد مادلونغ: هـ.

ي

يحفور: 118.

يحي بن إبراهيم: 23.

يحي بن زكرويه والمعروف" بصاحبي الناقة: 132 .

يحي بن سعد الأنصاري: 41

يحي بن سعيد القطان: 41 .

يحي بن سلام: 212.

يزيد بن حاتم: 50.

يسين بن يوسف اخو ابن الأصم: 161 ,45

يعقوب بن أفلح: 131

يعقوب بن كلس: 166

يوسف العطاشي: 176 ,168 ,107 ,32

يوسف بن ايوب: 168

يوسف بن سكلب: 160 ,118.

يوسف عليه السلام: 183.

يونس بن دنقس: 237.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المذاهب

أ

الإمامية: و, 38, 42, 43, 44, 69, 84, 96, 206.

ب

باطنية: 43, 49, 69, 97, 138, 139, 195, 203.

بجلية: 84 .

ح

حنفية: 34, 44.

خ

خوارج: 13, 14, 15, 17, 19, 20, 138, 139, 167.

خوارج الإباضية: 14, 26.

ر

رافضة: 26, 41.

ز

زيدية:38, 207 .

ش

شيعة: أ, ج, هـ, و, 37, 38, 41, 42, 43, 44, 49, 56, 57, 58, 59, 62, 65, 89, 96, 100, 117, 131, 138, 148, 167, 184, 191, 193, 201, 202, 207, 208, 209, 210, 213, 218, 234, 241.

ق

قرمطية: 49, 132.

م

مالكية: ج, ك, هـ, و, ز, 26, 50, 63, 64, 84, 138 , 198, 217, 231, 232, 233, 235, 236, 237, 239.

ن

نكارية: 15.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

س

سنة مالكية: ج, هـ, 64. 140, 232, 234, 241.

و

وهبية: ج.

فهرس البلدان

أ

افريقية: ج, هـ, و, ي, 17, 19, 30, 32, 33, 50, 51, 52, 53, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 78, 79, 84, 85, 86, 87, 88, 91, 100, 101, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 116, 117, 118, 120, 123, 124, 125, 126, 128, 129, 134, 135, 136, 138, 139, 140, 142, 145, 149, 150, 152, 158, 157, 155, , 174, 176, 182, 183, 186, 187, 190, 191, 192, 196, 208, 210, 215, 217, 219, 225, 229, 230, 231, 232, 234, 240, 241, 246

الأربس: 231, 192, 186, 129, 127, 125, 86.

الأندلس: 91, 90, 88, 81, 80, 75, 74, 65, 64, 56, 55, 54, 51, 50, 40, 38, 33, 32, 23, 22, 16, 14, :, 219, 203, 179, 175, 151, 150, 147, 144, 133, 94, 93, 92.

الأهواز: 146.

البحر الأبيض المتوسط: 30, 16.

البويرة: 21 .

البيرة: 92, 91.

الجزائر: ح, 13, 15, 16, 17, 19, 21, 22, 23, 25, 26, 27, 30, 34, 39, 44, 46, 50, 55, 57, 58, 62, 68, 79, 80, 81, 83, 87, 91, 92, 94, 95, 108, 110, 114, 116, 120, 130, 133, 151, 154, 156, 167, 169, 176, 177, 179, 207, 213, 217, 232.

الجنوب الجزائري: 58 .

الحجاز: 99, 46.

الدار البيضاء: د, 14, 51, 111, 204.

الرملة: 177, 133.

الزاب: 238, 175, 174, 171, 169, 154, 121, 119, 103, 81, 31, 29, 27, 21, 19, 18, 17, 16.

السودان الغربي: 167, 15 .

السوس: 84, 14.

الشرق: 242, 214, 130, 129, 71, 63.

الصحراء: 126, 16 .

العالم الإسلامي: ي, 14, 29, 75, 76, 222.
العراق: د, 37, 39, 42, 46, 49, 50, 94, 132, 146, 149, 150, 194, 209, 212.
الغرب: أ, 14, 15, 19, 20, 21, 24, 39, 43, 46, 54, 56, 63, 65, 66, 79, 80, 87, 89, 92, 98, 99, 130, 133, 172, 190, 199, 214, 217, 219, 233, 234, 238.
الغرب الإسلامي: أ, 14, 15, 19, 20, 39, 46, 54, 56, 63, 65, 66, 79, 80, 87, 89, 92, 98, 99, 133, 190, 199, 219, 233, 234.
الفيوم: 188 .
القاهرة ,ز, ح, 14, 17, 19, 20, 22, 26, 28, 29, 32, 37, 38, 42, 54, 56, 64, 68, 71, 73, 75, 79, 83, 85, 88, 89, 91, 92, 96, 97, 100, 101, 111, 115, 130, 134, 136, 140, 148, 175, 177, 190, 195, 200, 201, 202, 204, 205, 207, 209, 213, 215, 219, 234, 236.
القصرين: 125.
الكوفة: ة150 ,149 ,96 ,87 ,66 ,60 ,50 ,49 ,37 ,20 .
المسيلة: 18, 21, 82, 129
المشرق الإسلامي: أ, 14, 144, 152.
المغرب: أ, ب, ج, د, هـ, و, ز, ح, ط, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 34, 37, 38, 39, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 87, 88, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 98, 99, 100, 101, 103, 108, 109, 111, 114, 115, 116, 119, 122, 123, 125, 127, 129, 130, 131, 132, 133, 134, 138, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 149, 151, 152, 153, 154, 155, 156, 163, 164, 167, 169, 170, 171, 172, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 182, 183, 184, 186, 187, 188, 190, 193, 194, 197, 198, 200, 201, 202, 203, 204, 206, 207, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 216, 219, 220, 221, 222, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 245, 246, 247.
المغرب الإسلامي: أ, ح, 13, 14, 15, 26, 32, 34, 46, 63, 66, 68, 71, 79, 80, 83, 84, 89, 91, 93, 100, 114, 116, 127, 151, 152, 167, 171, 175, 178, 179, 187, 194, 202, 204, 209, 221, 229
المنصورية: 51, 163, 200.
المهدية: 15, 26, 37, 51, 52, 54, 60, 82, 86, 142, 216.
الميلية: 160.
الناظور: 87, 149, 176, 180 .
اليمن: د, هـ, 20, 47, 48, 50, 62, 68, 70, 72, 73, 74, 75, 76, 84, 89, 90, 91, 94, 96, 97, 98, 133, 142, 146, 147, 149, 151, 194, 197, 209, 228.
أوزكا: 25 .
أولاد عسكر: 160 .

إيكجان: 146, 127, 126, 125, 124, 123, 122, 119, 117, 113, 112, 106, 105, 101, 100, 60, 55, 27, 149, 150, 157, 164, 166, 174, 175, 184, 185, 186, 193, 197, 220, 221, 225, 240, 242

ب

بجاية: ي, 18, 19, 26, 28, 68, 155, 163 .

بلزمة: 245, 238, 216, 172, 171, 117, 112, 105, 103, 32 .

بونة: 245, 166, 155, 123, 122, 28.

تازروت: 230, 197, 186, 169, 165, 161, 160, 157, 150, 112, 111, 109, 106, 104, 95, 27 ,

تاصورت: 95, 61, 60, 59, 27.

ت

تالا: 176, 158, 87, 86 .

تاهرت: 207, 188, 169, 162, 148, 131, 61, 58, 57, 25, 16, 15, 14.

تونس: ح, 14, 16, 39, 50, 57, 59, 65, 67, 80, 83, 86, 111, 112, 113, 128, 133, 142, 203, 213, 219, 234, 236.

تلمسان: 194, 190, 166, 83, 82, 81, 68, 29, 24, 22, 21.

تمطلاس: 82, 25 .

تنس: 24.

توبر: 159.

توزر: 126, 61, 60, 59.

تيجس: 117 .

تيفاش: 245, 158, 122, 121, 27 .

تيهرت: 194, 162, 149, 148, 135, 130, 65, 15 .

ج

جبال الأوراس: 58, 27 .

جبال البابور: 169, 27 .

جبال سدات: 160.

جبل الساطور: 126 .

جبل المطاحن: 119 .

جبل بانورات: 126.

جراوة أبي العيش: 22.

جربة: 16 .

جزيرة طرمين: 170 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جيجل: 215 ,156 ,29 ,27 ,19 ,18 .

د

دار الهجرة: 225 ,110 ,106 ,104 ,98 ,95 ,40 ,27 .

ر

رقادة: و, 26, 32, 51, 52, 53, 114, 115, 116, 125, 127, 130, 150, 157, 172, 175, 177, 185, 187, 194, 204, 222, 225, 235, 236, 243.

ق

قلعة بشر: 119 .

س

سجلماسة: و, 14, 25, 52, 53, 54, 57, 61, 62, 63, 69, 72, 130, 131, 132, 133, 134, 135, 144, 149, 152, 174, 175, 176, 177, 183, 198, 211, 219, 222, 223, 229, 231, 232, 235, 239.

سطيف: 159 ,158 ,156 ,152 ,150 ,116 ,114 ,113 ,112 ,108 ,103 ,93 ,88 ,55 ,31 ,30 ,27 ,19 ,18 , 162, 173, 238, 242, 245.

سعيدة: 82 ,25.

سكيكدة: 27.

سلمية: ,و, 37, 47, 52, 53, 59, 75, 76, 90, 96, 121, 132, 133, 142, 143, 144, 151, 177, 221, 222, 239, 240, 247.

سماطة: 53.

سنديني: 123.

سوجمار: 240 ,184 ,164 ,150 ,100 ,88 ,87 ,48.

سوريا: ,د, 41, 50, 76, 97, 148, 194, 201, 205, 206, 209, 228.

سوف جمار: 87 ,70.

سوق حمزة: 21 .

ش

شقبنارية: 128.

شلف: 24.

ص

صقلية: 170 ,159 ,111 ,110 ,33 ,32.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صنعاء: 84, 96, 97, 98, 145 .

ط

طبرسيف: 124.
طبرية: 133.
طبنة18, 114, 115, 116, 117, 120, 121, 174, 238, 245 .
طرابلس: 16, 78, 100, 129, 162, 165, 167, 188, 204 .

ع

عدن لاعة: 62, 97, 98 .

ف

فاس: 21, 78, 82, 83, 194 .
فالوسن: 24 ,
فج الأخيار: 95, 100, 209 .
فج العرعار: 127.
فخ: 21, 46 .
فيدولاس: 25 .
قالمة: 18, 27, 87, 121, 122, 126, 245 .
قرطبة: 23, 32, 63, 64, 81, 140 .
قرية الخربتين: 213 .
قسطيلية: 54, 84, 100, 126, 134.
قسنطينة: أ, 18, 19, 27, 50, 55, 57, 62, 69, 88, 92, 95, 108, 114, 115, 120, 121, 164, 167, 169, 207.
قصر الإفريقي: 123 .
قفصة: 127.
قلعة يحصب: 92.

ك

كارطيناس: 24.
كجارمة: 112, 163, 170 .
كينونة: 115, 120, 121, 160, 161 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ل

ليبيا: ح, 57, 59.

م

مانو16 ,
مجانة245 ,165 ,128 ,124 ,119 ,117 ,
مراغة86 ,70 ,
مرسى فروخ16 ,
مرسى قلعة خطاب27 ,
مرماجنة192 ,128 ,86 ,85 ,
مسكيانة128 ,124 ,
مصر: أ, د, 14, 17, 19, 20, 22, 26, 28, 29, 31, 32, 37, 38, 40, 42, 53, 54, 56, 64, 68, 71, 72, 73, 75, 76, 79, 83, 84, 85, 88, 89, 91, 92, 96, 97, 99, 100, 101, 111, 115, 127, 130, 133, 134, 136, 140, 148, 152, 171, 175, 177, 188, 190, 194, 195, 197, 200 ,207 ,205 ,204 ,202 ,201 , 209, 213, 215, 219, 228, 234.
ملوسة: 28, 52, 106, 112, 127, 128, 150, 165, 198.
منى: 234.
منيولة: 128 .
ميدرة حيدرة: 124 .
ميلة: 18, 19, 25, 27, 29, 30, 33, 88, 93, 103, 105, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114 116, 120, 146, 154, 156, 160, 161, 163, 170, 171, 173, 176, 181, 186, 190, 217, 230, 238, 245

ن

ندرومة: 24.
نفطة: 66, 84, 86, 87, 192, 216.

هـ

هاز: 21, 82 .

و

وادي الرمل: 128 .
وارجلان: 61 62, 63, 131, 207, 239
ورجلان: 61 .
وشنوك: 159.
وهران: د, 16.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العنوان	الصفحة
الجماعة الإسماعيلية ودورها الثقافي والاجتماعي في مرحلة الدعوة في بلاد المغرب الأوسط145-296هـ/741-909م	
مقدمة	أ – ك
الفصل الأول **الدعوة الإسماعيلية في البيئة المغربية– إشكالية التحقيب ولغز المنظر–**	62–13
أولا: خصائص المجال الكتامي الدعوي	22–14
ثانيا: الدعوة في البيئة المغربية من خلال النصوص الإسماعيلية	42–23
ثالثا: الدعوة في البيئة المغربية من خلال النصوص الإباضية	49–43
رابعا: الدعوة في البيئة المغربية من خلال النصوص السنية	62–50
الفصل الثاني **المجال الكتامي موطن الدعوة تأثير وتأثر**	120–64
أولا: الموروث العلوي والتشيع السياسي	71–64
ثانيا: الدعوة الأولى ومرحلة البذر	75–71
ثالثا: واسطة الدعوتين ومرحلة الترقب للوافد الجديد	81–75
رابعا: الدعوة الأخيرة ومرحلة الحصاد	120–81
الفصل الثالث **الدور الثقافي للجماعة الإسماعيلية في المجالات الكتامية**	173–122
أولا: المؤسسات التعليمية	132–121
ثانيا: العلوم النقلية	142–132
ثالثا: العلوم العقلية	156–142
رابعا: حركة التأليف	158–156
خامسا: المناظرات	165–158
الفصل الرابع **الدور الإجتماعي للجماعة الإسماعيلية في المجالات الكتاميـة**	217–167
أولا: ألقاب مجتمع الدعوة	177–167
ثانيا: تنظيمات مجتمع الدعوة	183–178

ثالثا: قبائل الدعوة	**204-183**
رابعا: دور العبيد في مجتمع الدعوة	**206-204**
خامسا: دور المرأة في مجتمع الدعوة	**209-207**
سادسا: عادات وتقاليد مجتمع الدعوة	**213-209**
سابعا: الهجرة وأثرها على مجتمع الدعوة	**217-213**
خاتمة	**223-219**
الملاحق	**231-225**
بيبليوغرافيا	**260-233**
الفهارس	**279-262**
فهرس الموضوعات	**228-281**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الدراسة:

كانت بلاد المغرب الإسلامي مع منتصف القرن 3هـ/8م منقسمة بين قوى مختلفة سياسيا ومذهبيا، هذا الوضع كان مشجع لظهور وانتقال الدعوات المذهبية المشرقية خاصة الشيعية ذات النحلة الإسماعيلية، والتي استهدفت المغرب الأوسط عموما وبلاد كتامة على وجه الخصوص، وهذا النشاط لهذه الدعوة وجماعته حاولنا إبراز دوره وتأثيراته من خلال تتبع مكانة العامل الثقافي والاجتماعي عبر مختلف المراحل وهذا باستعراض مجال الدعوة، ومناقشة كرونولوجيتها من مختلف الروايات، مرورا إلى مراحلها، والأشخاص والقبائل الفاعلة فيها، وصولا إلى دورها وأثرها الثقافي والاجتماعي.

Abstract:

By the middle of the 3rd century ,the islamic maghreb was divided between different political and sectarian forces, this situation encouraged the emergence and transmission of the doctrinal ideological calls ,especially the shiites which targeted the middle Maghreb in general and the kutama country in particular, by tracing the status of the cultural and social factor through the various stages, this is by reviuwing the field of advocacy,and discussing its chronology from the various narratives through to its stages, the people and tribes active in it, down to its role and social impact.

Résumé:

Au milieu du 3ém siècle, le Maghreb islamique est divisé entre différentes forces politique et sectaires, cette situation favoris l'émergence et la transmission des appels idéologiques levantins, notamment les chiites avec les Ismaïlis, qui ciblaient le Maghreb central en général et les kutama, en retraçant le statut du facteur culturel et social a travers les différentes étapes c'est en passant en revue le champ du plaidoyer, et en discutant de sa chronologie depuis les différents récits jusqu'à ses étapes, les peuples et les tribus qui y sont actifs, en bas a son rôle et a son impact culturel et social.